



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 - بوزريعة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري
ورقلة أنموذجا 1844-1962 م

ملخص أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

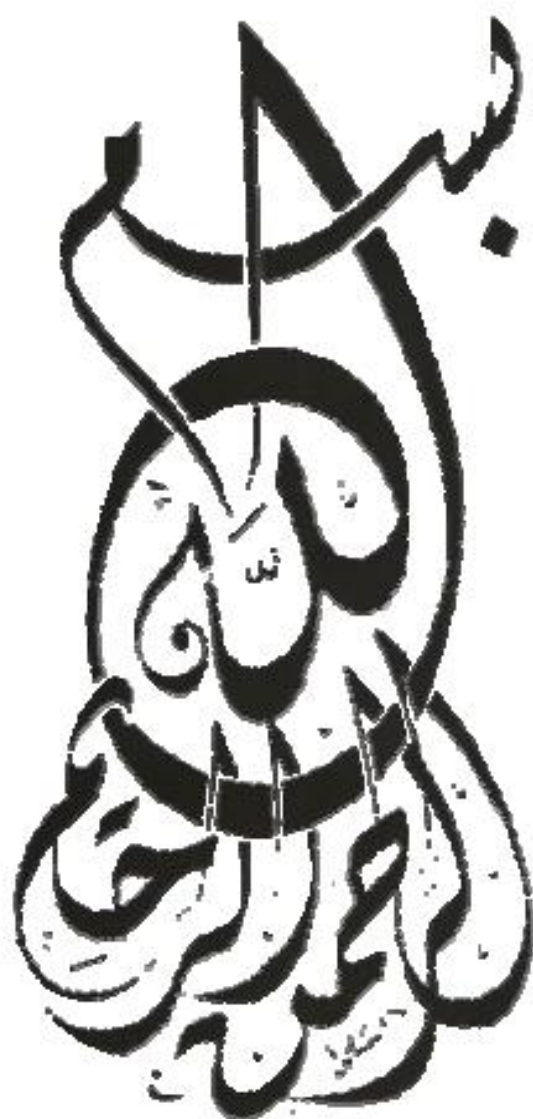
إشراف الأستاذ الدكتور:
تلمساني بن يوسف

إعداد الطالب:
رضوان شافو

أعضاء لجنة المناقشة:

الجامعة الأصلية	لمية		
2	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	/ .
2		أستاذ التعليم العالي	/ تلمساني بن يوسف
جامعة البويرة			/ ور خيثر
2			/ زه دي
المدرسة العليا للأساتذة			/

السنة الجامعية: 1432-1433 هـ / 2011 - 2012 م



الإهداء

إلى الذين اصطفاهم الله بحمل اللواء وشرف الأمة
إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرها
إلى زوجتي الغالية حفظها الله
إلى روح الفقيه الأستاذ الدكتور ابراهيم مياسي
رحمة الله عليه

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وعرفان

أولاً الشكر لله تعالى على فضله ومنه وإحسانه، لما أجزله لنا من توفيق وإعانة لإنجاز هذا العمل العلمي المتواضع .

وثانياً إذا كان لابد من الاعتراف بذوي الفضل بفضلهم فإنني أعرب عن شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور بن يوسف تلمساني أطل الله في عمره ، الذي تابع خطوات هذا العمل وأمدني بتوجيهاته ونصائحه العلمية السديدة التي كانت لي نورا على الطريق في إنجاز هذا العمل العلمي .

ومن باب أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فإنه لا يسعني إلا أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من تفضل بتقديم النصح والإرشاد وأمدني بالوثائق والمراجع ، وأخص بالذكر كل من السادة الأساتذة والدكاترة الإجلاء : الدكتور علي غنابزية، جمال الدين ميعادي (مدير متحف المجاهد بتقوت)، دومي محمد (رئيس مصلحة الأرشفة لولاية ورقلة)، عواريب لخضر ، حسن معمري، حكوم سليمان، بومعقل سليمان، هوراي مختار، تيتة ليلي، والسيد فليكس *filix* (مسؤول مكتبة الآباء البيض بورقلة) .

والشكر موصول للسادة الأساتذة والدكاترة الأجلاء أعضاء اللجنة العلمية وأعضاء لجنة المناقشة، الذين سيأخذون من وقتهم لقراءة هذا العمل وإفادته من خبرتهم بالتصويب والتعديل ، فلهم خالص الشكر وأرفع آيات التقدير والتوقير والاحترام .

قائمة المختصرات الواردة في البحث

أولا/ باللغة العربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تعرب	تعريب
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
س	سنة
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
مج	مجلد
مخ	مخطوط
م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن	المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب

ثانيا/ باللغة الفرنسية:

A.M.G	Archives du Ministère de Guerre (Château de Vincennes)
A.N.A	Archives Nationales Algérienne
A.N.T	Archives Nationales de Tunisie
A.O.M	Archives d'Outre Mer (Aix-En Provence)
A.G	Annales de Géographie
B	Boit
B.C.S	Bulletin de la communication du Sahariennes
B.S.G.A	Bulletin de la Société de Géographie d'Alger
C.A.P.E.R	Caisse d'Accession à la Propriété et à l'Exploitation Rurale
C.D.A.W.O	Centre de Documentation et d'Archives de la Wilaya de Ouargla
CSS	Caisse Saharienne de Solidarité

DOP	Département de les Opérations et de prévention
E.B.S.G	Extrait du Bulletin de la Société de Géographie
G.P.R.A	Gouvernement Provisoire de la République Algérienne
Impr	Imprimerie
J.O.A	Journal Officiel de l'Algérie
J.O.R.F	Journal Officiel de la République Française
L.M.C	la Ligue Maritime et Coloniale
N°	Nombre
N.J.O.C.R.S	Nouvelles Journal de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes
N.S	Nouvelles du Sahara
OCRS	Organisation Commune des Régions Sahariennes
O.P.U	Office des Publications Universitaire
P	Page
PROHUZA	Centre d'études et d'informations des Problèmes Humains dans les Zones Arides
R.A	Revue Africaine
S.A.R	Secteur d'Amélioration Rurale
S.D	Sans date
S.E.L.I.S	Société d'Equipement pour l'Infrastructure Saharienne
S.N.Repal	Société National de Recherche et d'Exploitation des Pétroles en Algérie

المقدمة

تقديم الموضوع:

مند البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، عملت السلطة الاستعمارية على وضع إستراتيجية للتغلغل في عمق الأراضي الجزائرية، بهدف بسط النفوذ واستكمال مشروع التوسع نحو المناطق الصحراء الجزائرية وقد اعتقد الفرنسيون بعد سقوط مدينة الجزائر أنهم سوف يسيطرون على بقية المناطق الأخرى خلال أيام معدودات، إلا أن السلطة الاستعمارية تفاجئت بوجود مقاومة عنيفة وشرسة من طرف الشعب الجزائري في مختلف مناطق الوطن، مما أخرج عملية توسعها وفرض سيطرتها إلى غاية 1916م، حيث تم إخضاع كل الأراضي الجزائرية بعد القضاء على آخر مقاومة شعبية في منطقة الهقار بقيادة الشيخ آمود، وفي ذات السياق نجد من ضمن المناطق الصحراوية التي تركت بصماتها النضالية ضد التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية منطقة ورقلة التي أبدت مقاومة شعبية منذ احتلالها سنة 1854م إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي (19م) بقيادة كلا من الشريف محمد بن عبد الله، والشريف بشوشة، وناصر بن شهرة، وأولاد سيدي الشيخ، لكن السلطة الاستعمارية استطاعت أن تقضي على هذه المقاومات بفضل تعدادها العسكري من جهة، وبفضل جواسيسها وعملائها المنتشرين في المنطقة من جهة أخرى، هذا ناهيك عن سياستها القمعية المفروضة على الأهالي، والتي نتج عنها تدهور في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، حيث انشر الفقر، وضربت المجاعة أطنابها في مختلف القبائل البدوية، وسُلبت الأراضي من أهلها بسبب تراكم الديون... وغيرها من النتائج السلبية.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين (20م) لاح فجر جديد في المجتمع الورقلي نتيجة التطورات السياسية التي حدثت بالشمال الجزائري، حيث انتشر الوعي السياسي بفضل بعض التجار الذين كانوا يعملون في المدن الشمالية، وتبلور الفكر الإصلاحي بفضل الطلبة الذين درسوا في جامع الزيتونة، وبفضل جرائد وصحف جمعية العلماء المسلمين التي نُورّت وأنارت الطريق لشباب ورقلة لمحاربة السياسة التنصيرية في المنطقة، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية برزت خلية حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي مهّدت وهيئت الأجواء للعمل العسكري بالمنطقة، فلما اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954م حتى أقبل سكان ورقلة مثلهم مثل بقية سكان الصحراء ينخرطون أفواجا في صفوف المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني، وعمل المسؤولون في المنطقة على تشكيل خلايا ثورية شعبية هدفها جمع الاشتراكات والسلاح والتموين، والقيام بعمليات فدائية إن سنحت الفرصة، وما بين 1956 و1958م شهدت المنطقة تطورا

عسكريا كبيرا نتيجة للتقسيم الجديد الذي خرج به مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، وإضافة الولاية التاريخية السادسة، حيث كانت هذه الفترة أكثر شراسة وبطولة من خلال بعض الاشتباكات والعمليات الفدائية التي خاضوها ضد المنشآت العسكرية والاقتصادية للعدو، وخاصة بعد الاكتشافات النفطية والغازية بالصحراء الجزائرية سنة 1956م، لكون أن هذا الاكتشافات فتحت آفاقا جديدة للإدارة الاستعمارية، بهدف استغلال هذه الثروات فيما يخدم الاقتصاد الفرنسي، لذلك أسرع السلطة الاستعمارية إلى خلق مشاريع إدارية واقتصادية واجتماعية من اجل الحفاظ على أن تبقى الصحراء فرنسية، كمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، ومشروع الجمهورية الصحراوية المستقلة، ومشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، لكن سكان ورقلة لم تغريهم هذه المشاريع، بل أنهم أكدوا رفضهم التام لهذه المشاريع في 27 فيفري 1962م، حيث هز أهالي ورقلة كيان العدو الفرنسي، وكسر أغلال الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، ففي مثل هذا اليوم حدث انفجار شعبي هز صمت معظم قرى ورقلة (الرويسات، بني ثور، سعيد عتبة، المخادمة، عين البيضاء، لعجاجة، القصر العتيق، انقوسة، سيدي خويلد...)، إذ خرجت فيه شرائح المجتمع الورقلي ضاربة أوامر السلطة الفرنسية عرض الحائط، غير آبهة للترسانة الجهنمية الفرنسية، رافضين لمؤامرة الفصل، وتشاء الأقدار أن تتبخر أحلام الجنرال دي غول في هذا اليوم الذي ما فتئ يضيق الخناق على الثورة التحريرية، ليتأكد ديغول فيما بعد إن إرادة الشعوب أقوى وأكبر من إرادة القهر والاضطهاد.

أسباب اختيار الموضوع:

في بادئ الأمر كان عنوان الدراسة: "عمالة الواحات (الجنوب الشرقي الجزائري) دراسة سيمونوغرافية"، بداءً من المساحة الجغرافية التي تشمل منطقة الاغواط شمالا إلى تمنراست جنوبا، ومن اليزي شرقا إلى عين صالح غربا، واختيار هذا العنوان كان لسبب واحد وهو أن حجم منطقة عمالة الواحات في المقاومة الشعبية والسياسية لا يتناسب مع حجم البحوث التاريخية المخصصة لها، لكون أن اغلب الدراسات التاريخية حول تاريخ الصحراء الجزائرية نجده قد كتب بأقلام استعمارية، وكل ما كتب بأقلام وطنية فهو قليل جدا مقارنة ما كتب عن تاريخ المقاومة الوطنية في مناطق الشمال، غير أنني وفي إطار تجميع المادة التاريخية وقفت على الزخم الكبير من الأحداث التاريخية في منطقة عمالة الواحات، وكل منطقة فيها تحتاج إلى دراسة علمية مستقلة، وعليه بعد مشاورات مع الأستاذ المشرف استقرا رائينا على اختيار عنوان

"الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري. ورقلة أنموذجا 1844-1962م" كموضوع للدراسة والبحث، واختيارنا لهذه المنطقة تحكمت فيه عدة عوامل ذاتية وموضوعية.

فمن العوامل الذاتية: رغبي الشخصية الملحة لدراسة التاريخ المحلي الذي كان لي فيه تجربة أولية في دراستي لما بعد التدرج، ولهذا كان لي طموح كبير لمواصلة البحث في هذا المجال من جهة، وبحكم انتمائي الجغرافي لهذه المنطقة، هذا بالإضافة إلى محاولتي لتوثيق بعض الشهادات الشخصية لمن صنعوا مجد هذه الأمة، وشاركوا في استرجاع السيادة الوطنية، لكون أن هذه الشهادات تعتبر مادة أولية ودسمة يجب الاستثمار فيها والتسويق لبطولاتها، وحتى لا تدفن الحقائق التاريخية مع أصحابها إن وافتهم المنية لا قدر الله.

ومن العوامل الموضوعية: كون منطقة ورقلة تعتبر العاصمة الإقليمية للجنوب الشرقي من جهة، وكونها كانت المقر العام لعمالة الواحات، زيادة على ذلك انعدام الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع، مما ترك فرصة للبعض من غير الاختصاص الخوض بارتجالية في وصف أحداث تاريخية وسياسية تفتقر إلى القواعد المنهجية للبحث التاريخي، مما نتج عنها تزييف وتأويل للحقائق التاريخية، هذا بالإضافة إلى محاولة سد الثغرات التاريخية التي لم يتطرق إليها الباحثون المتخصصون في الشأن الصحراوي، كما أن أغلب الدراسات التي تناولت الاستعمار الفرنسي في الصحراء ركزت على أساليب المقاومة وأهملت جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي.

ويجدر بنا التوضيح هنا إلى أن حديثنا عن منطقة ورقلة خلال الفترة الاستعمارية في هذه الدراسة يخص مدينة ورقلة وقراها المجاورة ما بين 1844 و1962م، وليس الحديث عن ورقلة كولاية حالية استحدثت خلال التقسيم الإداري لسنة 1984م، والتي تضم حوالي واحد وعشرين بلدية، وستة دوائر.

أهمية الدراسة وأهدافها:

إن تتبع مسار مقاومة سكان ورقلة ضد الاستعمار الفرنسي من الاحتلال ولغاية استرجاع السيادة الوطنية، واستعراض أهم مظاهر السياسة الفرنسية وآثارها على سكان، وموقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية له أهمية كبرى في الدراسات التاريخية المعاصرة، لأن مثل هذه الدراسات تقدم لنا المادة الأولية التي يمكن أن نستخلص منها الخطوط العريضة للتطور التاريخي للبلاد، ما تكتسي هذه الدراسة أهمية من حيث سد الفراغ في جوانب عديدة من الأحداث

التاريخية التي وقعت في الصحراء الجزائرية، كالنشاط السياسي والعسكري خصوصا في الجنوب الجزائري.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- إثراء المكتبة الجزائرية بكتابات متخصصة حول تاريخ الصحراء الجزائرية.
- المحافظة على الميراث التاريخي لمنطقة ورقلة خلال الفترة الاستعمارية.
- التعرف على النشاطات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يمارسها سكان ورقلة.
- المساهمة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بنظرة وطنية من خلال تدوين وتوثيق الشهادات الحية لبعض المجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة.

حدود الدراسة:

اختيارنا لحدود هذه الدراسة بين (1844-1962م) فهو خيار له ما يبرره، وذلك أن سنة 1844م تعتبر البداية الفعلية للتوسع الفرنسي نحو عمق الصحراء الجزائرية، حيث أصدر البرلمان الفرنسي قرارا يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب، وإنشاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسة، زيادة على ذلك أن اعتمادنا على هذه السنة كبداية للدراسة من شأنه أن يعطينا تصورا للأوضاع العامة في منطقة ورقلة طيلة عقد من الزمن قبل احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1854م، أما فيما يخص سنة 1962م، فكما هو معروف هي سنة استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال بعد نضال طويل من المقاومة والكفاح العسكري دام 132 سنة من الاستعمار، وفي تقديري أن فترة الدراسة المحددة شهدت الكثير من المقاومات الشعبية، وبعض التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي استحدثتها الإدارة الاستعمارية، خصوصا قرار تقسيم أراضي الجنوب إلى أربعة أقاليم سنة 1902م، وإنشاء وزارة خاصة بالصحراء، وتقسيمها إلى عمالتين سنة 1957م.

إشكالية الدراسة:

إن دراسة منطقة ورقلة على امتداد فترة الاحتلال الفرنسي يعد على جانب كبير من الأهمية وهو يطرح الإشكالية الجوهرية التالية: ما هي الدوافع الأساسية للاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة؟ وكيف قاوم سكان ورقلة قوات الاحتلال؟ وما هي السياسة التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية في المنطقة؟ وإلى أي مدى ساهم سكان ورقلة في المقاومة السياسية والثورة التحريرية؟ وكيف كان موقفهم من المشاريع الفرنسية في الصحراء؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكننا طرح التساؤلات الآتية، والتي سأحاول من خلال هذا الجهد المتواضع أن أصل لبعض الإجابات، محاولة منا بلوغ نوع من المعرفة لما كانت عليه منطقة ورقلة خلال الحقبة الاستعمارية:

- هل يمكن اعتبار تنوع الخصائص الجغرافية والبشرية بورقلة كانت وراء الاهتمام الفرنسي بالمنطقة؟
- كيف كانت الأوضاع العامة قبيل الاحتلال الفرنسي للمنطقة؟ وهل كان لها دور في تسهيل عملية الاحتلال؟
- ما هي مجريات عملية الاحتلال الفرنسي؟ وهل كانت ردود الفعل عند السكان بالقابلية للاستعمار أو بالتصدي والمقاومة؟
- ما مدى انعكاسات السياسة الاستعمارية على المنطقة وسكانها؟
- كيف كان موقف الطرق الصوفية من التواجد الفرنسي بالمنطقة؟
- ما هي أهم الإرهاصات السياسية والعسكرية بالمنطقة قبل اندلاع الثورة التحريرية؟ وكيف كان موقف سكان ورقلة من الثورة التحريرية؟
- ما هي ردود الفعل السلطة الاستعمارية تجاه المعتقلين من الخلايا الثورية التي كانت تنشط بالمنطقة؟
- ما هي أهم المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية؟ وكيف واجه سكان ورقلة هذه المشاريع؟ وما هي الأساليب التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية في ورقلة لتحقيق مشاريعها الاقتصادية والسياسية؟

المناهج المعتمدة: بالنظر لطبيعة الموضوع فقد اعتمدنا على ثلاثة مناهج حسب ما تتطلبه طبيعة كل مبحث من المباحث، وهي كالاتي:

- المنهج الوصفي: اعتمدناه في استعراض ووصف الوقائع التاريخية، لكون أن الدراسة احتوت على جملة من الأحداث خلال المقاومة الشعبية والثورة التحريرية.
- المنهج التاريخي التحليلي: استخدمناه في عرض وتحليل اهتمامات السلطة الاستعمارية بمنطقة ورقلة وأهدافها وخلفياتها، واستنباط النتائج المترتبة عن السياسة الاستعمارية من اجل الوصول إلى أهدافها الحقيقية وخفاياها الباطنية.
- المنهج المقارن: اعتمدناه هو الآخر في عدة جوانب من الدراسة خاصة فيما تعلق بتداخل الوقائع التاريخية كالمعارك، والمسميات، واختلاف الأرقام، والروايات الشفوية.

صعوبات البحث:

إن انجاز هذا العمل المتواضع ما كان ليتم من دون أن تعترضه صعوبات كان لها أثرها البين على المحتوى، من جملة ذلك محدودية المادة العلمية في المصادر المعتمدة المركزة على منطقة ورقلة تحديداً، إن لم اقل انعدامها حول بعض المسائل في البحث، خاصة ما تعلق بفترة المقاومة السياسية والثورة التحريرية، يضاف لذلك الصعوبات المرتبطة بالالتزامات المهنية والعائلية، وما صاحبه من متاعب التنقل بين مختلف مراكز الأرشيف بحثاً عن المعلومة ومصادرها وما قد يقدم إفادة للموضوع.

بالإضافة إلى صعوبة الوصول لبعض المجاهدين الذين كان لهم دور في صنع الأحداث التاريخية، لاستجوابهم والاستفادة من شهادتهم، غير أننا لم نتمكن من ذلك، سوى الاستفادة مما تم تسجيله من شهادات شخصية مصورة في متحف المجاهد بتقرت في إطار تجميع وتوثيق الذاكرة الشعبية الجزائرية، كما أن هذه الشهادات لم تجب على كل أسئلتنا التي كنا نبحت عنها لتوظيفها في البحث، ولعل مرد ذلك إلى نقص الخبرة بالنسبة للمحاور الذي كان يسجل الشهادة من جهة، أو لتهرب المجاهدين من الإجابة على كل التساؤلات خوفاً من كشف بعض الحقائق التاريخية التي من شأنها قد تحدث فتنة في الوسط المحلي.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أن ذلك لم يقلل من عزيمتنا في البحث، - فبعون الله وتوفيقه - اجتزناها بصبر جميل وبذلنا مجهودات من اجل جمع المادة العلمية سواء كانت كتب أو وثائق أرشيفية، فقمنا برحلات إلى دور الأرشيف الموجودة خارج الوطن كفرنسا وتونس، هذا ناهيك عن البحث في مركز الأرشيف الوطني ومركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

لقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على كمّ متنوع من المصادر والمراجع، كانت أبرزها الوثائق الأرشيفية التي استقيناها من عدة مراكز أرشيفية، وكتب للرحالة الفرنسيين، وبعض التقارير للحكام العامين بالجزائر، وبعض الدوريات، والشهادات الشخصية، ويمكننا تقسم هذه المادة العلمية إلى لعناصر الآتية:

أولا/ الوثائق الأرشيفية:

- مركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة (C.D.A.W.O): هذا الأرشيف يتضمن على أرصدة هامة تعود إلى ما قبل الاستقلال، ويحتوي على أكثر من 1735 علبة، منها علبتين خاصة بالقرن التاسع عشر (19م)، أما البقية فمعظمها متعلق بمراسلات وتقارير عمالة

الواحاحات، وصعوبة الاطلاع على هذا الأرشيف تكمن في أنها غير مصنفة ومرتبعة، بحيث يعجز أي باحث على الاستفادة منها، ولحد كتابة هذه الأسطر فقد تم تعيين شخص مؤخرًا متخصص في الأرشيف يعمل حاليًا على جردها وتصنيفها وترتيبها وفقًا للقواعد العلمية التي تصون وتحفظ الأرشيف، غير أنه يمكننا القول إننا استفدنا استفادة كبيرة خدمت البحث في مختلف جوانبه خاصة بعض الوثائق المحفوظة في العلب التالية:

65 22 134 298 410 574.

– الأرشيف الوطني التونسي (A.N.T): يحتوي على أرصدة هامة، وزعت على مجموعة من السلاسل الأرشيفية، واستفادتنا من هذه الأرصدة كانت من السلسلة التاريخية التي تتضمن المراسلات الإدارية والدفاتر الجبائية قبل الحماية الفرنسية على تونس، حيث تمكنا من الاطلاع على الوثائق المحفوظة في العلب التالية: 278 219 212 88 51، هذا بالإضافة إلى السلسلة (E)، التي تضم وثائق حول نشاط المؤسسات والهياكل الإدارية والوزارات التي عملت خلال عهد الحماية الفرنسية على تونس، واستفادتنا منها كانت من خلال الاطلاع على مجموعة من الوثائق المتعلقة بالطلبة الجزائريين الزيتونيين الصحراويين، أهمها علب رقم: 80، 63، 35.

– أرشيف ما وراء البحار باكس أون بروفانس (A.O.M): هذا المركز يحتوي على أرصدة هامة تتعلق بتاريخ الصحراء الجزائرية، سواء كانت مراسلات بين الحكام أو تقارير شهرية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمناطق الصحراوية، وقد قمنا بالاطلاع على عدة علب خاصة التي خدمت موضوعنا إلى حد بعيد أهمها:

10H17, 11H37, 8H6, 8H24, F80-501, F80-903, OA4, OA19

أما أرشيف الوزارة الحربية (A.M.G) بقصر فانسان بباريس فلم يسعفنا الحظ لبلوغ المرام نتيجة لظروف القاهرة أبعدتنا عن مجال البحث العلمي تقريبا لمدة سنة كاملة، باستثناء بعض الوثائق التي أفادنا بها بعض الزملاء الذين كانت لهم فرصة التنقل وزيارة هذا الأرشيف.

– الأرشيف الوطني الجزائري (A.N.A): لم نستفد منه كثيرا سوى في الفصل الأخير من الدراسة بحكم أن المركز يحتوي على رصيد وحيد يتعلق بأقاليم الجنوب، ومعظم التقارير الموجودة فيه كنا قد وجدناها منشورة في تقارير الحكام العامون خلال النصف الأول من القرن العشرين (20م)، مع العلم أننا اطلعنا على رصيد الحكومة المؤقتة الجزائرية، ألا أنه لم يخدم موضوعنا بالشكل الذي كنا نتمناه.

ثانيا/الكتابات المحلية: ليس هناك كتابات محلية في مستوى تطلعاتنا لنستفيد منها ونفيد، بل يمكن القول تكاد تكون منعدمة، فكل ما كتب عن ورقلة حاليا مجرد اجتهادات، حيث غلبت عليها الذاتية وافتقدت للموضوعية وغابت عنها المنهجية العلمية، ولذلك لم نعتمد عليها في بحثنا هذا باستثناء مخطوط "غصن البان في تاريخ ورجلان" لصاحبه الشيخ أعزام الحاج إبراهيم بن صالح، والذي استفدنا منه كثيرا خاصة فيما تعلق بالأوضاع العامة لمنطقة ورقلة عشية الاحتلال، بالإضافة إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة، زيادة على المخطوط كانت محاولة من طرف احد المهمتين بتاريخ ورقلة في تأليف كتاب حول تاريخ ورقلة، جاء بعنوان: " منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال" لصاحبه عبد الحميد نجاح – رحمه الله – غير أن الكتاب افتقد إلى المنهجية العلمية، وغلبت عليه الارتجالية في نقل المعلومات والروايات الشفوية دون التمحيص فيها، إلا أننا نشمنه على أساس أنه سهل لنا الطريق للتحقق من عدة أحداث تاريخية.

ثالثا/ الأطروحات الجامعية: قمنا بمسح معرفي حول ما قدم من أطروحات أكاديمية في الجامعات الجزائرية في هذا الشأن، فبعد التقصي والتحري وجدنا رسالتين لنيل شهادة الماجستير الأولى للباحث عمار غرايسة بعنوان: "المدينة والدولة (ورجلان أنموذجا)"، وهي رسالة في التاريخ الوسيط، نوقشت بالجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر بقسنطينة 2007، والثانية للباحث احمد دكار بعنوان: "حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1301هـ/1591-1883م"، وهي رسالة في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر نوقشت بالجامعة الإفريقية بأدرار سنة 2010م، وكلاهما خدم الفصل الأول والثاني من هذه الدراسة، ولكن الاستفادة كانت محدودة جدا، أما ما جاء في بقية بعض الرسائل الجامعية التي تناولت تاريخ الصحراء عموما، فقد استفدت منها فيما يخدم هذا البحث.

رابعا/الكتابات الفرنسية: من المراجع الفرنسية التي اعتمدنا عليها نجد الدراسة التي أنجزتها مادلين روفيلواز بريقول M.R.Brigol بعنوان: Le Pays de Ouargla (بلاد ورقلة) وهي دراسة علمية قيمة وموثقة، من منشورات قسم الجغرافيا بجامعة السربون، حيث قدمت الباحثة من خلالها دراسة اجتماعية واقتصادية حول منطقة ورقلة مند ما قبل التاريخ إلى ما بعد الاستقلال، وهي دراسة جديرة بالاهتمام والترجمة، كما نجد دراسة أخرى غنية بالمادة التاريخية أنجزها جون ليتيلو Jean lethiellux بعنوان: Ouargla Cité Saharienne (ورقلة حاضرة صحراوية) وهي أيضا دراسة قيمة وموثقة علميا، حيث تناول

الكاتب من خلالها مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية لمنطقة ورقلة من العصور القديمة الى غاية الاحتلال الفرنسي. زيادة على كتاب: **Ouargla ;Sahara Constantinois** (ورقلة، الصحراء القسنطينية) لمؤلفه بساجي **P.Passager**، وهو عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية وطبية حول مدينة ورقلة خلال الفترة الممتدة ما بين 1952 و1956م، حيث استفدنا منه في مختلف فصول الدراسة، هذا بالإضافة إلى كتاب آخر للأب دوني بيلي **Denys Pillet** بعنوان: **Repères pour l'histoire de Ouargla 1872-1992**، (معالم لتاريخ ورقلة)، وهو عبارة عن كرونولوجيا لأحداث عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وقعت بورقلة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م) إلى أواخر القرن العشرين (20م)، حيث استقاها الكاتب من خلال معاشته لبعض الأحداث حينما كان يشرف على الكنيسة بورقلة، وللإشارة فإن هذا الكتاب قد تمت قام ترجمته إلى العربية من طرف السيد علي ايدر.

وفيما يخص التقارير الفرنسية التي اعتمدنا عليها كثيرا خاصة ما تعلق بالمقاومة الشعبية في ورقلة، والسياسة الاستعمارية وآثارها على السكان، نجد تقرير الولاية العامة الفرنسية بالجزائر حول احتلال ورقلة، تم إعداده من طرف مصلحة الشؤون العربية سنة 1885م، وقد تضمن هذا التقرير جملة من الأحداث شملت جوانب عديدة حول الجنوب بصفة العامة ومنطقة ورقلة بصفة خاصة، وقد تم نشره بالمجلة الإفريقية في عددها 64، الصادرة سنة 1923م، هذا بالإضافة إلى تقارير الحاكم العام بالجزائر شارل ليتو **Lutaud Charles** حول الأوضاع العامة بأقاليم الجنوب ما بين 1914-1915م، وهي عبارة عن بحوث دورية وتقارير سنوية.

أما فيما يتعلق بكتب الرحالة الفرنسيين فهي كثيرة جدا، ويتعذر علينا ذكرها باستثناء الأهم منها وعلى الخصوص رحلة الجنرال دوماس **Daumas** بعنوان: **Le Sahara Algérien**، وقد زار المنطقة سنة 1842م، حيث قدم لنا وصف جغرافيا وعمرانيا لورقلة، مع الإشارة إلى بعض المظاهر الاقتصادية، بالإضافة إلى رحلة تروميلي **Trumelet** بعنوان: **Les Français dans le Désert**، حيث زار ورقلة سنة 1853م، ومن خلال زيارته سرد مجموعة من الأحداث تتعلق بالصراعات التي كانت قائمة بين سلطنة ورقلة ومشيخة انقوسة، وكيف احتل الفرنسيون منطقة ورقلة مع الإشارة إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله. كما اعتمدنا أيضا على رحلة شارل فيرو **Ch.Féraud** منة خلال كتابه **Notes Historiques sur La Province de Constantine** "كان قد زار

ورقلة سنة 1871م، حيث قام بدراسة طبيعية وانبولوجية وإحصائية لمنطقة ورقلة، زيادة على ذلك نجد رحلة فكتور لارجو V.Largeau بعنوان " Le Sahara Algérien, les déserts de lèrg "وتعتبر من أهم الدراسات التي كشفت لنا التعامل الذي كان قائما بين القيادة مع بعض المستكشفين الفرنسيين. وللعلم فإن تعاملنا مع هذه الكتابات كان بحذر شديد على أساس أنها كتبت بأقلام استعمارية، وبالتالي قد لا تكون بعيدة عن التشويه والتحريف، ورغم ذلك فقد خدمت الموضوع في أكثر من جانب.

خامسا/الشهادات الشخصية: فقد اعتمدنا بدرجة كبيرة على مجموعة من الشهادات الحية لبعض مجاهدي ولاية ورقلة، والذين يملكون عضوية الاعتماد من طرف وزارة المجاهدين، وتجدد الإشارة إلى أننا حرصنا كل الحرص على انتقاء هذه الشهادات التي تملك عضوية الاعتماد حتى لا نقع في صراعات مع بعض الأشخاص الذي عاصروا الثورة التحريرية، وحتى نعطي مصداقية أكبر لبحثنا، زيادة على ذلك أن هذه الشهادات كنا قد أخذناها من متحف المجاهد بتقوت الذي قام بتسجيلها صورة وصوتا في إطار جمع وتوثيق الذاكرة الشعبية، حوالي أكثر من مائتين شهادة (200) اطلعنا عليها، الأمر الذي وفر لنا وقتا إضافيا وجهدا فكريا للاهتمام بجوانب أخرى من البحث.

تقسيمات الدراسة:

انطلاقا من المادة العلمية التي تم تجميعها، والتساؤلات التي تم طرحها، قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وستة فصول وخاتمة.

فالمدخل تناولنا فيه التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة (1844- 1854م)، مركزين فيه على مجريات عمليات الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان سنة 1844م، ومنطقة الاغواط سنة 1852م، مع الحديث عن اتفاق الحماية الذي عقد بين الفرنسيين وبني ميزاب سنة 1853م.

وتطرقنا في الفصل الأول إلى التعريف بمنطقة ورقلة وما جاورها من قرى من حيث الخصائص الجغرافية والخصائص البشرية، مع الإشارة إلى الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي.

وفي الفصل الثاني تناولنا الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة، من خلال مبحثين، فالأول تناولنا فيه الأوضاع العامة للمنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع (19م)، والثاني تناولنا فيه دوافع ومراحل الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة.

أما الفصل الثالث فخصصناه لمظاهر المقاومة الشعبية ضد التوسع الاستعماري 1850-1875م، من خلال أربعة مباحث وهي على التوالي: مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1854-1868م)، ومساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف بشوشة (1870-1875م)، وأسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة، والطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن 19م.

وفي الفصل الرابع عالجنا فيه السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854-1954م، من خلال أربعة مباحث وهي: السياسة الإدارية والعسكرية، والسياسة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسة التنصيرية (التبشيرية)، والسياسة التعليمية والقضائية.

وفي الفصل الخامس تحدثنا عن مساهمة سكان ورقلة في الثورة التحريرية من خلال ثلاثة مباحث، بدءاً بالإرهابات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية، ثم اندلاع الثورة التحريرية وموقف سكان ورقلة منها، وأخيراً مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة.

أما الفصل السادس والأخير تناولنا فيه موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1957-1962م)، وقسمته إلى مبحثين وهما: اهتمامات فرنسا بالصحراء الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية، وموقف سكان ورقلة من سياسة فصل الصحراء عن الجزائر. وأخيراً الخاتمة التي كانت عبارة عن جملة من النتائج توصلت إليها من خلال هذا العمل المتواضع، كما ألحقت الدراسة بمجموعة من الملاحق جاءت لتوضح وتفسر بعض القضايا التي تناولتها في مضمون البحث.

ولا ادعي بأن هذا الدراسة قد استوفيت حقها من البحث والتنقيب والتحليل، وحسي أن ما قمنا به سوى جهد متواضع لعل وعسى يكون بمثابة خطوة علمية نحو الاهتمام بتاريخ الجنوب خلال الفترة الاستعمارية، وفتاحة ميمونة وبداية طيبة لأعمال أخرى أكثر دراسة وبحثاً، ونتمنى أننا وفقنا إلى حد ما من خلال هذه الدراسة إلى نفض الغبار عن تاريخ منطقة ورقلة وإسهاماتها النضالية ضد الاستعمار الفرنسي، راجين من المولى تبارك وتعالى أن يلقي هذا العمل القبول والسداد والتوفيق، والله من وراء القصد.

المدخل :

التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري

قبل احتلال ورقلة (1844-1854م)

إن الحديث عن جوهر الموضوع المعروض للدراسة، يتطلب من دون شك التطرق إلى التواجد الاستعماري بالجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة ، لكون هذه الأخيرة تم احتلالها والسيطرة عليها بعد احتواء كل الانتفاضات التي اندلعت في هذه المناطق.

لقد عرفت الجزائر منذ سنة 1830م أبشع استعمار أوروبي عرفه التاريخ حيث تعرضت لاحتلال عسكري من طرف القوات الفرنسية بعد أن اختلقت الذرائع، وقدمت تبريرات واهية لعملية الاحتلال، حتى تضيف الشرعية على استعمارها للجزائر، وعقب سقوط مدينة الجزائر وإمضاء معاهدة الاستسلام، عملت على التوسع والتغلغل نحو المناطق الداخلية، وصولاً إلى عمق الصحراء الجزائرية، وقد اعتقدت السلطة الاستعمارية أنها ستحقق أهداف مشروعها التوسعي في ظرف أيام قلائل ،غير أن المشروع الاستعماري تأخر إلى بداية العقد الأول من القرن العشرين حتى استطاع بسط نفوذه وسيطرته على كافة المناطق الجزائرية في كل اتجاهاتها.

وللإشارة فإن التوسع الفرنسي نحو الجنوب كان لتحقيق عدة أهداف استعمارية، يأتي في مقدمتها ربط المستعمرات الفرنسية في إفريقيا ببعضها البعض، وتسهيل عملية تنقل الجيش الفرنسي، والسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية، ولتحقيق هذه الأهداف استخدمت السلطة الاستعمارية عدة وسائل استخباراتية، أهمها البعثات العلمية الاستكشافية والتي زادت من الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري، وعجلت من عملية الغزو العسكري للجنوب الجزائري، خاصة بعد استفادتها من التقارير الاستخباراتية الجغرافية والحضارية للصحراء الجزائرية.

وإذا خصصنا الحديث عن الاحتلال الفرنسي العسكري للجنوب الشرقي الجزائري، فلا شك أن هناك أسباب جعلته يحضى بأولوية الاحتلال قبل التوسع نحو الجنوب الغربي الجزائري واحتلاله، وهي كالآتي:

- انسحاب معظم المقاومين الجزائريين من الشمال باتجاه الجنوب على أمل تجديد المقاومة ضد العدو، وهذا مثلما حدث مع الحاج احمد باي عندما سقطت مدينة قسنطينة انسحب إلى منطقة الزيبان ثم وادي سوف، وأيضا مثلما حدث مع المقرانيين عندما فشلت مقاومة المقراني والحداد سنة 1871م، انسحبوا إلى الجنوب الشرقي ثم التجؤا إلى تونس.

- أن منطقة الجنوب الغربي الجزائري كانت لتزال في إطار عملية الاستكشاف العلمي الاستخباراتي من طرف المغامرين الفرنسيين، لذا تم تأجيل احتلالها عسكريا إلى غاية الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

- محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي الجزائري بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي ووادي سوف تمهيدا لفرض الحماية عليها.

- أن منطقة الجنوب الغربي الجزائري كانت محل أطماع المغرب الأقصى، ولذلك أبرمت السلطة الفرنسية معه معاهدة لآلا مغنية في 23 أوت 1945م، لتخطيط الحدود، والتزام الحياد، وكان الهدف الحقيقي من وراء هذه المعاهدة كسب الوقت، و تجنب الصراع الذي اجل إلى 30 مارس 1912م ، وهو تاريخ فرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى.

أولاً / احتلال منطقة الزيبان 1844م :

ترجع البدايات الأولى لاحتلال منطقة الزيبان منذ سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837م، وانسحاب الحاج احمد باي¹ نحو الجنوب (صحراء قسنطينة)، وعليه فإن هذا الانسحاب

¹ هو الحاج احمد بن محمد الشريف بن الباي احمد القلعي، من مواليد 1786م، ينتمي لأسرة كرغولية من أب تركي، وأم جزائرية هي رقية ابنة الحاج ابن قانة، تقلد عدة وظائف سياسية، حيث عين نائبا لباي قسنطينة سنة=

لفت أنظار السلطة الاستعمارية للتوجه نحو الجنوب الشرقي الجزائري واحتلاله عسكرياً، فكانت البداية مع اقرب منطقة التجأ إليها الحاج احمد باي وهي منطقة الزيان، ثم وادي سوف إلى غاية الحدود التونسية، حيث اخذ يعمل في هذه المناطق على إيقاظ شعور القبائل الصحراوية وتعبئتها جهادياً ضد الفرنسيين.¹

وقد عمدت فرنسا في احتلال هذه المنطقة إلى استقطاب أسرة الشيخ بوعزيز بن قانة والتي ساعدتها على بسط نفوذها وسيطرتها، وخاضت معارك واشتباكات بالنيابة عنها في المنطقة، وعلى اثر ولاء وإخلاص هذه الأسرة، ونزولا عند رغبة الكثير من الضباط الفرنسيين، من بينهم النقيب دنوفو *de Neveu* الذي طالب السلطة الفرنسية بمكافأة بن قانة على حماسه ووفائه للقضية الفرنسية²، حيث عينته فرنسا شيخاً للعرب كخليفة على صحراء قسنطينة، خلفاً لفرحات بن سعيد. بموجب قرار مؤرخ في 30 ديسمبر 1838م يقضي بتنظيم شؤون الحكم في مقاطعة قسنطينة.³

غير أن بعض القبائل التي كانت موالية للشيخ بوعزيز بن قانة تخلت عنه وحاربت إلى جانب قوات الأمير عبد القادر⁴ مند سنة 1842م، ودخل معهم في معارك شديدة

1818م، ثم أصبح سنة 1826م باياً لإقليم قسنطينة، قاد مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الشرق الجزائري سنة 1837م، حيث فشلت مقاومته، وانسحب نحو الجنوب إلى غاية استسلامه سنة 1848م، توفي سنة 1850م، للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج1، 1992، ص139.

¹ Historique des Tribus du Cercle de Constantine 1854, A.O.M. 8H3.

² Notices sur Batna, par le Capitaine de Neveu, 17/12/1847. A.O.M. 10H17.

³ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، الجزائر، دار هومة، 2005، ص 35

⁴ هو عبد القادر بن الحاج محي الدين بن مصطفى من مواليد 1807م بقرية القيطنة في منطقة غريس غرب مدينة معسكر، استطاع الأمير عبد القادر اكتساب المعارف وحفظ القرآن في ظرف وجيز، تزوج وعمره 15 سنة من ابنة عمته لآلا خيرة ن بويغ أميراً لقيادة المقاومة ضد التوسع الاستعماري في الغرب الجزائري سنة 1832م، وعمره 24 سنة، واستمرت مقاومته حوالي 17 سنة إلى غاية استسلامه سنة 1847م. للمزيد ينظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 161-181.

القتال كبدت حليف فرنسا خسائر كبيرة في الأرواح، وفتحت المجال من جديد لأنصار الأمير عبد القادر لاسترجاع بسكرة من الشيخ بوعزيز بن قانة، وهذا الانهزام كان كافيا لتحرك القوات الفرنسية بقيادة الدوق دوماي *Duc D'aumale* من قسنطينة يوم 8 فيفري 1844م باتجاه بسكرة، حيث وصلت إلى باتنة وتمركزت فيها في انتظار تجمع كل الإمدادات العسكرية من المناطق المجاورة، وفي 25 فيفري 1844م انطلقت القوات الفرنسية حيث وصلت إلى بلدة القنطرة يوم 29 فيفري 1844م واحتلتها، لتصل إلى بسكرة يوم 4 مارس 1844م، وتم احتلالها دون صعوبة تذكر نظرا لانسحاب أنصار الأمير عبد القادر حينما علموا بقدوم القوات الفرنسية، وهناك نصبت القوات الفرنسية حامية عسكرية، ثم لاحقت أنصار الأمير عبد القادر الذين انسحبوا إلى الجبال، ومعاقبة كل القبائل التي تحالفت مع الأمير عبد القادر.¹

وتجدر الإشارة إلى أن خليفة الأمير عبد القادر بمنطقة الزيبان محمد الصغير بن احمد بلحاج استرجع بسكرة من الفرنسيين لمدة ستة أيام مستغلا غياب القوات الفرنسية عن بسكرة حينما التجأت إلى منطقة الأوراس للقضاء على أنصار الحاج احمد باي، إلا أن الفرنسيين استرجعوا بسكرة يوم 18 ماي 1844م، وفي 23 ماي 1844م اتخذت إجراءات تنظيمية عينت بموجبها الرائد توماس *Taumas* قائدا أعلى لدائرة بسكرة ونواحيها.²

بعدما تم احتلال بسكرة بصفة نهائية اعتقد الفرنسيون أن المنطقة هدأت من هجمات المقاومين الجزائريين، وسكنت لهم من كيد أنصار الأمير عبد القادر، ويجب التفرغ لاستكمال عملية التوسع نحو بقية مناطق الجنوب الأخرى، غير أن الإرادة الإلهية أرادت

¹Le Commandant Seroka, « le Sud Constantinois de 1830- 1855 », R.A , n° 56, 1912, p 428.

² إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 54.

غير ذلك حين جدد أنصار الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1849م، أي بعد مرور خمس سنوات على احتلال بسكرة، حيث استغل الشيخ بوزيان بن إسماعيل¹ الظروف السياسية التي حصلت بفرنسا، والظروف الداخلية التي حدثت بالبلاد لإشغال فتيل المقاومة، وكان من أقوى أسباب هذه المقاومة هو تشتت الجيش الفرنسي في إخماد الانتفاضات الشعبية التي حدثت في بعض مناطق مقاطعة قسنطينة، ورحيل عدة كتائب من الجيش الفرنسي إلى فرنسا قصد استتباب الأمن بسبب الثورة الفرنسية التي أطاحت بنظام الملك لويس فليب، وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية.

وترجع انطلاقة هذه المقاومة حين تحركت القوات الفرنسية بقيادة قائد المكتب العربي ببسكرة النقيب سيروكا *Seroka* باتجاه واحة الزعاطشة للقبض على الثائرين والرافضين للتواجد الفرنسي بالمنطقة، فاشتبكت القوات الفرنسية بمحيط الواحة مع الشيخ بوزيان، هذا الأخير الذي كبد الفرنسيين خسارة انسحب على إثرها سيروكا *Seroka* وتراجع إلى بسكرة²، وبعد هذا الاشتباك حاولت السلطة الاستعمارية إتباع أسلوب المروغة الحوارية بقيادة "دي بوسكيه *Dubosquet*"، فاتجه إلى واحة الزعاطشة وحاور أهلها على تسليم الشيخ بوزيان إلى السلطة الفرنسية، إلا أن أسلوب المروغة الحوارية لم يؤدي بنتيجة ايجابية تخدم الفرنسيين، سوى التأكد من إصرار سكان واحة الزعاطشة على الجهاد والمقاومة.³

وعليه قررت السلطة الاستعمارية الاستعداد لاحتلال واحة الزعاطشة، حيث تحركت القوات الفرنسية بقيادة العقيد كارييسيا *Karbuccia* يوم 16 جويلية 1849م نحو

¹ هو الشيخ بوزيان بن إسماعيل (أو بن إبراهيم)، من مواليد منطقة لشانة ببسكرة، ومن عائلة الأشراف، تلقى تعليمه الأول بزاوية الشيخ سعادة الرحمان، عمل سقاي بالجزائر العاصمة، إلى أن عينه الأمير عبد القادر خليفة له في الزاب الظهراوي.

² Le commandant Seroka ,Op.Cit, p 50

³ محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1972، ص 53

الواحة، وفرضت حصار اقتصاديا، غير أن هذا الحصار قوبل بصلاية المقاومين، مما دفع بالقوات الفرنسية إلى التراجع نحو بسكرة وإعادة النظر في اقتحام واحة الزعاطشة، ووضع خطة عسكرية جديدة تتماشى مع طبيعة المنطقة، وتحركت القوات الفرنسية من جديد بتعداد قدره 4493 جندي تحت قيادة الجنرال هيربيون *Herbillon* حيث تجمعت في 7 أكتوبر 1849م " بكدية المائدة " المطلة على الواحة، وفرضوا حصارا على الواحة من كل النواحي، وبدا الاقتحام العسكري انطلاقا من السيطرة على ملتقى الطرق الرابط بين الزعاطشة وطولقة، ثم بدا القصف من أعلى "كدية المائدة " على أسوار الواحة، وتم اختراقها بسبب القصف المدفعي، وتسلسل الجيش الفرنسي إلى الداخل عن طريق الثغرات التي أحدثتها في الأسوار، واشتبك مع المقاومين المتحصنين في الداخل الذين أبدوا صلابة وشراسة في التصدي والمقاومة كبدت الفرنسيين خسائر كبيرة في الأرواح.¹

أمام هذه الخسارة اضطرت القوات الفرنسية إلى طلب المزيد من الإمدادات العسكرية من بسكرة، حيث وصلت هذه الإمدادات يوم 28 نوفمبر 1849م من باتنة وقسنطينة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة والتي وصل عددها إلى حوالي 8000 جندي²، وتغلغلوا إلى داخل واحة الزعاطشة، فأبادت سكانها، وقطعت نخيلها، وخرّبت منازلها، وقتلت قائدها الشيخ بوزيان الذي استشهد في منزله رفقة ابنه والحاج موسى الدرقاوي، بعدما تم زرع بيته بالألغام ثم تفجيرها، ولم تكتفي السلطة الاستعمارية بهذه الجرائم، بل ونكلت بضحايا الواحة، ولاحقت عائلات المقاومين الفارة من البطش والتعذيب إلى خارج الواحة، لتنتهي ملحمة بطولية سجلها سكان الزيان في سجل المقاومة الشعبية ضد الاستعمار الفرنسي.³

¹ إبراهيم مياشي، المرجع السابق ، ص 67.

² Paul Azan , **Conquête et pacification de l'Algérie** , paris, libre de France , s.d, p 408

³ Ibid,p 408.

ثانياً / احتلال الاغواط 1852م :

بعد إخضاع منطقة الزيبان سارعت السلطة الاستعمارية لاستكمال مشروعها التوسعي باتجاه بقية مناطق الجنوب الشرقي الجزائري قبل ظهور أية مقاومات شعبية أخرى تهدد وجودها وتعرقل عملية توسعها، ولعل ظهور الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة وناصر بن شهرة زعيم قبائل الأربع كانا وراء تعجيل عملية احتلال الاغواط.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد انه مثلما استخدمت فرنسا أسرة كبيرة وعريقة في احتلال منطقة الزيبان، فإنها أيضا استخدمت " احمد بن سالم" وسي الشريف بلحشر " آغا أولاد نايل في احتلال الاغواط ، واستخدام سياسة التفرقة، حيث قام الجنرال ماري مونج *Marey-monge* بدور كبير في تطبيق هذه السياسة، حينما أوقع خلافا بين الشيخ احمد بن سالم وصهره بن ناصر بن شهرة، الأمر الذي سهل من عملية احتلال الاغواط.¹

غير ان الأوضاع العسكرية في الواحات الصحراوية لم تكن تسير لصالح الفرنسيين وذلك بسبب نشاط القبائل الصحراوية التي كانت تتمتع بحرية تامة تجعلهم دائما على استعداد لتحضير أنفسهم لمواجهة القوات الفرنسية، زيادة على ذلك أن القبائل الجنوبية التابعة لمقاطعة وهران كانت هي الأخرى على استعداد لصد الهجومات الفرنسية، بالإضافة إلى تزايد شعبية الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة عند القبائل الصحراوية، وتحالفه مع سي النعيمي ولد بوبكر آغا أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وأيضا تحالفه مع آغا الاغواط يحي بن معمر بن سالم ، وذلك بهدف إعادة المحاولة للسيطرة على مدينة الاغواط من جديد.²

¹ ابراهيم مياشي، المرجع السابق ، ص105.

²E.Mangin , « Notes sur L’histoire de Laghouat », R.A, N° 39 , 1895,pp8-9.

إذن كل هذه التطورات دفعت بالوالي العام بالجزائر "راندون" ¹ Randon " في 17 فيفري 1852م إلى القيام بتحركات عسكرية تمثلت في تكوين فرق عسكرية قادمة من الجلفة وبوسعادة ووهران ومعسكر وسعيدة بقيادة كلا من الجنرال يوسف ²، والجنرال بيليسيه ³ Bellissier، والرائد بان، وماكماهون *Mc Mahon*، والجنرال لادميرول ⁴ *Ladmirault*، حيث وصلت أسوار الاغواط في 4 ديسمبر 1852م لاحتلالها، وفرضت حصارا على المدينة إلى أن تم فتح ثغرة في أسوارها المحصنة بسبب القصف المدفعي المكثف، فدخلت القوات الفرنسية بأمر من الجنرال بيليسيه *Bellissier* واشتبك المقاومون مع الأعداء في معركة حامية الوطيس دفاعا عن المدينة وأهلها، واستطاع الفرنسيون احتلال القصبة واضطر المقاومون إلى التراجع إلى القواعد الخلفية للمدينة، ثم انسحبوا إلى الخارج، حيث لاحقتهم القوات الفرنسية، وعلى اثر هذا الانتصار الفرنسي أعلنت السيطرة النهائية على الاغواط وتم تعيين العقيد كلار *"Cler"* قائدا مؤقتا على الاغواط. ⁵

¹ هو الحاكم العام للجزائر بين سنتي (1851-1858)، واسمه الكامل هو الكونت جون لويس سيزار ألكسندر راندون *Jean Louis César Alexander Randon .Comte*، أنظر: عمار بوحوش، *التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962*، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص574

² اسمه الكامل يوسف جوزيف فنتيني، من مواليد 1809 بجزيرة (ألب) بتوسكانا، ويقال عنه انه ولد غير شرعي (أي لقيط)، انضم إلى الجيش الفرنسي سنة 1830م، وشارك في الحملة الفرنسية على الجزائر بصفته مترجم، تقلد عدة رتب عسكرية بسبب إخلاصه العسكري لفرنسا، كان آخرها رتبة جنرال تقلدها سنة 1851م، وقد توفي بكان في 16 مارس 1866م. ينظر:

Narcisse Faucon, *Le livre d'or de l'Algérie*, paris , 1989, pp 649-654

³ بيليسيه دي رينو: ضابط عسكري شارك في عدة حملات عسكرية في الصحراء الجزائرية، بالإضافة إلى عضويته في لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، باعتباره متخصص التاريخ الحديث والنظم والعادات. واستطاع أن يترجم تاريخ القيرواني عن المغرب الإسلامي من القدم إلى عهد الموحدين، وكتب مذكرات تاريخية عن الحملات الأوروبية ضد سواحل شمال إفريقيا، وغيرها من الأعمال العلمية ينظر:

Narcisse Faucon, Op.Cit.p 486

⁴ Colonne expéditionnaire du Sud, Registre journal des Opérations, commence le 17 février 1852, Le Général de Brigarde Ladmirault, A.M.G, H214.

⁵ E .Mangin , Op.Cit ,pp 316-318.

وتجدر الإشارة هنا أن الفرنسيون استباحوا المدينة لجنودهم لثلاثة أيام بعد أن توقفت المقاومة، ولمدة ثمانية أيام وهم يقتلون الناس دون رحمة، ومارس الجنود النهب والسلب ، واغتصبوا النساء، وارتكبوا مجازر رهيبة وشنيعة في حق الأهالي، حيث وصل عدد القتلى إلى حوالي 2000 قتيل من بينهم بعض الفرنسيين¹، وبعد التأكد التام من احتلال الاغواط اصدر الوالي العام بالجزائر "راندون Randon" في 22 جويلية 1853م قرار ينص على تأسيس دائرة الاغواط بصفة دائمة، وتعين الرائد "دوباري Du Barail" قائداً أعلى لدائرة الاغواط حسب القرار المؤرخ في 27 أكتوبر 1853م.²

ثالثاً /اتفاق الحماية بين الفرنسيين ووادي ميزاب 1853م:

يعتبر هذا الاتفاق الأول من نوعه في الجزائر خلال فترة المقاومة الشعبية، ولعل من أقوى الأسباب التي كانت وراء هذا الاتفاق هو خوف أهالي وادي ميزاب من انتقام الفرنسيين من بعض العائلات التي شاركت في المقاومة بالشمال، وساندت حركة الشريف محمد بن عبد الله خاصة شعانة متليلي، إذ يقول الشيخ حمو عيسى النوري: " لما احتلت القوات الفرنسية مدينة الاغواط شعر الميزابيون بقلق شديد وتوقعوا سورة الانتقام من فرنسا ، وقد كانوا يقاومونها في الشمال أينما حلت..³، وهي ذات الإشارة عند اوقستان برنار Augustin Bernard و لاكروا N.Lacroix حسب ما صرح به المارشال راندون Randon: " بعد أيام من احتلال النهائي للاغواط، سكان ميزاب وخوفا من انتقامنا بسبب استضافتهم لسلطان ورقلة محمد بن عبد الله، قرروا الدخول في مفاوضات معنا"⁴، ولذلك استبقوا الأمور وراسلوا السلطات الاستعمارية بالاغواط طالبين الآمان ، وهذا حسب الرسالة الموجهة من أهل بريان إلى الجنرال بيلسييه Bellissier المؤرخة في 12 ديسمبر 1852م، وقد وافقت

¹ Henri Garrot, **Histoire Général de l'Algérie** , Alger , 1910,p192

² E .Mangin,« **Notes sur l'histoire de Laghouat** »,R.A,n°37,Op.Cit. p17

³ حمو عيسى النوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر ، ج 1 ، باريس ، 1984 ، ص 272.

⁴ Augustin Bernard et N.Lacroix , **La Pénétration saharienne (1830-1906)**,Impr.Algérien,1906,p18

السلطة الاستعمارية على إعطائهم الأمان، وعقدت اتفاق حماية معهم بشروط، أهمها : أن يطردوا من صفوفهم كل أعداء فرنسا، وان يرسلوا قادة جماعتهم إلى سي حمزة ولد بوبكر لتقدم له خضوعهم وولاءهم باعتباره وكيل السلطة الفرنسية عند بني ميزاب.¹

وقد أكد الوالي العام في رسالته المؤرخة يوم 24 جانفي 1853م استعداده لتأمين الميزابيين المسافرين عبر أرجاء المناطق المحتلة وتأمين تجارهم فيها مقابل خضوعهم لفرنسا ، وقد ختم رسالته بتهديد شديد اللهجة. وعليه عقدت اتفاقية الحماية مع سكان وادي ميزاب سنة 1853م قصد التزام الحياد ، وقد جاء في خطاب المارشال راندون *Randon* إلى سكان ميزاب ((... لن يكون هناك سوء تفاهم بيننا وبينكم، لكن فقط نطلب منكم امتثالكم لفرنسا ، وفي هذه الفترة لا نريد أي إزعاج ، حمايتنا تغطيكم في كل مكان ، في سفركم عبر كل النواحي ...)) وبموجب هذه الاتفاقية أصبح الميزابيون يدفعون ضريبة سنوية للفرنسيين قدرها 45 ألف فرنك والاعتراف بحماية فرنسا لهم.²

إذن هكذا كان الجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة، وهكذا خطط الفرنسيون للتوسع في الواحات الصحراوية، فبعد احتلال الزيبان والاغواط وعقد الحماية مع الميزابيين لم يبق في ساحة المقاومة إلا الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة ، حيث اتخذ هذه الأخيرة مركزا لشن هجماته على الفرنسيين ، وعليه سَنحاول في الفصول القادمة معرفة أهم الخطط العسكرية التي استخدمتها السلطة الاستعمارية للقضاء على ثورة الشريف محمد بن عبد الله واحتلال ورقلة، ومن ثم استكمال مشروع التوسع نحو إخضاع منطقتي وادي ريغ ووادي سوف بذات الجهة سنة 1854م.

¹ إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 125

² حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ص 272. وينظر أيضا: يوسف بن بكير الحاج السعيد ، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)، غرداية ، المطبعة العربية، 1992 ، ص: 98- 99.

الفصل الأول

التعريف بمنطقة ورقلة

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية
المبحث الثاني: الخصائص البشرية
المبحث الثالث: الإطار التاريخي للمنطقة
قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية:

إن الحديث عن الإطار الجغرافي والبشري والتاريخي لمنطقة ورقلة سيدفعنا إلى معرفة أصل ومفهوم التسمية.

أولا : التسمية :

لقد اختلف الرحالة والجغرافيون إسلاميون أو غربيون كانوا، والمهتمين بتاريخ منطقة ورقلة في كتاباتهم حول أصل ومفهوم التسمية، وقد جاء ذكرها بأسماء مختلفة : كورجلان ، وورقلان، ووركلان، ووركلا، ووركلي، ووركلة، وورقلة.

فحسب أقوال بعض المؤرخين المسلمين نجد البكري يذكرها " وارجلان"¹، والإدريسي " وارقلان"² في حين يسميها ابن سعيد المغربي " واركلان"³، ونفس الاسم نجده عند ابن حوقل " واركلان"⁴، كما يذكرها ياقوت الحموي في معجمه " ورجلان"⁵، أما المؤرخون الإباضيون كالدرجيني⁶ والشماخي⁷ والوسياتي⁸ يضيفون لها ألفا بعد الواو فتصبح " وارجلان"، أما ابن خلدون فيعرضها بأكثر من تسمية، معتمدا حرف الكاف بديلا عن الجيم، إذ أوردها في مواضع مختلفة باسم " واركلا"⁹، وواركلي¹، وواركلان²،

¹ أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك و الممالك، تح: جمال طلبة، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ص ص: 260، 371.

² أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: ربينا تشي و آخرون، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، مج1، 1994، ص222.

³ ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، د.م.ج، ط2، 1982، ص126.

⁴ أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، لبنان، مكتبة دار الحياة، 1992، ص86

⁵ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، لبنان، دار الكتب العلمية، ج5، ط1، 1990، ص427.

⁶ أبو العباس أحمد الدرجيني، طبقات مشايخ المغرب، تح: إبراهيم طلاي، الجزائر، مطبعة البعث (قسنطينة)، (د، ط)، 1985، ص125

⁷ أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح: أحمد بن سعود ، عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة، ج2، ط2، 1992، ص46.

⁸ أبو الربيع الوسياني، سير مشايخ المغرب، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، د.م.ج، مج3، (د، ط)، 1984، ص537

⁹ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، لبنان، دار الكتب العلمية، ج1، ط1، (د، ت)، ص57.

" ، ، بينما العوامر كان قريبا من تسميتها الحالية باختلاف بسيط، فذكرها باسم "هرقلة"، واركلي، وورقلة"³، وذكرها الزركشي⁴، وحسن الوزان بالكاف المعركة "ورقلة"⁵، مستهلا بذلك بداية ظهور الاسم الحالي للمنطقة "ورقلة"، وهي التسمية التي اعتمدها في هذا العمل العلمي المتواضع.

أما الكتاب والرحالة الغربيون، وبعض الضباط العسكريين مثل : لارجو⁶ *Largeau*، دوماس⁷ *Daumas* ، تورميلي⁸ *Trumelet* ، ليتيليو *Lethiellux*⁹ ، دوني بيلي *Denys Pillet*¹⁰ ، دوفريسي *Duveyrier* بول سولايلي¹¹ *P. Soleillet* ، ومادلين روفيلواز بريقول¹² *M.R. Brigol* وغيرهم، قد ذكروها باسم "ورقلة" *Ouargla*، وينفرد

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص117

² المصدر نفسه، ج6، ص ص: 62، 120.

³ إبراهيم محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، تع: الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الجزائر، منشورات ثالة، 2007، ص35.

⁴ محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: الحسين البعقوي، تونس، المكتبة العتيقة، ص232.

⁵ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983، ص136.

⁶ V.Largeau, *le Sahara Algérienne, les déserts de lèrg*, 2ém édition, paris, 1881, p156. Voir aussi :

V.Largeau, *Le Pays de Rirha, Ouargla, Voyage à Rhadamès*, Hachette, paris, 1879. p1.

⁷ E.Daumas , *Le Sahara Algérien*, paris, 1845. p4.

⁸ C.Trumelet , *Les Français dans le Désert* , Daizieme Edition , Paris , 1885. p8.

⁹ Jean lethiellux , *Ouargla Cité Saharienne*, libraire orientaliste, Paul Geuthner ,Paris, 1983. p1.

¹⁰ دوني بيلي، معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992، تر: علي ايدر، ط2، 1995، ص1.

¹¹ Paul Soleillet , *Voyage de Paul Soleillet d'Alger à l'Oasis d'in-salah*, Alger, 1875, p12.

¹² M.R.Brigol , *Le Pays de Ouargla*, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris, 1975, p1.

لارجو *Largeau* بنسبته اسم المدينة ونشأتها الأولى لامرأة اسمها " ورقلة " سكنت المكان الذي أقيمت عليه مدينة ورقلة بإقامتها كوخا وغرسها حوله نخيلا¹.

يبدو من خلال هذه التسميات انه رغم تباينها إلا أنها تكاد في عمومها متقاربة وفي منطقة جغرافية واحدة، وان كان لهاته التباينات البسيطة من تفسير ،نجد مرده إلى الاختلافات في نطق الحروف،والى التقادم التاريخي المرافق لذلك وما يصاحبه من تحويرات في اللفظ ،مع تواتر الزمن واختلاف الألسن.

أما فيما يخص روايات المجتمع المحلي فقد كان التباين هو الآخر سيد الموقف، من ذلك نجد الرواية الأولى تقول إن التسمية أصلها "وارجلان" وهي مركبة من جزأين: الجزء الأول "وار" وهو لفظ بربري يعني حسب رأيهم الأسد، أما الجزء الثاني "جلان" وتعني بالعربية هرب أو ذهب وبالتالي فالكلمة تعني الأسد الذي هرب واختفى " على أساس أن أسدا كان يعيش في المنطقة ثم هرب بقدوم السكان الأوائل لورقلة.²

أما الرواية الثانية تذكر انه جاء في القواميس العربية ان لفظ " قلة " يعني النخلة الباسقة، وقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة نخيلها ورقلاتها.

وجاء في الرواية الثالثة وحسب ما أكده ليتيليو *lethiellux* في كتابه "ورقلة حاضرة صحراوية"، وبعد مقارنة التسمية بين مختلف اللهجات المحلية الشاوية والتارقية، والقبائلية والشلحية، فوجد أن أصل اللفظ " واريكلان"، وهذا اللفظ ينقسم بدوره إلى

¹ V. Largeau , *le Sahara Algérienne, les déserts de lèrg*, Op.Cit, p156.

² حسب الباحث الأستاذ احمد دكار أن الرواية الأسطورية المتواترة عند أهل ورقلة تقول : إن أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد بالحاضرة ورقلة، وكلما اقترب منه الناس للسقي إلا والتهم احدهم، فاتفق الجميع على محاربهه ، وفعلا تمكنوا من القضاء عليه، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محررة من خطر الأسد، فقالو باللغة الامازيغية " الوير انجلاء" ، ويتقادم الزمن تحول الاسم إلى وارجلان. ينظر في الهامش : احمد دكار، حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1000 – 1301هـ/ 1591 – 1883م ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية بأدرار.(مخ)، 2010/2009، ص8.

قسمين: الأول "وار" ويعني الأبناء، والثاني "إيكلان" وهو جمع مفردة آكلي، ويعني الأسود أو الأسمر أو الزنجي، وبالتالي فاللفظ واريكلان يعني الأبناء السود أو السمر، كما استدل على صحة روايته بمقدم جماعة من الزنجباريين على رأسهم الشيخ حادور وبنائهم المدينة، ويحدد ذلك بأنه كان عام 726م، ولما كان هؤلاء ذووا بشرة سمراء فقد نسبت إليهم.¹

بعد عرض هذه الروايات يبدو لنا أنها تتجاذب بين الأسطورة الخيالية والحقيقة، فالرواية الأولى، قد يكون اللفظ متقارباً مع ما ذكره المؤرخون والجغرافيون، لكن يبقى الإشكال في تفسير الكلمة التي يبدو أنها بعيدة عن الحقيقة، لكون أن الدراسات التاريخية التي خصت الأقاليم الصحراوية لم تشر إلى وجود حيوانات مفترسة مثل الأسد في الصحراء الشرقية المنخفضة.

أما الرواية الثانية فقد تكون مقبولة لكون المنطقة اشتهرت ببساتين النخيل، وهذا ما ذكره جورج غيرستير *Georg Gurester* قائلاً: " أن نشأة ورقلة تدل على قصر وبساتين واسعة"²، وهو ما أكدته حسن الوزان في قوله: " وحوها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى".³

وفيما يخص الرواية الثالثة فإن ليتيليو *lethiellux* حاول تفكيك " واريكلان" وإسقاطها على معاني ذات صلة بتعابير بربرية مرتبطة باللهجات المحلية القديمة التي حاول من خلالها الوصول إلى استنتاج، أن التسمية تعني الأبناء السود أو الأبناء السمر، أضف إلى ذلك ما نؤكد أنه هو غلبة البشرة السوداء أو السمراء على سكان البلاد والتي يمكن أن تأخذ هاته الهيئة بحكم تأثير الظروف الطبيعية بعيداً عن الارتباطات الإفريقية، وعلى الرغم

¹ Jean lethiellux, Op.Cit,p11.

² جورج غير ستر، **الصحراء الكبرى**، تر: خيرى حماد، لبنان، منشورات المكتب التجاري، ط1، 1961، ص 198.

³ الوزان ، المصدر السابق ، ص 136.

من أهمية هذه الرواية ومدى قربها إلى الواقع إلا أن صاحبها لم يفدنا بمصدرها ولا حتى بالشواهد التي من شأنها أن تساعدنا في القبول بها ، كما نلاحظ أن التسمية في هذه الرواية تتقاطع في الحروف مع ما ذكره ابن خلدون حين سماها بـ "وركلان"، ويبدو لنا أن تسمية ابن خلدون هي الأقرب إلى الصواب لكونها مشتقة من اسم "وركلا" وهو اسم لقبيلة من بطون زناتة البربرية¹، بل ما يؤكد الطرح الخلدوني أن قبائل زناتة هم أول من استوطن هذه المنطقة وهم من أسسوا مدينة ورقلة.

ثانياً: الموقع والحدود :

تقع منطقة ورقلة ضمن نطاق الصحراء الكبرى الممتدة من الأطلس الصحراوي جنوباً وأطراف الهضاب العليا، وحسب الجغرافيين فورقلة تقع في قلب الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها الجوفية الارتوازية القرية من السطح، وبالتحديد في الحوض الشرقي الكبير الرابط بين الحدود التونسية والجزائرية، والذي يمتد على طول 800.000 كلم² ويقدر مخزونه 1.800، 000 مليون م³ ، وينخفض سطحه إلى 35م عند شط ملغيغ الواقع بين مدينة بسكرة ومدينة الوادي بالجزائر و شط الجريد بتونس بالقرب من مدينة قفصة، ويبلغ ارتفاعه من 12 – 15 م عن سطح البحر، وهي المنطقة التي أرادت فرنسا ربطها بالبحر الأبيض المتوسط وإدخال مياه البحر إلى الحدود الجزائرية عبر منخفضات تونس.²

وحوض ورقلة يبلغ طوله 30 كلم، وعرضه يتراوح بين 12 و 18 كلم. وارتفاعه بين 103 و 150 م فوق مستوى سطح البحر، يمتد بين هضبتين، الأولى تحدّه من الغرب، ارتفاعها 230م، والثانية من الشرق بارتفاع يناهز 160م. كما تؤكد الدراسات الجيولوجية أن الحمادات والعروق وبعض الرمال تغلب على سطحها.³

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص61.

² بوشامة ليديا ، وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي ، مطبوعة لمجموعة المحاضرات الواردة في مقرر مقياس جغرافية الجزائر والمغرب العربي ، ص 103.

³ Edmond Sergent, **le Peuplement Humain du Sahara** ,Institut Pasteur d'Alger, Alger,T31 ,1953, p23.

وبالنسبة للموقع الفلكي فلم تتفق الدراسات التاريخية على تحديد واحد، فنجد ابن سعيد المغربي قد حدده بين " الطول عشرون درجة ونصف، والعرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق"¹، ومنها ما حدده دوماس *Daumas* "بين خط عرض 31° شمالا وخط طول 0.25° شرقا"²، ويحددها بساجي *Passager* ما بين خطي عرض 28° و 32° شمالا، وخطي طول 4° و 8° شرقا³، بينما يذكر ناصر الدين سعيدوني أن: "ورقلة تقع في أقصى جنوب المنخفض الكبير بين خط عرض 32 درجة"⁴.

أما من ناحية الحدود الإدارية؛ فورقلة كمدينة حاليا، تبعد عن الجزائر العاصمة بـ 800 كلم²، ويحدها من الشرق الحدود التونسية، ومن الجنوب الغربي ايليزي وتمراست، ومن الشمال الشرقي وادي ريغ وبسكرة ووادي، ومن الشمال الغربي غرداية والجلفة والمنيعه، وهي تتربع على مساحة تقدر بـ 163233 كلم².

ثالثا: التضاريس :

الناظر إلى جغرافية بلاد المغرب العربي سيجد دون شك أن القسم الأكبر منها صحراء بهضابها ومرتفعاتها ومنخفضاتها، وهو ذات الإطار الذي تنحصر ضمنه ورقلة، وهو ما يؤكد المؤرخون، إذ نجد ياقوت الحموي في معجمه يذكر أن ورقلة "ضاربة في البر"⁵. أضف إلى ذلك أن التكوين الجيولوجي للمنطقة يعود إلى الزمن الأركي الذي سبق

¹ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126

² Daumas, Op.Cit, pp72-73

³ P.Passager, **Ouargla (Sahara Constantinois)**, Institut pasteur d'Algérie, 1957, p107.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، « ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني»، مجلة الأصالة، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 41، 1977، ص 72.

⁵ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 427.

الحياة الحيوانية عندما كانت القارات ملتحمة، وفي ظل التغيرات الجيولوجية التي حدثت في الزمن الثاني إلى الزمن الرابع تكونت معظم تضاريس المنطقة.¹

1- الخصائص المناخية : الغالب على الحالة المناخية السائدة في كل منطقة هو ارتباطها بالبنية التضاريسية من حيث الارتفاع والانخفاض وطبقة السطح ذاته من حيث نوع التربة التي تشكل غطاءه، وعليه فإن الميزة الأساسية لمناخ ورقلة هو الطابع الصحراوي الجاف والقاسي جدا، شديد الحرارة صيفا، وشديد البرودة شتاءا بالرغم من العلو النسبي للمنطقة، وهو حار طول أيام السنة حيث يصل المتوسط الحراري السنوي في فصل الصيف داخل السكنات الصحراوية القديمة، خاصة في شهر جويلية إلى ما بين 22,5° إلى 34,1°²، لتصل في بعض الحالات إلى 50°، كما أن هذه القساوة لا تترجم فقد بالحرارة المرتفعة في الصيف أو نقص التساقطات، ولكن بأهمية التبخرات خصوصا الناتجة عن جفاف الهواء، مما أدى في كثير من الأحيان إلى موت عدد كبير من المواشي، ونقص في الآبار، وارتفاع فاحش في أسعار الحبوب والجدول التالي يبين ذلك :

الجدول رقم (1): كشف لنسب الجفاف يشمل الفترة ما بين 1930- 1939³

السنوات	نسبة الجفاف	ملاحظات
1930	50	موت المواشي من أغنام وماعز وابل
1931	50	موت المواشي من أغنام وماعز وابل
1939-1938	60	رغم انه تم تسجيل كمية معتبرة من الأمطار

¹ احمد دكار ، المرجع السابق ، ص 11

² P.Passager , Op.Cit. p 109

³ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص: 57،63.

الجدول رقم (2): كشف لدرجات الحرارة يشمل فترة ما بين 1949-1961¹

ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	
45,9	49,0	49,1	48,8	46,1	الحدود القصوى
34,3	40,0	42,6	41,8	36,2	معدلها
09,4	14,5	17,8	19,6	15,0	الحدود الدنيا
18,7	23,7	26,0	25,3	20,1	معدلها

بينما يصل المتوسط البرودة في فصل الشتاء، خاصة في شهر جانفي الى 11°²، وعند اشتداد البرودة خاصة ليلا تنخفض إلى ما دون الصفر.

2- الأمطار : المتأمل في الخارطة الجغرافية للجزائر، فإنه يلاحظ أن ورقلة ابعد ما تكون عن المسطحات المائية، بل هي على خلاف ذلك وسط مزيد من الامتدادات الصحراوية ،وهذا يضعنا أمام حقيقة واحدة وهي أن ورقلة كانت منطقة جافة؟، لكن ما جاء في كتب الرحالة والجغرافيين يؤكد على أن المنطقة كانت مطيرة في الأزمنة السابقة³، لكن الأمر هنا ليس واضحا أي الأزمنة المقصودة، لكن الإحصائيات التي دونها الرحالة الذي زاو منطقة ورقلة ،وتقارير الأرصاد الجوية سنوات الحقبة الاستعمارية حول مستوى التساقط ومعدل الأمطار، يؤكد ثبوتية التساقط بغزارة رغم وجود بعض حالات الجفاف، لكن هذه التساقطات غير منتظمة ومتقطعة ، وسقوطها غالبا ما ينحصر بين شهري فيفري وأكتوبر، ولقد حققت سنة 1957م رقما قياسيا في تساقط الأمطار، إذ وصلت إلى 105.7 ملم ، ومنها 57031 ملم سقطت في يوم واحد ، والجدولين التاليين يبينان ذلك :

¹ Rapport mensuel , Températures , C.D.A.W.O, Boit 410.

² M.R.Brigol , Op.Cit. p 109

³ V.Largeau, **Le sahara...**, Op.Cit, p142.

الجدول رقم (3): المعدلات الشهرية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902-1919¹

الأشهر	جانفي	مارس	ماي	جويلية	سبتمبر	أكتوبر	ديسمبر
النسبة (مم)	13	07	01	00	04	12	7

الجدول رقم (4): المعدلات السنوية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902-1962²

السنوات	1902	1919	1928	1939	1945	1957	1962
المعدل	66	67	61,8	20,7	41,8	105,7	124,5

3- الريح: بحكم طبيعة المناخ الصحراوي، وندرة الغطاء النباتي لمنطقة ورقلة فغالبا ما تشهد هذه المنطقة عواصف رملية موسمية بين شهري مارس وافريل تبلغ سرعتها 20 كلم/سا³، وهي متوسطة الحرارة إذا جاءت من الناحية الشمالية الشرقية، وحارة إذا جاءت من الناحية الجنوبية، وتعرف محليا بريح الشهيلي (القبلي)، وغالبا ما تتسبب هذه الرياح في خسائر فادحة تصيب المحاصيل الزراعية والمواشي، وتبدأ الأجواء في التحسن من شهر سبتمبر عندما يتغير اتجاه الرياح الآتية من خليج قابس لتصبح شمالية شرقية والمعروفة محليا (برياح البحري)، لكونها تكون محملة بالرطوبة فتعمل على تلطيف المناخ ولاسيما ليلا. وللإشارة فإن سكان المنطقة يرحبون كثيرا بهذه الرياح فهي تساعد على تلقيح أشجار نخيلهم، كما يرحبون بالحرارة أثناء النهار لكونها عاملا أساسيا في نضج ثمارها، هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى من الرياح منها الظهراوي والغربي، وتعتبر هذه الرياح الأعنف من ناحية الهيجان وإثارة الزوابع.

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص48.

² المرجع نفسه، ص ص: 48-107

³ M.R.Brigol , Op.Cit. p 111

الجدول رقم (5): معدل سرعة الرياح بورقلة بين سنتي 1941-1942م¹

السنة والأشهر	جانفي	مارس	أفريل	جويلية	أوت	سبتمبر	ديسمبر
1941	1.3	2.0	2.4	2.4	1.6	1.7	2.3
1942	2.3	1.4	2.9	2.1	1.9	2.2	1.6

4 - الغطاء النباتي: لا يختلف الغطاء النباتي في ورقلة عن بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فالغالب على السطح من تشكيلات نباتية نجد النخيل، وبعض النباتات الشوكية، والأشجار المقاومة للجفاف كنبات الصبار، والحلفاء، الأثل، الرتم، الرمث، الضمران، العلندة، البلبال، السويدية، العقة.² وأشجار الطرفة والزيتة، وقد تنعدم الحياة النباتية نهائيا كما هو الحال في المناطق الصخرية أو الحصوية (الرق)، وعلى العموم يتوقف ظهور النبات في الإقليم الصحراوي على سقوط المطر السيلي النادر ولا تنمو الأشجار إلا في الواحات حيث يقترب الماء الباطني من السطح.

5- الشبكة المائية : إن الموقع الجغرافي لورقلة والوضع الطبوغرافي جعلها تتميز عن بقية الأقاليم الصحراوية الأخرى، وذلك بسبب كثرة مواردها المائية ، المتمثلة في أوديتها الجوفية والسطحية على الرغم من مناخها الصحراوي الجاف وقلة تساقط الأمطار، وللعلم فإن هذه الشبكة المائية لعبت دورا كبيرا في ازدهار وتطور ورقلة لكون أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية أصبحت مرهونة بمدى انخفاض منسوب المياه، ومدى قدرة الأهالي على استغلال الثروة المائية.³

¹ Bulletin mensuel du sahara 1941-1942 , C.D.A.W.O, Boit 21

² احمد دكار ، المرجع السابق، ص ص14-15

³ Etud Géologique et Hydrologique sur la Région Comprise entre Touggourt et Ouargla 1898,A.O.M ,10H28.

ولقد دلت دراسة أجريت حديثاً، والتي قدمت تفسيراً جيولوجياً للبحيرات الجوفية من ناحية التشكل والتكون، بما فيها أودية ورقلة إذ أنها تتكون بفعل طبقة رملية رخوة، ومن سلسلة من الأحجار الرملية ذات المسام، وكل هذه المناطق مخلفات تركتها الجداول والأنهار، وفي العصر الجيري المبكر... تغطت هذه الطبقات بطبقة من الثرى الكلسي والصلصال، خلفها البحر قبل انحساره.¹ وما من ريب فإن مثل هذا الطرح يعد ذا أهمية بالغة في معرفة تكوّن الحياة الجوفية، وخاصة إذا ما أدركنا حقيقة تلك التحولات التاريخية، وما ارتبط بها من تحولات طبيعية، قد يضاف له رأياً يفيد بأن الحياة الجوفية، ما هي إلا نتاج تسرب مياه الأمطار الموسمية بعد جريانها عبر عدد من الأودية الجنوبية، ثم تجمعها تحت سطح التربة لتتفجّر في شكل مياه جارية من العيون والآبار الارتوازية في الواحات الشمالية.² وأهم الموارد الجوفية نجد :

- واد ايغرغار : الذي ينحدر من كتلة الهقار ويصب في العرق الشرقي الكبير ، يبلغ طوله 1000 كلم يجري في خط مستقيم إلى أن يغوص في شطوط قرب بسكرة وهو شديد الانحدار لأن مستوى منابعه يرتفع إلى 2000 متراً ، بينما يقع الشط الذي يغوص فيه تحت مستوى سطح البحر ، وقد حدد ابن خلدون منبعه إلى الجوار من نهر ملوية بالمغرب الأقصى ليتجه نحو القبلة باتجاه الشرق (الجنوب الشرقي) ، ويصفه بأنه كبير ينتهي في مصبه عند موضع وارجلان³ . وذكره صاحب غصن البان من انه ينبع " من جبال أدلي ببلاد التوارك وينتهي بورجلان"⁴ ، ثم يجتازها نحو الشمال بحسب ما توضحه الخريطة الجغرافية للصحراء الكبرى ، حيث نستطيع اقتفاء أثره متجهاً من القبلة (الجنوب) نحو الشمال.

¹ غيرستير، المرجع السابق ، ص 114.

² زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، مصر، دار المعارف، ج 4، ص 61.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص: 120، 78.

⁴ أعزام الحاج إبراهيم بن صالح ، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط، د.ت ، ص 13.

- وادي مية(وادي 100) : سمي بهذا الاسم لكثرة الروافد والفروع الرافدة للوادي والتي تصل إلى مائة ، ينبع من نواحي عين صالح بهضبة تادميت، وينتهي في سبخة سفيون (20 كلم شمال ورقلة)، أين يلتقي وادي النسا ووادي زلفانة ووادي ميزاب، وهو يحتوي على مساحة عرضية تصل الى 30 كلم¹، ويمتد على مساحة طولية بمسافة 700 كلم²، كما وصفه ابن خلدون قائلا: "...و ينبع مع النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى بوده ثم بعدها إلى ثمطيت ويسمى لهذا العهد كير، عليه قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ..."³، وذكره احمد توفيق المدني انه :«يسير مختفيا تحت الرمال إلى أن ينبع بواسطة بئر فوارة قوية»⁴

أما الأودية السطحية فتتمثل فيما يلي:

- وادي نسا: ينتهي عند احد حواضر ورقلة في جهة الشمال إلى الغرب. إذ يأتي من الغرب ويصب في سبخة سفيون، ويعتبر من الأودية النشطة بالمنطقة، حيث تصل مياهه إلى أطراف ورقلة في كثير من الأحيان مرتين في السنة في شهري فيفري ونوفمبر.⁵

- وادي ميزاب : هو شبكة لأودية عديدة، والتي لا يتجاوز عمقها مائة متر، تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب مدينة ورقلة.

فيما تجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الأودية استغلها أهالي ورقلة أحسن استغلال، وذلك حسب تقرير فرنسي الذي أكد أن هذه الأودية لعبت دورا كبيرا في الازدهار الفلاحي ، بفضل المعدات الهيدروليكية القوية والموزعة بشكل جيد من جهة، وبفضل

¹ M.R.Brigol , Op.Cit. p 113

² J. lethiellux, op.cit.p 70

³ ابن خلدون ،المصدر السابق، ج6، ص62، 120.

⁴ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1962، ص 227.

⁵ احمد دكار ، المرجع السابق، ص 15

استخدام المياه الارتوازية، وفيضانات وادي ميزاب التي كانت تصل حتى إلى سبخة سفيان من جهة ثانية.¹

هذا بالإضافة إلى استخدام مياه الأودية في نظامي الري والسقي ، وذلك بتفجير مجموعة من العيون على حواف هذه الأودية، بعد القيام بعملية الحفر لعدة أمتار حتى الوصول إلى الطبقات الصخرية، إذ يقول بن خلدون: « أن البئر تحفر عميقة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرقّ جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد، تكسر طبقها عن الماء، فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الأرض واديا، ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الظاهرة الغريبة موجودة في قصور توات وتيكوارين و واركلا و ريغ»²، وهو ما يؤكد العياشي في قوله: " ومن غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزيرة بحفر الآبار، فيحفرون بئرا نحو من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض، فينقرونه، فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويا، ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا..³، ولقد بلغت هذه العيون حوالي ألف وواحد وخمسون عينا جارية⁴، ونجد نفس القول عند مادلين روفيلواز بريقول⁵ M.R.Brigol من تلك العيون ما كان ببعض قرى ورقلة، ولعلها هي الأهم، كعين الحواس بناحية نقوسة، وعين القبائل ناحية يفرن، وعين الصفا التي تسمى واد الصفا في ناحية سدرا ته⁶، وهي العين التي خلصت دراسة سابقة أجريت حولها أكدت على اعتبارها بئر تفجر مأوها فجأة في الصحراء، مولدا نهرا ينساب باتجاه الشمال.⁷

¹ Renseignements sur Ouargla 1865, A.O.M 10H86.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 69.

³ أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي ، ماء الموائد، فاس، المطبعة الحجرية ، ج 1 ، 1898، ص 45

⁴ أعزام ، المصدر السابق، ص 35

⁵ M.R. Brigol, Op.Cit, p 15.

⁶ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 25.

⁷ غيرستر، المرجع السابق، ص 147.

وكثرة هذه العيون خلقت نظاما ضبطيا في كيفية استغلالها لسقي البساتين، وذلك بتوزيع الماء حسب الساعات والأيام، زيادة على ذلك أوجدت ما يسمى "برجال الغطاسة"، والمعروفة محليا باسم "ادوغيين"، مهمتهم صيانة وتنظيف وتحديث هذه العيون مقابل أجره يتقاضها الغطاس رغم مشقة وخطورة العملية، وهذا ما شار إليه العياشي قائلا: "فإن لم يتدارك الحافر بالجحف أغرقه الماء، ومتى احتاجت العيون إلى الكنس حصلت لمناطبي كنسها مشقة كثيرة وربما تركوها بلا كنس للمشقة فتندثر..¹"، وهو ما أكدته أيضا ويسجير *weisérber* : " كانت لنا الفرصة لمشاهدة هذه العملية التي تتطلب إمكانيات خاصة، كما أنها تتطلب الدخول إلى غاية 35 مترا تحت الماء والبقاء فيه مدة زمنية معينة حيث يستخرج كل عامل أربعة أو خمسة مرات يوميا قفة من الرمل، ويدفعون للعامل 25 سنتيما "²، وحسب إحصائيات الباحثة مادلين روفيلواز بريقول *M.R.Brigol* ، فقد وصل عدد الغطاسين المحترفين سنة 1877م إلى 21 غطاس، وبسبب مشقة هذا العمل فقد تقلص عددهم سنة 1955م إلى 10 غطاسين.³

ومع وفرة المخزون، ازداد الاهتمام بالنشاط الزراعي والقيام بالإعداد له من حيث شقّ الترع والسّواقي لتصل العيون بالبساتين، ولما كان الماء على درجة من الأهمية والحساسية، فقد اتفق على ضوابط كانت محل التزام جماعي لتنظيم عملية استغلال الماء بما يحقق مصالح مختلف المجموعات البشرية المرتبطة بمآته العين أو تلك، وغالب ما كان معتمدا في هذا هو قسمة الماء بالنّوب من الأيام و الليالي والساعات⁴ ، وأيضا بتداول التّوب.⁵

المبحث الثاني : الخصائص البشرية

أولا : أصول السكان :

¹ العياشي المصدر السابق، ص

² H.weisérber, **Rapport sur Faite Anthrpologique.Observés pendant la Mission**.p 441.

³ M.R.Brigol , Op.Cit. p 145.

⁴ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرستائي ،القسمّة وأصول الأرضين ، تح : محمد صالح ناصر، بكر بن محمد الشيخ بلحاج، عمان، مكتبة الضاري، ط1، 1992، ص 91.

⁵ عبد العزيز بن إبراهيم الثميني ، التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، نشر: محمد بن صالح الثميني، تونس، مطبعة العرب، (د،ط)، 1944، ص 17.

من المتعارف عليه تاريخيا أن الصحراء استوطنها الإنسان منذ الزمن الجيولوجي الأخير قبل تشكل البحر الأحمر وجبل طارق ، حيث اخذ الإنسان حينذاك يتحرك بكل سهولة بين إفريقيا وآسيا وأروبا ، وهذا بدافع الهروب من المناخ البارد المنشر في المناطق الأوربية¹ ، وقد أكدت بعض المصادر التاريخية أن واحة ورقلة من أقدم الواحات الصحراوية التي استقر بها الإنسان، وإن سكانها الأصليين اثيوبيون أو قرمطيون *Gramantes* حيث عمروها وسكنوها.²

في حين تكاد تجمع معظم المصادر الإسلامية أن السكان الأصليين لمنطقة ورقلة هم بربر، لكونهم ينتمون لإحدى القبائل البربرية الزناتية وهم بنو وركلا، إذ يقول ابن خلدون : " بنو وركلا هؤلاء أحد بطون زناتة كما تقدم من ولد فرني بن جانا..³"، ويتعرض صاحب نزهة المشتاق لأصل البربر أنهم يعودون إلى "جانا" وهو أبو زناتة المغرب "، كما يذكر أن جانا انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقت هناك ونزلت معهم قبائل البربر بما فيهم بنو ورقلان..⁴

ثانيا : التركيبة الاجتماعية :

1- البربر : يعتبر العنصر البربري احد أهم عناصر تشكيلة المجتمع الورقلي ، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية ، إذ يذكر البلاذري أن البربر " أتو إلى المغرب فتناسلوا به"⁵، وهو الأمر الذي أكدده الإدريسي رحيل: " البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقت هناك.. فعمرؤا تلك البلاد"⁶، وهي ذات الإشارة التي أوردها صاحب الاستبصار الذي أشار إلى أن البربر قد " مشى أكثرهم نحو المغرب.. وتفرقت البربر في

¹ محمد الطاهر العدواني ، الجزائر منذ نشأة الحضارة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص ص: 17-18

² Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes pour Servir a l'Histoire d'Ouargla 1885 » , R.A, n° 64, 1923, pp 381-445.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص: 107، 106.

⁴ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 117.

⁵ البلاذري ، البلدان فتوحها وأحكامها، تح : سهيل زكار، لبنان، دار الفكر ، ط1، 1992، ص 262.

⁶ الإدريسي ، المصدر السابق، ج1، ص 222.

بلاد المغرب حتى وصلوا أقصى بلاد المغرب..¹، ومما أشار إليه ابن خلدون أن: " البربر قبائل كثيرة و شعوب جمّة، وهي هواره و زناته و ضريسة و مغيلة و زيجوحة و نفزة و كتامة و لواته و غماره و مصمودة و صدينة و يزدران و دنجين و صنهاجة و محكسة و واركلان وغيرهم".²

ويذكر الإدريسي: " من قبائل البربر زناته و ضريسه و مغيلة و مقدر و بنو عبد ربه و ورفجوم و نفزه و نفزاوة و مطماطة و لمطه و صنهاجة و هواره و كتامة و لواته و مزاته و صدراته.. و بنو وارقلان و بنو يسدران".³

أما عن ارتباط البربر بالمنطقة فالروايات تشير إلى أن وجود البربر في منطقة ورجلان(ورقلة)، يرجع إلى الغزو الروماني والحروب الدينية التي جرت في بلاد البربر،⁴ وهو ما يؤكده صاحب غصن البان: " كانت وارجلان قديما عامرة بالبرابرة"⁵، ويذهب أيضا الاغواطي للتأكيد على ذلك في قوله: " ولغة السكان فيها هي البربرية"⁶، كما ارتبطت تسمية هذا البلد بمن خطّه على ما يبدو، وهم بنو واركلان" إحدى بطون زناته"⁷. وقد سكن عموم بني زناته ما بين تاهرت إلى فاس، وهم الرحالة، وأكثرهم فرسان يركبون الخيل، ولهم عادية لا تؤمن.⁸

¹ مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، المغرب الأقصى، دار النشر المغربية، (د، ط)، 1952، ص 155.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 109.

³ الإدريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 222

⁴ مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، الجزائر، جمعية التراث (غرداية)، 1996، ص 30.

⁵ أعزام: المصدر السابق، ص 25.

⁶ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 2، ط 3، 2005، ص 256.

⁷ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 61.

⁸ ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب، تح: محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ص 51.

إذا كانت هذه المصادر التاريخية قد أكدت أن أصول سكان ورقلة بربر، فهذا يجعلنا نتساءل عن أسباب استقرار البربر بهذه المنطقة، في ذلك يقول مزهودي : " إن وجود البربر في منطقة ورجلان (ورقلة) يرجع إلى الغزو الروماني والحروب الدينية التي جرت في بلاد البربر"¹، وهذا القول يؤكد أن العنصر البربري كان الغالب على بقية العناصر الأخرى المشكلة لتركيب المجتمع الورقلي، ومما يدل على هذه الغالبية هو كثرة القبائل البربرية المشكلة للنسيج الاجتماعي والمتمثلة في : قبيلة تناوت ، بني يكشن، زواغة، بني ورتجين، بني ياجرين، بنو زغلين، بني مسافر، بني تسكنيت ، بني غسيرت...، إن جل هذه القبائل السالفة الذكر قد لا تكون أصيلة بورقلة، لكن المؤكد انه كان لها حضورها الاجتماعي من خلال استقرارها وإسهاماتها في بلورة النسيج الاجتماعي لورقلة، كما وأن هاته القبائل، ومن خلال هذا المنظور، قد لا تكون هي ذاتها التي ستظل منفردة بالتركيبة الاجتماعية، لما يتوقع حدوثه من تحولات اجتماعية من شأنها إعادة صياغة الواقع الاجتماعي.²

2- العرب : مثلما كان للبربر نصيب من النسيج الاجتماعي الورقلي، فإنه كان لبعض القبائل العربية حضورها الذي أكدته بحمد السيف أمام الزناتيين، وكان من أوفر هذه القبائل نصيبا " قبائل المعقل"، الذين أقاموا وجودهم " في القفار، وتفردوا في البيداء فنمو نموا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل...وركلان"³، وبحسب الملي، فإن المعقل قد اندمجوا مع غير نسبهم من أشجع وفزارة وبني سليم، ومن بني هلال أحياء مع المعقل أيضا من مسلم وسعيد والعمور وكرفه والمهاية وحصين⁴، وهو ما أكدته وجود عدد من القبائل الهلالية بالمنطقة، حيث كانت قبيلة رياح

¹ مزهودي ، المرجع السابق، ص 30

² عمار غرايسة، المدينة والدولة (ورجلان أنموذجا)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخطوط)، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، 2007، ص34

³ ابن خلون، المصدر السابق، ج 6، ص 69.

⁴ مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1976. ص 565.

دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى ورقلة¹، كما أن استقرار الذواودة كان واضح المعالم في مجالات الزاب وريغ و واركلي وما وراءها من القفار²، هذا بالإضافة إلى أن العرب اندمجوا مع سكان ورقلة، وهذا ما ذكره بوعصبانة في قوله: " أن فئة العرب نجدها اندمجت وسط سكان وارجلان... وهؤلاء هم بنوا معقل "³، وهو ما قد يتوافق مع بعض الآراء التي أشارت لما ذكره ابن الصغير من أن تيهرت كان يسكنها العديد من العرب.⁴

3- اليهود: يعتبر العنصر اليهودي جزءا من النسيج الاجتماعي لورقلة، على الرغم من عدم وجود مصادر كافية تخبرنا بهم اجتماعيا من حيث زمن وصولهم، وأعدادهم، وسلوكياتهم الاجتماعية، إلا أنها تركز على ربط وجودهم في عموم بلاد المغرب كمهاجرين منذ العهد الروماني، حيث برزوا مع ما قاموا به من أنشطة اقتصادية⁵، وما يؤكد أن اليهود كانوا طرفا في الواقع الاجتماعي الاجتماعي، إذ ذكر الوسياني: " في سؤال لأهل وارجلان (ورقلة) عن مسألة يهودي اشترى جنانا في وادي أجلو.. فقال لهم يونس بن الشيخ المعز بن حبيب الهوا ري: خذوا عنه الشفعة، شفعة الإسلام، فسألوا أبا محمد عن ذلك فقال: ذروا الناس يعيشون في بلدكم "⁶، وذكر أيضا صاحب غصن البان: " أن اليهود ظلوا قاطنين بوارجلان وديارهم قديما في السوق العمومي.. ولم ينجلوا عنه إلا بعد استيلاء دولة الأشراف أولاد علاهم سنة 1040هـ/، فطردوهم منه ، ولم تبقى لهم بقية في البلاد..⁷

¹ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، د.م.ج، 1982، ص 212.

² المرجع نفسه، ص 213.

³ عمر سليمان بوعصبانة ، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخطوط)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1992، ص 29.

⁴ ابن الصغير المالكي، تاريخ ابن الصغير، لبنان، دار الغرب الإسلامي، (د،ط)، 1987، ص 13.

⁵ محمود إسماعيل عبد الرازق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، المغرب الأقصى ،دار الثقافة، ط2، 1985، ص 286.

⁶ الوسياني، المصدر السابق ، ص 369.

⁷ أعزام، المصدر السابق، ص 83.

لكن في عهد الاستعمار الفرنسي لمدينة ورقلة عاد اليهود مع المعمرين الفرنسيين تحت غطاء ممارسة أنشطة اقتصادية، وفي ذلك يذكر صاحب غصن البان : " ولما استولت الدولة الفرنسية واستتب الأمن، صاروا يأتون للاستنفاع والتجارة والصياغة، يمكنون في البلاد الشهرين والثلاثة، وفي هاته الأعوام الأخيرة امتلكوا فيه واشتروا أملاكا كثيرة نخيلا وديارا..¹"، كما نجد دوماس *Daumas* في كتابه " الصحراء الجزائرية " يؤكد انه في سنة 1951م كانت الصياغة في ورقلة يحترفها اليهود المسافرون الذين يقطنون في ورقلة بضعة أشهر ، ويفرون منها في فصل الحمى (الصيف)، وقد كانوا يملكون ثلاث ورشات لحرفة النحاس وثلاث ورشات لصناعة الصياغة.² ولقد وصل عددهم سنة 1959م حوالي 100 فرد مشكلين سبعة أو ثمانية عائلات³، أضف إلى ذلك ذكر في بعض المصادر التاريخية : " أنه بين السنة 1000 ونهاية القرون الوسطى، فان الجالية اليهودية في ورقلة قد تكون إحدى الجوالي الـ13 أو الـ16 ذات هيكلية الموجودة في وسط المغرب، ومن الملاحظ أن الكرائيين، هذه الطائفة اليهودية التي كانت ترفض سنة الحاخامين، والتي تظهر أنها توارث وسط المغرب مع القرن 15م، لم يكونوا يوجدون إلا في روابط القوافل في نواحي ورقلة وتقرت".⁴

4- الزنوج : إلى جانب البربر والعرب واليهود، كان لبعض السود الأفارقة (الزنوج) حضورهم الذي أكدوه عن طريق الحركة التجارية بين ورقلة وبلاد السودان، وان كانت الوثائق لا تقدم ما يوفي بالإحاطة بهم اجتماعيا، إلا أن المتوفر لدينا من مصادر يركز ربط تواجدهم بنشاط الحركة التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، من خلال ما تم استقدامه مع القوافل التجارية من عبيد، الذين أصبحوا يشكلون جزءا غير منفصل من الكيان الاجتماعي لورقلة، وفي ذلك يذكر ابن سعيد المغربي أن ورجلان (ورقلة) :

¹ المصدر نفسه ، ص ص: 83-84.

² Daumas , Op.Cit , p 85

³ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 93.

⁴ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 80

كانت بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وأفريقية..¹، وتعتبر السودان أهم مصدر لتجارة الرقيق وأهم فئات رقيق السودان هم التكرور السنغاليون، والصوننكي الغانيون، والصونغاوي من جوا، والصاو من الكانم²، ومن حيث عدد هؤلاء الزوج لم يتم الإشارة إليهم في الوثائق المتوفرة لدينا، باستثناء ما ذكره دوني بيلي *Denys Pillet* انه في سنة 1877م تشكلت 1250 عائلة ملقبة بالزوج الصحراويين.³

وما هو ملفت للانتباه أن الورقليين لم يتعاملوا مع العبيد على أنهم خدم أو سلعة تباع وتشتري، بل بدلو من الجانب الإنساني محاولة دمج هذه الفئة بصورة شبه كلية في المجتمع الورقلي، وذلك من خلال الحرص على تلقينهم أسس الإسلام والارتقاء بمستوى سلوكهم ليكونوا جزءا غير منفصل عن النسق الاجتماعي القائم. إذ يقول ليتيليو *Lethelleux* : " أن العبيد المستقدمين من السودان يبقوا عدة أشهر في ورقة لكي يستعيدوا نشاطهم ولياقتهم البدنية.. كما أنهم يتعلمون الإسلام الذي يصبح ديانتهم "⁴.

ثالثا/القبائل الأساسية للمجتمع الورقلي :

لقد ارتبط وجود القبائل العربية بمنطقة ورقة بتواجد عدد من القبائل الهلالية بالمنطقة، حيث كانت قبائل رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى ورقة⁵، زيادة على استقرار هذه القبائل، فقد استطاعت أن تندمج في الوسط البشري وتحدث تواصل اجتماعي مع سكان ورقة، إضافة إلى قبائل المعقل السالفة الذكر ، فقد استقرت قبائل عربية أخرى على مراحل وخلقت نسيجاً اجتماعياً جديداً، مثل : الشعانبة الذين استقروا

¹ ابن سعيد، المصدر السابق، ص 126

² مورييس لومبارد ، الإسلام في مجده الأول، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، م.و.ك، ط 1، 1975، ص 299.

³ دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 16.

⁴ J. Lethelleux, Op.Cit, p 161.

⁵ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 212.

بالمنطقة خلال القرن 16م، والمخادمة الذين جاؤوا إلى المنطقة منذ القرن 12م¹، وسعيد عتبة الذي توطنوا في انقوسة خلال القرن 13م، بالإضافة إلى توافد قبائل أخرى واستقرارها بالمنطقة خلال القرون اللاحقة²، والجدول التالي يبين أعراش هذه القبائل مع عدد سكانها وهذا حسب تقرير وصف ليتيلو *lethiellux* (إحصائيات 1948م).

جدول رقم (6) : القبائل الأساسية وفروعها بورقلة (1880-1948م)³

القبيلة	الأعراش	عدد السكان
سعيد عتبة	العمرات	1365
	أولاد اطا	
	مرزاق	
	أولاد فدول	
	الخرافة	2240
	فطناسة	
	أولاد زينة	
	أولاد زيد	
	أولاد سعيد	385
الشعانية بوسعيد	أولاد بن قاسم	2750
	أولاد ابراهيم	
	أولاد بن اسماعيل	945
الشعانية القبالة	الدوي	/
	أولاد علي بن عبد الله	2900
	أولاد فرج	
	أولاد نصير	
	أولاد زيد	

¹PROHUZA, **Les Mekhadma** : (Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara Moderne).ouvrage publié sous les auspices de l'OCRS,paris,1960,p 13.

² انظر الملحق رقم 24: (واحة ورقلة وقراها سنة 1880م)

³J.lethiellux, Op.Cit.p 242

3240	أولاد تمان	المخادمة
	بني حسن	
	أولاد خميس	
	الفوارس	
865	أولاد نصير	بني تور
795	أولاد احمد	
2825	أولاد عرينة وبني مرزوق	
	جنادة وأولاد جانا	
	الرويسات	
	أولاد ساسي	

جدول رقم (7) : إحصائيات عدد أفراد قبائل ورقلة سنة 1949م¹

القبيلة	عدد الأفراد	ملاحظات
الشعانية	7043	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا ثلاث مرات
المخادمة	4286	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا ثلاث مرات
بني ثور	3581	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا أربعة مرات
سعيد عتبة	3848	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا مرتين ونصف

رابعا / تطور النمو السكاني :

تتمثل أهم المصادر التي تشير إلى تطور النمو السكاني بورقلة ، وإلى حركية تطورها طوال الفترة الاستعمارية في التقارير الرسمية للحالة المدنية بورقلة ، وفي بعض الأبحاث والدراسات القليلة التي تركها كتاب ورحالة فرنسيون كانوا قد زاروا المنطقة ، أو استوطنوا بها مثل فكتور لارجو *V. Largaux* ، ليتيليوس *lethiellux* ، دوماس *Daumas* ، بريقول *M.R.Brigol* ، وغيرهم . وطبعا هؤلاء الرحالة كانوا عبارة عن جواسيس للإدارة الاستعمارية ، وذلك بهدف تقديم تقارير حول الإمكانيات البشرية ، وطبيعة السكان

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 67.

ونمط معيشتهم، حتى تسهل السيطرة عليهم والتحكم في تحركات التي يقوم بها السكان في هذه المنطقة من الصحراء، والأرقام التي تقدمها هذه المصادر قد نجدها متفاوتة بين الارتفاع والانخفاض، وطبعاً هذا يرجع إلى التفاوت بين نسبة المواليد ونسبة الوفيات، والهجرة إلى خارج ورقلة من جهة، وإلى مستوى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع ورقلي، ومدى تطور الخدمات الصحية من جهة أخرى.

فحسب تقرير فرنسي فقد وصل عدد سكان الجنوب الشرقي سنة 1839م إلى 259490 نسمة، وفيما يخص ورقلة فقد احتوت على سبعة قرى وثلاثة أعراش، وبلغ عدد سكانها 26200 نسمة، مقسمين إلى 14200 من السكان المستقرين، و12000 من السكان الرحل¹، بينما تذكر مادلين روفيلواز بريقول *M.R.Brigol* أن عدد السكان سنة 1872 وصل إلى 14000 نسمة، و55% منهم رحل²، واعتقد أن سبب تناقص عدد السكان في السبعينات من القرن التاسع عشر يعود إلى تزايد عدد المهاجرين ورقليين باتجاه مناطق الشمال وخارج الوطن.

جدول رقم (8): عدد السكان بين ورقليين والأوروبيين في فترة ما بين 1842-1959م³

السنوات	الورقليين	الأوروبيين	ملاحظات
1842	9600	/	3200 رجل قادر على حمل السلاح
1877	1500	/	55% رحل
1931	16500	136	/
1948	28040	481	/
1959	34427	1600	900 عسكري
المجموع	90067	2217	4100

¹ Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne, A.M.G, H.227

² M.R.Brigol , Op.Cit. p 49.

³ Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne. ,A.M.G, H 227. وأيضاً: CH.Féraud, **Notes Historiques sur La Province de Constantine**, **Les Ben djallab deTouggourt** ,in R.A , n°23, 1880,PP 156-157 .

من خلال هذا الجدول نلاحظ تطورا ايجابيا في عدد السكان بالنسبة للورقليين خاصة في الخمسينات من القرن العشرين، فقد وصل معدل المواليد في الفترة ما بين 1942-1957م حوالي 12,7 %¹، لترتفع هذه النسبة سنة 1960 م إلى 48%، ولعل السبب الأول في هذا النمو الديمغرافي المذهل يعود إلى الزيادة الطبيعية للسكان الناجمة عن انخفاض في معدل الوفيات بما في ذلك معدل وفيات الرضع، إضافة إلى الزيادة المفرطة في معدل المواليد²، بينما نلاحظ معدل النمو الديمغرافي سنة 1931 م منخفض حيث وصل إلى 27.4%، وذلك بسبب الجفاف الذي ضرب المنطقة في الثلاثينات، والذي أدى إلى انتشار الفقر والجوع والأوبئة³، بل وقبل ذلك حدثت أزمة اقتصادية في ربيع 1920م بسبب نقص مياه الآبار وارتفاع أسعار الحبوب، وخسارة كبيرة في المواشي، والتي تقدر بـ 8.5%، في الإبل، و41%، في الأغنام، و68% في الماعز، و30% في الخيول⁴، هذا من جهة، وبسبب السياسة القمعية الاستعمارية التي سلطت على الأهالي من إفقار وتجويع وتهميش، نتيجة للمقاومة التي أبدوها الورقليون من جهة ثانية.

جدول رقم (9): الوفيات المعلن عنها لدى مصلحة الحالة المدنية ما بين الحضرين والرحل
1956-1959م⁵

السنوات	مجموع الوفيات	ما بين 0 و4 سنة	ما بين 5 و14 سنة	70 سنة وزيادة
1956	434	123=28.3%	130=29.9%	22=5%
1957	462	191=41.3%	100=21.6%	39=8.4%
1958	521	264=50.6%	106=20.3%	36=6.9%
1959	508	262=51.5%	107=21.0%	18=3.5%

¹ PROHUZA, Op.Cit,p 25

² M.R.Brigol , Op.Cit. p 50

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 98.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 49.

⁵ دوني بيلي، ص 98.

أما الأوروبيين فهم أيضا كانوا في تزايد مستمر منذ بداية الاحتلال، وهذا يرجع إلى الدينامكية الاقتصادية التي نشطها الاستعمار من خلال فتح شهية المعمرين للاستحواذ على الثروات الطبيعية المعدنية والطاقوية للمنطقة، واستغلال المركز التجاري لورقلة باعتبارها إحدى المحطات الرئيسة للقوافل التجارية الصحراوية، هذا بالإضافة إلى تحسن مستوى معيشتهم، وتطور خدماتهم الصحية، مع الأخذ في الحسبان أن الحكم العسكري في الجنوب عزز ثقة الأمن والاستقرار في نفوسهم، وأعطاهم حرية التنقل بكل أمان، لكن هذا لا يعني أنهم لم يتعرضوا لهجمات من طرف المقاومين، وصيالي الحديث عن هذا الأمر في الفصول اللاحقة.

جدول رقم (10): عدد السكان حسب القرى والمداشر بورقلة سنة 1949¹

القرى والمداشر	عدد العائلات	الفرنسيين	الأجانب	المجموع
قصر ورقلة	1547	1547	8	3102
بني ثور	377	1830	/	2207
الرويسات	377	1924	/	2301
سعيد عتبة	319	1411	/	1730
نقوسة	433	2779	/	3212
سيدي حويلد	152	803	/	955
الشط	237	1185	/	1422
البور	384	1677	/	2061
شعانية الرويسات	44	1874	/	1918
المخادمة	725	3815	/	4540

خامسا / تطور العمران:

لقد ذكرنا سالفًا في إحدى الروايات التاريخية أن تأسيس مدينة ورقلة يعود إلى النموديين الذين بنوها في صحراء نوميديا وجعلوها مسورة¹، وهذا ما يعطي انطباع

¹ Liste nominative des habitants de la commune d'Ouargla 1949.
C.D.A.W.O, B 22.

بأقدمية العمران، الذي لاشك انه سيتطور حسب الظروف والتحولات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون من استبحار عمران المدينة قائلا: " واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد بنوها قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرائها، فاتلفت وصارت مصر... واستبحر عمران هذا المصر، واعتصم به بنو وركلا هؤلاء...".²

غير أن قلة الشواهد الأثرية العمرانية جعلت من الصعوبة معرفة النمط العمراني وطبيعة ارتباطه بالحضارة التي كانت سائدة في منطقة ورقلة قبل الإسلام، وعلى ما يبدو لنا أن ما جاء في كثير من الإشارات للرحالة والجغرافيين الذي تناولوا أقاليم الصحراء في مخطوطاتهم، أن الإنسان الذي عاش في هذه الأقاليم لم يعرف أهله الاستقرار، وإنما اعتمدوا على الترحال وسكنوا الخيام المصنوعة من وبر الجمال وجلود الأبقار بطبعيتهم قبائل بدوية، ولم يظهر النمط العمراني الذي يميز المنطقة إلا بعد الفتح الإسلامي. خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية 296هـ/908م، ونزوح الإباضيين الرستميين باتجاه ورقلة، أين أسسوا جنوبا على بعد 14 كلم مدينة " سدراتة"³، ولقد كانت هذه المدينة عنوانا للإبداع المعماري، وذلك من خلال ما اكتشفته الباحثة "مرغريت فان برشم" بين سنتي 1950-1952م من حفريات دلت على عظمة النمط العمراني لهذه المدينة بما اشتملت عليه من أسوار وقلاع ومساكن ودروب وأزقة وزخارف تؤكد الذوق الفني الرفيع لساكلي هذه المدينة.⁴

وما يلفت الانتباه حول ما دوّنه الرحالة حول عمران مدينة ورقلة، أن ذكرها ارتبط بكلمتي القصور والياسير، وهي دلالة واضحة على أن النمط العمراني الورقلي اعتمد على نظام القصر الذي هو في الحقيقة عبارة عن مجموعة من الدور والمنازل القريبة من بعضها

¹ الوزان، المصدر السابق، ص136.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص118.

³ النوري، المرجع السابق، ج2، ص107.

⁴ غيرستير، المرجع السابق، ص ص 148-149.

البعض والمحاطة في الغالب بسور يجمع بينها¹، وهذا النمط من العمران هو الغالب على معظم المناطق الصحراوية، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ..قصور ذات نخل تسمى وركلان"²، وهو ما أكدته الحميري: " في أن ورقلة واقعة في طرف الصحراء مما يلي افريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض.."³، وهي ذات الإشارة ذكرها العياشي بشيء من التفصيل: " هي مدينة لها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل، ومساحة المدينة بالتخمين نحو نصف فرسخ في مثله محيط بها خندق مملوء من كل جهاتها، لا يصل احد إلى سورها إلا من ناحية الأبواب".⁴ وهو ما كده أيضا الاغواطي في قوله: " ورقلة بلدة كبيرة جدا ولها سور يحيط بها فيه عدة أبواب".⁵

وهذا النمط العمراني ليس من إبداع المجتمع الورقلي، وإنما هو ناتج عن تأثير الحضارة العمرانية الإسلامية على بلاد المغرب نتيجة الحروب الدائرة بين القبائل البربرية وأعدائهم، وبالتالي فقد اتخذت معظم المناطق الصحراوية شكل المدينة الإسلامية، إذ يقول هاشم خضير نايف: " إن المدينة الإسلامية غالبا ما تكون مدورة، ومحاطة بسور كبير ذي أبواب، ومحاط بخنادق عميقة تملأ بالمياه عند قيام العدوان..الجامع الكبير أو الرئيسي يتوسطها.. وخارج نطاق السور الخارجي توجد أسواق بيع الحيوانات، وكذلك مقابر أموات المدينة..".⁶

¹ إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، م.و.ك، 1983، ص 142.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 120.

³ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص 600.

⁴ العياشي، المصدر السابق، ص 46.

⁵ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط2، 2005، ص 256.

⁶ نايف هاشم خضير، المدينة الإسلامية وخصائصها (بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول)، المملكة العربية السعودية، مج3، 1984، ص 13.

أما الكتابات الفرنسية فلم تكن بعيدة الوصف عما ذكر سالفاً، إذ نجد في أحد التقارير الفرنسية : " ورقلة مدينة محاطة بسور خارجي، وخندق يمتلئ بمياه شتاء ويجف صيفاً"¹، وحسب فكتور لارجو *V.Largeau* فقد جاء وصفه للمدينة أكثر وضوحاً : " حيث شبهها بجزيرة من النخيل محاطة بالمياه ، وهي مرتفعة تقريبا في وسط الواحة ومركزة على ربوة كلسية...يحيط بها سور مزدوج مربع..وفي زوايا أربع بروج..وبيوتها على حافة الساحات منتظمة إلى حد ما، ومن الناحية الشرقية يوجد المسكن القديم لسلطان المنطقة.. وهي دار قليلة الارتفاع وضيقة، ويتوسط الساحة الداخلية لهذه البيوت

بئر ذو مياه مالحة لا يصلح للشرب، ومن الناحية الجنوبية للقصر يوجد برج مرتفع بعشرة أمتار، وبجانبه يوجد باب السلطان.. "²، وكانت المدينة تضم ثلاثة أبواب خلال القرن الثالث عشر للميلاد، وهذا حسب المخطط الذي وصفه ليهتيليو *Lethelleux*.³

ولا شك ما يتلاح للقارئ والناظر لقصر ورقلة تلك الأسوار الحصينة المنيعة، والتي تأخذ طابعي دفاعي في مجملها من حيث ارتفاع أبراجها، وقوة صلابتها، وحجم سمكها، بالإضافة إلى تعدد أبوابها التي وصلت في القرن التاسع عشر للميلاد إلى ثمانية وهي : باب الربعية، باب حميد، باب البستان، باب بوسحاق، باب عمر، باب عزى، باب الجديد، باب السلطان⁴، مع العلم انه في القرن 13م كانت هناك ثلاثة أبواب لثلاثة أحياء وهي :باب عمر لحي بني براهيم، وباب بوسحاق لحي بني سيسين، وباب الربعية لحي بني وقين.⁵ والأكد انه لكل باب دورها الدفاعي في صد العدوان أو لنجدة السكان.

¹ Gouvernement Général de L'Algérie , Notes...,Op.Cit,p381.

²V.Largeau ,Op.Cit.p94.

³ J. Lethelleux: Op.Cit, p 138.

⁴ Ibid ,p 138.

⁵ J. Lethelleux: Op.Cit, p 138

أما من ناحية المواد والتقنيات المستعملة في البناء، فقد غلبت عليها المواد المحلية المتكونة من الرمل، والحجارة، وجذوع النخيل وسعفها، والطوب الذي يحصل عليه بخلط الطين والرمل بالماء تستعمل منه قطع تقطع باليد ثم تجفف بتعريضها للشمس، لاستعمالها في بناء الجدران الداخلية والسطح¹، وهذا ما أكدته أحد التقارير الفرنسية في أن ورقلة: " بيوتها مبنية بالحجارة والجبس وجذوع النخل"، وهي ذات الإشارة عند الرحالة فكتور لارجو *V.Largeau*: " أما بيوتها فقد بنيت بالطين الخام".²

ومما أشارت إليه المصادر والروايات أن مدينة ورقلة عقب الاحتلال الفرنسي فقدت طابعها الدفاعي ونمطها العمراني الإسلامي، وأدخل عليها الفرنسيون هندسة معمارية أوربية جديدة³ تتماشى مع النظام العسكري المفروض على مناطق الجنوب مثل تحطيم باب السلطان الموجودة في الزاوية الجنوبية الغربية للقصر، وسد جزء من الخندق المحيط بالمدينة عام 1872م، لكونه تسبب في حمى المستنقعات⁴، هذا بالإضافة إلى التقاط صورة سنة 1884م تبين أن الأقواس الأفقية قد استبدلت بأقواس نصف مستديرة دامت إلى حد تدميرها نهائيا.⁵

زيادة على ذلك تدهم بنايات وإعادة بنائها في شكل مراكز وأبراج عسكرية، مثلما حدث في حي بني ثور، حيث تم انجاز برج شانديز على يد الهندسة العسكرية وبمساعدة عمال عسكريين⁶، ناهيك على أنه كان للصراع القبائلي المحلي دور كبير في تدهم عدد كبير من العمران، ومنها ما تسببت به إحدى المعارك الأهلية في تدمير المسجد الذي بناه الأمير الحفصي أبو زكريا.⁷

¹ P.Passager, Op.Cit, p88

² V.Largeau, Op.Cit. p94

³ H.weisêrber, Op.Cit. p441.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص ص: 9-10.

⁵ المرجع نفسه، ص 31.

⁶ نفسه، ص 25.

⁷ H.weisêrber, Op.Cit. p 440.

وفي إطار هذه التغيرات العمرانية تطورت القرى التي استحدثت بورقلة، والتي سميت بالديار المفتوحة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن السابع عشر والتاسع عشر الميلاديين (17م- 19م)¹، وبالتحديد برزت في شكل تجمع سكاني خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)²، ومن هذه التجمعات السكانية نجد : نقوسة³، بامنديل⁴، الرويسات⁵، سعيد عتبة ، بني ثور، سيدي خويلد¹، المخادمة، الشط²، لعجاجة³، عين البيضاء، عين عمر⁴، لحذب، البور، فران، سيدي بوغفالة، سكرة.⁵

¹ M.R.Brigol , Op.Cit. p 78.

² ينظر الملحق رقم 26: (التوسع السكاني في ورقلة وضواحيها 1888-1889م)
³ حاليا دائرة تابعة لولاية ورقلة، وحسب دوماس *Daumas* هي "عبارة عن قصر محاط بسور خارجي مسنن بعلو خمسة امتار، وبسمك 75 سم، تعلوه تدعيمات مربعة يصل عددها الى ثلاثين، كما يضم هذا القصر خمسة ابواب وهي: باب العلوش، باب الزريبة، باب القصبة، باب تلموناست، باب عين الزرقاء، ومن ناحية المباني فهي= تختلف نوعا ما عن قصر ورقلة وذلك بوجود منازل ذات طابق، اضافة الى ذلك انما مبنية بالحجارة وسقفها مغطاة بجذوع النخيل ومطلية بالجبس. في حين يضيف لارجوا ان نقوسة قصر صغير يحيط به صور من الطين تعلوه ابراج مربعة الشكل، وبه كذلك جامعين صغيرين وهما موجودان بالناحية الجنوبية من القصر، احدهما تهدم جزء منه، كما يحيط بالقصر وعلى بعد 200 م تقريبا مساحات من شجر النخيل". ينظر :

Daumas , Op.Cit , p 88

وقد وصفها تقرير فرنسي سنة 1842م : "أما قرية صغيرة تقع فوق كتبان رملية في الشمال الشرقي من ورقلة، وتشكل من 400 إلى 500 عائلة، بيوتها مبنية بالحجارة وسقفها مغطاة بجذوع النخيل، ومطلية بالجبس، وبه خمسة مساجد مبنية بالحجارة تعلوها قبب، وتشكل البنية الاجتماعية لنقوسة من ستة عروش"، ينظر: بن يوسف تلمساني، «الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842م»، *حولية المؤرخ*، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع1، 2002، ص ص: 289-290. ينظر: A.M.G , H226

ويذكر احمد دكار : أن نقوسة تعرف باسم "منقوسة" هذا الاسم أطلقه الرجل الصالح سيدي صالح بن موسى. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص43

⁴ حاليا بلدية تابعة لولاية ورقلة، وقد وصفها تقرير فرنسي سنة 1842م: "أما قرية شبه مهجورة، نتيجة الصراع الذي خاضه سكانها من أولاد المريني ضد قبيلة المخادمة، بلغ عدد سكانها آنذاك 340 نسمة"، ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص ص: 287-293

⁵ حاليا بلدية تابعة لولاية ورقلة ، سميت بهذا الاسم تصغيرا لكلمة رؤوس نسبة إلى المكان الذي استقر فيه سكانها وهو عبارة عن مجموعة ربي صغيرة ذات رؤوس شبه حادة. ينظر احمد دكار، المرجع السابق، ص42.

كما جاء وصفها في تقرير فرنسي عام 1842م: "أما عبارة عن تجمع سكاني وسط الغابة من النخيل، تقع غرب ورقلة، محاطة بسور خارجي والبساتين الجميلة من كل ناحية، بلغ عدد سكانها آنذاك 170 نسمة، وبها حوالي أربعين عائلة". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 292

وحسب تقرير ليتيليو Lethelleux لسنة 1948م، فقد وصل عدد سكان قرية الشط إلى 1200 ساكن، وقرية لعجاجة 850 ساكن، وقرية الرويسات 3730 ساكن، وقرية نقوسة 1056 ساكن⁶، في حين ذهب دوني بيلي Denys Pillet إلى القول بأن قرية الشط بها 109 دار، منها 40 يسكنها البيض، ولعجاجة 90 دار، والرويسات 40 دار.⁷

-
- ¹ سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ سيدي خويلد الذي حل بالمنطقة رفقة مجموعة من العلماء والصالحين، منهم سيدي سالم وسيدي عطا الله، وترجع البدايات الأولى لتأسيس هذه القرية إلى سنة 1632م، حين شيد أبناء سيدي خويلد قصرهم بمادة من الجبس والطوب ووضعوا له سورا خارجيا وأبوابا تحميهم من التحرشات الخارجية. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص 44-45
- كما جاء وصفها في تقرير فرنسي عام 1842م: " قرية تتشكل من 50 عائلة، منازلها مبنية بالحجارة ومطلية بالجبس يحيط بها سور خارجي وبها عدة بساتين لزراعة النخيل والخضروات، كما تتشكل من عرشين أساسين وهما: أولاد سيدي خويلد، أولاد سيدي عطا الله". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 292
- ² اشتق من البحيرة المالحة التي تفصل بين المنطقة وورقلة، ويرجع تأسيس هذه المدينة الى الرجل الصالح سيدي موسى، وهناك رأي آخر يرى أن تأسيس القرية يرجع ما بعد سقوط سدراتة سنة 1274م، وقد ساهم في تأسيسه الناجون من هذه الأحداث، وفيهم من يذهب ويقول إن التأسيس يعود إلى سيدي بلخير في القرن 13م. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص 45
- ³ نسبة إلى العجاج، والعجاج هو نوع من الريح الذي تهب على شكل دوائر، وهناك من يقول نسبة إلى صوت المياه التي تتدفق بقوة من الآبار الموجودة بالجهة، ويرجع تأسيس القرية إلى الشيخ سيدي سالم في مطلع القرن 13م، حيث التف حوله الناس، وشرعوا في بناء المساكن،. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص 45. وايضا: M.R. Brigol , Op.Cit. p 74.
- ⁴ حسب تقرير فرنسي عام 1842م : انها تقع على الطريق الرابط بين ورقلة وسيدي خويلد، وتتشكل من 180 إلى 200 عائلة، محاطة بسور خارجي وخندق تجري به المياه شتاء، وتُحَف صيفا، ومن حيث العمارنن فان بيوتها مبنية من الحجارة والجبس، وبها ثلاثة مساجد، وسكانها يمتنون الزراعة الى جانب بعض الحرف والتجارة". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص ص: 292-293.
- ⁵ انظر الملحق: (توسع الإطار الجغرافي العمراني لمنطقة ورقلة ما بين 1988 و 1989)
- ⁶ J. Lethelleux: Op.Cit, p 242
- ⁷ دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 17.

المبحث الثالث : الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي أولاً : ورقلة في العصور القديمة :

لقد تضاربت الآراء واختلفت الراويات حول حداثة أو أقدمية مدينة ورقلة، ومدى ارتباطها بالحضارات القديمة التي تعاقبت على منطقة شمال إفريقيا، فقد أرجعها البعض إلى أزمنة تاريخية تتصل بالنمودين، من ذلك ما ذكره الحسن الوزان: " وركلة (ورقلة) مدينة أزلية بناها النموديون في صحراء نوميديا، لها صور من الآجر النئى ودور جميلة، وحولها نخل كثير، ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى..¹"، وهو ما أكدته تقرير فرنسي في : " أن أول ما يلاحظ على عمران ورقلة، أنها مدينة قديمة، والدليل على ذلك هو وجود بقايا إيجات وبنيات تشهد على قدم الاستقرار في هذه المنطقة"²، غير أن هذا التقرير لم يقدم كثيرا في معرفة النشأة الأولى لورقلة، وفي ذات الإشارة ذكرت م.روفيلواز بريقول *M.R.Brigol* بأن ورقلة مدينة قديمة تعود إلى ما قبل التاريخ وذلك لارتباطها بوادي مية، حيث اكتشف علماء الآثار والمهتمين بالدراسات القديمة وجود سكان بهذه المنطقة سكنوا على ضفاف وادي مية³، في حين اكتفى صاحب غصن البان، الذي لم يزد في الإفادة بغير التأكيد على أن وطن وارجلان (ورقلة) من " الأوطان القديمة".⁴

أما ليثليو *lethielleux* فيعرض أمامنا رأيا يفيد بمقدم جماعة من الزنجباريين على رأسهم الشيخ حادور وبنائهم المدينة، ويحدد ذلك بأنه كان عام 106هـ/726م، ولما كان هؤلاء ذووا بشرة سمراء فقد نسبت إليهم⁵ أو نسبوها هم لأنفسهم. في حين ذكر جورج غير ستر *Georg Gurester* أن نشأة ورقلة تكون قد ارتبطت بجهد قام أبناؤه على

¹ الوزان ، المصدر السابق ، ص 390.

² تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 287

³ M.R.Brigol , Op.Cit. p9.

⁴ اعزام ، المصدر السابق ، ص 03.

⁵ J.lethiellux ,Op.Cit ,p11.

زراعة أول بساتين النخيل على يد رجل أسود من السودان بواحة عفران¹ التي يقول عنها أنها تعود في عهدها الأول إلى عصر الرومان أو ما قبله، والتي كانت هجرتها القسرية في القرن السابع أو الثامن للميلاد سببا في نشأة وارجلان (ورقلة) التي كانت تدل على قصر وبساتين واسعة².

ومن المؤكد أن الإنسان مر بهذه الجهة ولم يشيّد أية مدينة ولم يترك أي عمران، بل كان متجولا لا يمكنه كثيرا في منطقة حتى يغادرها، ولم يعيش على شكل تجمعات بشرية كبيرة مع الإشارة انه بدأ يعرف نوعا من الاستقرار، وذلك من خلال استعماله للكهوف والمغارات المتوفرة في أعالي ورقلة بمنطقة بامنديل وخاصة في المنطقة التي تعرف باسم كهف السلطان على بعد حوالي 20 كلم جنوب غرب ورقلة، وقد وصف الرحالة فكتور لارجو *V. Largeau* هذه الكهوف سنة 1877م قائلا أن عمقها يصل إلى 30 م وبه طوابق وغرف، وأخذ مقياس إحدى الغرف فوجد ارتفاع الغرفة المحفورة في الجبل يصل إلى 1,70 م، والطول 3,90 م، والعرض 2,75 م.³

وأمام هذا يبقى التساؤل قائما حول إمكانية إيجاد أي نوع من الترابط بين ورقلة والحضارات القديمة خاصة في ظل وجود صور تحمل مشاهد معمارية ذات دلالات على وجود نوع من التأثير خاصة بالحضارة القرطاجية في جوانبها الدينية وهو ما قد يشير لوجود تواصل مع التاريخ القديم، ما قد يؤكد فعلا على أن ورقلة قريبة في نشأتها الأولى من تلك الأزمنة.

وان اختلفت هذه الروايات، فيبدو أن ورقلة ضاربة في القدم، وذلك حسب الشواهد المادية (رؤوس سهام مشذبة على الوجهين، رؤوس سهام على شكل متوازي الأضلاع، قواطع قزمية مذبذبة، مثاقب صغيرة تستعمل في صناعة الحلي، وحلقات نظم العقود من

¹ لعل المقصود بها ربما أنها ايفران على ما بدا لي من خلال تقارب اللفظ .

² جورج غير ستر، المرجع السابق، ص 198.

³ V. Largeau, *Le Pays...*, Op.Cit ,p184.

أصداف بيض النعام، أواني فخارية)¹، وما اكتشفته أيضا الباحثة الأثرية جينات اوماسيب *G.Aumassip* في عشرات المواقع التي حفرتها برواق وادي مية بورقلة.² وإذا ما حاولنا أن نسلم بهاته الشواهد بعيدا عن الخوض في بعض جوانبها التفصيلية، فهي توحى بوجود نوع من الحياة المبكرة بهاته المنطقة التي تكون قد عرفت حركة من الاستقرار البشري، والآثار الموجودة اليوم كمنقوش وحفريات بمنطقة الطاسيلي والمقار، تؤكد أن المنطقة الصحراوية بعمومها لم تكن جديبا من مظاهر الحياة التي يحتمل أن يكون لاستمرارها امتداد نحو ورقلة غير البعيدة عنها باتجاه الشمال.

إن طبيعة هاته الروايات قد تقلل من أهمية اعتمادها كأساس لصورة نشأة ورقلة، وليس بالمقدور التعامل معها كونها احتمالات تساعدنا على الميل إلى ما ذهب إليه دوفيري *Duveyrier* فيما ذكره عنه بوعصانة الذي أكد أنه يخشى الخوض في التأريخ لمبدأ ورقلة كمدينة صحراوية، اكتفى بالتأكيد على أهميتها باعتبارها من بين أقدم المدن الصحراوية وأنه من غير الممكن أن نحدد دراستها مدققا³، وقد يكون هذا الرأي أقرب إلى إمكانية تقبله، خاصة مع انعدام الوثائق التي تجعلنا أقرب للحقيقة.

زيادة على ذلك تذكر بعض المصادر التاريخية التي توصلنا إليها، انه في الثمانينات من القرن العشرين تم اكتشاف العديد من الأدوات والأسلحة، ورؤوس السهام تعود للعصر الحجري القديم *le Paléolithique* في حوض عرق التوارق⁴، وحدد عمر هذه الأدوات ما بين 200 ألف و100 ألف سنة قبل الميلاد، أضف إلى ذلك تم اكتشاف مجموعة

¹ G.Camps, **Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara**, éd doin , paris,1974,pp299.

voir aussi :

-G.Aumassip, **néolithique sans poterie de la région de L'Oued Mya (Bas-Sahara)**,Alger,1973,p63.

- F.Marmier et G.Trecolle, « **Etude de l'industrie du Gisement d'hassi-Mouillah** », Libyca,t XIX,1971,pp 53-47.

² G.Aumassip,Op.Cit,p10.

³ بوعصانة، المرجع السابق، ص 11.

⁴ هذا الحوض على بعد 20 كلم من جنوب مدينة ورقلة.

كبيرة من الأدوات الحجرية تعود إلى العصر الحجري الحديث *Le Néolithique*، والعصر الحجري الأخير *L'Épipaléolithique* في كل من حوض الحمراية، وبرج ملالة وحاسي مويلح يتراوح عمرها ما بين 3750 و2400 سنة، هذا بالإضافة إلى أدوات حجرية أخرى اكتشفت في برج ملالة يتراوح عمرها بين 3750 و2400 سنة وأدوات أخرى اكتشفت في الحقل المسمى الكثبان *Les dunes* أو (القنيفة)، يناهز عمرها 5400 سنة.¹

وفيما يخص التواجد الروماني بورقلة، فالمصادر التي استطعنا الوصول إليها لا تقدم ما يحقق جانبا كبيرا من المعرفة بعلاقة الورقلين بالرومان، بل إن نقص الشواهد المادية يجبرنا إلى حقيقة مفادها عدم وجود علاقة أصلا بين الطرفين، وحتى اسم ورقلة لا اثر له عند الكتاب اليونانيين او الرومانيين²، وهنا تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين الرومان والأقاليم الصحراوية كانت على أساس عمل عسكري تمثل في إقامة الحصون المشرفة على المسارات الرئيسية بين مناطق التردد البشري وخاصة بين الصحراء والتل الجامع لسيطرهم.³

طبعاً الأكيد وراء هذا العمل العسكري هو أن مناطق الصحراء أصبحت تهدد وتؤرق الجيش الروماني في الشمال، وها لكون الصحراء كانت امتدادا للمقاومة في الشمال وقاعدة خلفية لجمع أنصار جدد ولم الشمل من جديد، ونشر الوعي الوطني، بل وتواصل هذا التهديد حتى العهد الاستعماري الفرنسي ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين، حينما اتخذ الشريف بوشوشة وناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله الجنوب الجزائري محالاً للمقاومة الشعبية، وهذا ما يؤكد على الصحراء الجزائرية مثلت عمقا ثوريا يلتجئ إليه المقاومون كلما فشلت ثورتهم في الشمال.

¹ G.Aumassip, Op.Cit, pp 7-9

² M.R.Brigol , Op.Cit. p 09.

³ محمد البشير شنيبي، «التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية»، الأصاله، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ع 41، 1977، ص 23

وما جاء بالإفادة في تواجد الرومان بورقلة هو تقرير مصلحة الشؤون العربية للولاية العامة سنة 1885م : " أن الرومان قد وصلوا إلى ورقلة لكنهم لم يستقروا بها، ويفترض أن قادة المنطقة كانوا يعينون من طرفهم مقابل قيمة ما، وقد بقيت الأمور على هاته الحال إلى غاية القرن الثاني للميلاد حيث تخلصت ورقلة من الهيمنة الرومانية، منتهزة بذلك المواجهات التي كانت تعترض روما من بربر الشمال".¹ وهي ذات الإشارة أكدها العوامر في قوله: " استولى الرومان حيناً من الزمن في عهد وجوده بالشمال الإفريقي، وعلى اثر حروب متتالية بين الغزاة والبربر اجبر الرومان على الانسحاب من المنطقة وتركها لأصحابه".²

من جهة أخرى أكدت م. روفيلواز M. Rouvillois أن ورقلة كانت لها علاقة تجارية مع النوميديين، وهناك العديد من العملات النقدية الرومانية وجدت بهذا المنطقة تؤكد هذه التبادلات التجارية، وتذهب في قولها أيضاً من المستحيل جداً أن يكونوا الرومان قد تجاوز هذه المنطقة التي تقع شمال غدامس التي كان يستقر فيها التجار الرومانيون، زيادة على ذلك احتملت م. روفيلواز بريقول M.R.Brigol أن ورقلة كانت معروفة عند الرومان غير أن اسمها آنذاك لا يُسمح بمعرفته وذلك لغياب وصف دقيق.³

أما التأثير الفينيقي على ورقلة، فقد كان في إطار تأثير الحضارة الفينيقية على حوض البحر الأبيض المتوسط، خاصة مع نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث برزت منطقة ورقلة كنقطة عبور للقوافل التجارية بين ممالك ما قبل التاريخ مثل قرطاجة ونوميديا، والأقاليم الصحراوية خاصة عبر الطريق الصحراوي الرابط بين قايس وقرطاجة وصولاً إلى طنبنة.⁴ وإذا ما حاولنا التسليم بهذه الدلالات بعيداً عن الخوض في بعض جوانبها التفصيلية فهي توحى بوجود نوع من الحياة الاقتصادية تكون قد عرفتها ورقلة خلال العهد الفينيقي، زيادة على ذلك ما يؤكد التأثير الفينيقي على المنطقة وجود بعض

¹ Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes..., Op.Cit, p381-445.

² العوامر، المصدر السابق ، ص35.

³ M.R.Brigol , Op.Cit. pp10-11.

⁴ محمد البشير شنيبي، المرجع السابق ، ص9.

الآثار ، حيث وجدت قطع نقود ذهبية قرطاجية في الطريق الرابط بين ورقلة والمنيعه¹، بالإضافة إلى بعض الصور تحمل مشاهد عمرانية ذات دلالات على وجود نوع من التأثير خاصة بالحضارة القرطاجية في جوانبها العمرانية والدينية، وهذا ما تؤكده بعض روايات المجتمع المحلي بوجود أشكال من الزخرفة تعلوا أبواب المساكن التقليدية لها وجه الشبه بآلهة قرطاجنة المعروفة باسم "عشتروت" ، وقد أدخل عليه الورقليون بعد الفتح الإسلامي، رموزا إسلامية كالشهادتين، والبسملة، وبعض الآيات القرآنية.

ثانيا: ورقلة في الفترة الإسلامية

نظرا لندرة الوثائق والشواهد الأثرية الدالة على وصول الإسلام إلى منطقة ورقلة، جعلنا نكتشف عدة روايات تاريخية رغم محدوديتها تجمع كلها على أن ورقلة كان لها اتصال مبكر بالإسلام، في ذلك نجد صاحب غصن البان يؤكد أن وارجلان (ورقلة) كانت منذ فاتح القرن الثاني للميلاد وطن إسلامي²، وهو يتقاطع في الرأي مع جورج غيرستير *Georg Gurester* الذي أورد إشارة لمحيء فاتح قوي في القرن السابع أو الثامن للميلاد³، وليس واضحا إن كان المقصود هو الفاتح عقبة بن نافع الذي وصل إلى مناطق في عمق الصحراء كفرن وخدامس إلى غاية السوس الأقصى حسب الروايات التاريخية⁴، ولا ندري إن كان من السهل التسليم بأن الفاتح عقبة قد شق طريقه عبر ورقلة ليصل السوس الأقصى منطلقا من غدامس، أم أنه اتخذ مسلكا آخر؟ مع الوضع في عين الاعتبار أن ورقلة تمثل معبرا لخدامس الواقعة إلى الشرق منها، ومحاذية إلى حد ما لمنطقة السوس الأقصى في الجهة الغربية. فهل كان يعني وصول عقبة إلى هاته المناطق هو مواصلته المسير

¹ J . lethiellux ,Op . Cit ,p 9.

² أعزام ، المصدر السابق ، ص 03.

³ غيرستير، المرجع السابق، ص 148.

⁴ عن حركة عقبة ينظر البلاذري، البلدان...، المصدر السابق، ص ص: 262- 295.

باتجاه الغرب؟¹ ، وأياً تكن الإجابة فإن أهالي ورقلة قد اعتنقوا الإسلام عندما حمل الفاتحون الأوائل مشعل الهداية إلى المغرب الأوسط في أواسط خير القرون².

وعلى الرغم من عرض هاته الروايات إلا أن غياب الشواهد يقلل من مصداقيتها، لكن ما هو اقرب إلى التأكيد بحسب أكثر من رواية تاريخية ، هو أن المناطق الصحراوية لم تكن بعيدة عن المؤثرات الحضارية، وبخاصة حواف الصحراء التي تعتبر ورقلة واقعة ضمنها بحكم قربها من المناطق الشمالية واتصالها المباشر بها خلال فترات تاريخية مختلفة، وما توافرت عليه من قوة دفع بها لا تملك مراكز حضارة قديمة ساعدت على نشر الإسلام بالمنطقة.

أما واقع الحركة المذهبية بورقلة فقد عرفت المنطقة عقب الفتح الإسلام انتشار المذهب المالكي، خاصة وان هذا المذهب كان يعد الأكثر انتشارا لدى سكان المغرب الإسلامي، ولقد كان عام 440هـ/1048م العام الذي تم فيه الانتصار الكامل لمذهب المالكية في المغرب الإسلامي³، إلا انه وفي إطار قيام دويلات إسلامية في بلاد المغرب عرفت ورقلة انتشار المذهب الإباضي عقب سقوط تيهرت عاصمة الدولة الرستمية عام 296هـ/908م وتحرك الإباضيين باتجاه ورقلة ليتخذوا من مدينة سدراتة⁴ مقرا لهم،

¹ مورييس لومبارد، المرجع السابق، ص 87.

² علي يحيى معمر، الإباضية في الجزائر ، الجزائر ، المطبعة العربية (غرداية)، 1986، ص 393.

³ بروفنسال ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين صليحي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة ، 1990 ص 249.

⁴ بعد سقوط الدولة الرستمية (296هـ/908م) أخذ الإباضيون يتخيرون لأنفسهم مركزا يأوون إليه، فنزلوا مدينة بني وارجلان وهناك على بعد أربعة عشر كيلومتر جنوبا، أخذوا في تخطيط عاصمتهم سدراته، وهي المعروفة عند البربر بأسدراتن. وقد وصفها النوري بأنها كانت: «عروسة الصحراء تزخر بالعلوم والفنون والصناعات والعمران ونبع فيها علماء فطاحل» ينظر: البلاذري ، المصدر السابق، ص 271. النوري، المرجع السابق، ج 2، ص 107.

وحسب عالمة الآثار السويسرية مرغريت فان برشم *Margaret fan Berchem*، فإن سدراته قد امتدت طولا على مسافة ميل واحد، وعرضا على نصف ميل، لكنها تضمّنت ما يوحى بأنها تحاكي كبريات المدن. بما اشتملت عليه من أسوار وقلاع ومساكن ودروب وأزقة وحارات ومنظومة ري دقيقة غاية في البراعة والإبداع

ومنها كان الانتشار للمذهب الإباضي. ولقد ترك هذا الأخير بصمات واضحة على منطقة ورقلة خاصة من الناحية العمرانية والاجتماعية كنظام حلقة العزابة¹، إذ يذكر صاحب غصن البان قائلاً: " إن هذه البلاد من سنة 101 إلى سنة 450 هـ عامرة بالإباضية كما قدمنا ولا اختلاط لهم مع الأجناس الأخرى، وشؤونهم بأيديهم وكل واحد رئيس على عائلته ومنكب على أشغاله ومهماته والرياسة العليا بيد حلقة العزابة

بالجامع الكبير في كل مدينة وإن نزلت بهم مسالة عويصة اجتمع لحلها العلماء العظام من جميع القرى، فيفصلونها على مقتضى الكتاب والسنة وآثار السلف ولا يؤدون على أملاكهم وديارهم وأنفسهم أي ضريبة لدولة إلا الزكاة²، وأيضاً من الناحية الاقتصادية، حيث بقي الإباضيون يسيطرون على الطريق التجاري بين ورقلة وقفصة إلى غاية القرن العاشر هجري بالرغم من حصار الفاطميين لهم في مناطق أخرى.

والملاحظ أن التركيبة الاجتماعية لسكان ورقلة أثرت على الحركة المذهبية وجعلتها تدخل في صراعات طائفية خاصة بين المالكية والإباضية، ومنها نجد ما ذكره أبو عبد الله اللواتي في مجلس محمد بن عصمة: " حتى تذاكر الفقهاء وذكروا أبا حنيفة، فقلت أليس قد قال مالك أبو حنيفة شيطان قذفه اليمن أبو حنيفة أضل هذه الأمة من شيطان رجيم.. فلما قلت لهم ذلك.. دهشو.. فقلت له: لم اقل من عندي شيئاً، إنما قول قاله مالك.."³

وزخارف تؤكد حسن الذوق الفني الرفيع لساكني هذه المدينة. ينظر: غير ستر، المرجع السابق، ص-ص 148-149.

¹ يعود تأسيسها إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت440هـ /) مطلع (5هـ/11م). بمنطقة تنسلي (بلدة عمر حالياً) جنوب ورقلة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي ألت بالقرية، وهي عبارة عن هيئة تربوية اجتماعية بعيدة كل البعد عن السلطة والسياسة، هدفها نشر الإسلام وإدارة شؤون القرية وتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس شرعية، وإصلاح ذات البين، وقد عرفها الدرجيني على أنها: « لقباً لكل من لازم الطريق وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها»، ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج 2، ص 4

² أعزام، المصدر السابق، ص 27.

³ الدرجيني، المصدر السابق، ص 472.

ما تجدر الإشارة إليه هو أن ورقلة شهدت في عهد الدولة الرستمية ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي¹ الملقب بصاحب الحمار سنة 316هـ/927م، وقد حاول من خلال هذه الثورة إحياء الإمامة واستعادة الحكم الذي آل للعبيديين على الرغم من أن ورقلة لم تكن منطلق الثورة إلا أنها لعبت دوراً ريادياً على اعتبار هاته الثورة ارتباطاً بالمذهب الإباضي المنتشر في ورقلة، ولقد جسدت حركة أبو يزيد المروق عن السلطان القائم، وهدفت ربما لمحاولة إقامة كيان مستقل، ومستندة في غالب ذلك إلى التباين المذهبي الذي كان متجلياً. ولقد كان لوارجلان (ورقلة) إسهاماً في هذه الثورة من عدة أوجه،² مما أكد وثوق الصلة بها. ومع ذلك لم يستطع مخلد بن كداد تحقيق هدفه لأن المنية عاجلته سنة 335هـ/947م حسب رأي ابن خلدون.³

وفي عهد العبيديين (الفاطميّين): لم يول العبيديون اهتماماً كبيراً لورقلة، فقد اكتفوا بالهجوم عليها بعد أن هاجر إليها الإمام يعقوب بن أفلاح، وكان هجوماً خاطفياً تحدثت عنه المصادر الإباضية، فقد جاء في سير أبي زكريا⁴: "إن عبيد الله انتخب من عسكره أولى القوة والعدة والسلاح الشائك، فجعل عليهم عاملاً وأنفذهم إلى ورجلان، وقد سمع أهل ورجلان بإقباله فتوجهوا إلى قارة كريمة⁵ وهي كدية عظيمة لا ترام، فطلعوها، فحفروا فيها مواجل للماء فملؤوها فلما وصل إليهم، حاصرهم أشد الحصار وذكر أصحابنا أنه طوق عليهم سبعة أطواق من خيل فأراد الإقامة عليهم حتى يموتوا عطشاً، فلما رأوا ذلك أرتابت نفوسهم، وفيهم رجل يهودي فأشار بجمال فزمت

¹ هو مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورميت بن تبقراسن بن سميدار بن يفرن، ولد بقسطيلية، نشأ وترى بتوزر، ويعتبر ثائر من زعماء الإباضية وأئمتهم، بربري الأصل، كان يغلب عليه الزهد والتقشف، ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، (د، ط)، 1980، ج 1، ص 216

² عمار غرايسة، المرجع السابق، ص 72.

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 9، ص 17.

⁴ يحيى بن بكر أبو زكرياء، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ش.و.ن.ت، ج 1، 1979، ص 1: 171-172.

⁵ كلمة ونديالية معناها الجبل الصغير ومنها ((قورايا)) قرب بجاية

أفواهها فعطشها ثم أخذها فوقفها على حرف كريمة فجعل لهم في قصاع كبار زيتاً، فإذا نظرت الجمال إلى ما في القصاع جعلت أفواهها في القصاع فمن رآها من أسفل كريمة حسب أنها تشرب. فإذا أعيثها أزمتها رفعت رؤوسها فنفضت الزيت عن مناخرها، ومن بعد عنها حسب أنها تشرب. وبلغنا أنهم أخذوا كسوة فرشوها بزيت فنشروها على حرف كريمة، فلما رأوها قالوا إن مع القوم ماء ونحن محاصروهم ليموتوا عطشاً، فتنحوا عنهم وقالوا لا مطمع لنا فيهم فارتحلوا عن أهل ورجلان فحرقوا المسجد الكبير لجنون بن يمران.. فدخلوا ديارهم ففتشوها فوجدوا في دار أحد منهم بيضة نعامة مملوءة شعيراً فحملوها فلما وصلوا إلى رملة أزلفان (إيفران) لحقهم رجل من أهل ورجلان ممن أراد هلاكهم فأدرك بقية أهل العسكر فقال لهم: ما لكم تركتم أهل ورجلان وليس معهم ماء، وإنما جعلوا لكم الحيلة".

ثم يقول أبو زكريا إن القوم قتلوا هذا المخبر قبل أن يصل خبره إلى قائدهم فيرجع بهم إلى احتلال ورقلة وهم لا يريدون ذلك، ويقال إن عبيد الله غضب على قائد عسكره لتركه ورجلان، فجاءه القائد برمح وضع على رأسه خبزة ورفعته إلى أعلا وقال هل يمكن أن يصله أحد؟ قيل لا، قال كذلك أهل ورقلة صعدوا على جبل لا نستطيع صعوده، ثم قال لسيد عبيد الله إنهم فقراء لا يملكون شيئاً وقدم بيضة النعامة التي فيها الشعير وقال هذه مطايرهم¹.

وفي عهد الدولة الحمادية، وبالتحديد في فترة حكم الناصر بن علناس تأكد رسمياً تبعية ورقلة للحمادين حين قام الأمير الناصر سنة 460هـ/1067م بتعين واليا على ورقلة نجهل اسمه. وزيادة على ذلك وفي إطار الحروب الدائمة بين الحمادين وعرب بني هلال بعث الأمير جيوشه إلى ورقلة بقيادة ابنه المنصور وذلك لكسر التحالف الذي قام بين

¹ أبو زكرياء، المصدر السابق، ص ص: 171، 172

زناتة وعرب بني هلال، فهاجم المدينة وخرّبها سنة 468هـ/1075م¹، وقفل راجعا بالغنائم والسبي.²

ويذكر ليتليو *lethielleux* عن هذا الهجوم بأن منطقة حوض وادي مية أصبحت ملجأ للفارين والمتذمرين، كما أن دخول الهلاليين إليها قد جعلها تميل إلى المشاكسة وانتهاج حياة الغزو من أجل المعيشة، فالهلاليون الذين فرضوا أنفسهم "كحماة" جدد للمنطقة، واحتكروا مهنة حراسة القوافل المتجهة للشمال، قد أحدثوا ما يستفز السلطة الحمادية من الاضطرابات، فكان لا بد من فرض السلم والهدوء لازدهار التجارة والفلاحة، خصوصاً وأن الحماديين فشلوا في توسيع نفوذهم نحو الغرب وأحيطوا بجيرانهم من الشرق.

بعد استتباب الأوضاع العسكرية في موطن الزاب كون الأمير المنصور سنة 468هـ/1075م جيشاً ضم المتمردين التائبين والذواودة الراغبين في توطيد فلاحتهم بالموطن الجديد الذي هو الزيبان مع بسط سيطرتهم على وادي ريغ³ ووادي ميه.

¹ يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)، غرداية، المطبعة العربية ، 1992، ص26.

² ابن خلدون ، المصدر السابق، 356

³ يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة، فهو إقليم مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين الثلاثين والأربعين كلم ، ويبدأ شمالاً من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوباً بقرية (القوق) قرب بلدة عمر جنوب تقرت، ويحد الإقليم من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب³، ويحدد الإقليم بخط عرض 32.54 و 34.09 شرقاً ، ويعد بـ 618 كلم عن الجزائر العاصمة، و 161 كلم عن ورقلة، و 171 كلم عن حاسي مسعود، و 95 كلم عن الوادي، و 220 كلم عن بسكرة. ينظر: رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854-1875، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر (مخطوط)، جامعة الجزائر، 2007، ص ص: 14-15.

تقدم هذا الجيش نحو وادي ريغ فسلب وأخذ الضرائب، ثم وصل إلى الحجيرة¹ المواصلة لنقوسة وقد كانت انقوسة في حالة حرب داخلية بين القبائل سميت بواقعة ((حيمة)) ، وبما أن الإباضيين كانوا أول من علم بقدوم جيوش القلعة فقد غادروا الحوض وتمكنت القوة الزاحفة من مباغته السكان الآمنين فلم يتمكنوا من التحصن بقارة كريمة ولا من تنظيم المقاومة والدفاع ، فكان القتل والتدمير والنهب في كل مكان، قتل الناس جماعات بجذوع النخيل. وقطعت النخيل وردمت الآبار والعيون واستمر ذلك من جيش المنصور مدة 33 يوماً، تهدم الديار وترمى الحجارة والأخشاب في عيون الماء، ومنها (عين الصفاء) التي استعصت لقوة دفع الماء ولكنهم تعنتوا وواصلوا ردمها بأطنان من الحجارة والأخشاب والتربة التي كان يحملها المعتقلون والأسرى تحت جلد السياط. فتم الخراب لأول مرة في حوض وادي مية خراباً منظماً بدافع الانتقام من زناتة وبعض الأعراب من الهلاليين ورجع الجيش المهاجم بالغنائم والأسرى، ولكنه ترك حاكماً لم تذكر كتب التاريخ ولا الوثائق المحلية اسمه ولا مدة بقائه ولا مكان إقامته، فبقي لحراسة من تبقى من السكان ولكي يعاود حركة التجارة ويضمن طريق السودان والاتصال مع بجاية والقلعة، ليزداد تدفق الذهب والعبيد من الجنوب، ويزداد تدفق السلع الأخرى نحو الجنوب إلى السودان.²

أما في الجنوب فقد توسعت دولة المرابطين إلى فزان جنوب ليبيا. ويقال إن حدودها بلغت السودان، غير أن أيامهم لم تطل بهذا الوطن، إذ لم تدم فيه سوى 62 عاماً³ ويبقى السؤال عن وضع ورقلة السياسي أيام هذه الدولة التي وحدت المغرب وأنقذت الأندلس من حكم ملوك الطوائف ومدت في عمر الإسلام أربعة قرون أخرى بعد أن كاد يضيع بنزاعات الحكام فيما بينهم.، ليس لدينا ما يؤكد أو ينفي قيام علاقة سياسية بين حوض

¹ هي مدينة تقع جنوب تقرت وتبعد عنها بحوالي 100 كلم ، وقد تعددت الروايات حول أصل تسميتها بهذا الاسم ، وأرجحها إلى الصواب هو أن قصرها القديم الذي بني على ربوة عالية يلوح في الأفق وعلى مسافات بعيدة ، حيث يظهر للرائي وكأنه حجرة صغيرة ، وتصغيراً لهذه الكلمة أطلق اسم كلمة " الحجيرة".

² J.lethiellux , Op.Cit ,pp 85-86.

³ Ibid ,p 306.

وادي مية ودولة المرابطين، غير أن الوثائق توحى بأن المنطقة دخلت لفترة قصيرة تحت حكم المرابطين بالتبعية.¹

وفي عهد الدولة الموحدية فأهم ما ميز ورقلة هو حملة يحيى بن إسحاق الميورفي المرابطي المعروف بابن غانية سنة 672هـ/1274م²، والذي كان يخوض صراعا مع الموحيدين، ولعل حملته على ورقلة جاءت كنوع من الانتقام المتعدد الجوانب.

أما عن وضع ورقلة فتضطرب المصادر في تعيين الحدود الجنوبية للموحيدين. فيقال أن بلاد الجريد هي أقصى ما وصلت إليه وأنها لم تتجاوز جبال نفوسة جنوباً، ويبدو أن قفصة كانت النهاية الجنوبية³، ولكن من الناحية العملية فإن ورقلة قد شهدت ازدهاراً اقتصادياً، إذ يذكر عز الدين أحمد موسى قائلاً: "وفي بداية العصر الموحيدي بدأت كفة "وركلان" ترحح إذ كان تجار "وركلان" مع أهل الواحات يتاجرون بين السودان ومصر وحدود المغرب الشرقية بل إن تجارهم كانوا يصلون إلى درعة، وسجلماسة، ونول، ولمطة ويبدو أن "وركلان" أصبحت أهم مركز للتجارة مع السودان في نهاية القرن السادس نتيجة لموقف الموحيدين من صنهاجة الصحراء وتبدل خطوط التجارة نحو الشرق وغدا الدينار "الوركلاي" ذا شهرة واسعة بفضل ذهب السودان".⁴ كما شهدت ورقلة أيضاً نهضة علمية خلال عهد الموحيدين الذي اتسم بالحركة الفكرية ونشر الثقافة.⁵

¹ عمار غرايسة، المرجع السابق، ص 82

² يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 26.

³ عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، دار الشروق، ط 1983، ص 1، ص 41، 42.

⁴ عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 288

⁵ المرجع نفسه، ص 288

وابتداءً من القرن الثالث عشر خضعت ورقلة للحفصيين عن طريق أسرة بني مزني¹ التي استقرت بإقليم الزاب وأسسوا إمارة شملت جغرافيا المسيلة ونقاوس شمالا إلى ورقلة جنوبا ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا.² وقد زارها الأمير الحفصي أبو زكريا لما استقل بالحكم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "لما استقل الأمير أبو زكريا بافريقية وخلع طاعة بني عبد المؤمن، صرف عزمه أولا إلى مدافعة يحيى بن غانية عن نواحي أماله، فشرده عن جهات طرابلس والزاب ووركلا. . واختط بوركلا المسجد لما نزل في أتباعه، وانزل بالأطراف عساكره وعماله لمنعها دونه..."³، وهي ذات الإشارة عند دوني بيلي *Denys Pillet*.⁴ وذكرت مادلين روفيلواز بيرقول *M.R.Brigo* أن السلطان الحفصي أعاد ترميم قصر ورقلة الذي حطمه ابن غانية والذي كان يتربع على مساحة ثلاثين هكتار.⁵

ولكن أبو زكريا لم يبق كثيرا إذ كان عليه متابعة بن غانية، متابعة استمرت أربع سنوات، ولم يلحق به حتى تمكن من العودة مرة أخرى إلى ورقلة ليعيث فيها خراباً هذه المرة في ورقلة ذاتها، فابن غانية لا يعرف غير التخريب حيثما حل. ففي سنة 631هـ/1233م ظهر بغتة بورقلة وانتقم من أهلها جزاء استقبالهم لأبي زكريا فأطلق العنان لجيوشه المكونة من البربر والأعراب البدو لتنهب البلدة، فقد هدم الحصون التي بناها بنفسه وأجبر الناس على هدم بيوتهم وسور المدينة، وقتل العمال الضعفاء ثم غادر وترك المدينة تتخبط في الموت.. والبيوت الخاوية والنساء المنتهكة ولم تفرح المدينة إلا بخبر مقتله على ضفاف الشلف بعد سنة على يد الحفصيين.⁶ وفي عهد أبو عمرو عثمان

¹ يعتبر بنو مزني من أشهر الأسر العربية التي هاجرت إلى بلاد المغرب الإسلامي أحلافا لقبائل بني هلال في القرن الخامس الهجري، واستقرت بإقليم الزاب خلال عصر الموحدين بقرية حناس إحدى قرى بسكرة.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 513

³ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 337.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 15.

⁵ M.R.Brigo, Op.Cit. p 67

⁶ J.lethiellux, Op. Cit, p 126.

وأنظر أعزام، المصدر السابق، ص 44. غير انه يخلط بينها وبين هجوم الفاطميين سنة 909 م - 296 هـ الذي تحصن فيه الناس بجبل كريمة.

بن محمد بن عزوز الحفصي الذي خرج إلى أهل تقرت وأغرمهم مالا، وهدم سور البلد، ثم قدم عاملا على ورقلة وأخذ منها مالا جليلا لإثراء خزانته، وقفل راجعا إلى تونس سنة 870هـ/1465م.¹

ثالثا: ورقلة العهد العثماني :

لا شك أن الصراع الجزائري الأسباني في العصر الحديث كان صراعا إقليميا بمسحة دينية، سعى من خلاله كل طرف إلى الانتصار لعقيدته وانتمائه الحضاري، فبعد سقوط غرناطة تخلصت أسبانيا من الحروب التي قادتها ضد مسلمي الأندلس طيلة قرون، واسترجعت قواها، تطلعت إلى نقل ميدان الحرب ضد المسلمين ولأول مرة من أرض الأندلس إلى أرض الجزائر وشمال إفريقيا، ويمكن اعتبار الهجوم الأسباني على مدينة دلس في سبتمبر 1502م، وإحراق المدينة وأسر 300 شخص من سكانها، أول حملة صليبية تتعرض لها السواحل الجزائرية في إطار ما عرف باسم "حروب الاسترداد"، مما دفع بأعيان مدينة الجزائر طلب النجدة من الدولة العثمانية في إطار الرسالة التي بعثوا بها إلى السلطان سليم الأول، وقد عرفت الجزائر بعد خضوعها لحكم الأخوين بابا عروج وخير الدين بربروس، وانضمامها طواعية إلى الخلافة العثمانية في سنة 1519م تاريخا جديدا حافلا بالانتصارات والمغامرات والسيطرة والقوة والعظمة.²

وفيما يخص ورقلة وإلى جانب الفترة الإسلامية، فإن قلة المصادر التي تطرقت لهذه المنطقة، جعلت من الصعوبة تصور ما كانت عليه ورقلة في الفترة العثمانية، واغلب ما يتوفر حول هذه الحقبة التاريخية اعتمد على أخبار الرحالة التي جاءت كمقتطفات دونوها في رحالاتهم، كالعياشي والاغواطي والعدواني، وهي المصادر التي اعتمدها المؤرخون الأجانب في مراجعهم مثل : هايدو Haydo، وفيرو، CH.Féraud وبراكس prax،

¹ يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 67.

² حمادي عبد الله، «جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان»، مجلة المصادر، م.و.د.ب.ج.و.ث.ا.ن 1954. ع 6، مارس 2002 ص. 256.

ودوماس *Daumas* وغيرهم. وبالتالي فالحديث عن التأثير العثماني في ورقلة لا يخرج عن نطاق الحديث عن تاريخ الوجود العثماني في الجزائر مع إظهار خصوصية منطقة ورقلة. وعليه فقد جاء في بعض المصادر التاريخية أن علاقة سكان ورقلة بالعثمانيين كانت ابتداءً من منتصف القرن السادس عشر للميلاد (16م)، وذلك من خلال الحملات العسكرية التأديبية التي اعتاد حكام الجزائر العثمانية ممارستها لبسط نفوذهم على الأقاليم الصحراوية والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

1- حملة صالح رايس في أكتوبر 1552م على ارس جيش مجهز بمدفعين لفك الحصار، ومكون من 3000 من المشاة، و1000 من الفرسان، حيث قام بمحاصرة تقرت عاصمة وادي ريغ لثلاثة أيام إلى غاية الاستسلام، ثم توجه نحو ورقلة التي رفض حاكمها تقديم ضريبة لباشا الجزائر فوصلها بعد أربعة أيام من السير، حيث أخذ من تجارها 200 ألف ريال، ومكث بالمدينة عشرة أيام ينتظر عودة حاكمها الذي فضل الانسحاب إلى نواحي القليعة مع أربعة آلاف فارس وكثير من الأهالي. أما المدينة ففتحت أبوابها وفيها أربعون تاجراً من الزنوج جاؤوا من السودان كالعادة لبيع العبيد، أخذ منهم 200.00 وزنة ذهب لقاء سلامتهم، وفرض على المدينة ضريبة سنوية من الذهب مع ثلاثين عبداً يتم شراؤهم وإرسالهم إلى الجزائر، وعندما عاد سلطان ورقلة بعد رحيل صالح رايس التزم بهذه الضريبة دون معارضة.¹

2- حملة يوسف باشا عام 1790م والتي ترتب عنها التزام في 29 نوفمبر من نفس السنة، بموجبه يتم دفع ضريبة سنوية للسلطة المركزية بالجزائر ، وتتلخص هذه الضريبة في مساهمة المنطقة بخمسة وأربعين فرداً من رقيق السودان سنوياً، يتوزعون كالتالي: يخص ورقلة 25 عبداً، وتقرت 16 عبداً، و 4 عبيد من تماسين²، وفي ذات السياق فقد تمت حملتين ضد تقرت، الأولى بقيادة صالح باي سنة 1771م، والثانية بقيادة أحمد المملوك باي قسنطينة سنة 1818م، وسبب هاتين الحملتين هو التمرد المستمر لسلطة بني جلاب على السلطة المركزية ورفض التبعية لهم.

¹ J.lethiellux ,Op . Cit ,p 191

²Romey Alain, **Histoire, Mémoire et Sociétés, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan , Paris,1992, p65.

3- حملة قام بها فرحات بن مراد بطلب من شيخ انقوسة لذلك استثنى من الضرائب وصار له الحق في أخذ 25 عبداً سنوياً من ورقلة¹

إلى جانب الحملات العسكرية فقد برزت مظاهر أخرى لعلاقة العثمانيين بسكان ورقلة خاصة في المجال الاقتصادي، وذلك من خلال عملية التبادل التجاري، بحكم الموقع الجغرافي لمنطقة ورقلة، حيث ظلت هذه الأخيرة ملتقى القوافل التجارية منذ القدم، وعقدة المواصلات ومحطة للقوافل التي كانت تعبر الصحراء وتربط أقاليم الجنوب ببلاد العرب وجهات التل، خاصة الطريق الرئيسي الرابط بين تفلالت وغدامس، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غات وتماسين والقليلة والاعواط والزيبان.² زيادة عن طريق الذهب الذي كان يمر بورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب بالمدن الرئيسية للممالك السودانية كغدامس وكانو وتمبوكتو.

إن المتأمل في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لورقلة طيلة الحقبة العثمانية، فسيلاحظ نوعاً من الاستقرار والازدهار، إلا أن المنطقة لم تستطع المحافظة على استقرارها وازدهارها بسبب دخولها منذ منتصف القرن السابع عشر للميلاد (17م) في صراعات محلية بين الأسر الحاكمة من جهة، وشيوخ العشائر البدوية من جهة ثانية، إلى غاية احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1854م، لتدخل ورقلة عهداً جديداً، عاشت من خلاله أبشع سياسة استعمارية في العصر الحديث.

خلاصة الفصل:

من خلال ما عرض سالفاً يبدو لنا أن ورقلة كمنطقة ذات موقع جغرافي استراتيجي جعلها محطة استقطاب لمجموعة من التجمعات البشرية من القديم، ومحل أطماع استعمارية منذ بداية العصور الحديثة خصوصاً فترة الاستعمار الفرنسي، وهذا بسبب ما

¹ J . lethiellux , Op . Cit ,p 216

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83.

تملكه من ثروات طبيعية استهوت مختلف القبائل والأجناس التي سكنت المنطقة، فحسب الجغرافيين تقع هذه الأخيرة في قلب الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها الجوفية الارتوازية القريبة من السطح، وبالتحديد في الحوض الشرقي الكبير، وكأنّ الطبيعة هيئتها لتكون ذات حيوية على أكثر من صعيد، هذا بالإضافة إلى المساحة الجغرافية التي تضمنتها منطقة ورقلة عبد العصور التاريخية جعلتها تلعب دورا كبيرا في مختلف الأحداث السياسية والاقتصادية التي شهدتها المنطقة خاصة في الفترة الإسلامية والفترة العثمانية، وجعلتها أيضا تحتل مكانه هامة بين مختلف المناطق الصحراوية. علاوة أن خيراتها الطبيعية ومواردها المائية كان لهما دورا كبير في الازدهار الاقتصادي الناتج عن النشاط التجاري والتطور العمراني لورقلة. وزيادة على ذلك أيضا أن إستراتيجية الموقع الجغرافي الممتاز أكسب المنطقة حصانة طبيعية أمنت لها مقومات الوجود والاستمرار والاستقرار فترة من الزمن.

وفيما يتعلق بأصول التسمية، ورغم وجود تباين بين مختلف الروايات والإشارات الواردة في المصادر التاريخية أو الجغرافية، ومدى مطابقة هذه الروايات للحقائق الواقعية، فإنّ ما يكون اقرب إلى التأكيد هو وجود اختلافات في نطق الحروف، وإلى التقدم التاريخي المرافق لذلك وما يصاحبه من تحويرات في اللفظ، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على تعدد اللهجات واللغات في المنطقة، الأمر الذي جعل التسمية تشهد عدم الاستقرار في المصطلح، وعلى الرغم أن هذه الروايات والإشارات تبقى تحتاج إلى المزيد من الحقائق والإثباتات للوصول إلى نوع من الحقيقة.

زيادة على ذلك أكدت لنا معظم المصادر التاريخية والجغرافية على عراقة وقدم منطقة ورقلة مند العصور القديمة، لكونها كانت أهلة بالسكان الأوائل وهم القرمينيون، لتعرف بعدها عبر فترات لاحقة، وحسب الظروف والتحولات الاجتماعية والاقتصادية تطورا سكانيا وعمرانيا نسجته مختلف الأجناس التي عمّرت المنطقة، وخلقت تواسلا اجتماعيا فيما بينها إلى غاية المنتصف الأول من القرن العشرين، ولذلك حاولنا في هذه الدراسة تناول أهم القبائل والقرى البارزة وذات حضور في عدد من الروايات والمصادر التاريخية.

وما هو مهم للإشارة وما تؤكد بعض الحقائق التاريخية أن منطقة ورقلة كانت تتمتع بنوع من الخصوصية والاستقلالية السياسية خاصة منذ استقرار القبائل البربرية والعربية بها، ويتجلى هذا أكثر في عهد الدولة الرستمية (777-908م)، وما كان يربطها بهذه الدولة من علاقات هو اعترافها بالتبعية الاسمية لها، غير انه بعد سقوط هذه الدولة سنة 908م فقدت منطقة ورقلة استقرارها واستقلالها نتيجة الحملات العسكرية ضدها للقضاء على جميع طموحاتها السياسية والعسكرية في المناطق الصحراوية، بدايةً بالفاطميين وإلى غاية الحملات التأديبية العثمانية والاحتلال الفرنسي سنة 1854م.

إلى هنا يبقى التساؤل القائم حول الموقف الذي اتخذته أهل ورقلة، ورد فعلهم إزاء الاستعمار الفرنسي الذي استهدفهم وهدد مصالحهم الحيوية، وكيف قاومت منطقة ورقلة هذا الاستعمار؟ هذا ما سنعرفه في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني

الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة

المبحث الأول

الأوضاع العامة للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الثاني

الغزو الفرنسي لمنطقة ورقلة ومراحله

المبحث الأول: الأوضاع العامة للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

أولا - الحالة السياسية:

إن المتتبع للحالة السياسية في منطقة ورقلة وضواحيها عقب سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية بتاريخ 5 جويلية 1830م، سيلاحظ تلك الحروب والصراعات المحلية حول السلطة بين مختلف القبائل البدوية والأسر الحاكمة، وهذا من غير المستبعد أن الفرنسيين لعبوا دورا كبيرا في تغذية هذه الصراعات من خلال استخدام حكام المنطقة ، حتى تخلوا لهم الساحة، ويعملوا على تنفيذ مخططهم التوسعي للسيطرة على الصحراء الجزائرية، وقد تمثلت هذه الصراعات فيما يلي:

أ- الصراع بين مشيخة نقوسة وسلطنة ورقلة:

تعود البدايات الأولى لهذا الصراع إلى مطلع القرن الحادي عشر للميلاد (11م) حين استقرت أسرة بني بابية بواحة نقوسة، هذه الأسرة التي تنتمي إلى العرق الزنجي حسب قول دوماس¹ Daumas. كما تنتسب هذه الأسرة إلى الشيخ الولي الفاسي الذي حل بالمنطقة عام 1613م²، ولقد تعاقب على حكم مشيخة نقوسة خلال هذه الفترة (1830-1851م) ثلاثة شيوخ وهم الشيخ الغالي، والشيخ الحاج احمد الثاني، والشيخ أبو حفص.³

أما سلطنة ورقلة فقد تعاقب على حكمها عدة أسر محلية ابتداءً من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (13 م) ، حيث حكمت أسرة بني أبي غبول سلطنة ورقلة ، واختار أهل ورقلة بعد سقوط سدراتة سنة 1283م رجلا من أسرة بني غبول النازحة من سدراتة ، والتي استوطنت حي بني وقين ، وعينوه سلطانا على ورقلة ، وهذا ما ذكره ابن خلدون في إشارة إلى سلطان ورقلة قائلا : "... ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غير نكيرة بينهم، ورياسته لهذه الأمصار مخصوصة ببني أبي غبول، ويزعمون أنهم من

¹ Daumas , Op.Cit , p 28

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص88.

³ Gouvernement Général de L'Algérie, « Notes... » , Op.Cit, pp394-395

بني واكير(بني وقين) إحدى بيوت بني واركلا، وهو هذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب".¹ ، وقد دام حكم هذه الأسرة بورقلة حوالي قرن من الزمن من (1283م- 1381م)، بعدها حكمت الأسرة الفيلالية بقيادة السلطان مولاي موسى الفيلالي² الذي حل بالمنطقة منذ مطلع القرن 16م ، الذي عمل على استتباب الأمن وتنظيم شؤون المدينة الاجتماعية والاقتصادية ، إلى أن وافته المنية مخلفا أربعة أبناء توارثوا السلطنة من بعده ، غير انه في مطلع القرن السابع عشر الميلادي (17م) وقعت صراعات محلية بين الأحياء الثلاثة الكبرى بورقلة أدت إلى اغتيال السلطان سليمان بن مولاي موسى الفيلالي ، ودفعت بالعائلة الفيلالية إلى ترك السلطنة والفرار نحو اتجاه مجهول.³

بعدها جاءت أسرة علاهم (مغربية الأصل) التي حكمت سلطنة ورقلة أكثر من قرنين ونصف من الزمن منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي (17م)، حيث نصب سنة 1602م أول سلاطينها على ورقلة وهو مولاي علاهم، وهذا بعد أن تلاشت أسرة بني أبي غبول، وقد أشارت بعض الدراسات التاريخية إلى أن الصراعات الطويلة بين مختلف التشكيلات الاجتماعية، وعدم توصلها إلى اتفاق حول سلطة موحدة هو الذي كان وراء استقدام مولاي علاهم من فاس⁴ ، وهناك في فاس تمّ التفاوض بين الوفد وبين

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 107

² لم نعر على تعريف لهذه الشخصية.

³ Gouvernement Général de L'Agérie , « Notes... » , Op.Cit. p386

ينظر أيضا حسن الوزان ، المصدر السابق، ص10

⁴ يذكر سليمان حكوم (باحث في التاريخ المحلي) في مخطوطه انه هناك مثل قدم كان سائرا يقول: "اللي ما تعلم في فاس ولا زار مكناس إذا تعدّ من الناس ما يكون في الراس" أي من لم يتلق العلم في فاس ولم يزر مدينة مكناس. ولو عد من خيار الناس، فإنه لا يوضع في مرتبة الرأس. هذا المعنى كان في وعي الناس ومن مسلمات النخبة في ذلك الزمن، لأن فاس كانت مدينة العلم تمثل ما يمثله الأزهر، وبلد الأشراف لأن الذي أسسها هو إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها= ومكناس تمثل التصوف بما فيها من أولياء وخاصة سي محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية الجزولية. ينظر: سليمان حكوم، وادي مية والقصور السبعة ، (مخطوط) ، ص 494

كبير إحدى العائلات الشريفة المغمورة بفاس تنحدر من مولاي إدريس¹، أب يفاوض عن أربعة أبناء رضي بإعطاء الوفد أصغرهم سناً اسمه: "مولاي علاهم" ولكن بثمان يوازي فكرة أهل فاس عن ورقلة بأنها مدينة الذهب السوداني، وكان الثمن مقدار "زوج وزنات من الذهب" بشرط أن لا يسكن ورقلة التي يوجد بها "التهم (حمى المستنقعات)، وأن يخصص له أربعون عبداً لخدمته ويخصص معاش له ولأسرته وعبيده، وقد استجيب له كل الشروط بعد مدة من مكثه بالقلعة، اتضح أنه لا يمكن أن يحكم ورقلة من مسافة 370 كلم²، لذلك اتفق مع الجماعة على الانتقال إلى ورقلة، وخصصت له القسبة داخل الأسوار قبالة عين بوسحاق.² حيث يأتيه مأواها عن طريق قناة، وهي محصنة بها بستان من النخيل داخل السور المحيط بالقسبة³. ووضع تحت تصرفه أربعون عبداً للخدمة والحراسة، وسلمت له قائمة بالمانحين الذين يعطونه التمور سنوياً واقتطعت له بساتين ولتصور كثرها أعطي لها رقم أسطوري "أعطوه بساتين بعدد أيام السنة⁴.

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أسباب التجاء ورقلة إلى استقدام حاكم أجنبي، إذ يذكر علي يحيى: "فانقسم أهلها (أي ورقلة) ولكل داعية أتباع، ولكل قبيلة أشياع، واستطاع بنو سيسين أن ينتزعوا الحكم من بني واقين، ولم يتقبل بني سيسين الأمر، فقد وقع بين أفراد العائلة نفسها نزاع وخصام نتج عنه فتن طويلة ذهبت فيها أموال وأرواح، وخشي أصحاب الحكم من بني سيسين أن يتغلب عليهم منافسوه فينتزعون منهم مقاليد السلطة، فارتكبوا الخطأ الذي يرتكبه كل ضعيف يتمسك بالحكم رغماً عن أهل وطنه. فالتجئوا إلى خارج ورقلة، وذهب منهم وفد إلى مراکش يدعو إليهم من يساندتهم في موقفهم ويشدهم على كراسيهم، فجاءتهم هذه المساعدة ممن أخذ الحكم منهم ومن منافسيهم"⁵، وهو ما أكدته ليتيليو *lethiellux* في قوله: "ورقلة تشتري سلطانا

¹ J.lethiellux ,Op .Cit ,p201

² Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes... » , Op.Cit. p386

³ J.lethiellux ,Op .Cit ,p202

⁴ Ibid ,p203

⁵ علي يحيى معمر ، المرجع السابق، ص: 406-407.

جديداً¹، وهي ذات الإشارة عند صاحب غصن البان في قوله : " بعد أن كانت الولاية بيد إباضية بني سيسين، وبعدما وقع بينهم من انشقاق والفتن ما تقشعر منه الجلود، ذهبت من أيديهم بأيديهم، وصارت بيد الأشراف (أسرة علاهم)²، وعلى خلاف ما ذكرته بعض المصادر التاريخية أخرى، فإن صاحب غصن البان أرجع أول من تولى سلطنة ورقلة من أسرة علاهم هو مولاي عبد الغفار ابن مولاي محمد ابن مولاي علاهم سنة 1040م، وبقي في الحكم حوالي إثنة عشر سنة (12)، سار في أثنائها سيرة حسنة، بسط فيها الأمن والاستقرار، وكان لا يقدم على أمر حتى يأخذ مشورة أعيان البلاد، ثم جاء من بعده مولاي علاهم بن مولى محمد الذي حكم ورقلة مدة تسعة وعشرين سنة (29)، أحدث خلالها جملة من الإصلاحات إلى أن وافته المنية سنة 1081م³، ليأتي من بعده مجموعة من السلاطين تداولوا على السلطة بالحرب تارة، وبالسلم تارة أخرى منهم: (مولاي احمد، مولاي محمد، مولاي البكري، مولاي محمد مولاي البكري، مولاي احمد بن مولاي البكري)⁴، بينما المصادر الأجنبية تذكر انه قبيل الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة تعاقب على حكم هذه السلطنة سبع سلاطين وهم: مولاي الطيب، ومولاي دهبى، ومولاي علي، ومولاي سليمان، ومولاي مسعود، ومولاي عبد القادر.⁵

غير أن صاحب غصن البان يذكر أن مولاي عبد القادر كان سلطانا على ورقلة في عهد الشريف بشوشة، إذ يقول: " ولما استقر بشوشة بورجلان (ورقلة) وتمت له الولاية بها، أخذها عاصمة له وجدد الإمارة لمولاي عبد القادر"⁶، بينما السياق التاريخي للأحداث ينفي هذا القول، كمان الدراسات الأجنبية والعربية لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا الأمر، ويبدوا أن صاحب غصن البان اختلطت عليه الأحداث، فأصبح يكتبها دون تمحيصها ومقارنتها بعضها البعض.

¹ J.lethiellux ,Op . Cit ,p201

² أعزام، المصدر السابق ، ص56

³ المصدر نفسه ، ص 56

⁴ نفسه ، ص ص: 54- 61.

⁵ Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes... » , Op.Cit. p388.

⁶ أعزام، المصدر السابق ، ص71

وفي ظل الصراعات المحلية انقسمت التشكيلات الاجتماعية بالموالاة لإحدى الأسرتين، فوجد قبائل الشعانية، والمخادمة، وبني ثور، وبني سيسين تكتلوا مع أسرة علاّهم، بينما قبائل سعيد عتبة وبني وقين تحالفت مع أسرة بني بابية¹، في حين بقي بني ابراهيم يتعايشون مع الظروف وفقا لمصالحهم. ولعل من اقوي أسباب الصراع بين الأسرتين، هو السلطة وحب الزعامة خاصة وأن بني بابية كانوا يرون أنفسهم بأنهم أحق من غيرهم في حكم المنطقة على أساس أنهم ينتسبون إلى حليلة السعدية مرضعة الرسول (ص).

وعلى الرغم من التفوق البشري والمادي والحضاري لسلطنة ورقلة إلا أنها فشلت في إخضاع أسرة بني بابية، وهذا يعود إلى أن هذه الأخيرة اعتمدت على سياسة قائمة على التدخل والتحرش بهدف إذكاء الصراع ضمن الكتلة المعادية من جهة، والاعتماد على المساندة والدعم الفرنسي، ناهيك عن دعم العثمانيين لهم مسبقا، الذين أكدوا لهم سلطتهم على المنطقة خاصة في مجال جمع الضرائب، مع العلم أن ورقلة كانت ملزمة بدفع خمسة وعشرين عبدا كضريبة سنوية للعثمانيين.²

وعليه فإن ابرز مظهر للصراع بين الأسرتين كان سنة 1830م حين امتنعت ورقلة عن دفع الضريبة السنوية لمشيخة نقوسة بالنيابة عن العثمانيين، فتحالفت أسرة بني بابية مع الجلالبة لإخضاع ورقلة، إلا أن هذا التحالف لم يحقق أي انتصار وذلك لحصانة مدينة ورقلة وعجز قوات الجلالبة عن اقتحام أسورها.

وعلى خلفية الصراع الذي وقع بين أسرة علاّهم، استغل بني بابية هذا الصراع، خاصة وأن ورقلة أصبحت تعيش فراغا سياسيا وبدون سلطان، فسارع الشيخ الحاج احمد بن بابية سنة 1849م إلى إرسال ابنه الشيخ بوحفص رفقة عدة بن ساعد شيخ

¹ Blanchet.p, L'Oasis et pays de Ouargla, A.G,n° 9, 1900, p 155.

² CH.Féraud , Op.Cit, p271

قبيلة سعيد عتبة إلى السلطة الفرنسية محملين بالضرائب والإعلان عن مساعدتهم لاحتلال مدينة ورقلة ، وإخضاع القبائل المحيطة بها ، والاعتراف بالسلطة الفرنسية مقابل منحه لقب الخليفة ، وقد وافقت الإدارة الفرنسية على ذلك ، وعينته خليفة على نقوسة في جويلية 1849م¹ ، ثم وضعت تحت تصرفه في 20 نوفمبر 1849م كتيبة تتكون من 200 فارس ، هاجم بها ورقلة ، خاصة عندما وصلت الإمدادات الفرنسية من جبل عمور في نهاية شهر أفريل ، وحاصرت مدينة ورقلة ، وخاطب الشيخ الحاج احمد بن باية أهلها بصوت عالي وباحتقار قائلا : " نحن لا نريد السلطان الأسود الذي كتبنا له ، وخاصة عندما ساند القوات الأجنبية"² ، وقد بقي محاصرا المدينة طيلة إثنة عشرة يوما ، قطع فيها الاتصال بين الداخل والخارج ، وقام بقطع الأشجار والنخيل المحاطة بالمدينة ، كل هذا من اجل فرض سلطته على المنطقة والاعتراف بها ، إلا أن مدينة ورقلة بقيت صامدة في وجه أسرة بن باية وحلفائها ، هذا مع العلم أن الحاج احمد بن باية تدعم مرة أخرى بإمدادات عسكرية فرنسية في شهر ديسمبر 1850م ، ولكن للأسف أن الشيخ احمد وافته المنية في 19 جانفي 1851م في الطريق بعد معاناة لثلاثة أيام بمرض ضيق التنفس.³ ووفقا لتقاليد الحكم وللحفاظ على مشيخة نقوسة تقرر تنصيب الابن البكر " أبو حفص " شيخا على نقوسة خلفا لوالده ، والذي سار هذا الحاكم الجديد على نهج والده في محالفة الفرنسيين للقضاء على سلطنة ورقلة.⁴

ب- الصراع الداخلي بين أفراد أسرة بني باية :

يعتبر الصراع على السلطة من أقوى الأسباب التي أدت إلى انشقاق أسرة بني باية ، وتعود البدايات الأولى لهذا الصراع حين قام احمد بدعم أولاد يوسف بالاستيلاء على الحكم ، وإبعاد أبيه الحاج احمد بن باية ، ووقوف أخويه أبو حفص والطيب

¹ P.Passager, Op.Cit ,p103.

² Daumas , Op.Cit , p 34

³ Ibid, pp32-34

⁴ Ibid ,p34

بالتحالف مع عرش فطناسة والرحبات والشعانية ضده، وإرجاع والدهما إلى الحكم من جديد سنة 1842م.¹

لاشك أيضا أن وفاة الشيخ الحاج احمد بن بابية سنة 1851م، وتنصيب ابنه أبو حفص خلفا له، نتج عنه صراع على السلطة بين الإخوة الأعداء، بين أبو حفص وأخيه الطيب، الذي يمتاز بحيوية وطاقة كبيرة في تصريف الأمور، إلا أن صراعه مع أخيه جعله يرسل الحاكم العسكري المقيم بتيارت يشكو سوء المعاملة من أخيه أبو حفص، وقد سعت الإدارة الفرنسية للمصالحة بينهما إلا أنها فشلت في ذلك.²

هذا بالإضافة إلى الأسباب السالفة الذكر التي ساهمت في أضعاف قوة بني بابية وانشقاقها، هو تفرع قبيلة سعيد عتبة الموالية لبني بابية إلى ثلاثة فروع ، والتي دخلت هي الأخرى في صراعات دموية فيما بينها، نتج عنها اختلال في التوازن بين التحالفات العشائرية، وتعود بوادر هذا الاختلال منذ الأربعينات من القرن 19م، حيث برز على الساحة السياسية وضع جديد يتمثل في بروز تحالفات قبلية ضد بعضها البعض بهدف الاستحواذ على منابع المياه والسيطرة على المراعي.ومن هذه التحالفات، تحالف أولاد يوسف من قبائل سعيد عتبة مع المخادمة، والهجوم على إخوانهم من عرش الرحبات وفطناسة سنة 1843م، اللذين كانا موالين لقبائل الشعانية وبني ثور، وانتهى هذا الصراع بعد عقد صلح بينهما.³

ومن جهة أخرى تغيرت الموازين من جديد وانفصلت المخادمة عن حلفائها السابقين، وانضمت إلى عدوها السابق من بني ثور والشعانية، زيادة على ذلك ولتصفية المصالح بين مختلف القبائل البدوية تحالف عرش أولاد يوسف من جديد مع بني ثور ضد

¹ CH.Féraud , Op.Cit, p488

² Daumas , Op.Cit , p35

³ CH.Féraud , Op.Cit, p488

المخادمة ،ودخلوا في حرب ضد الموالين للمخادمة ،وهما عرش فطناسة وعرش الرحبات ،
وأُسفرت هذه الحرب على ستة عشرة (16) قتيل وخسارة ثلاثين (30) فرس.¹

ج - إمارة بني جلاب وعلاقتها بسلطنة ورقلة :

تنسب إمارة بني جلاب إلى مؤسسها الأول سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي الذي قدم إلى منطقة وادي ريغ، وهم من بقايا الدولة المرينية بالمغرب الاوسط، وهناك أسس إمارته التي تسمت باسمه، ولقد أكد الرحالة فيرو *Féraud* الذي زار المنطقة سنة 1871م ،أن الشيخ سليمان كان متوجها إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج ، إلا انه عند وصوله إلى مدينة تقرت² في منتصف القرن السادس عشر الميلادي (16م) ، وجدها في حالة فوضى واضطرابات بين مختلف التشكيلات الاجتماعية الكائنة بالمنطقة وضواحيها، فطلب منه أهالي المنطقة الاستقرار بالمنطقة لاستتباب الأمن ،فنزل عند رغبتهم واستقر بها.³

وعليه فقد عمل الشيخ سليمان على تنظيم المدينة ، وكون مجلسا استشاريا، وجيشا نظاميا يصل عدده إلى 700 جندي من مختلف القبائل الصحراوية المجاورة، وربط علاقات اقتصادية وسياسية عدائية أحيانا، وودية أحيانا أخرى، وقد تعاقب على حكم هذه الإمارة حوالي ستة وثلاثون (36) سلطانا كان آخرهم السلطان سلمان بن علي

¹ CH.Féraud , Op.Cit, p488

² تقرت هذه المدينة تعرف أيضا باسم " البهجة"، وقصة تأسيسها حسب شارل فيرو *CH.Féraud* تعود إلى امرأة تسمى البهجة ، لشدة جملها كانت تسكن تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب النزلة ، وكانت تمارس البغاء ولما علم أهل تالة وأزعجهم ذلك ، قرروا طردها من تالة ، فقامت ببناء عشة بجريد النخيل في موقع خارج القرية في موضع تقرت الحالية ولحقها بعض الشباب ،ولما كان ولي صالح مارا بالمنطقة يدعى : (سيدي بوجملين) على ما تذكر الرواية ، ورفض سكان تالة استقباله ، فلجأ إلى عشة البهجة التي أكرمته وآوته ، ولما غادرها وضع يده على رأسها داعيا لها بأن تعمر عشتها وتصير عمرانا ، ومنذ ذلك الوقت تحولت عشة البهجة إلى دار من الطوب ، وكثرت بقرها المنازل حتى تحولت إلى مدينة وسميت " تقرت البهجة " . ينظر: رضوان شافو، المرجع السابق ، ص 16.

³ CH.Féraud, Op.Cit ,PP 156-157

الجلابي، والذي في عهده سقطت الإمارة، وخضعت للاستعمار الفرنسي سنة 1854م. وقد امتدت سلطة هذه الإمارة إلى نفطة بتونس شرقا، وأولاد جلال غربا، أما فيما يخص سلطنة ورقلة فقد كانت مستقلة عنها، وغير خاضعة لحكم الجلالية، وهذا ما أكدته العياشي في رحلته قائلا: " ونزلنا تقرت وهي قاعدة وادي ريغ ومعسكر أمرائها أولاد جلاب... وسألوني عن قتال أهل ورقلا (ورقلة)، هل يحل لهم أم لا ؟ فقلت لهم إنهم ليسوا من أهل طاعتكم ولا ولاية لكم عليهم، فقالوا: إنه يجب علينا تغيير المنكر وهذا منكر، فقلت: نعم . إلا أن من شرط المنكر أن لا يؤدي إلى منكر أعظم منه، فإنكم لا تصلوا إلى ذلك إلا بعد قتل مائتين من الناس كثيرة وان وصلتهم...".¹

إلا أن العلاقة السياسية بين إمارة بني جلاب وسلطنة ورقلة برزت بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م، وكذا بعد اشتداد التنافس بين أسرة أولاد علاهم الذين كانوا يحكمون سلطنة ورقلة، وأسرة بني باية الذين كانوا يحكمون مشيخة نقوسة، وذلك حين امتنعت ورقلة عن دفع التزاماتها المعتادة إلى نقوسة، وقد ذكر العياشي أن أسرة بني باية كانت خاضعة للجلالية، إذ يقول: " مقوسا (أي انقوسة) من طاعة وادي ريغ لا من طاعة وارقلا"²، وقد اغتنمت أسرة بني باية فرصة وصول السلطان ابراهيم بن محمد بن احمد الجلابي³ (1830-1831م) عند أسوار قصر نقوسة وبمساعدة أعراش السلمية وأولاد مولات، وأولاد السايح، وبمساعدة جيوش ورقلة، لحسم خلاف بينه وبين الشيخ الغالي بن باية (1818-1842م)، وقد يكون سبب هذا الخلاف هو عدم دفع الضريبة السنوية لسلطان تقرت مقابل السماح لمشيخة نقوسة بالتسوق والتبادل التجاري، لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد تفطن الشيخ الغالي بن باية إلى هذا الاستغلال العسكري، وسوى خلافه مع الجلالية بالصلح، والقضاء على جيوش ورقلة، ثم تحول

¹ العياشي، المصدر السابق، ص49

² المصدر نفسه، ص46

³ حكم الإمارة لسنة واحدة وذلك بعدما تخلّى عن الحكم مؤقتا للذهاب إلى الحج، فخلفه أخوه الأصغر علي بن محمد المعروف " علي الكبير"، وبعد عودته من الحج، تعرض للقتل من طرف أخيه الذي سيطر على مقاليد الحكم ورفض التنازل عن العرش سنة 1831م.

المهجوم نحو أسور قصر ورقلة من اجل إعادة السلطان مولاي الذهبي إلى العرش بعدما أبعدته عمه مولاي الطيب، إلا أن المهجوم فشل في اقتحام قصر ورقلة وذلك لحصانة أسوارها الدفاعية.¹

وتجدر الإشارة إلى أن مشيخة نقوسة ذهبت بسياساتها الرامية إلى التسلط على سلطنة ورقلة إلى درجة الخضوع للفرنسيين، بعدما اثبتوا ولائهم الأعمى للسلطة العثمانية من اجل الإشراف والتأكيد على سلطتهم على المنطقة، وقد كانت تجمع الضرائب والإتاوات من الورقليين بالنيابة عن العثمانيين، وللعلم فإن السلطة العثمانية قد اتبعت هذه السياسة العدائية بين الاعراش والحكام المحليين لكونها وسيلة لفرض نفوذهم وإقرار سلطتهم على كامل المنطقة، وهي نفس السياسة التي اتبعها الفرنسيون بعد الاحتلال فيما بعد.

وفي إطار الخلافات الداخلية بين التجمعات السكانية بورقلة يذكر ليتيليو *lethiellux* قائلاً: " استمرت الفتنة بعد رحيل أبناء الفيلاي وبدأت حرب الإشاعات، فشاع في بني إبراهيم أن بني ميزاب هم سبب البلاوي منذ غادروا سدراته ليستقروا بورقلة، وأنهم على ضلال، واقتنع الناس شيئاً فشيئاً وزاد الطين بلة على الإباضيين تجاوزات معاونيهم وحلفائهم حميان، واعتدآتهم وكراهة الناس لهم، وفعلت الدعاية المغرضة في بيئة مشحونة بالكراهية والحقد المتبادل، فحيكت مؤامرة للقضاء على الإباضيين، وتقرر أن يقتل كل واحد جاره الإباضي. وفي اليوم المحدد للمؤامرة نفذ بنو إبراهيم بحماس فذبحوا من معهم وهدموا حيهم المجاور لعزي. ولكن بني سيسين نفذ بعضهم فقط، أما بني واين فلم يفعلوا بل أغضبتهم المؤامرة فاستداروا على بني إبراهيم وطردهوا المحرضين ورؤوس الفتنة من المدينة فالتجئوا إلى السلطان الثامن من أولاد بابية بانقوسة². طبعاً فرح السلطان، واستقبلهم بحماس متمنياً أن يكونوا مساعدين محتملين في حالة حرب ضد خصومه وبقوا بانقوسة مدة ثلاثة أشهر، لكن هؤلاء لم يفقدوا إرادة عودة انتقامية لورقلة. ووجدوا انقوسة أضعف من أن تحقق لهم رغبتهم لأن حلفاءها الأقوياء سعيد عتبه في فترة

¹ Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes... » , Op.Cit. p393

² J . lethiellux ,Op . Cit ,p194

رحلتهم إلى الشمال، فذهبوا إلى وادي ريغ ونزلوا عند أقربائهم بني إبراهيم القاطنين بتماسين وتحالفوا مع سلطان تقرت صديق أولاد بن بابية واغتنمها هو فرصة سانحة يوظفها ضد الإباضيين أعدائه المذهبيين. ودبرت المكيدة ودخلت فيها الوعود المغرية والمال. فتكونت حملة عسكرية يقودها سلطان تقرت ومرت بالحجيرة، واستقبلت في انقوسة بحماس وتدعمت بمحاربين جدد تحت قيادة السلطان "الشيخ محمد" وكانت كلمة السر "منصور المنتصر"، وتواصلوا أن الواحد منهم إذا لاقى أحدا صاح في وجهه منصور فإن أجابه منتصر وإلا قتله، وكانت المعركة ضارية في الليل المظلم في الأول، ولكن المقاومة من الأسوار لم تقع لأن الأبواب فتحت وسقط موتى في الليل، واستمرت إلى الصباح. فطلب المدافعون من بني سيسين وبني واقين الصلح ولكن قوبل بالرفض طلبهم، فهم من خانوا العهد وتقاعسوا عن تنفيذ المؤامرة، وتواصل القتال حتى قامت مفاوضات انتهت إلى انصياع المدافعين لمطالب المهاجمين وهي:

— تعويض بني إبراهيم عن مصاريف الحملة كاملة

— دفع ربع المداخل لبني إبراهيم

— أن لا يطالب الميزابيون بدّيات قتلاهم

وتحتم على بني إبراهيم دفع الهدايا التي وعدوا بها شيخ انقوسة وسلطان تقرت بعد أن تركت المدينة لنهب رجال بني جلاب الذين عادوا إلى انقوسة ليحتفلوا بالنصر المبين.¹

ثانيا - الحالة الاقتصادية:

أ- الزراعة : لقد ذكرت المصادر التاريخية أن الحياة الاقتصادية بورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي قد غلب عليها الطابع التجاري، وهذا طبعاً دون إهمال الجانب الزراعي وبعض الصناعات المحلية التي كانت ضمن الأعمال اليومية لسكان المنطقة، واهم ما يميز المجتمع الورقلي في هذه الفترة زراعة النخيل وزراعة بعض المنتجات المحلية المعاشية التي يخصصها الفلاح للاستهلاك العائلي، أو بيعها في أسواقه المحلية، وهذا ما أكدده صاحب

¹ J . lethiellux ,Op . Cit ,p194

غصن البان: " وكانت حرفتهم الفلاحة بأنواعها"¹، وهي زراعة محلية ذات مردود ضعيف من الناحية الاقتصادية، وقد كان اغلب سكان المنطقة يزرعون هذه المزروعات في مساكنهم وذلك في "ضيعات صغيرة"، كما كان الفلاح ينوع في مزروعاته حسب كل فصل من فصول السنة. ولاشك أن الاهتمام الأكبر للفلاح الورقلي هو النخلة باعتبارها الدعامة الأساسية للاقتصاد المحلي، وذلك لما توفره من إنتاج تجاري كبيع التمور وإنتاج صناعي كاستغلال مكونات النخلة (سعف الجريد، اللّيف، الكرناف، الجذوع) للصناعات المحلية.

هذا بالإضافة إلى توفر المياه الجوفية والآبار الارتوازية بالمنطقة، وأيضا إلى الإمكانيات البسيطة التي تحتاجها النخلة سواء من ناحية علفها بالأسمدة، أو تلقيحها "بالدّكار"²، أو سهولة جني ثمرها، إلى أن جاء الفرنسيون وطوروا زراعتها في أشكال هندسية، وادخلوا عليها تقنيات حديثة في صيانتها، سواء من جانب تقليصها أو معالجتها من الأمراض بالمواد الكيماوية، مما زاد من نوعية وكمية إنتاج التمور وخاصة نوع "الدقلة نور" التي أصبحت تصدر إلى فرنسا.

وحسب الفريد لوشوتلي³ *A.Le Chatelier* فقد قدر نسبة توزيع أشجار النخيل في هذه الفترة إلى 40% يملكها الإبااضيون، و40% يملكها العرب البدو، ولم يبق للسكان الأصليين سوى 20% بعدما كانوا يملكون معظم نخيل المنطقة. زيادة إلى اهتمام الفلاح

¹ أعزام، المصدر السابق، ص 87.

² عبارة عن مجموعة ألياف ممزوجة ببذرة بيضاء على شكل دقيق، تلقح بها النخلة لنتيج ثمارا.

³ الفريد لوشاتليه *A.Le Chatelier* من مواليد 1855م ببباريس، اهتم بالحركة العسكرية منذ صغره، حيث درس في المدرسة العسكرية سان سير، وتخرج منها برتبة عقيد، تقلد عدة مسؤوليات عسكرية في عدة مناطق من الوطن منها: بوسعادة، ورقلة، غرداية، كما اهتم أيضا بالاستكشاف العلمي في الصحراء الجزائرية، حيث رافق بعثة العقيد فلاترس، وفي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين اهتم بالدراسات الإسلامية والدراسات الاجتماعية، إذ أصبح أستاذا في (الكوليج دي فرانس)، وأسس البعثة المغربية بعد الاحتلال الفرنسي للمغرب، وأسس أيضا "مجلة العالم الإسلامي". ينظر: : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ج6، المرجع السابق ، ص ص74- 75.

الورقلي بزراعة القطن الأحمر من النوع السوداني خاصة في منطقة نقوسة، وقد كان يستغل هذا المحصول الزراعي في نسيج حايك نساء المنطقة.¹

وعلى الرغم من الاهتمام الكبير بزراعة النخيل إلا أن هذه الزراعة ضعفت وتدهورت وانخفض محصولها، وذلك بسبب القطع والإهمال، وأصدق مثال على ذلك ما كان يفعله شيخ نقوسة الغالي بن بابية ضد سلطنة ورقلة، حيث كان يعتمد إلى قطع نخيلها ويتعرض لقوافلها المتوجهة نحو منطقة وادي ميزاب، ولم ينتهي من ذلك إلا بعد حصوله على الإتاوات². زيادة على ذلك موت الكثير من النخيل نتيجة إهمال مصادر المياه وعدم صيانتها، وذلك بسبب الاضطرابات والفتن والتخريب الذي أصاب المنطقة، وتحول عدد كبير من فلاحي المنطقة إلى مهنة الرعي، وقد استمر هذا الوضع إلى غاية استقرار الفرنسيين بالمنطقة سنة 1882م.

ب - التجارة : عُرفت ورقلة خلال الفترة الإسلامية والعثمانية أنها نقطة وصل ذات أهمية بين بلاد السودان وبلدان المغرب ، وبالتالي فقد كانت محط رحال لكثير من القوافل التجارية الوافدة من كل جهة، زيادة على ذلك كانت سوقا للتواصل الاجتماعي بين مختلف البلدان، خاصة لما كانت تمثل هذه الأسواق من أهمية اقتصادية كونها نقطة تصريف وتأمين المنتجات ومختلف الاحتياجات.³

وعلى ما يبدو لنا أن ورقلة بواسطة موقعها الجغرافي، قد استطاعت أن تكتسي أهمية بالغة تظهر لنا من حين لآخر ما يربط بجانب من القوة التي استمدتها المدينة في تأكيدها قدرتها على إدارة شؤونها وتأمين احتياجاتها، بل أن تكون على مستوى من القدرة، على

¹ V.Largeau, Op.Cit, p59

² عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر (دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)، الجزائر، دار هومة، 2004، ص93

³ الوزان ، المصدر السابق ، ص 136، ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 83-85

لعب أدوار بارزة تتصل بمصدر الحيوية والحركة الاقتصادية لعدد من الكيانات السياسية ذات الصلة بها، كما أن الحراك التجاري بين بلدان المغرب وبلاد السودان أعطى لسكان ورقلة خبرة في الممارسة التجارية خاصة في ظل العلاقات التجارية المميزة القائمة على كون ورقلة بوابة رئيسية للتجارة مع بلاد السودان، لكن قوة هذا النشاط التجاري سمح بوجود عناصر خارجية خاصة التجار الوافدين من قسنطينة، والذين ربما شكلوا أحد أهم حلقات التواصل والحراك التجاري على مستوى ورقلة وعلاقتها الخارجية. زيادة على هذا أن الحركة التجارية جعلت من ورقلة كيانا سياسيا قائما بذاته له خصوصياته، حيث امتلكت بفضل التجارة الرائجة مع بلاد السودان عناصر القوة والمنعة، ولربما أصبحت مصدرا للخطر الذي يتهدد الكثير من القوى السياسية الكائنة آنذاك كإمارة بني جلاب، ومشايخ نقوسة. ولعل هذا كان من الدوافع التي أوغرت صدور أسرة بني بابية بنقوسة للقضاء على سلطنة ورقلة.

ولاشك أن الطرق التجارية الصحراوية هي التي أعطت هذه المكانة الاقتصادية لورقلة، خاصة الطريق الرئيسي الذي يعرف بطريق الواحات والقصور، حيث ينطلق من تافلات نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غات وتماسين والقلعة والاغواط والزيان. بالإضافة إلى طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الذي سبق ذكره، وهو طريق الذهب الذي كان يمر على ورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب بالمدن الرئيسية بممالك السودان كغدامس وكانوا، وتمبكتوا، زيادة على ذلك فقد لعبت رحلات وتنقلات القبائل البدوية دورا كبيرا في تطور حركة التبادل التجاري، وذلك من خلال توفر بعض البضائع، وتنوع السلع، وظهور ورقلة كمركز تجاري يستقطب نشاط المناطق الصحراوية الأخرى.

وفيما يخص حركة الصادرات والواردات، فإن ورقلة كان في مقدمة صادراتها ومنتجاتها: التمور بكل أنواعه، والملح، وفواكه الأشجار المثمرة بكل أنواعها مثل الرمان والتين والمشمش، إلى جانب علف الحيوانات، والشعير، والبشنة، وأيضا الخضر كالجزر والقرعة والبصل والثوم، وبعض الصناعات كالمنسوجات...، بينما كانت ورقلة تستقدم

مختلف السلع والمنتجات لتنقلها فيما بعد إلى مختلف الاتجاهات، إذ كانت تنقل العبيد، وصفائح النحاس، وقطع الحديد، وأدوات مصنعة مثل: الإبر، براغي، بذور، فلفل اسود، أنياب الفيلة، جلود الحمير الوحشية، الجلود المطرزة.¹ واهم المناطق التجارية التي كانت تتعامل معها ورقلة نجد منطقة غدامس، ومنطقة بلاد التوارق (الطوارق)، ومنطقة تونس، أما العملة التي كانت متداولة في الأسواق آنذاك هي البوجو، والدور الاسبانية، والفرنك.²

غير أن هذا الازدهار التجاري سرعان ما انطفأ ضوءه في أواخر العهد العثماني وبخاصة قبيل الاحتلال الفرنسي لورقلة، فقد ضعف الحراك التجاري، الأمر الذي جعل التبادل التجاري لا يتجاوز نطاق العشائر البدوية المحلية، واختفت معظم منتجات السودان من الأسواق، وهذا طبعاً راجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

- تحول المسالك التجارية عن منطقة ورقلة، وفقدان هذه الأهمية لطريق الذهب، وظهور طريق بحري جديد لنقل الذهب من خليج غينيا إلى البرتغال، زيادة على ظهور طريق صحراوي آخر من السودان إلى مصر.
- تراجع اهتمام السلطة العثمانية بالطرق الصحراوية التجارية، وعملية التبادل التجاري بها، وتحول اهتمامها إلى البحر الأبيض المتوسط.
- انتشار قطاع الطرق الذي أدى إلى تراجع عدد القوافل التجارية بورقلة، حيث أصبحت هذه الطرق غير آمنة تسيطر عليها العصابات البدوية التي تتربص بالقوافل العابرة إلى ورقلة.
- كثرة الفتن والاضطرابات التي عرفتتها بعض أقاليم السودان، واستحكام العداء بين حكام سلطنة ورقلة وبعض العشائر البدوية.

ج - الصناعة: لقد كان انتعاش الزراعة في ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي دور كبير في تفعيل حركة التصنيع، ولعل جذور هذه الحركة التصنيعية يمكن إرجاعها إلى العهد القديم،

¹ J.Lethelleux, Op ,Cit ,p166.

² Daumas , Op.Cit , p 86

حينما ارتبطت باكتشاف علماء الآثار بالقرب من ورقلة على بيض النعام، وهي مادة صالحة لتصنيع عدة أدوات خاصة بالحياة المعيشية للإنسان. والمتبع لوتيرة حركة التصنيع بورقلة عبر العصور سيلاحظ أن التصنيع عرف تطورا تدريجيا في آليات التصنيع، وعلى الخصوص في العهد العثماني ، لكون أن هذه الفترة شهدت علاقات تجارية بين ورقلة والسودان الغربي، حيث أمدت هذه الأخيرة في إطار التبادل التجاري العديد من المواد الأولية خاصة بالصناعة مثل: الذهب الخام، ريش النعام، الجلود بأنواعها، إضافة إلى اليد العاملة الممثلة في العبيد.

وسبق القول إن النشاط الأول في ورقلة يتمثل في الزراعة، وعليه نجد معظم الأدوات المستعملة في الزراعة تؤكد لنا على وجود نوع من النشاط الصناعي لتوفير بعض الحاجيات مثل " الدلاء والقلل" وغيرها من الأوعية ، وهي منتجات تقليدية الصنع، إذ يعتمد في صناعتها على ما توفره الحيوانات من جلود، وما توفره التربة من مواد طينية. وعلى الرغم من طابع البساطة الذي عرفته الصناعة الورقلية، وفرضته الحاجة وطورته تجارب الورقلين، إلا أن الصناعة بلغت مستوى لا بأس به من التطور، بل وتعدت الحدود الجغرافية لورقلة لتصل إلى أماكن بعيدة، فضلا عن الدور الفعال لهذه المصنوعات في المجتمع المحلي، إذ انتشرت محلات الحدادين والنجارين والحياطين، وكذا شركات صناعة الأسلحة و الأحذية، بالإضافة إلى صناعة الحلي التي اشتهر بها اليهود المستقرين بورقلة¹، غير انه ما يلفت انتباهنا هو اهتمام الورقلين بصناعة الأسلحة، والتي لم نرى لها أية إشارة في التبادلات التجارية بين البلدان المجاورة لورقلة، ويبدو لنا أن تعرض ورقلة لكثير من الحملات التأديبية العثمانية، واعتداءات بعض القبائل المعارضة لسلطنة ورقلة دفع هذه الأخيرة إلى الاهتمام بصناعة السلاح لتأمين أراضيها والتصدي للأخطار الخارجية، وهذا من شأنه الإفادة بوجود الحديد بورقلة أو قريبا منها، وانتشار استعمالاته، ولا يبدو ذلك مستبعدا في ظل استجلاب أهل ورقلة التبر الذي يضربونه

¹ Daumas , Op.Cit , p 86

في بلادهم مما يمنحهم الخبرة في تطويع المعادن التي رغم اختلاف طبيعتها تشترك في الحاجة الماسة إليها.

ومن أهم ركائز الصناعة الورقالية نجد النخلة ووبر وصوف مختلف الحيوانات، فالنخلة تعتبر العمود الفقري لمعيشة الفرد الورقالي، إذ هي مصدر قوته، فهو يصنع من مكوناتها مختلف المصنوعات، فمن سعفها يصنع مختلف الأوعية الحاملة للرمل مثل "الزنبيل والقفة"، والحاملة للماء مثل "القنية"، و"المظلة" الواقية من أشعة الشمس الحارة، كما يصنع بعض الأواني المنزلية مثل "الطبق، المشرد". كما يتم استعمال الليف في صناعة الحبال ذات الأنواع المختلفة، والدروع لاستخدامها في عملية الحمل، زيادة على استخدام جذوع النخيل في بناء المنازل كأعمدة تحمي سقف المنزل من السقوط، وفيما يخص ووبر وصوف الحيوانات فقد ظهرت الصناعة النسيجية والمتمثلة في صناعة الزرابي، والحوالي، والبرانيس والقشاشب، هذا بالإضافة إلى بعض الصناعات الجلدية مثل: الأحذية، والقرب¹ والركوة²، والعمورة³ وغيرها.

ثالثاً – الحالة الاجتماعية:

إذا كانت الحياة الاقتصادية قد عرفت ركوداً وانكماشاً، فقد انعكس ذلك حتماً على الحياة الاجتماعية في ورقلة، وذلك من خلال الصراعات القبلية⁴ بين مختلف التشكيلات الاجتماعية الورقالية حول مواطن الكلاء والرعي والزراعة، ومنابع المياه، والتي أدت إلى

¹ القرب : مفردا قرية ،وهي مزود من جلد الماعز أو الإبل تستعمل لحمل الماء وحفظه وتبريده في فصل الصيف

² الركوة: هي علبة مصنوعة من جلد الماعز

³ العمورة :وهي دلو مفتوح الفم مقام على عود مستدير

⁴ لقد جاءت هذه الصراعات في السياق العام للصراعات القبلية التي عرفتها المناطق الصحراوية في أواخر العهد العثماني، فنجد في الجنوب القسنطيني بالصحراء كانت هناك ثلاث أسر تتقاسم النفوذ بهذه المنطقة وامتد تأثيرها إلى غاية الجنوب الشرقي، وكانت كل أسرة تعمل على النيل من الأسرة المعادية، فقد كانت أسرة بن قانة ضد أسرة بوعكاز بمنطقة الزيبان، وبين شيوخ تقرت وشيوخ تماسين، والبوازيد ضد أولاد نايل. وقبيلة طرود ضد قبيلة عدوان بوادي سوف، حتى أن الطرق الصوفية التي كانت منتشرة بالمنطقة لم تسلم من هذه الصراعات. للمزيد

ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 11-12

نتائج عكسية كانت لصالح السلطة العثمانية والسلطة الاستعمارية الفرنسية فيما بعد. واهم نتائج هذه الصراعات تشكل أحلاف قبلية برزت في شكل صفيين وهما:

– الصف الغربي: الذي يضم قبائل الشعانية والمخادمة وبنو ثور، ويساندهم بنو سيسن المستقرين بقصر ورقلة.

– الصف الشرقي: ويضم قبيلة سعيد عتبة وأحلافهم من بنو وقين (بنو وجين).

أما فيما يخص سكان بني ابراهيم فقد التزموا الحياد، ولم تكن مساندتهم لأحد الصفيين السالفين الذكر إلا إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك، وحسب ما تقتضيه مصالحهم السياسية والاقتصادية. ونتيجة لهذا الانشقاق في الصفوف، وكثرة الحروب، فقد تقلص عدد السكان سنة 1842م إلى 9600 نسمة بعدما وصل سنة 1839م إلى أكثر من 26000 نسمة، كما لا نكاد نجد اختلافا كبيرا بين سنتي 1839م و1882م، وترجع أسباب تقلص عدد السكان إلى كثرة عدد الوفيات نتيجة الحروب من جهة، وإلى هجرة بعض الورقليين إلى مناطق التل الجزائري، وتونس من جهة أخرى التي استمرت إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، فحسب دوني بيلي *Denys Pillet* قد هاجر حوالي 1500 من قصر ورقلة، و80 من قرية الشط، و14 من قرية لعجاجة، و5 من قرية سيد خويلد، ولقد استقر هؤلاء المهاجرين في القسم الجنوبي لمدينة تونس، ولفقرهم فقد اشتغلوا كخدام في البيوت والحمامات والمقاهي.¹ وأصدق مثال على ذلك الرسالة التي بعث بها أحمد بن الحاج الورقلي إلى الوزير الأكبر بتونس مصطفى الكعاك، يطلب رخصة إعادة فتح مقهى كان يعمل فيه بعض الورقليين بعدما تم غلقها، ولأهمية هذه الرسالة نذكر نصها فيما يلي :

« وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

جناب الصدر الهمام العماد الأفخم أمير الأمراء سيدي مصطفى الكعاك المولى الوزير الأكبر أيده الله. أما بعد السلام الألف برفيع المقام. فالمعروض على السيادة انه توجد بالحاضرة بزقة الورقلية عدد خمسة من نهج سوف لفة دار تعرف بدار الورقلية يسكنها

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 22.

فقراء الورقلية، وكانت بها مقهى برخصة رسمية، ثم وقع سحب الرخصة المذكورة من طرف السلطة ذات النظر منذ اثني عشر عاما تقريبا، وغلق القهوة المذكورة، وحيث أن ذلك مضر بالسكان القاطنين بالدار المذكورة، إذ هم بعدما كانوا يجتمعون هناك لتناول القهوة والشاي وقضاء أوقات الفراغ. أصبحوا مضطرين للتفرق بأماكن مختلفة، فلمرغوب صدور الإذن لإدارة مصالح الأمير بتجديد الرخصة المشار إليها باسمي، وبذلك يمكن لي الحصول على كمية من القهوة والتاي لاستهلاك ساكني الدار المذكورة. ولجنابكم أتم الشكر والامتنان مع مراسيم التعظيم والإجلال. من صاحب المطلب احمد بن الحاج بن محمد باش شاوش بالقسم الأول من الوزارة الكبرى. وكتب في 15 مارس 1948م.

احمد بن الحاج».¹

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن قبيلة سعيد عتبة كانت من أقوى القبائل من ناحية القوة ، وهذا راجع إلى تفوق إمكانياتها الدفاعية مقارنة بالقبائل البدوية الأخرى، حيث قدر عدد قواتها بـ 100 جواد، و500 بندقية.² زيادة على ذلك تمتين أواصر تحالفها مع قبيلتي الأربع والحرازة بجنوب التيطري، ومناصرة سلاطين ورقلة ضد أعدائهم. ولم تخف حدة هذه الصراعات إلا بعد استقرار النهائي للفرنسيين بالمنطقة عام 1882م، بعدما أصبح الخطر واحد يهدد كل القبائل المشكلة للمجتمع الورقلي.

وفيما يخص التطور السكاني لسكان ورقلة في هذه الفترة فهو يفتقد إلى إحصائيات بسبب غياب السلطة الفعلية التي تهتم بهذا الجانب، وقد بدأت تظهر أولى هذه الإحصائيات إلا بعدما أصبحت ورقلة في اهتمامات المستكشفين الأوروبيين والفرنسيين بداية من العقد الثالث من القرن التاسع عشر، وهذا بهدف دراسة ومعرفة طبيعة السكان وتحديد إمكانياتهم وقدراتهم الحربية، زيادة على مراقبة تحركات القبائل البدوية قصد توظيفها لخدمة السياسة الاستعمارية في المنطقة، ولا نكاد نجد إحصائيات للسكان إلا في

¹ A.N.T .B 278.Document 73 N°42

² Daumas , Op.Cit , pp82-83

مصدرين هامين، أولهما: تقرير فرنسي يعود إلى سنة 1839م، والذي حدد عدد السكان بـ 26.200 نسمة، منهم 12000 بدو رحل، و14200 مستقرون في سبعة قرى تحت سلطة ثلاثة قبائل أساسية وهم بني سيسين، وبني وقين، وبني ابراهيم¹. والثاني تقرير فرنسي آخر يعود إلى سنة 1842م، إذ حدد عدد السكان بحوالي 9600 فرد، منهم 3200 رجل قادر على حمل السلاح.²

أما فيما يخص مظاهر الحياة السكانية في المجتمع الورقلي من خلال نمط حياتهم فقد اتسمت بمظهرين وهما :

- **البدو الرحل:** وهم الذين استقروا على هوامش وحواف قصر ورقلة وقراها في فترات مختلفة، وكانت دوافع تنقلاتهم وأسفارهم بحثا عن المأوى الملائم للسكن والاستقرار، وبحثا عن الكلاء والمراعي لمواشيهم، وتصريف منتجاتهم المحلية، ومساندة حكام المنطقة عند الضرورة، وغالبا ما تكون تنقلاتهم إلى وادي ميزاب شتاءً لبيع منتجاتهم من التمور، الزبدة، والمنسوجات الصوفية، وخلال بداية فصل الربيع يتجهون نحو تاجرونة، وفي نهاية الفصل ينتقلون إلى الشمال الغربي لإقليم وهران، ومع حلول فصل الخريف يعودون إلى ورقلة لجني محصول التمور، باستثناء قبائل الشعانية الذي لايتوجهون إلى مناطق الشمال. وقد استقرت أولى القبائل البدوية في ورقلة منذ القرن الثاني عشر الميلادي (12م)، وهما قبيلتي المخادمة و بني ثور، ثم التحقت القبائل الأخرى على فترات مختلفة، مثل قبيلة سعيد عتبة خلال القرن الثالث عشر الميلادي (13م)، ثم قبيلة الشعانية خلال القرن السادس عشر الميلادي (16م)، وكل هذه القبائل تتكون من عدة أعراش سبق وان ذكرناها سالفاً، كما تجدر الإشارة إلى أن البدو الرحل كوّنوا علاقات اجتماعية مع السكان المستقرين داخل القصر في إطار المصالح المتبادلة بين الطرفين، فعلى هذا النحو ارتبطت قبيلة سعيد عتبة بسكان بني واقين، وقبيلة المخادمة بسكان بني سيسين.³

¹ Rapport..., A.M.G,H227, Op.Cit.

² بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص288.

³ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص87

- الحضر المستقرون: هم الساكنين داخل قصور ورقلة وضواحيها، خاصة قصري نقوسة وورقلة، ويعتبر هذا الأخير المركز العمراني الرئيسي لورقلة، ومن حوله تمّ التوسع في اتجاهات مختلفة، ويتوزع هؤلاء الحضر على ثلاثة أحياء أساسية تتخللها طرق ومسالك وأزقة ملتوية تؤدي إلى سبعة أبواب، وهي في وسط خط من النخل¹، ويسكن هذه الأحياء شمالا بني سيسين وعددهم 1000 رجل قادر على حمل السلاح، وشرقا بني إبراهيم وعددهم 800 رجل قادر على حمل السلاح، وغربا بني واقين وعددهم 1400 رجل قادر على حمل السلاح²، وقد حددت المصادر التاريخية عدد الديار الموجودة داخل القصر بستمائة دار، بالإضافة إلى ثلاثة مساجد، منها واحد للمالكية والثاني للإباضية³. وفيما يخص قصر نقوسة فيضم حيا واحدا يسكن فيه الحضر وعددهم الإجمالي 2400 نسمة منهم 780 رجل قادر على حمل السلاح⁴.

كما تضاربت الآراء واختلفت الإحصائيات حول عدد الديار الموجودة داخل قصر انقوسة، فقد نجد تروميلي *Trumelet* يذكر 138 دار⁵، وأشار فكتور لارجو *V.Largeau* في رحلته إلى 151 دار⁶، بينما حصرها دوماس *Daumas* ما بين 150 إلى 200 دار⁷، بالإضافة إلى وجود مسجدين وقصبة⁸، بينما تقرير فرنسي يذكر وجود خمسة مساجد ومدارس قرآنية لتحفيظ القرآن⁹.

ومن خصائص سلوكيات الفرد الورقلي يذكر صاحب غصن البان: " حالة الورجلاني (الورقلي) من المعيشة واللباس في غاية البساطة...ويقتصر الواحد منهم على الأكلة الواحدة في النهار، وتجده يتصدق ويتبرع.. ويزور أقاربه وأرحامه، ويصلهم

¹ العياشي، المصدر السابق، ص 47

² بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 288

³ Daumas , Op.Cit , pp 72-80

⁴ بن يوسف تلمساني، المرجع نفسه، ص 290

⁵ Trumelet , Op.Cit , p499

⁶ V.Largeau,op.Cit.p

⁷ Daumas , Op.Cit , p88

⁸ Trumelet , Op.Cit , p499

⁹ بن يوسف تلمساني، المرجع نفسه، ص 290

بالعطاء خصوصا في أيام المواسم تراهم بين غادٍ ورايح في الأزقة والشوارع والقرى
المجاورة للمدينة...".¹

رابعاً – الحالة الثقافية والدينية :

أ- الحالة الثقافية : رغم وجود الكثير من المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ ورقلة من عدة جوانب، إلا أن ما يعاب عنها أنها لم تتطرق إلى الواقع الثقافي والفكري وحتى الديني خلال الفترة العثمانية، وكل ما جاء في هذه المصادر لا يعد أن يكون مجرد إشارات بسيطة جاءت في السياق العام للأحداث. ومن المتعارف عليه تاريخيا، أن ورقلة شهدت حركة علمية مند العهد الإسلامي ، حيث كان « الدّين قائم والعلم والعدل منتشر.. فلا تجدهم إلا بين طالب علم ومعلم..»². ولعل ما استفادت به المنطقة كمركز تجاري وما رافقه من ازدهار عمراني، قد جعل منها مناخا ملائما للحركة العلمية خاصة في ظل انتشار المذهب الإباضي بها.زيادة على ذلك أن التواصل الذي تم مع بلاد المشرق العربي، كان عاملا مهما أسهم في إثراء الحياة الثقافية بعموم بلاد المغرب الإسلامي.

وحسب ما يبدو لنا فإن منطقة ورقلة في أواخر العهد العثماني لا تختلف عن بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فلقد كانت الأسرة والزاوية والمسجد مصدر الثقافة الاجتماعية، ولا شك أن التعليم القرآني التقليدي سيكون البارز على الساحة الثقافية، وذلك لبساطه طرق تدريسه، وتوفر مؤدبيه لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وحسب كتب الرحالة فلا تكاد تخلو أية قرية من مدرسة قرآنية تابعة للمسجد، فعلى مستوى قصر ورقلة فقد احتوى على عدة مدارس لتحفظ القرآن تابعة للجامعين المالكى والإباضي، أضف إلى ذلك، فقد احتوت قرية سيدي خويلد على مدرسة قرآنية تعمل على تحفيظ القرآن وتعليم علوم الدين، وكان يزاول بها الدراسة حوالي 30 طالبا.³

¹ أعزام، المصدر السابق، 87.

² المصدر نفسه، ص 25 .

³ بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص292

كما يبدو لنا أيضا أن أهل ورقلة كانوا مهتمين بالمطالعة وجمع المخطوطات ، خاصة وان بعض المساجد كانت لها مكتبات خاصة، وهذا ما كده العياشي في رحلته : " ثم لقيت إمام المسجد بعد ذلك وأدخلني إلى منزله واحضر لي ما عنده من الكتب، فإذا عنده أجزاء من الموطأ، ومن البخاري، ومن الأكمل وبعض شراح المختصر والرسالة..¹، وفي موضع آخر يقول : " ولما كانت آخر أيام الإقامة سالت صاحبنا إمام المسجد هل في البلد شيء من خزائن الكتب، فاخبرني إن عند الأمير خزانة من الكتب، وأنه لا يمنع من أراد الدخول إليها..فأدخلني إلى كتبه فإذا عنده نحو من أربعين سفرا من جملتها التوضيح والتتائي..²."

وزيادة على ذلك فالثقافة الشعبية لم تنحصر في التعليم القرآني والقراءة من خزائن الكتب، فقد كان للشعر والقصص الشعبي دور كبير في التنوير والترفيه، غير انه لم يصلنا شيء من هذه الثقافة.

ب - الحالة الدينية : لقد كان الاختلاف المذهبي سائد وسيد الموقف في هذه الفترة، خاصة بين المذهب المالكي والمذهب الإباضي، وطبيعة هذا الاختلال يعود إلى عهد الدولة الرستمية بالمنطقة، ولقد ظل هذا الاختلاف سائد إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي، بل واستغلته السلطة الاستعمارية في ضرب الصفوف لتطبيق سياسة فرق تسد، وما يترجم حدة هذا الاختلاف.

كما أن من خصائص سلوكيات الفرد الورقلي الدينية، انه كان حريصا على دينه، وهذا ما أكدده صاحب غصن البان : "ولا رغبة لهم في الدنيا وحطامها إلا بما يسد رمقهم مرجحين كفة الآخرة على كفة الدنيا جاعلين نصب أعينهم قول الله تعالى مخاطبا الدنيا: من خدمني فاخدمه، ومن خدمك فخدمه مرتين..³. ويضيف أيضا قائلا : " أما

¹ العياشي ، المصدر السابق ، ص46

² المصدر نفسه ، ص47

³ أعزام ، المصدر السابق، ص87

من جهة الديانة والعضّ عليها بالنواجذ فهو في غاية الصلابة، ويرتاح خاطره لتنفيذ جميع مهماته الدنيوية، ولا يرضى بمساس في دينه، ومما يؤثر عنهم يقولونه لسلطينهم¹.

كما كان للأولياء الصالحين مكانة هامة في حياة الورقليين ، بطبيعة الحال فالولي الصالح هو كل رجل غلبت على طبعه علامات التقوى والورع وكل الصفات الحميدة المنبثقة من الشريعة الإسلامية، ونتيجة لهذه الصفات يصبح هذا الولي مقصدا للتبرك به وطلب الدعاء لهم بالصلاح، فيقبلون يديه ويتمسحون بملابسه، وإذا مات هذا الولي اتخذوا من مكان وافته أو رباطه الديني ضريحاً داخل قبة بيضاء ، ويصير قبره مزاراً تشد إليه الرحال من طرف أهالي المنطقة في الأعراس وفي الأعياد والمناسبات الدينية قصد ابتغاء الوسيلة وطلب التبرك، ولقد غلب على هذه الزيارات طول الزمن بعض الخرافات والبدع ما انزل الله بها من سلطان، وقد ذكر ليتيليو *Lethelleux* أن أي زائر لمدينة ورقلة فانه يصطدم في شوارعها بعدة قباب ملونة بالجير الأبيض، تعرف باسم "الولي"، هذا بالإضافة إذا دخل الزائر في عمق شوارعها فسوف يلاحظ بيوت صغيرة محفورة في الجدران تعرف باسم "بالمرباط"، والبعض الآخر في قباب، حيث يشعل فيها الشموع والبخور، وفي بعض الحالات تقدم الذبائح والقرايين.² وترى النساء يقبلون عليها صباحاً ومساءً يتلمسناها بأيديهن، ويخاطبونها باسم "سيدي مرباط فلان".

ومن الزيارات المشهورة حسب ما ذكره صاحب غصن البان : "الزيارة السنوية لمقام سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتواجد بناحية بني سيسين، وذلك انه في كل عام في فصل الصيف يقع الاتفاق بين أعراس بيني سيسن بإبلاغ كافة قرى ورقلة بتحديد موعد الزيارة، وعادة يكون يوم الخميس، حيث يجتمع عند المقام جميع شرائح المجتمع الورقلي بين نساء ورجال، وهم في أحلى أهلة وزينة ، جماعات جماعات، فأصحاب الدفوف بدفوفهم، وأصحاب الطبول بطبولهم ومزاميرهم، وأصحاب المديح بمدحهم وأصحاب

¹ المصدر نفسه ، ص 87

² J. Lethelleux, Op.Cit, p 101

الخليل بفرساتهم، والشبان بألعابهم البارودية، وبعد ساعة يوزعون الصدقات ثم يرجعون إلى البلد على ذلك النظام والمهرجان ويتفرقون، وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه تتجدد الألعاب البارودية أمام القصبة".¹ لكن صاحب غصن البان عرض مثل هذه الزيات لكونها تخالف الشريعة الإسلامية في كثير من الأمور، ومنها على سبيل المثال أن الزائرون عند وصولهم إلى المقام يطفون حوله سبع مرات مثلما يفعل الحجاج بمكة المكرمة.²

هذا بالإضافة إلى زيارات أخرى مشهورة، مثل زيارة سيدي مبارك بن حليلة بناحية بني براهيم، وزيارة سيدي عبد الرحمان أيوب بن جرار بناحية بني وقين³، وزيارة سيدي سلمان بقرية الشط، وزيارة سيدي بن ساسي بالرويسات.

وزيادة على زيارة الأولياء الصالحين، فقد كانت أيضا هناك زيارة المقابر، وذلك انه بعد صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى يخرج المصلون أفواجا لزيارة المقابر ابتداءً من مقبرة أبي سهل والشيخ باسة، ثم مقبرة أولاد بابشة، ثم مقبرة أولاد أبي معقل، ثم مقبرة أولاد عبد العزيز، ختاماً بمقبرة الشيخ الحاج احمد، بحيث يقرؤون القرآن ويوزعون الصدقات ويدعون الله بما تيسر، ثم يفترقون للذهاب إلى الأقارب والأحباب، وزيارة بعض المرضى المقعدين⁴، ولا زالت مثل هذه الزيارات قائمة في وقتنا الحالي.

ومن المظاهر الدينية أيضا التي سادت المجتمع الورقلي آنذاك الاعتقاد بالغيب، وذلك أن الخوف الشديد من القوى الغيبية جعلتهم يصدقون كل شيء يملى عليهم وذلك حماية

¹ أعزام، المصدر السابق، ص ص: 105-106

² المصدر نفسه، ص ص: 105-106

³ يتواجد ضريح هذا الولي داخل مسجد عليه قبة ضخمة البناء، والمسجد يحتوي على حوش صغير ومحراب واسطوانات، هذا بالإضافة إلى أن الاتفاق على الزيارة يقع باجتماع أعيان عرش بني وقين على أن يكون يوم الأحد موعد الزيارة كما جرت العادة، وذلك بعدما يجمعون الصدقات من أبناء الاعراش ويشتركون جملاً يذبح قربانا لله في صباح يوم الأحد، ويوزع لحمه في المساء حين يلتقي جمع من الطلبة لقراءة ما تيسر من القرآن، وهذا بدون حضور النساء كما جرت العادة عند بعض الزيارات الأخرى.

⁴ أعزام، المصدر نفسه، ص 155

لأنفسهم وأهلهم وبلدهم من الخراب، ومن اعتقادهم الغيبية، أن روحا جنية تصيب بعض العائلات الغنية بورقلة إذا لم تتصدق، وتقتل أبناءها الصغار، وكانت لديهم مقبرة خاصة تسمى مقبرة " بركة المنسية" بباب عزي.¹ وتجنبنا لهذه اللعنة أصبحت هذه العائلات ترسل المولود الجديد إلى عائلة سوداء فتعمل على تربيته وتدرسه، اعتقادا منهم أن هذه الروح الجنية لا تصيب السود. هذا بالإضافة إلى اعتقاد آخر وهو أن أضرحة الأولياء الصالحين تضر وتنفع، خاصة إذا تعدى احد على ما يترك لهذه الأضرحة من هدايا وأموال وصدقات وذبائح، فتحل عليه لعنة الضريح في ماله ونفسه وفي أولاده.²

المبحث الثاني: الغزو الفرنسي لمنطقة ورقلة

أولاً- دوافع الغزو الفرنسي :

لا شك أن سقوط واحة الزعاطشة سنة 1849م في يد القوات الفرنسية بمنطقة الزيبان ، زاد من شهية السلطة الاستعمارية للتوسع نحو مناطق الجنوب الجزائري التي لازالت لم تخضع للفرنسيين، وهذا لتحقيق عدة أهداف إستراتيجية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، ولعل الحديث عن الدوافع الحقيقة لاحتلال ورقلة لا يخرج عن نطاق دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، إلا أننا سنحاول جمع وحصر أهم الدوافع الخاصة باحتلال ورقلة وضواحيها في النقاط التالية:

1- دور الدراسات العلمية الفرنسية المنشورة والمخطوطات العربية للرحالة المسلمين والمترجمة إلى الفرنسية، والتي اهتمت باكتشاف الصحراء الجزائرية، شجع السلطة الاستعمارية على الإسراع في احتلال الواحات الصحراوية، واهم هذه الدراسات نجد " الصحراء الجزائرية" ليوجين دوماس *Daumas* التي نشرها سنة 1845م بطلب من المارشال بيجو، وهذه الدراسة عبارة عن خلاصة الدراسات المتبعة خلال أكثر من عشر سنوات من طرف المديرية المركزية للشؤون العربية، بالإضافة إلى مجموعة حوارات وشهادات لأكثر من مائتين شخص(200) من السكان الأصليين للصحراء الجزائرية،

¹ J. Lethelleux, Op.Cit, p 101

² أعزام، المصدر السابق، ص 88

زيادة على ذلك قام بيربروجر سنة 1846م بترجمة مخطوطي "رحلة العياشي" خلال القرن السابع عشر الميلادي (17م)، ورحلة مولاي احمد خلال القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، اللذين سافر من المغرب إلى ليبيا عن طريق الواحات الصحراوية الجنوبية، مع الاستفادة العلمية والاقتصادية والجغرافية في نفس الوقت من المسافرين القادمين من الجنوب الشرقي نحو الشمال في إطار التجارة، بل وطالب بعض الرحالة الفرنسيين بإنشاء مدرسة تطبيقية للمستكشفين المحليين.¹

2- يبدو لي أن ظهور شخصية المارشال راندون *Randon* على الساحة السياسية والعسكرية كحاكم عام بالجزائر (1851-1858م)، كان احد الأسباب القوية التي عجلت باحتلال ورقلة، هذه الشخصية التي كانت تؤمن بفكرة الاختراق الصحراوي لتحقيق الأمن والاستقرار للمعمرين والمستكشفين والقوات الفرنسية، حيث يقول: "ينبغي علينا أن نكون سادة في كل مكان، وإلا فلن نأمن في أي مكان"²، وبالتالي فإن احتلال منطقة ورقلة كان ضمن المشاريع الاقتصادية والعسكرية العاجلة في سياسة راندون *Randon*.

3- سوء العلاقة بين الشريف محمد بن عبد الله³ والسلطة الفرنسية في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي (19م). بمنطقة الغرب الجزائري جعل السلطة الاستعمارية تعجل في عملية احتلال الجنوب الشرقي، خشية من أن يجدد محمد بن عبد الله المقاومة ضدها، مع العلم أن فرنسا أصبحت لديها قناعة راسخة بأن أية مقاومة شعبية تفشل في

¹ Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit, pp 6-7

² Ibid , p2

³ الشريف محمد بن عبد الله هو إبراهيم بن أبي فارس من مواليد أواخر القرن 18م ، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد مكان ميلاده ، لكنه ظهر على الساحة السياسية مند سنة 1841م عندما عينته السلطات الاستعمارية الفرنسية عبر المرسوم الملكي خليفة على الغرب الجزائري ، وهو ينتمي إلى أولاد سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل رو سل قرب عين تيموشنت ، ولقد حاول الجنرال (بيجو) استمالته بهدف التفرغ لعدوانه على دولة الأمير ، إلا انه أحجم عن ذلك ، وبعدها أصبح محمد بن عبد الله يعاني من مضايقات لم يكن يتوقعها من الفرنسيين مما دفع به إلى حمل لواء الثورة ضدهم لمدة تقرب عن ثلاثين عاما ، وبدأ حياته الجهادية بالاستيلاء على ورقلة سنة 1857م ، ثم واصل جهاده عبر مختلف المناطق الصحراوية إلى أن توفي عام 1895م بعد كفاح مستمر ضد الاستعمار دام نصف قرن كامل.وللمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى : يحي بوعزيز ، «كفاح الشريف محمد بن عبد الله» ، مجلة الثقافة ، ع33 ، ص6 ، 1976م ، ص: 11- 24 .

مناطق الشمال، فمناطق الجنوب الجزائري تتحول إلى معازل للثوار وملجأ للمقاومين بغية جمع أنصار جدد وتنظيم المقاومة الشعبية من جديد، مع الإدراك أن حلفاء الأمير عبد القادر كانوا قد وضعوا قواعد للمقاومة، وبالتالي فقد وجدت فرنسا عند توغلها لمناطق الجنوب صعوبة كبيرة لبسط نفوذها بسبب المقاومة الشديدة التي أبدتها السكان، وعلى الخصوص منطقة ورقلة وضواحيها، فالاحتلال العسكري كان قد تم سنة 1854م، ولم يتم الإخضاع الكلي لها إلا في سنة 1882م.

4- عدم الاستقرار السياسي واستحكام الصراعات القبلية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية لمنطقة ورقلة وضواحيها دفعت بالسلطة الاستعمارية إلى استغلال هذه الصراعات وتطبيق سياسة فرق تسد، وتحريضهم عليه وانتصارهم لقبيلة دون الأخرى، لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه النزاعات خير وسيلة لاحتلال ورقلة وبسط نفوذهم عليها، فعلى سبيل المثال فقد تعاقب على سلطنة ورقلة في ظرف إحدى عشرة سنة (1840-1851م) ستة سلاطين وهم : مولاي الطيب ، ومولاي الذهبي ، ومولاي عبد القادر، ومولاي علي الذي اغتيل بعد سنتين من حكمه، ثم حكم مولاي مسعود الذي حكم ثلاثة أيام فقط ، وكان آخرهم مولاي احمد الذي حكم لمدة شهرين فقط¹. ناهيك عن مشيخة نقوسة التي تعاقب على حكمها في هذه الفترة شيخين وهما : الشيخ الحاج احمد بن بايية، وابنه الشيخ أبو حفص بن بايية.

زيادة على ذلك العلاقات المصلحية بين أعداء سلطنة ورقلة والفرنسيين دفعت بالإدارة الاستعمارية إلى تكوين عملاء وموالين لها في المنطقة، وذلك لتسهيل عملية الاحتلال العسكري ، واهم مظاهر هذا الاستغلال حثّ بعض القبائل الموالية للفرنسيين على محاصرة القبائل المعادية للتواجد الفرنسي، واستخدام الشيخ سي حمزة ولد بوبكر² قائد

¹ Gouvernement Général de L'Algérie , « Notes... », Op.Cit, p392

² هو سي حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ ، ولد في أواخر 1818 في قرية البيض سيدي الشيخ ، نشأ في زاوية أجداده ، وتعلم القرآن واللغة العربية ، وشب على ركوب الخيل والتدرب على السلاح ، استطاع أن يكسب ود الفرنسيين وثقتهم فعينه كخليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى

أولاد سيدي الشيخ على التدخل في شؤون المنطقة سنة 1847م، واحتلال ورقلة عام 1853م باسم السلطات الفرنسية بعد معركة انتصر فيها على الشريف محمد بن عبد الله في عرق بوسروال جنوب ورقلة.

هذا بالإضافة إلى تدعيم أحمد بن بابية شيخ نقوسة سنة 1849م لإخضاع ورقلة مقابل تأدية ضريبة الزمة، وفي 20 نوفمبر من نفس السنة منحت السلطة الفرنسية لقب الخليفة للحاج أحمد بن بابية، وأرسلت إليه 200 فارس لإقرار سلطته على ورقلة، بل تواصلت الإمدادات العسكرية إلى غاية 1850م.¹

5- في نظر بعض الساسة الفرنسيين أن احتلال ورقلة سيمكن الجيش الفرنسي من استكمال عملية التوغل العسكري إلى عمق الصحراء الجزائرية، وذلك باعتبارها منطقة عبور بين الشمال والجنوب من جهة، وباعتبارها بوابة أساسية نحو بلاد السودان من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير السؤال المطروح: لماذا فضلت فرنسا احتلال الاغواط سنة 1852م، وعقد اتفاقية مع وادي ميزاب سنة 1853م، ثم احتلال ورقلة سنة 1854م، على احتلال وادي ريغ ووادي سوف على الرغم أنهما أقرب نقطة إلى منطقة الزيبان والتي كانت الانطلاقة الأولى للتوسع الفرنسي نحو الصحراء الجزائرية؟

الأكد أن هذا التفضيل يدخل ضمن نطاق الإستراتيجية العسكرية الفرنسية، حيث صرح الجنرال راندون *Randon*² لوزير الحرية بعد احتلال الاغواط سنة 1852م: "

ورقلة، وقد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة في الاغواط و ورقلة، وفي سنة 1860 نشب خلاف بينه وبين السلطات الفرنسية بسبب انتشار نفوذه لدى القبائل الصحراوية، فتم نقله إلى الجزائر إلى أن توفي فيها عام 1861م، فخلفه ابنه بوبكر الذي تمكن من إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله

¹ Trumelet , Op.Cit, p32

² *Randon Jacques-Louis-César-Alexandre, comte* : من مواليد 25 مارس 1795م بقرونوبل *Grenoble*، تقلد عدة مناصب سياسية وعسكرية منها : عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، ووزير، وحاكم عام للجزائر بين سنتي (1857-1858م)، تحصل على وسام الشرف في 24 ديسمبر 1851م، وقد توفي بجنيف سنة 1871م. ينظر: Narcisse Faucon, Op.Cit.p507.

عن طريق الاغواط ستمكن من التوغل داخل الجنوب في إطار السيطرة على كامل الجزائر".¹

6- الموقع الاستراتيجي لورقلة جعل هذه الأخيرة تحضى بأهمية كبيرة عند المستكشفين الفرنسيين، وذلك بكونها همزة وصل بين الجزائر وبلاد السودان، وبالتالي كان لابد من السيطرة على هذه المنطقة وإخضاعها للنفوذ الفرنسي حتى تصبح محطة أساسية لانطلاق البعثات الاستكشافية العلمية والحملات العسكرية نحو عمق الجنوب الجزائري ونحو إفريقيا الوسطى والغربية. هذا بالإضافة إلى أن ورقلة كانت تمثل مخزنا "لدلال الطرق الصحراوية" وخاصة من القبائل البدوية وفي مقدمتهم قبائل سعيد عتبة والشعانية، وهذا ما لاحظناه من خلال البعثات التي وصلت إلى ورقلة، فلا تكاد أية بعثة استكشافية تخلوا من أهالي ورقلة العارفين بمسالك الطرق الصحراوية الرابطة بين ورقلة والجريد التونسي، وورقلة وغدامس، وورقلة وبلاد السودان.

كما أن الموقع دفع بالسلطة الاستعمارية إلى حد التفكير بمد خط سكة حديدية بغية ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض، ولتسهيل مهمة تنقل الوحدات العسكرية بالصحراء من جهة ، ولضمان الأمن والاستقرار للمستكشفين الذين كانوا يتعرضون للهجوم من حين إلى آخر من جهة ثانية، وقد أشار الرحالة لارجو *Largaux* إلى أهمية هذا الخط حين اقتنع بأن مخطط السكة الحديدية العابرة للصحراء إلى حد النيجر يجب أن ينطلق من بسكرة مارا بتقרת وورقلة.²

7- التوسع الاستعماري البريطاني بإفريقيا في إطار التنافس الدولي حول مناطق النفوذ دفع بفرنسا إلى التعجيل لإخضاع الجنوب الجزائري بما فيها منطقة ورقلة، لكون هذه الأخيرة منطقة حدودية مع تونس وليبيا هذا من جهة، ومنطقة عبور للقوافل التجارية من جهة أخرى. ومن جهة ثالثة في نظر الفرنسيين محاولة تفادي تكرار الخطأ العسكري

¹ Paul Azzan, **Conquete et Pacification de L'Algérie**, paris, p 341

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص 18.

الذي وقعت فيه السلطة الاستعمارية حين سمحت بتحول الجنوب الجزائري إلى معقل للمقاومين الجزائريين الذين فشلت مقاومتهم في الشمال، وبالتالي فإن السيطرة على مناطق الجنوب الشرقي الجزائري سيكون صمام أمان وقبضة حديدية للجيش الفرنسي ضد المقاومين التونسيين الفارين من الشمال في حالة ما إذا احتلت تونس عن طريق البحر المتوسط.

ثالثاً- مراحل الغزو الفرنسي لورقلة: لقد مرت عملية سقوط منطقة ورقلة في أيدي قوات الاحتلال الفرنسي بثلاثة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: البعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية:

كانت أولى البعثات الاستكشافية إلى ورقلة بعثة الرحالة الجنرال دوماس *Daumas* الذي زار المنطقة سنة 1842م، حيث حدد موقعها الجغرافي، ووصف مدينة ورقلة والقصبة، وحدد أبواب المدينة، كما وصف بيوتها وعدد الديار، والمواد البناء المستعملة من البن وجذع النخل وسعفه، وأشار إلى مختلف قبائل المجتمع الورقلي ونشاطهم، وإلى مختلف العملات المتداولة في الأسواق، فضلاً عن ذكر عمليات التبادل التجاري الداخلي والخارجي، واهم المنتجات الصادرة والواردة، كما تطرق إلى قصر نقوسة بوصف نمطه العمراني، وحدد عناصر سكانه، وعدد دياره، وتعداد السكاني.¹

كما حضيت ورقلة بزيارة أدريان بربروجر *A. Berbrugger*² عام 1850م في إطار استكشاف الخط الصحراوي، وكانت انطلاقته من قابس، وشملت رحلته واحات وادي

¹ Daumas, Op.Cit.pp 72-88.

² عضو في لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر باعتباره مختصاً في مجال التاريخ وعلم الآثار، اهتم منذ البداية بدراسة الآثار الرومانية ثم الإسلامية، من أبرز أعماله جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة وغيرهما من المدن التي زارها، كما ساهم في تأسيس نواة المكتبة الوطنية في عهد كولوزيل 1835، كان أيضاً مديراً لجريدة (المونيتور)، ومؤسساً للجمعية التاريخية الجزائرية، ورئيساً لتحرير المجلة الإفريقية، ومن أبرز كتاباته الأثرية: الجزائر التاريخية والمصورة والتذكارية، وقد توفي سنة 1869م، انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج 6، ص 85.

سوف ووادي ريغ وورقلة والمنيعه وتوات، ثم عاد إلى مدينة الجزائر عن طريق بلاد الشعابنة متليلي ووادي ميزاب.¹

واستعرض تروميلي *Trumelet*² من خلال زيارته لورقلة سنة 1853م قصبة ورقلة، واصفا نمطها العمراني، وأعراسها الثلاثة: بني سيسين، وبني وقين، وبني ابراهيم، وحدد أبواب المدينة، وأشار إلى عدد السكان ونشاطاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، ومختلق قرى وقبائل ورقلة، وتكلم بتفصيل عن أسرة أولاد بايية شيوخ نقوسة من خلال أصولهم، وسياستهم، وعلاقتهم بالفرنسيين، وصراعهم مع سلطنة ورقلة، كما تطرق إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين.³

كما قام اوغيست شوازي¹ *Auguste. Choisy* برحلة خاصة إلى الاغواط والقليلة وورقلة ووادي ريغ وبسكرة لدراسة إمكانية مد طريق حديدي بين الجزائر والنيجر.⁴ وفي إطار المشاريع الفرنسية الهادفة إلى ربط المستعمرات الفرنسية الإفريقية بالصحراء الجزائرية، مشروع كاباني *Cabanis* الذي طرح سنة 1853م والذي سيمتد من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة على أن يتفرع ذلك إلى فرعين: واحد إلى تونس وطرابلس، والآخر إلى عين صالح والحقار.⁵

¹ A.Berbrugger , **Projet D'exploration des Oasis Algérienne , par Gabès Souf , Ouargla ,Touat, et Retour par Metlil et les Oued Mzab** ,Alger , s.d ,p 8 .

² عالم وضابط عسكري فرنسي من مواليد 1820م بريمس *Reims* (مارن *Marne*)، انخرط في صفوف كتيبة المشاة سنة 1839م، وقد جاء إلى الجزائر سنة 1851م، وبقي بها حوالي خمسة وعشرون سنة، كما أصبح عضوا بجمعية الشباب الأدبي سنة 1872م، ومتحصل أيضا على وسام الشرف من الحكومة الفرنسية. ينظر: Narcisse Faucon, Op.Cit. pp 603– 609

³ C.Trumelet, Op.Cit , pp 32 -498

⁴ Auguste.Choisy, **Le Sahara. Souvenir d'une Mission à Goléa**.Paris.1881.p290

⁵ F.Cabanis, **Grand Chemin de Fer d'Afrique**, Paris ,1853 p 32

وقام الرحالة كوسون¹ Cosson برحلات في الجنوب الجزائري عام 1859م بدعم من وزارة الحرب التي كان يرأسها المارشال فايان fayane، وقد استطاع أن يستكشف الصحراء الجزائرية من الشرق إلى الغرب، وحتى أقصى الحدود الجنوبية، وجمع وثائق كثيرة وجدها بالمنطقة، كما ودرس السطح والمناخ السائد والمياه الجوفية، والحيوانات المتوفرة والنباتات البرية، والمزروعات من خضر وفواكه وركز على النخيل، واستخلص أنواع التمور، وشملت دراسته كل الصحراء الجزائرية ومناطقها بما فيها ورقلة معتمدا على أعمال ما كتبه الرحالة السابقون ومنهم الجنرال دوماس² Daumas. كما تحدث

باجول Bajolle عن التكوين الجغرافي والطبوغرافي والآبار المائية لصحراء ورقلة ومن وادي مية إلى وادي ايغرغار.³

وفي مطلع الستينات زار الرحلة هنري دوفريي⁴ H.Duveyrier ورقلة وهو في طريقة نحو بلاد الهقار قادما من تونس عن طريق وادي سوف ووادي ريغ، حيث مكث

¹ Cosson (Ernest Saint-Charles): عالم نباتي من مواليد 22 جويلية 1819م بباريس، درس الطب إلى أن أصبح دكتور سنة 1847م، كما أصبح عضوا في البعثة العلمية الجزائرية سنة 1851م، وعضوا في الجمعية النباتية بفرنسا سنة 1854م، وعضوا حرا في أكاديمية العلوم، وبفضل أبحاثه العلمية تحصل على وسام الشرف، وله عدة مؤلفات منها: أزهار الجزائر (1854-1867م)، تقرير حول رحلة نباتية في الجزائر سنة 1849م، تدقيق عام حول الصحراء الجزائرية وثقافتها سنة 1859م. ينظر: Narcisse Faucon, Op.Cit.p181

² E.Cosson , **Considération Général sur le Sahara Algérien et ses Cultures** , Paris , 1859 , pp02-23

³ Le Capitaine Bajolle, **Le Sahara d'Ouargla, de Oued Mia, à l'Oued Igharghar**, Alger, 1887, p55

⁴ مستكشف جغرافي فرنسي ولد سنة 1840م، اهتم بالاستكشاف العلمي وعمره لا يتجاوز عشرين سنة، وبدا أول رحلة سنة 1859 من قسنطينة باتجاه وادي ميزاب ، وقد استطاع أن يتحصل على الميدالية الذهبية من الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس سنة 1864م بفضل كتابه الذي ألفه عن الصحراء والذي جمع فيه فوائد جمّة عن الصحراء، كما اكتسب اللغة العربية والبربرية، ورافق الكثير من الإخوان الصوفيين التجانيين، القادرين، أصبح عضوا في المؤسسة الجغرافية الفرنسية مند سنة 1867م حينما نجح في اختراق الصحراء وصولا إلى بلاد السودان الغربي، ألف عدة كتب خاصة بالصحراء. أهمها : "اكتشاف الصحراء" ينظر: Narcisse

Faucon, Op.Cit, p244

يوما واحد استكشف فيه مدينة سدراتة الأثرية.¹ كما زار أيضا المهندس الفرنسي فيل *L.Ville* ورقلة خلال هذه الفترة، وقد شملت دراسته الآبار التقليدية الارتوازية القديمة، متخذاً من بئر عين الصفا نموذجاً لبحثه.²

ولم تتوقف الحملات الاستطلاعية والبعثات الاستكشافية مع سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية، بل ازدادت أكثر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، وهذا على خلفية القرار الذي اتخذته السلطة الفرنسية الداعي إلى اتخاذ إجراءات عسكرية، والقيام بعمليات توسعية للسيطرة على الجنوب.

ومع بداية السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي (19م) وصل الرحالة شارل فيرو *Ch.Féraud*³ إلى ورقلة سنة 1871م، حيث قام بدراسة طبيعية وانبولوجية وإحصائية لمنطقة ورقلة. ونقوسة هذه الأخيرة التي وقف فيها على عينات حجرية مصنوعة من حجر السيليكس، كما زار مدينة سدراتة الأثرية وقارة كريمة وجبل عباد، هذا بالإضافة إلى الاطلاع على المخطوطات الموجودة بالمنطقة، وزيارة بعض القرى التي اندثرت مثل (ملوش، ماحاروز، تمازورات، وهيمة، تالة موسى، تالة مماس، تالة ازدوس، مكيدة الغربي)، كما استعرض العلاقات الاجتماعية بين مختلف القبائل البدوية، ونشاطها الفلاحي، وعادتها وتقاليدها، بالإضافة إلى تعرضه لأسرة أولاد علاهم سلاطين ورقلة

¹P.Vuilot , *L'exploration du sahara(étude historique et géographique)* , librairie coloniale, paris, 1895, p64.

²M.Van Berchem, *sedrata et les anciennes villes berberes du sahara dans les recits des explorateurs de XIX siecle* , paris, 1960,p 293

³ لوران شارل فيرو من مواليد فبراير 1829م بمدينة نيس الفرنسية ، يعتبر من الفرنسيين الذين كتبوا كثيرا عن تاريخ الجزائر وعن مدنها وتراثها، وقد ساعده في ذلك منصبه كمترجم احتياطي عسكري من الطبقة الثانية في الجيش الفرنسي ، ومشاركته في الحملات العسكرية الفرنسية باتجاه إقليم الشرق، كم يعتبر من المستعربين القلائل الذين اتصلوا بالجمتمع الجزائري ودرسوا تراثه عن طريق الروايات الشفوية ، وترجمة الوثائق الأهلية ، ومن أعماله دراسة تاريخية تناول فيها حكم بني جلاب والتي نشرها في عدة حلقات بالجلية الإفريقية في الأعداد من 23 إلى 31 بعنوان :

« Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab Sultans deTouggourt»

وصراعهم مع أسرة بن بايية شيوخ نقوسة، بل وحتى الصراع الداخلي الذي قام بين أسرة بن بايية، زيادة على ذلك تطرق إلى الحركة الجهادية التي قادها الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين ولقبائل الموالية لهم.¹

كما وصلت القافلة العسكرية للجنرال قالييفي *Galliffet* يوم 8 جانفي 1873م إلى ورقلة قادمة من بسكرة مع 700 رجل و3000 جمل، والتي كانت ممونة بالماء لسد حاجياتها لمدة تزيد عن عشرة أيام، بعدما فشل في احتلال مدينة القليعة، وبعدها مكث الجنرال قالييفي *Galliffet* في ورقلة مدة أربعة أيام، جهز قافلته لمواصلة رحلته نحو المنيعة، حيث تزود بالماء بقيمة خمسين لتيرة (50ل) مملوءة في مئة قربة (أكياس مصنوعة من وبر الجمال)، وغادر ورقلة يوم 11 جانفي من نفس السنة، حيث مر على منطقة حاسي بركان (بركاوي) التي تبعد عن ورقلة بـ 217 كلم²، مسافة سبعة أيام مشي، حيث وصلها يوم 18 جانفي، ولم يتبق له إلا مسافة ستة أيام مشي ليصل إلى قصر المنيعة.²

وفي 17 ديسمبر 1873م وصلت بعثة دورنو دوييري *Dournoux*³ المكونة من عشرين فارس، قادمة من تقرت بعدما مرت بالزاوية التجانية بتماسين، ثم بلدة عمر قاطعة الرمال نحو الحجيرة وصولا إلى قصبة ورقلة، حيث استقبلها أخ آغا ورقلة السعيد بن دريس، ورافقها في التحول بأحياء ورقلة الثلاثة (بني سيسين، بني ابراهيم، بني واقين)، حيث وصف دوييري *Dupéré* في رحلته قصر ورقلة، واهم منشاته العمرانية، وقد استقر بورقلة حوالي واحد وعشرون يوما حيث غادراها يوم

¹ Ch. Féraud , Op.Cit , pp 456 - 493

² P.Vuilot ,Op.Cit.pp 115-116

³ مستكشف فرنسي من مواليد 2 جوان 1845م بقوادلوب *Guadeloupe* (فرنسا)، تم اغتياله في الصحراء الجزائرية سنة 1874م، كان عضوا في الجمعية الجغرافية، وترك مذكرة علمية وضع فيها مخطط لطرق الاستكشافات في الصحراء، بالإضافة إلى اهتمامات أخرى في مجال السياسة والاقتصاد. ينظر:

Narcisse Faucon,Op.Cit.p215

4جانفي 1874م عائدا إلى تقرت¹، إلا انه قتل بمنطقة وادي وهانت في طريق عودته من غدامس². كما نظم أيضا في نفس السنة المستكشف بول سولايي³ *Paul Solellit* رحلة إلى الجنوب ليصل إلى مدينة ورقلة صباح يوم 9 فيفري 1874م على الساعة السابعة مستقبلا من طرف محمد بن دريس آغا ورقلة، وأقام فيها لمدة ثلاثة أيام تعرف فيها على عادات وتقاليده سكان ورقلة واهم لهجاتهم اللغوية، التقى فيها الشيخ محمد بن حمادو احد رجال التوارق الذي زوده بمعلومات عن الشريف بوشوشة، وفي يوم 12 فيفري من نفس السنة غادر ورقلة متجها نحو عين صالح، بعدما تزود بالمؤونة وتسلم رسائل من آغا ورقلة محمد بن دريس ليسلمها إلى السلطات الفرنسية بعين صالح⁴.

كما قدم الطبيب فكتور لارجو *V. Largeau*⁵ وصفا دقيقا عن مدينة ورقلة وقصرها من خلال زيارته لها، حيث وصلها يوم 12 ماي 1877م، مستقبلا من طرف الأغا عبد القادر بن عمر في قصره مع خدمه، ووضع تحت تصرفه كل ما يحتاج إليه من إمكانيات مادية وبشرية، من بينها تزويده بأحد "الدلائل" المعروفين بجبايا الطرق الصحراوية، وهوسي قدور بن موسى، وفي رحلته استعرض لارجو *Largeau* النمط العمراني لورقلة، وشوارعها وبيوتها، وذكر مختلف عناصر أعراشها، وأحوالها الاقتصادية والتجارية، كما تحدث أيضا عن قصر نقوسة، واصفا نمطه العمراني، وعدد بيوته، وعلى النشاط الفلاحي

¹Dournoux Dupéré, **Voyage au sahara** (E.B.S.G - aout 1874), imprimerie de E.martine, paris, 1874 ,p8

²دوني بيلي ، المرجع السابق، ص11

³ من مواليد 1842م بفرنسا، اهتم بالاستكشاف والترحال منذ صغره، زار الجزائر سنة 1866م، وانضم إلى صفوف الجيش الفرنسي صنف مشاة، رحلته من الجزائر إلى عين صالح جاءت بناء على طلب المؤسسة العسكرية وغرفة التجارة الفرنسية بهدف بدراسة الطرق التجارية الصحراوية، والقبائل البدوية، توفي سنة 1888م. ينظر:

Narcisse Faucon, Op.Cit.p280

⁴ Paul Solellit , **Voyage de paul souleillet d'Alger à l'oasis d'in- salah**, Alger,1875, p 49

⁵ لارجو *Largeau* من مواليد مدينة نيور الفرنسية ، انخرط في العديد من الجمعيات الجغرافية ومنها الجمعية الجغرافية بباريس ، وجمعية الإحصاء ، وجمعية المرصد الجوي ، وجمعية الطبوغرافيا في باريس ، كما أصبح عضوا في الجمع الدولي للعلوم الجغرافية عام 1875م. ينظر: . Narcisse Faucon, Op.Cit.p244

للسكان واهم المحاصيل الزراعية التي تنتج، وعن بعض الصناعات التقليدية، وتعرض أيضا إلى أهم شيوخ قصر نقوسة من بينهم الشيخ السايح وأخاه سي عبد القادر، وبعدما استقر بورقلة حوالي ثلاثة أشهر غادرها يوم 11 سبتمبر من نفس السنة متجهاً نحو السودان الغربي عبر عين صالح.¹

وفي نفس السنة زار الرحالة لويس ساي *Louis say* ورقلة التي وصلها يوم 2 ماي في إطار التبادل التجاري بين ورقلة والجنوب الغربي، قادما من تقرت التي استقر فيها بضعة أيام منتظرا الشطر الأول من المنحة المخصصة لرحلته والمقدرة بخمسة آلاف فرنك فرنسي (5000ف)، وقد حاول هذا الرحالة أن يجعل ورقلة نقطة انطلاق استكشافية نحو عمق الجنوب الجزائري باتجاه الهقار، حيث تجهز من جديد ونظم بعثته، واختار ثلاثة ورقلية مرافقين له، وتقدم إلى غاية تماسنين إلا انه فشل في مواصلة الرحلة، وذلك بسبب تعرضه لتهديدات من طرف رجال التوارق، فرجع إلى ورقلة يوم 21 جوان، بعدما تبددت أحلامه في استكشاف منطقة الهقار.²

وكان من ابرز البعثات الاستكشافية في هذه الفترة بالمنطقة، بعثة العقيد فلاترس *Flatters*³ الذي وصل إلى ورقلة سنة 1879م رفقة 100 رجل وصحفي أمريكي، ولقد حاول فلاترس *Flatters* هو الآخر أن يجعل منطقة ورقلة محطة انطلاق لاستكشاف بقية مناطق الصحراء، حيث نظم رحلتين، فالرحلة الأولى كانت نحو الاغواط، والتي انطلقت

¹ V. Largeau , Op.Cit.p 73

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص15

³ هو بول فرنسوا اكزافيه فلاترس *Paul François Xavier Flatters*، ظابط عسكري ورحالة مستكشف من مواليد 16 سبتمبر 1839م بمدينة لافال، تقلد عدة مسؤوليات عسكرية، فكان برتبة ملازم للمشاة سنة 1853، ثم ترقى إلى رتبة نقيب سنة 1864م، ثم قائد كتيبة سنة 1871م، قضى معظم حياته في المكاتب العربية بالجزائر، وفي سنة 1879م اضطر إلى العودة نحو فرنسا عندما دعتة الحكومة الفرنسية أن يكون عضوا ضمن لجنة للدراسات العليا لدراسة مشروع ربط الجزائر بالسودان عن طريق خط السكة الحديدية، فعاد إلى الجزائر ببعثة استكشافية لتحقيق هذا المشروع، إلا انه لقي حتفه في الصحراء الجزائرية يوم 16 فيفري 1881م، بعدما تعرض لهجوم من طرق قبائل التوارق. ينظر: Narcisse Faucon, Op.Cit. pp 272-276

من ورقلة يوم 21 ماي 1880م رفقة 10 رجال و 100 جمل، أما الرحلة الثانية فكانت باتجاه منطقة التوراق، التي انطلقت في ديسمبر من نفس السنة، وهذا بمعية 11 رجل فرنسي و 47 جندي من الأهالي و 32 سائقوا الجمال، و 8 رجال شعانية لاستخدامهم كدليل في الطريق، و 4 رجال من التوراق.¹

غير أن الرحلة الثانية كانت شاقة حيث أرهقت أعضاء البعثة وشتت شملهم، ونقص زادهم، وكثرت تحرشات التوراق بهم، فكانت النتيجة مقتل العقيد فلاترس *Flatters* من طرف مقاومي قبائل التوراق يوم 16 فيفري 1881م في منطقة (إن اوهوان)، ولم ينجوا من هذا الهجوم سوى 63 فردا وقد مات منهم الكثير في طريق العودة إلى ورقلة، باستثناء أربعة شعانية الذين تأكدت نجاحهم ووصلوا إلى ورقلة يوم 28 مارس 1881.²

هذا ونشير أيضا انه في مطلع الثمانيات وقبل استقرار الفرنسيين تواصلت البعثات الاستكشافية إلى ورقلة لاستكمال مهمتها التحقيقية، ومنها بعثة الرحالة اوغيست شوازي *Auguste Choisy* إلى الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1879م و 1880م ليتفقد مشروع سكة الحديد الذي سيربط بين الجزائر والنيجر والسنغال، ماراً ببسكرة ووادي ريغ وورقلة والاغواط والمنيعه، وقد تكونت هذه البعثة من: المهندس شوازي *Choisy*، المهندس باروا *Barois* مدير الطرق والجسور، جورج رولان *G.Roland* مهندس في المناجم، والدكتور ويسجيربر *Weisgerber* المكلف بالجانب الانثروبولوجي والتصوير، الملازم ماسوتي *Massautier* نائب رئيس المكتب العربي بالاغواط، وباسكال جوردن *Pascal Gaurdan*، وديسكام *Descamps* وباش *Pech* ممثلي قطاع السكة الحديدية بفرنسا³، وقد قامت هذه البعثة في ورقلة بدراسة طبوغرافية وجيولوجية وطبية، حيث درست تربتها وكتباها الرملية، ومياها الجوفية، ونباتاتها الطبيعية، واهم الأمراض

¹ Flatters , **Les deux Mission du Colonel Flatters**, Paris, 1884, pp 168 - 182

² Flatters , Op.Cit, pp 247-251

³ P.Vuilot ,Op.Cit, p 175

المنتشرة في المنطقة، كما زارت المناطق الأثرية الموجودة بها ،وقد اقترحت البعثة في دراستها لمد خط السكة الحديدية من الجزائر إلى السودان، فتح خط من الاغواط إلى القليعة، وخط من بسكرة إلى ورقلة والحقار، واعتبر شوازي *Choisy* أن هذا المشروع أحسن من المخطط الذي اتخذته في الجنوب الوهراني.¹

كما برزت بعد ذلك حملة استطلاعية جديدة بورقلة بقيادة فيرديناند فورو *F.Foureaux*² منذ 1898م، واتخذت مدينة ورقلة قاعدة لتوجيه حملاتها العسكرية نحو الحقار، والسنغال إلى غاية بحيرة تشاد، ولقد انطلقت هذه الحملة في 23 أكتوبر رفقة 306 عسكري ومدعمة بـ 1000 بعير ومدفعين، وبمجموعة من الأهالي للاستدلال بهم في المسالك. وعلى الرغم من تعرضها لهجمات قبائل التوارق، إلا أن الرحلة التي دامت سنة كاملة وعشرة أيام تمكنت من الوصول إلى بحيرة تشاد في جانفي 1900م.³ وهي ذات الإشارة عند دوني بيلي *Denys Pillet*.⁴

لا شك أن هذه البعثات والحملات الاستطلاعية كانت إحدى عوامل نجاح الفرنسيين في الاستقرار النهائي بورقلة وضواحيها والسيطرة عليها، فبفضلها استطاعوا الوقوف على نقاط القوة والضعف، ودرسوا جغرافيتها ومناخها وعرفوا تاريخها وثقافتها، واطلعوا على ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، ووقفوا على علاقاتها التجارية، وتمكنوا من معرفة حركة القبائل ومسالكتها وأوقاتها، ووقفوا على الخلافات القبلية وذكرها خدمة لمصلحتهم، واخترقوا صفوف القبائل المعاونة لهم عن طريق فرق تسد، وتكسير الصفوف

¹ A.Choisy, Op.Cit.p290

² رحالة ومستكشف فرنسي من مواليد 1850م بفروديار *Fredière*، قام بعدة أبحاث علمية واستكشافية في مناطق الجنوب الجزائري رفقة هنري دوفريسي وفلاترس، وطبع رحلته إلى الصحراء الجزائرية سنة 1883م. ينظر:

Narcisse Faucon, Op.Cit.pp 266-267

³ Louis Moulléseaux.et Pierre Boyer, **Histoire de L'Algérie**, paris, 1962, p359.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 34.

والتحكم في طرق القوافل التجارية وتحويلها إلى الأسواق الواقعة تحت سيطرتهم. وبالتالي فقد جاءت مهمة الاحتلال العسكري بسهولة رغم المقاومة التي أبدتها سكان ورقلة.

هذا بالإضافة إلى أن معظم هذه البعثات الاستكشافية قد نجحت في مهمتها باستثناء البعض منها التي لم تحقق هدفها بسبب هجمات قبائل التوارق، أما بالنسبة للنجاح فهذا يعود إلى الدعم الذي لقيته من الآغوات الذين عينتهم فرنسا على ورقلة، وعلى الخصوص الآغا محمد بن دريس، والآغا عبد القادر بن عمر، زيادة على دعم الزاوية التجانية لهم، من خلال استقبالهم، وتزويدهم ببعض الميردين لضمان سلامتهم في طريق رحلتهم.

المرحلة الثانية: الاحتلال العسكري لورقلة :

على ذكر الدوافع السالفة الذكر وقع الاحتلال الفرنسي على ورقلة، وهذا بعد ما تم تعيين محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة منذ سنة 1851م، إذ عمل على استتباب الأمن، والقضاء على الصراعات المحلية التي كانت قائمة بين القبائل البدوية والأسرة الحاكمة، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومحاولة توجيه الأنظار من المجال الضيق إلى المجال الواسع، والاستعداد لمواجهة خطر الاحتلال الفرنسي، وعليه فقد أخذ يعد العدة والعتاد، ويجمع الأتباع والأنصار، واستمالة القبائل الموالية للفرنسيين، وبات يهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة خاصة وأنه دخل معهم في أول معركة يوم 22 ماي 1852م بمنطقة متليلي.¹

وأمام هذه التهديدات ما كان من السلطة الاستعمارية إلا الإسراع في إخضاع منطقة ورقلة والسيطرة عليها قبل أن تتحول إلى قاعدة ثورية للمقاومة الشعبية، وعلى اثر الإجراءات التي اتخذها الحاكم العام راندون *Randon*، قام بتجهيز ثلاث فرق عسكرية الأولى قادمة من وهران بقيادة الجنرال يوسف والجنرال بليسي *Bellissier* وماكماهون *Mac Mahon*². وفي المقابل لم يكتثر الشريف محمد بن عبد الله بهذه

¹ Rapport du mois Septembre 1853. Cercle de Biskra. A.O.M. F80 501.

² E.Mangin , Op .Cit. ,pp 290-318

الإمدادات العسكرية، بل واصل هجماته على الفرنسيين والموالين لهم، وكبدهم خسائر كبيرة، الأمر الذي دفع بالسلطة الاستعمارية إلى الاستنجاد بعملائها في المنطقة وفي مقدمتهم سي حمزة ولد بوبكر الذي عينوه خليفة على المنطقة الممتدة ما بين الجلفة والحدود المغربية كمكافأة له على اشتراكه في إخضاع منطقة الاغواط سنة 1852م. فانطلق مدعما من الفرنسيين بقوات قدرها 2000 فارس و200 من المشاة¹، وسار نحو مدينة نقوسة، حيث اخضع في طريقة قصر متليلي ووادي ميزاب إلى أن وصل نقوسة فأخضعها له في 5 ديسمبر 1853م، رفقة الفرق العسكرية الفرنسية التي لحقت به بقيادة ديريو *Durieu*، وبارال *Du Barail*، ونيقو *Niqueux*، وبعد مرابطة دامت حوالي اثنان وخمسون يوما (52) بنقوسة، سار سي حمزة ولد بوبكر نحو ورقلة رفقة العقيد ديريو *Durieu* على رأس 650 من المشاة، و300 من الفرسان لاحتلالها، ودخل في معارك طاحنة ضد الشريف محمد بن عبد الله خاصة في منطقة الرويسات، إذ انهزم الشريف محمد بن عبد الله في يوم 27 جانفي 1854م، وتم إخضاع كل قرى ومدامر ورقلة، وانسحب على إثرها نحو تونس لاسترجاع أنفاسه من جديد.²

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعم العسكري لسي حمزة ولد بوبكر لم يكن إلا ظرفيا بسبب عدم قدرة فرنسا آنذاك على اقتحام ورقلة، هذا بالإضافة إلى أن سكان ورقلة رفضوا سلطة سي حمزة ولد بوبكر عليهم، بالإضافة إلى أن هذا الدعم كان يستهدف بالدرجة الأولى فتح الطريق أمام الإدارة الاستعمارية التغلغل داخل المنطقة من أجل التمكين للاحتلال.

¹ Ibid, p32

² Alain Romey, **Histoire, Mémoire et Sociétés, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan, Paris, 1992, p75

بعدها دخل الكولونيل ديريو ¹ Durieu ليعلن باسم فرنسا احتلال ورقلة، مع إلزام سكانها بتقديم ضريبة سنوية تقدر بألفي فرنك (2000ف) للسلطة الفرنسية². إلا أن الجيش الفرنسي لم يستقر بالمنطقة ونصب عملاؤه بنيابة عنه، مع ترك حامية عسكرية مشكلة من مائة جندي (100)، وتجرید السكان من أسلحتهم، بالإضافة إلى أخذ من كل قرية مجموعة من الشخصيات ذات مكانة في مجتمعهم، ووضعهم تحت الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، وهي سياسة اعتادت السلطة الاستعمارية استخدامها بعد احتلال أية منطقة في الجنوب، وهذا ما حدث أيضا بعد احتلال تقرت في نهاية 1854م.³

كل الكتابات الفرنسية تؤكد على أن سكان ورقلة قابلوا الاحتلال الفرنسي بمقاومة شرسة، ولولا استعانة فرنسا بعملائها في المنطقة لا تأخرت عملية احتلالها، غير أن صاحب غصن البان نفى ذلك وكتب عكس ذلك، وذكر أن سكان ورقلة هم الذين طلبوا الحماية الفرنسية، إذ يقول في ذلك نقلا عن رواية الشيخ الحاج احمد بن محمد بن الشيخ الحاج احمد : " .. لم تتم احتلال الدولة الفرنسية لبلاد الجزائر بعد حربها مع الأمير عبد القادر بن محي الدين سنة 1264هـ/ 1846م بعد دوام ذلك الحرب الضروس مدة ستة عشر سنة اجتمع زعماء ورجلان (ورقلة) وبعثوا وفدا إلى بلدة الجزائر وطلبوا عميد الدولة الفرنسية الدخول تحت حمايتها، وذلك لما سئموا من ولاية الأشراف (أسرة أولاد علاهم) فقبل منهم ذلك، وعين لهم علي باي الداودي من بسكرة قائدا وسماه باي الصحراء، وأوجب عليهم ضريبة سنوية قدرها سبعة آلاف وخمسة مئة فرنك (7500ف)

¹ *Durrieu (François-Louis-Alfred, baron)*: جنرال فرنسي من مواليد 18 جانفي 1812م، انخرط في مدرسة هيئة الأركان العسكرية وتخرج منها برتبة نقيب سنة 1836م، وفي سنة 1854م ترقى إلى رتبة عقيد، كما تحصل على وسام الشرف في 10 أكتوبر 1851م، إضافة إلى عمله العسكري اهتم بالجانب العلمي حيث انخرط في جمعية الأعمال الطبوغرافية بالجزائر، وقد توفي في 27 ديسمبر 1877م، ينظر:

Narcisse Faucon, Op.Cit.p242

² C.Trumelet, Op.Cit , p 476

³ Rapport du 27 janvier 1855.A.O.M. 10KK32

توزع على البلاد الورقلانية (الورقلانية) ، فقبلوا بذلك ورجعوا من عنده مسرورين،
فمكث المذكور في الولاية أعواما عديدة إلى أن بدلته بسيدي حمزة..¹

لكن المتعارف عليه تاريخيا أن بنوا ميزاب هم الذين عقدوا اتفاق الحماية مع
الفرنسيين سنة 1853م، وقبلوا بدفع ضريبة سنوية قدرها خمسة وأربعين ألف فرنك
(45000ف)، وقد نص هذا الاتفاق على عدم تدخل فرنسا في الشؤون الداخلية لسكان
بني ميزاب، وحماية تجارتهم بمناطق الشمال، وحرية تجارتهم مع ليبيا وتونس دون رقابة
جمركية، مقابل اعتراف بنو ميزاب بالحماية الفرنسية.

وكما هو معروف أيضا أن العدو الفرنسي لا يكشف نواياه الحقيقية المسطرة لتحقيق
أهدافه التوسعية، فهذا الاتفاق ما هو إلا در للرماد في عيون الميزابيين بغية إبقائهم على
الحياة، والتفرغ للقضاء على الشريف محمد بن عبد الله واحتلال ورقلة، وقد تأكدا هذا
فعلا عندما تم حرق اتفاق الهدنة من طرف واحد عن طريق الحاكم العام لويس
تيرمان² Louis Tirman سنة 1882م. أضف إلى ذلك أن التقارير العسكرية بينت أن
أعيان ورقلة وهم : عبد القادر بن كرميا شيخ بني سيسين، والحاج بن الحاج معيزة
شيخ بني وقين، والحاج محمد كبير عرش بني ابراهيم، والحاج بوقلة كبير عرش بني
ابراهيم قد استسلموا بعد مقاومة منهم للسلطة الفرنسية رافضين احتلال ورقلة، وذهبوا
إلى البيض يوم 11 سبتمبر 1854م لدفع ما عليهم من ضرائب إلى سي حمزة ولد بوبكر،
ولهذا استغنى عنهم الشريف محمد بن عبد الله واتجه نحو وادي ريغ لجمع أنصار جدد.³

¹ أعزام، المصدر السابق، ص68.

² لويس تيرمان Louis Tirman من مواليد 29 جويلية 1837م بميزيار Mézières (فرنسا)، متحصل على شهادة
دكتوراه في الحقوق، تقلد عدة مناصب سياسية وعسكرية، منها عضو مجلس محافظة ميزيار سنة 1863، عضو في
وزارة الدفاع الوطنية الفرنسية عام 1870م، عين حاكما عاما على الجزائر في الثمانيات من القرن 19م. ينظر: :

Narcisse Faucon, Op.Cit.p592

³ Ch. Féraud , Op.Cit , p115

وفيما يخص تنصيب علي باي آغا على ورقلة وتكليفه بجمع الضرائب السنوية، فقد أكدت المصادر التاريخية أن علي باي نصبته السلطة الفرنسية بقيادة العقيد ديفوا Desveaux يوم 26 ديسمبر 1854م آغا على وادي ريغ ووادي سوف بحضور كل أعيان البلاد¹، وضم إليها إلى أن خلعت الإدارة الاستعمارية سنة 1871م، وعينت مكانه الملازم محمد بن دريس²، وليس سي حمزة ولد بوبكر كما جاء في الرواية. لأن سي حمزة عينته السلطة الاستعمارية منذ 1852م بلقب خليفة على المنطقة الممتدة من البيض إلى الحدود المغربية. وعليه فقد يكون صاحب غصن البان في روايته قد اختلط عليه الأمر والتبس، فوقع في هذه التناقضات التاريخية.

الجدول رقم (11): ضباط وفرق الحملة العسكرية الفرنسية على ورقلة

- القائد العام للحملة : المارشال راندون <i>Randon</i> الحاكم العام بالجزائر	
الفرق العسكرية	
قوات وهران	بقيادة الجنرال يوسف
قوات البيض	بقيادة بليسي <i>Bellissier</i>
قوات المدينة	بقيادة ماكماهون <i>Mac Mahon</i>
عملاء موالين لفرنسا	سي حمزة ولد بوبكر (أولاد سيدي الشيخ)
فرق عسكرية أخرى	بقيادة ديريو <i>Durieu</i> ، دي بارال <i>Du Barail</i> ، نيقو <i>Niqueux</i>

¹ Personnel des commandements indigènes. A.O.M. 10KK32

² الملازم محمد بن إدريس جزائري الأصل، من مواليد الوطاية بمنطقة بسكرة سنة 1835م، عمل بالجيش الفرنسي كقائد للصباحية، ثم عينته السلطة الفرنسية آغا على تقرت سنة 1871م كما عينت أخاه السعيد آغا على ورقلة، وتجدد الإشارة هنا إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها للفرنسيين ومساعدتهم في عملية استكمال احتلال الصحراء، ومن ذلك إلقاء القبض على اخطر تائر بالصحراء= بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873م، انظر: سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، مرجع سابق، ص 145

المرحلة الثالثة: الاستقرار النهائي للفرنسيين بورقلة

بعد سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية سنة 1854م، غادرت هذه الأخيرة باتجاه منطقتي وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الغزو الاستعماري، تاركة عملائها يحكمون البلاد، حيث نصبت سبي زبير ولد بوبكر آغا على ورقلة¹، صاحب غصن البان ذكر بأن الفرنسيين بعد احتلال ورقلة نصبوا علي باي.

غير أن الوضع الأمني لم يستقر في ورقلة مما دفع بالقوات الفرنسية العودة إلى ورقلة في ذكرى عيد المسيح سنة 1857م لاستتباب الأمن وفرض السيطرة من جديد لمدة ثلاث سنوات، ثم عينت سنة 1860م السي زبير ولد بوبكر سيدي الشيخ خليفة على ورقلة، إلا أن هذه الأخيرة تحررت مرة أخرى سنة 1871م من طرف الشريف بوشوشة²، ونصب فيها السي الزبير مرة أخرى آغا على ورقلة³، وغادر بوشوشة متجها نحو

¹ M.R.Brigol, Op.Cit, p32

² هو محمد بن التومي بن إبراهيم الغيشاوي المعروف باسم " بوشوشة " أي الفارس من مواليد الغيشة بجبال عمور، وعن تاريخ ميلاده يذكر يحي بوعزيز أنه ولد في مطلع القرن التاسع عشر، بينما ذكر الكاتب محمد الأخضر عبد القادر السائحي (دون أن يذكر المصادر التي اعتمد عليها) بأنه: " ولد في قرية قرب المنيعه حوالي سنة 1826م "، كان في بداية حياته راعيا مثل أجداده الدين ورث عنهم الشجاعة والفروسية، رفع لواء المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي منذ عام 1862 عندما اعتقلته السلطات الاستعمارية في ديسمبر ببوخنيفيس قرب مدينة سيدي بلعباس، وبعد فراره من السجن عام 1863 اتجه إلى فقيق بالحدود المغربية، ومنها إلى توات أين شرع في جمع الأنصار وإعدادهم وتحضيرهم لحركة المقاومة، وفي عام 1869 تمركز في عين صالح وأعلن نفسه شريفا عليها، وبسرعة تجند تحت لوائه كثير من الأنصار من أهل توات وشعانية متليبي وشعانية المواضي بالمنيعه وشعانية ورقلة، فأخذت حركته تمتد وتنتشر خصوصا بعد انضمام بن ناصر بن شهرة إلى صفوفه في مارس 1869، ونتيجة لهذا العدد الكبير من الأنصار قام ببحث سكان الجنوب على مقاومة النفوذ الفرنسي، ومهاجمة المتعاونين مع العدو، إذ قام بمطاردة الشيوخ والمسؤولين الذين عينتهم فرنسا، للمزيد من المعلومات انظر:

بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ص ص 216- 227

³ تحول سي الزبير ولد بوبكر سيدي الشيخ من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وثائر ضدهم وهذا بعد اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م على خلفية احتقار السلطة الفرنسية لعائلته، والتقصير من شأنها، وإلغاء الامتيازات التي كانت تحصل عليها، وعليه رفع لواء المقاومة إلى جانب أخوه سيدي لاعلي، هذا بالإضافة إلى أنه كوّن علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة، الأمر الذي جعل هذا الأخير يعينه آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة سنة 1871م.

منطقة وادي سوف. لكن القوات الفرنسية عادت مرة أخرى مجهزة بإمدادات عسكرية بقيادة الجنرال دولا كروا ¹ DeLacroix، وإعادة احتلال ورقلة من جديد في 5 جانفي 1872م، وعلى اثر هذا الاحتلال نصبت السلطة الاستعمارية الملازم محمد بن دريس آغا على ورقلة وتقرت، وطلبت منه ملاحقة الشريف بوشوشة وإلقاء القبض عليه، إلا أنه في سنة 1877م تم عزل بن دريس بسبب ارتكابه العديد من التصرفات التي لا ترضي الفرنسيين، وعينت مكانه الآغا عبد القادر بن عمر، وعلى ما يبدو أن هذا الآغا الجديد لم يستقر في آغاويته، فبعد ثلاث سنوات قدم استقالته بسبب الغزو الفرنسي لتونس سنة 1881م، والذي انعكس على سكان ورقلة بحكم العلاقة الأخوية الموجودة بين الجالية الورقلية بتونس والتونسيين، والتي هاجر إليها الورقليون عقب احتلال ورقلة من جديد سنة 1872م. لتستقر هذه المرة القوات الفرنسية نهائيا عام 1882م بعدما تم تنصيب أول مركز عسكري فرنسي بمنطقة الرويسات تحت قيادة الفريد لوشاتولي A.Le chatelier، وفي نوفمبر 1887م تم بناء برج عسكري على يد الهندسة العسكرية في منطقة بني ثور.²

وفي هذا الصدد يمكن أن نتساءل حول أسباب تأخر استقرار الفرنسيين بورقلة إلى سنة 1882م، على الرغم من مرور تسعة وعشرون (29) سنة على احتلالها؟ ولماذا في هذه الفترة بالتحديد؟

فيما يخص فترة الاستقرار، فهد يعود إلى التضييق على الحدود التونسية الجزائرية بعدما تم احتلال تونس سنة 1881م، وذلك لقطع أية علاقة مساندة أو مساعدة من طرف الجزائريين عموما والورقليين خصوصا بحكم تواجد جالية كبيرة من الورقليين مقيمين بتونس، زيادة على ذلك محاولة منع انتشار انتفاضة الشيخ بوعمامة إلى هذه المناطق، وإفشال أية حركة عسكرية شعبية، مع إحكام السيطرة على ورقلة حتى لا تكون

¹ دولا لا كروا DeLacroix: القائد العام لقطاع قسنطينة خلال السبعينات وأحد الضباط الفرنسيين الذين احتلوا بعض الواحات في جنوب شرق الجزائر، وكان له دور كبير في مطاردة أولاد مقران إلى الصحراء.

²P.Passager, Op.Cit, p105

ملجأً للثوار الفارين من الجنوب الغربي، بالإضافة إلى أن الدول الأوروبية كانت مقبلة على عقد مؤتمر دولي ببرلين تحدّد فيه مناطق النفوذ، وعليه سعت فرنسا إلى تعزيز وجودها بالمنطقة لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التغلغل داخل الصحراء الجزائرية، لاسيما بعدما راج في ذلك العهد محاولات التوسع البريطانية والاسبانية والألمانية في الصحراء بغية تكوين إمبراطوريات استعمارية.

- أما فيما يخص أسباب تأخر الفرنسيين في الاستقرار بورقلة يمكن حصرها كما يلي:
- وضع الثقة العمياء في عملاء السلطة الاستعمارية الذين نصبتهم كأغوات على ورقلة مثل السي الزبير، حمزة ولد بوبكر، محمد بن دريس، عبد القادر بن عمر، فكل هؤلاء عجزوا على استتباب الأمن في المنطقة، وفشلوا في تحقيق الاستقرار للمعمرين الفرنسيين، بل وفيهم من رفع لواء المقاومة ضد السلطة الاستعمارية وعلى الخصوص السي الزبير ولد سيدي الشيخ.
 - تشتت القوات الفرنسية عبر مختلف مناطق الوطن وذلك في إطار القضاء على الانتفاضات التي اندلعت خلال فترة الستينات والسبعينات، مثل انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني سنة 1864م، وانتفاضة المقراني والحداد سنة 1871م، بالإضافة إلى الحرب البروسية الفرنسية سنة 1870م، والتي تكبد فيها الفرنسيون خسارة كبيرة، فكل هذه العوامل أشغلت السلطة الاستعمارية على فرض استقرارها بالمنطقة، وعطلت عجلة التقدم نحو استكمال الغزو النهائي للصحراء الجزائرية.
 - ترك المجال للمستكشفين الفرنسيين والأوروبيين لاستكمال رحلاتهم الاستخبارتية في المنطقة، قبل إنشاء المراكز العسكرية التي قد تجلب هجمات المقاومين، ويصبح المستكشفين عرضة لخطر الاعتداءات والاعتيالات من طرف القبائل المناوئة للاستعمار، ولقد كانت هذه الكشوفات الأولية أساسية للمهمات الأخرى الرامية إلى ربط الجزائر بالسودان الغربي، والتي تمت بعد فترة استقرار الفرنسيين بالمنطقة.

خلاصة الفصل:

بخصوص ما تم استعراضه سلفا حول الأوضاع العامة لمنطقة ورقلة قبل احتلالها من طرف الفرنسيين اتضح لنا جليا أن تدهور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان أحد الأسباب القوية التي سهلت للقوات الفرنسية التغلغل والتوسع في المنطقة بأقل التكاليف والخسائر مقارنة مع مناطق صحراوية الأخرى التي تم احتلالها.

فعلى مستوى الحياة السياسية شهدت المنطقة صراعات قبلية وأسرية خاصة الأسر الحاكمة: مثل أسرة بن بابية بنقوسة، وأسرة بني غبول بورقلة، وذلك من أجل الاستفراد بالحكم، ولعل طول مدة العداوة بين مختلف التشيكلات الاجتماعية بالمنطقة في أواخر العهد العثماني دفع بالسلطة الاستعمارية إلى استخدام هذه الصراعات لصالحها وذلك بتأليب أو تغليب طرف على طرف تطبيقا لسياسة فرق تسد، وهذا ما تمّ بالفعل.

أما على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فعلى ما يبدو لنا أن المجتمع الورقلي آنذاك لم يكن على حالة من الانسجام التام، وذلك بسبب الصراع حول مصادر المعيشة المتمثلة في مواطن الكلاء والمراعي والمزارع، ومنابع المياه، هذا بالإضافة إلى تراجع المستوى الغذائي القائم على الزراعات المحلية، وهذا بسبب سياسة الانتقام بين الإخوة الأعداء المتمثلة في قطع الأشجار والنخيل، وأيضا جفاف العديد من الآبار الارتوازية بسبب التخريب الذي أصاب المنطقة من جراء الاضطرابات هذا من جهة، وأيضا بسبب الإهمال وعدم الصيانة من جهة أخرى. هذا دون أن ننسى تدهور التبادل والحراك التجاري نتيجة لعدة أسباب ذكرناها سلفا.

والى جانب تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي في المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي، ازدادت الرغبة الاستعمارية لدى الحكومة الفرنسية للتوسع نحو عمق الصحراء، والتي جسدها الجنرال راندون *Randon* في سياسته العسكرية منذ سنة 1851م، بدءاً بالبعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية التجسسية إلى الاحتلال

العسكري المباشر، كما أن هذه الرغبة الجارحة تزامنت مع اشتداد التنافس بين بريطانيا وفرنسا حول مناطق النفوذ في إفريقيا، وعليه كان لابد على فرنسا أن تبسط يدها على خيرات الصحراء قبل أن تمتد أيادي استعمارية أخرى إليها.

إن هذا الحال الذي كانت عليه منطقة ورقلة جعل هذه الأخيرة تسقط في أيدي القوات الفرنسية سنة 1854م بعد محاولات التحدي والمقاومة التي أبدتها سكان منطقة ورقلة، غير أن ضعف الإمكانيات وتواطؤ بعض العملاء حال دون ذلك. الأمر الذي اكسب السلطة الاستعمارية نوعاً من الثقة والاطمئنان في ترك مسؤولية استتباب والاستقرار وفرض القوانين الفرنسية لهؤلاء العملاء، والذهاب إلى مناطق صحراوية أخرى لاستكمال عملية التغلغل والتوسع، لكن هذه الثقة والاطمئنان سرعان ما فقدت من هؤلاء الوكلاء العملاء، بسبب عدم قدرتهم على مواجهة الانتفاضات الشعبية التي حدثت في المنطقة، مما دفع بالقوات الاستعمارية بالعودة إلى منطقة ورقلة لاستقرار بها نهائياً سنة 1882م.

أمام هذا المشهد يبقى التساؤل مطروحا أيضاً: ما طبيعة هذه الانتفاضات الشعبية؟ وكيف واجهتها السلطة الاستعمارية؟ كل هذا سنعرفه في الفصل التالي.

الفصل الثالث:

المقاومة الشعبية بورقلة وردود الفعل الفرنسية

المبحث الأول :

مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

المبحث الثاني :

مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف بشوشة

المبحث الثالث :

أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة

المبحث الرابع :

الطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي

خلال القرن (19م)

المبحث الأول : مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله أولاً/ حلول الشريف محمد بن عبد الله بورقلة ومبايعته سلطاناً:

تتفق معظم المصادر التاريخية على أن فكرة الجهاد عند الشريف محمد بن عبد الله قد تبلورت في ذهنه عندما ذهب إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وهناك التقى بالعديد من الجزائريين الذين طردتهم فرنسا من أرض الوطن بحجة المساس باستقرار أمن الدولة الفرنسية، ولعل الدافع القوي الذي ساندته وشجعه على الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو محمد بن علي السنوسي الذي كان متواجداً هو الآخر بمكة المكرمة بعدما طرده فرنسا سنة 1849م.

وعليه فقد رجع الشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر عن طريق ليبيا ثم الجريد التونسي، فوادي سوف وتقرت، ثم دخل ورقلة سنة 1851م، واستقر بالزاوية القادرية بالرويسات¹، وهذا ما تؤكد روايات المجتمع المحلي بالمنطقة.

¹ لقد اختلفت الروايات حول شخصية الشريف محمد بن عبد الله من حيث النسب والانتماء الصوفي والمدفن، فقد جاء في مقتضبة تاريخية بعنوان: ((سي محمد الطيب مولا ورقلة)) للشيخ حساني لحسن بن محمد (حمه باهي) شيخ الطريقة القادرية لعموم شمال إفريقيا والجزائر بالرويسات بورقلة، أن الشريف محمد بن عبد الله، هو نفسه الشريف محمد الطيب بن إبراهيم بن أحمد بن عيسى، حسني النسب قادري الطريقة، يتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلالي دفن ببغداد وبأبيه الشريف إبراهيم بن أحمد صاحب الزاوية القادرية بنفطة، وهو صاحب الضريح الموجود بزاوية الرويسات. وقد اغتالته يد الغدر بمؤامرة من عملاء الاستعمار آخر سنة 1900م برصاصة ضابط فرنسي وهو قائم يصلي المغرب، في منطقة شروين في العرق الغربي الكبير، ثم نقل جثمانه ودفن بورقلة. ويستشهد في بحثه بأربعة أبيات من الشعر الشعبي وجدت في مخطوطة لشاعر من الأغواط يدعى الشيخ سي حرز الله بن الجنيد القادري (1806-1896)، والمخطوطة مكتوبة بيد علي بن محمد السوقي بتاريخ 24 أفريل 1904م، جاء فيها:

والطيب سي محاد جا عودوا غوار	***	بن عبد الله الشريف ينسب للسادات
طاعت له المخادمة واولاد زيار	***	تقرت وواد ريغ زيد بلاد توات
يقيموا يوم الطراد يديه المشوار	***	يلقي عن بوعلام في يوم الندهات

غير أن المصادر الفرنسية تختلف في تحديد تاريخ موحد لقدم الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة، فقد ذكر بساجي *Passager* أنه جاء في جويلية 1851م¹، على خلاف آلان رومي *Alain Romey* الذي ذكر أنه جاء في شهر أوت 1851م²، بينما أرجع ليتيليوس *lethiellux* مجيئه إلى أوائل 1851م، إذ يقول: " في شهر فيفري 1851م/1268هـ المدينة كانت هادئة على غير العادة، عندما جاء في إحدى الليالي شيخ رفقة زوجته على المهري الذي يجره، ملابسه ممزقة، تدل على أنه مسافر أتى من بعيد أضناه طول السفر واستقبل في بني سيسين من طرف عبد الله بوخالد أحد قادة بدو المخادمة، والذي يحمل له رسائل توصية، في البداية استقبل بغرابة ثم بدأ يستقبل العباد، كثير من الناس، وشيئاً فشيئاً كشف عن اسمه، محمد بن عبد الله"³، وهو نفس التاريخ الذي يؤكده تروملي *Trumelet*⁴، ومادلين روفيلواز بريقول *M.R.Brigol*⁵، لتوضيح اللبس يمكن القول إن الكتاب الفرنسيين اختلط عليهم الأمر بين حلول محمد بن عبد الله إلى ورقلة ومبايعته سلطانا لها.

وتجدر الإشارة إلى أن مبايعة الشريف محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة كان بفعل تفاعل مجموعة من العوامل وفي مقدمتها دعم شيخ الطريقة السنوسية خاصة بعد عودته من بلاد الحجاز واستقراره بليبيا، أين أخذ يرأس الشريف ويشجعه على الجهاد ضد الاستعمار، زيادة على ذلك العلاقة القوية التي كانت تربط الشريف بالسلطات العثمانية

= غير أن دوبي بيلي ينفي صحة هذا الكلام، ويذكر أن الشريف محمد بن عبد الله ليس هو شيخ القادرية، وإنما الأغا سي محمد الطيب بن ابراهيم قائد القادرية في ورقلة كان مواليا للفرنسيين، وقد قتل يوم 5 مارس 1901م في واقعة شروين قرب تيممون وهو يقاتل بجانب سير فير. ينظر: دوبي بيلي، المرجع السابق، ص36.

¹P.Passager, Op.Cit, p103

² Alain Romey, **Histoire, Mémoire et Sociétés, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan, Paris, 1992, p74.

³ J.lethiellux, Op.Cit, p248.

⁴ Trumelet, Op.Cit, pp44-79.

⁵ M.R.Brigol, Op.Cit, p31.

والتي كانت تسانده بقوة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وما يؤكد هذا الطرح عند عودة الشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر عن طريق ليبيا رافقه حاكمها العثماني عزت باشا في نهاية 1849م.¹

هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه زعيم المخادمة الشيخ عبد الله بن خالد²، الذي أيد حركته الجهادية وقدمه للأهالي وحملهم على الاعتراف بزعماته لقيادة المقاومة ضد الفرنسيين، هذا دون أن ننسى شخصية أخرى ساندت حركة الشريف محمد بن عبد الله وهي الحاجة الزهرة³ التي لعبت هي الأخرى دورا كبيرا في استمالة الناس إليه والتعريف به، وتبليغ الأهالي على أنه مبعوث من الله ليكون سلطانا على ورقلة ويحررها من الكافرين.

وحسب رواية المجتمع المحلي فإن الشريف محمد بن عبد الله لقي ترحابا واستقبالا كبيرين بورقلة، إذ كثر أتباعه وأنصاره في ظرف وجيز، واتفق الأهالي على توليته سلطانا على ورقلة في حالة انتصاره على الأعداء باقتراح من الحاجة الزهرة (لآلة زهرة). وتذكر المصادر التاريخية أن الشريف محمد بن عبد الله لم يجد صعوبة في الدخول إلى ورقلة، وعلى هذا الأساس بويع سلطانا على ورقلة في صائفة 1851م.⁴

ومن جهة أخرى لعل اختيار الشريف محمد بن عبد الله ورقلة مركزا لحركته الجهادية على غرار المناطق الأخرى يعود إلى الأوضاع السياسية والعسكرية بالمنطقة، ومنها على وجه الخصوص:

- الفراغ السياسي الذي عرفته ورقلة بعد القضاء على حكم أسرة أولاد علاهم، وبالتالي كان لابد من وجود زعيم يلقي الإجماع من طرف جميع قبائل ورقلة، و

¹ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 356

² لم نعثر على ترجمة ذاتية له

³ لم نعثر على ترجمة ذاتية لها

⁴ Trumelet, Op.Cit.pp44-70

- يخلف الرؤساء المحليين كالألة الزهرة وزعيم المخادمة الشيخ عبدالله بن خالد. هذا على غرار بعض المناطق الأخرى من الجنوب الجزائري كمنطقة الابيض سيدي الشيخ والاعواط وبسكرة ووادي ريغ، حيث نصبت فرنسا خلفاء لها بالنيابة يسهلون لها عملية الاحتلال والتوسع فيما بعد.
- كانت ورقلة لا تزال غير خاضعة لعملية الاحتلال، وكانت الملجأ الآمن لكثير من المقاومين الجزائريين الذين جددوا مقاومتهم ضد الاستعمار.
- محاولة تشتيت وتفريق القوات الفرنسية حسب مناطق الثورات التي كانت تعرفها البلاد، بحيث تزامنت هذه الفترة مع اندلاع ثورة بوبغلة وحلفائه في منطقة القبائل.

ثانياً/ جبهات التصدي والمقاومة قبل احتلال ورقلة (1850-1853م) :

بعدما تم الإعلان عن الشريف محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة، أخذ يفكر بمجدية في القيام بأول تجربة عسكرية ضد القوات الفرنسية، فبدأ بالتعبئة ومراسلة القبائل المجاورة لكسب الأتباع وزيادة الأنصار والتزود بالمؤونة، ومهاجمة المتعاونين مع الاستعمار، ثم الدخول في مواجهات مع القوات الفرنسية¹، وقد عرفت مقاومته عدة جبهات لتصدي التوسع الفرنسي في المنطقة، وهي كالاتي:

1- جبهة وادي ريغ والزيان: على خلفية الأحداث التي وقعت في أسرة إمارة بني جلاب²، وذلك بسبب الصراع حول الحكم بين سلمان بن علي الجلابي¹ الوريث

¹Rapport et situation politique en Algérie, Division d'Alger , A.O.M,1H11

²نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ سليمان بن رجب المربني الزناتي الجلابي الذي تربع على كرسي المشيخة ، حيث وجد الفوضى والحروب منتشرة في مختلف ربوع وادي ريغ ، فقام بإخماد تلك الحروب وجعل المنطقة تحت حكمه ، ليرثها من بعده أبناؤه وأحفاده، وقد تعاقب على حكمها ما يقارب 36 حاكما، واستمرت هذه الإمارة أكثر من ثلاثة قرون إلى غاية سقوط المنطقة في أيدي القوات الفرنسية عام 1854م. ينظر:

CH.Féraud, Op.Cit,PP 156-157

الشرعي لإمارة بني جلاب بتقرت، وابن عمه عبد الرحمان الذي كان متعاوناً مع الإدارة الاستعمارية، وذلك بعد احتلال بسكرة أعلن خضوعه للفرنسيين والتزم بدفع ضريبة سنوية تقدر بعشرين ألف فرنك فرنسي (20000ف)². وعليه اتجه سلمان بن علي إلى ورقلة طالباً من الشريف محمد بن عبد الله نصرته واسترجاع سلطته، فمكّان من الشريف إلا تلبية النداء، فاتجه نحو نقوسة واستولى عليها، ثم سار نحو وادي ريغ أوائل شهر أكتوبر 1851م على رأس 100 فارس و900 من المشاة، واستقر بمدينة تماسين³، التي اتخذها سلمان الجلابي ملجأ مؤقتاً إلى حين استرداد عرشه، غير إن سلطان تقرت عبد الرحمان هاجم قوات الشريف محمد بن عبد الله المرابطة بتماسين بجيش قدره 600 فارس، لكن الغلبة كانت لقوات الشريف التي قتلت حوالي 85 رجلاً، وأرغموه على التراجع والاعتصام بقصره سبعة عشر يوماً. وفي المقابل فقد الشريف في هذه المعركة حوالي 30 قتيلًا و10 جرحى.

¹ سلمان بن علي هو ابن عم السلطان عبد الرحمان بن عمر، وقد هرب إلى تماسين بعدما انتزع الحكم منه، فأرسل عبد الرحمان في طلبه، ففر سلمان إلى الغرب ولما توفي عبد الرحمان أرسل بعض سكان تقرت مبعوثاً إلى السلطات الفرنسية ليأتي بالطابع إلى أولاد السلطان عبد الرحمان، فخلف هذا الأخير ابنه عبد القادر الذي كان صغيراً، حيث عاشت الإمارة في عهده انحطاطاً كلياً في جميع المجالات، لذلك أرسل سكان تقرت رسالة إلى سلمان الجلابي يستعجلونه فيها بالقدوم إلى تقرت ليحكمها، لأنه الوريث الشرعي لسلطنة بني جلاب، ففعل وأصبح بذلك سلطاناً على تقرت. وفيما يخص الصراع بين الأسرة الحاكمة يقول مالتسان، مثلاً: «... كان النزاع يسود أفرادها في السنوات الأخيرة من سقوطها، إذ كان هناك دائماً جلابيون يطالبون بالحكم، ويحاولون إسقاط الجلابي الحاكم، وكثيراً ما تم لهم ذلك... وكانوا كلهم ينتمون إلى أسرة جلاب...»، ينظر: مالتسان، ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا، الجزائر، ش.و.ن.ت، ج3، 1980، ص177

² Rapport du 1 au 15 mai 1845.A.O.M, F88- 493

³ هناك اختلاف في تداول الروايات، هناك من يقول أن قوات الشريف بن عبد الله استقبلت من طرف سكان بلدة عمر، وانضم إليها أهل تماسين على أساس أن شيخ الزاوية التيجانية كان قد طلب من سلمان الجلابي مغادرة المدينة حتى لا تتعرض لأي هجوم، وهناك رأي آخر يقول إن سكان تماسين هم من استقبلوا قوات الشريف، وهو ما يؤكد سعد الله في قوله: إن الشريف محمد بن عبد الله عند دخوله تماسين وجد محمد العيد التجاني واقفاً على الحياد من الحرب. ينظر: سعد الله، المرجع السابق، ص359.

هذا الانتصار الذي حققه الشريف محمد بن عبد الله رفقة سلمان بن علي الجلابي جعل السلطة الاستعمارية ترسل إمدادات عسكرية بحوالي 400 فارس إلى حليفها عبد الرحمان الجلابي، الأمر الذي شجع عبد الرحمان بمعاودة الهجوم مرة ثانية على تماسين في ليلة الرابع إلى الخامس من أكتوبر على رأس جيش قدره 600 فارس و1500 رجل حاصروا مدينة تماسين، غير انه فشل في الدخول إليها مما دفع به إلى التراجع والعودة إلى مقر سلطته بتقوت، وفي المقابل ترجع الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة من اجل تعزيز صفوفه بقوات جديدة وفضل عدم مطاردة عدوه.¹

والمتتبع للأحداث يلاحظ أن الظروف العسكرية والسياسية كانت تسير لصالح الشريف محمد بن عبد الله ، فمن جهة الجلالبة فقد توفي عبد الرحمان الجلابي، فخلفه ابنه عبد القادر في الحكم سنة 1852م وهو صغير السن وبقي تحت وصاية جدته لآلة عيشوش.

ومن جهة الفرنسيين فقد تراجعت السلطة الفرنسية في مواقفها ضد حليف الشريف محمد بن عبد الله وحاولت التقرب منه، حيث راسلته السلطة الاستعمارية بقيادة "الجنرال دو صال DuSall " تطلب منه توقيف القتال بين الطرفين، والاعتراف به سلطانا شرعيا على إمارة بني جلاب، وعدم التعامل مع الشريف محمد بن عبد الله، غير أن سلمان رفض هذا العرض، وبقي متمسكا بخيار المقاومة، وفي هذه الأثناء قام سلمان بالهجوم على تقرت واسترجع عرشه ، بعدما انتصر على قوات عبد القادر وآلة عيشوش، وأعلن نفسه سلطان وادي ريغ.²

وأمام هذا الانتصار ما كان إلا على الفرنسيين القبول بأمر الواقع والاعتراف بحكم سلمان بن علي الجلابي شريطة إن يقطع علاقاته مع الشريف محمد بن عبد الله وان يغلق سوق تقرت أمام أعداء فرنسا، لكن سلمان لم يهتم بهذه الشروط، بل عزز علاقاته مع الشريف محمد بن عبد الله وفتح مدينة تقرت وضواحيها لتجار ورقلة وأنصار الشريف

¹ CH.Féraud, Op.Cit,P159.

² Ibid,p160.

محمد بن عبد الله، وهذا ما أكدّه صاحب " ري الغليل"¹ في رسالة موجهة الى عبد الحميد التركي أحد الموالين للسلطة الاستعمارية، ولأهمية هذه الرسالة نذكر نصها فيما يلي:

((إلى حضرة الأجل المرعي برعاية الله عز وجل، محبنا ومنا وإلينا، السيد الحاج عبد الحميد بي، فلا أكرمه الله ورعاه آمين؛ أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وأنه لما بلغنا - يا محبنا - إلى المغرب، استخبرنا بأن الشريف - قوافله - قادمة تكيل من تقرت، فلما بلغنا إلى تقرت، أتت قافلة من العرب، وهم الحرازلة والأرباع والشعانية، وسعيد عتبة، والمخادمة، وغيرهم، ودخلت تقرت يوم الجمعة في 11 رجب سنة 1268هـ، وجابت ثلاث مئة جمل للبيع، وكيّلت القمح ثمن الصاع البسكري بستة دورو الصاع؛ وكيّلت التمر باثني عشر ريال للحمل، واشترت البارود بريال ونصف للرطل، وكان الريال عندهم يساوي ريالين تونسي، وأخذت الرصاص بنصف ريال للرطل، وأخذت السلاح شيء كثير.

وأنت قافلة يوم السبت في 12 رجب سنة 1268هـ، وفيها عشرون جمل، وكيّلت القمح بأربعة ريالات ونصف للربعية، وكان الصاع البسكري فيه ستة ربيعات.

¹ هو مخطوط عنوانه "ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل من سلاطين فزان"، لصاحبه محمد بن السلطان عبد الجليل بن غيث ابن احمد بن سيف النصر، ويقال انه ابن آخر أمراء فزان ، المخطوط مكتوب باللغة العربية تغلب عليه اللهجة العامية، يحتوي على مائة وثلاث ورفات ، تم تأليفه بباريس (فرنسا) سنة 1268هـ/1852م، وهو عبارة عن رحلة شملت أقطار المغرب العربي ومصر والحجاز واسطانبول والسودان القديم، ويقال أن السلطة الاستعمارية الفرنسية هي التي طلبت من المؤلف كتابة رحلته، وذلك أن المؤلف قبل مغادرته باريس سلمه إلى السيد الحاج عبد الحميد باي بطلب منه، ليسلمه بدوره إلى " ولاية الأمور" الفرنسيين، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن الحاج عبد الحميد باي الذي رافق الرحالة الليبي في آخر رحلته، انه صور نسخة من المخطوط، وحملها سنة 1853م إلى الأب بارجيس الأستاذ في جامعة السربون آنذاك، ليقوم بترجمة المخطوط إلى اللغة الفرنسية.

ويعمل على تحقيق المخطوط حاليا الكاتب الليبي حسين المزداوي ، وقد كتب عنه الباحث علي مصطفى المصراي الليبي في كتابه: مؤرخون من ليبيا ، والدكتور الجزائري أبو القاسم سعد الله في كتابه: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني.

وأُتت قافلة يوم الأحد في 13 رجب سنة 1268هـ، وفيها أربعين جمل، وأخذت القمح من غير كيل بالحمل، باثنين وأربعين ريال للحمل، وأما التمر فقد اشترته مثل القوافل الأولين.

ويوم الاثنين في 14 رجب سنة 1268هـ لم يتحطى القمح في سوق تقرت، وأكثر الناس القلين باتوا من غير عشاء، لأن القمح لم يوجد في تقرت.

ويوم الثلاثاء {الثلاثاء} في 15 رجب سنة 1268هـ أُتت قافلة، وفيها أربع مئة جمل، وجاء معهم رجل اسمه محمد السنوسي، يدعي بأنه شريف، وهو قاضي عند الشريف القائم بورقلة وخليفته، وحط خيمته غرب تقرت بقرب باب سيدي عبد السلام، وأتى معه رجل من أكابر الأرباع اسمه الشيخ الناصر، وأهدوا - الأرباع - للشيخ سلمان فرس من جياد الخيل، وأتوا أربعين فارس من الأرباع، ومعه رجل يشعر ويقول:

أتينا على الخيل الجياد شبيه الريح للسباق
وركبنا كل صنديدا هماما ولا نختشوا من أهل النفاق
ونحن حمية الإسلام جمعاً ونُقِرّوا بالله باقي
ومحممــــــــــــــــد بالرسالة إلى يوم التلاقي

فلما وصلوا قرب تقرت، ركب الشيخ سلمان، ولاقتهم جميع أهل تقرت، وأتى ميعاد (رُسل) من عند أولاد جلال إلى الشريف محمد بن عبد الله، وميعاد (رسل) من جميع أهل الزاب، وميعاد (رسل) من السلمية، وقالوا للشريف محمد بن عبد الله: إذا تحط بقرب الزاب نكونوا معك.

وخبّرنا رجل من أهل سوف يخدم في الشريف - وهو خبرنا خبر صحيح - بأن الشريف محمد بن عبد الله عنده ثلاثة عشر مئة من الخيل، وخمسة وعشرين مئة ساق (نفر) وخمسة عشرة مئة هجين؛ اثنين من الرجال على كل هجين، وقال لنا: إن

الشريف - بلا شك - متوجه إلى بسكرة، وأما خليفته الذي اسمه محمد السنوسي مشى لأهل وادي سوف، يفرع فيهم للجهاد.

وأتى الخبر يوم الخميس في 17 رجب سنة 1268هـ إن الشريف محمد بن عبد الله عزم على أولاد نايل قبلة أبوسعادة، ويوم الجمعة في 18 رجب سنة 1268هـ أعطى الشيخ سلمان إلى خدام الشريف مئة حمل تمر، وخمسة أحمال قمح، وعشرة أحمال شعير. وأما الشيخ سلمان ليس يحب الفرنضيص، ولو يأخذ رأينا ودبارتنا - خدام الدولة الفرنصوية - ليس يلبسوا الشيخ سلمان، ولا يسرحوا له القمح، لأنه يعطي فيه لعدوهم، ونحن كتبنا جواب إلى مسيو سيروكا؛ متولي أمور العرب ببلاد بسكرة، وأعلمناه بما ذكرنا لكم.

وأما تقرت في وقتنا هذا للشريف بلا شك، وإنهم - أهل تقرت - كل يوم يركبوا في الصمعة وينادوا: الجهاد في سبيل الله؛ وأما الحاج محمد الأدريسي، كل يوم يقرّي في كتاب الجهاد على الشيخ سلمان، وعلى جميع أكابر تقرت، ويقول لهم: جاهدوا في سبيل الله خير لكم لو كنتم تعلمون، وكل ناس جاهدوا، إلا أنتم يا أهل تقرت، وها هم جاعلين أمرهم.

وأما الحاج محمد الأدريسي فهو ماشي من عند الشيخ سلمان ميعاد (رسل) إلى الشريف محمد بن عبد الله، ولكن نحن في ظننا إن الشريف ماشي عن قريب، ومتوجه إلى بلاد بسكرة، ولكن في هذا الوقت لم يقدر على شيء، وأما وقت الخريف وقيل إنه يقدر؛ وأما نحن إن شاء الله يوم الاثنين في 21 رجب سنة 1268هـ نرحلوا من تقرت، ونتوجهوا إلى حضرتهكم ببسكرة، ونخبروكم بما علمناه، ودمتم بخير، والسلام .

من محبكم ومحب الجميع، عبده: محمد بن عبد الجليل. تاب الله عليه، وغفر له ولأبويه آمين.

بتاريخ يوم السبت في 19 رجب سنة 1268هـ/1852م.))

بعدما تيقنت السلطة الاستعمارية استحالة التفريق بين الشريف محمد بن عبد الله وسلمان الجلاي، أصدرت قرارا بعزل هذه المنطقة عن كل التبادلات التجارية ومنع كل القبائل المنضوية تحت سلطتهم من الاتصال بها.

وتحركت السلطة الاستعمارية في ربيع 1853م بقوة عسكرية قدرها 500 فارس و500 من المشاة مجهزة بقطعتين من المدافع بقيادة العقيد ديفوا ¹ Desveaux للقيام بمناورة عسكرية بالقرب من وادي ريغ، فما كان من سلمان الجلاي إلا القيام بمجموعة من التعزيزات والاستعدادات، فقام بتصفية أعدائه بالمنطقة، وراسل الشريف محمد بن عبد الله الذي قدم على جناح السرعة لنجدته بجيش قدره 200 فارس و800 من المشاة، ولكنه ما إن وصل إلى منطقة الحجيرة حتى عاد إلى ورقلة بعد أن علم بتراجع القوات الفرنسية إلى بسكرة.

غير أن سلمان الجلاي بات متأكدا ما هي إلا ساعات ويتم احتلال وادي ريغ من طرف الفرنسيين، وعليه عمل على توحيد وتنسيق الجهود مع الشريف محمد بن عبد الله وباقتراح هذا الأخير بالذهاب لمناوشة العدو بعيدا عن مقر المشيخة الجلاية، وأن لا يبقى قابعا في المدينة ، بل عليه أن يجمع قواته ويضايق مسيرة الفرنسيين إلى تقرت ؛ أي أن سلمان الجلاي لا يكتفي بمرحلة الدفاع بل عليه الهجوم ، وفي حالة الفشل يمكن التراجع نحو ورقلة، ومنها تتم عمليات الهجوم على العدو²، وتنفيذا لهذه الخطة عمل سلمان

¹ هو ديفو أو ديزفو، على نطق آخرين ، واسمه الكامل : نيكولا جيل توسا Nicola Gilles Toussaint من مواليد 1810/11/1م ببافيس ، تقلد رتبة عسكرية كثيرة منها : رتبة ملازم عام 1830، ورتبة نقيب عام 1840، ورتبة عقيد عام 1851 ، وجنرال عام 1859 ، وتولى عدة مناصب عليا ، فمن سنة 1859 إلى سنة 1864 عمل قائدا للقطاع القسنطيني ، ومن سنة 1864 إلى سنة 1869 عمل نائبا لحاكم الجزائر ، وفي سنة 1869 شارك في أعمال لجنة الجزائر ، كما شارك في وضع قوانين السيناتوس كون سيلت وتطبيقها سنة 1863 ، وتوفي سنة 1884 م ، وتعتبر سياسة ديفو في الجنوب الجزائري البصمات الأولى الفاعلة للتوسع الفرنسي في الصحراء ، وتعد مذكراته أحد المصادر الهامة التي تحمل مادة خبرية حول تاريخ الجنوب الجزائري، أنظر :

M.Emerit , Une Source pour l'histoire du second empire: « les Souvenirs du Général Desveaux »

² Ch. Féraud, Op.Cit, p199

الجلابي على نقل خزينة المشيخة إلى ورقلة، وبيع المخزون من التمور، وبعد أيام استقبل الشريف محمد بن عبد الله "بعين فليته" على رأس جيش قدره 500 فارس ودخل إلى تقرت وأمر أتباعه بتحسين إمارة الجلالية والدفاع عنها.

و في هذه الأثناء خروج محمد بن عبد الله من قاعدته الثورية بورقلة ترك فراغا عسكريا استغلته السلطة الاستعمارية لاحتلال ورقلة بمساعدة العميل سي حمزة ولد بوبكر في 27 جانفي 1854م بعد محاصرتها بقوات قدمت من وهران ومعسكر والمدينة والبيض. وبعد خسارة الشريف محمد بن عبد الله لورقلة ما كان عليه إلا الحفاظ على قاعدته العسكرية الثانية بوادي ريغ، حيث عاد إليها بعدما وجد سلمان الجلابي في انتظاره واخذ يعد العدة بالتنسيق بينهما للتصدي للاستعمار الفرنسي.

ومن جهة الفرنسيين بعد مرور سنة انطلقت القوات الفرنسية لاحتلال وادي ريغ يوم 18 نوفمبر 1854 بقيادة الرائد مارمي (Marmier)، وبجيش قدره 250 جندي نظامي و2400 من الاحتياطيين وقوات الصبايحية بقيادة العربي المملوك مكونة من 150 فارس، مرورا بالمغير وجامعة، وصولا إلى المقارين التي تمركزت فيها القوات لتهيئة الظروف المناسبة للهجوم على عاصمة وادي ريغ، وفي صبيحة 29 نوفمبر 1854 التحم الجيشان في معركة ضارية بالمقارين¹ دامت من الثامنة صباحا إلى الثانية زوالا². ويذهب الفرنسيون إلى أن جيش المقاومين كان يتألف من 2000 و400 خيالة³، بينما يذهب أبو القاسم سعد الله إلى أن عدد المقاومين شمل 800 فارس وألفين من الفنتازية¹،

¹ المقارين مدينة تقع شمال تقرت بحوالي 10 كلم، وهي مقر دائرة تابعة لولاية ورقلة، تشمل بلديتين (المقارين، سيدي سليمان)، كما تقع على الطريق الوطني رقم 3 الرابط بين بسكرة و ورقلة، وتبعد عن العاصمة حوالي 650 كلم، ويمتدح سكانها الفلاحة.

² Rapport sur le Combat de Meggarin, livré le 29 novembre 1854, aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed ben Abdallâh, in R.AF, n 39, 1895, pp155- 159. voir aussi : Historique des tribus du cercle de Batna de l'année 1854 et 1855, A.O.M. 10H17.

³ المبشر، ع176، 31 ديسمبر 1854.

انهزم الجيش الفرنسي في أول الأمر وتراجع إلى الوراء إلا أنه عاد بقوة معززة رجحت الكفة لصالحه ، إذ أمر القائد الفرنسي كتيبة القناصة بإتباعه إلى " قبة الولي الصالح سيد علي بن كانون " والتي تشرف على القرية بغية السيطرة عليها وصد الهجوم ، وقد استطاعت هذه الكتيبة أن تقضي على هؤلاء الثوار المتحصنين بقبة الولي الصالح ، وفي نفس الوقت أعطيت الأوامر لدفع سرية الملائم عمار من الصبايحية الثالثة لصد الهجوم من الجناح الأيسر ، وفي هذه الأثناء تقدم الفوج الثاني للهجوم من اليمين بقيادة النقيب كورتيفران (Courtivroin) وعلى اليسار سرية السي مختار والسي بوضياف ، فاندفع النقيب كورتيفران إلى وسط الفرسان المشاة المجاهدين متبوعا بتوغل النقيب فاندرواس (Vindrois) بفصيلة من كتيبة القناصة الأهالي إلى الأمام ، في حين تقدم الملائم الأول جوهانو (Johanneau) بفصيلة أخرى وشرع في محاصرة القرية ومطاردة أهاليها ، مما أدى إلى كل من سلمان والشريف محمد عبد الله إلى الانهزام²، ثم التراجع و الانسحاب نحو تقرت، ثم وادي سوف إلى الجريد التونسي.³

ومهما كان الحال فإنه في يومي 1 و 2 ديسمبر 1854م دخل القائد مارمي تقرت وقد سبقه إليها الملائم الأولان روز (Rose) وديان فيل (Dyanville) رفقة سرية من الصبايحية ، وفي 5 ديسمبر وصل العقيد ديفو (Desveaux) إلى تقرت على رأس

¹ سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1860 ، ج1، مرجع سابق، ص 361 .

² من نتائج هذه المعركة يذكر شارل فيرو - الذي رافق اغلب الحملات العسكرية في الجنوب الشرقي - في كتابه (صحراء قسنطينية) على لسان النقيب Seroka قائلا : ((... كان من نتائج انتصارنا في هذه المعركة التي دامت حوالي خمس ساعات ، تراجع الأعداء نحو تقرت ، وتساقط العديد منهم قتلى بسبب الازدحام الذي وقعوا فيه أثناء عبورهم الجسر الممتد على عرض الخندق المحيط بالمدينة الذي يوصلهم إلى باب الخضر ، المنفذ الوحيد إلى مقر مشيخة بني جلاب ،- جاء في المبشر انه مات منهم ثلاثة عشر شخصا خنقا وسقطوا بالخندق- كما تمكنا من غنم 1000 بندقية و 100 سيف و 5 رايات ، في حين قدرت الخسائر البشرية بما يقارب 500 قتيل وجريح في صفوف العدو، ولم نسجل نحن سوى 11 قتيلا و 46 جريحا)). ينظر :

Ch. Feraud ,« Les Ben Djallab Sultans de Touggourt », in **R.A**, N° 25 , 1881 , pp 218- 220

³ Rapport sur le Combat de Meggarin, Op,Cit,pp155-159

الطواير التي تم جمعها من باتنة و الاغواط و بوسعادة لتنضم إلى بقية الفرق العسكرية المتواجدة بعين المكان معلنا باسم فرنسا احتلال عاصمة وادي ريغ ، و طرد الجلالبة¹.

2- جبهة وادي ميزاب : سبق وأن ذكرنا بأن الشريف محمد بن عبد الله لما سيطر على ورقلة أراد أن يتجه إلى مجموعة من المناطق المجاورة لجمع الأنصار والأتباع، فأخذ يستعد للسيطرة على مدينة بريان، حيث راسل أعيانها طالبا منهم الخضوع وتقديم الولاء والطاعة، ولكنهم رفضوا، وأعلنوا استعدادهم لمحاربتهم، وتحذوه إذا أراد القتال عليه أن يتجه مباشرة لمحاربة الفرنسيين أعداء البلاد، ويظهر أن الشريف لم يكثر لهذا التحدي فاقترب من متليلي وعسكر إلى جنوبها صحبة عدد من الشعانية والمخادمة والأرباع، وبعد مناوشات صغيرة ومحدودة عاد أدراجه إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب بن بابية شقيق الشيخ بو حفص رئيسا على نقوسة.²

وتعود أسباب رفض بني ميزاب الانضمام إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله إلى الخوف والقلق الشديد من انتقام فرنسا من أهاليهم ، إذ يقول الشيخ حمو عيسى النوري: " لما احتلت القوات الفرنسية مدينة الاغواط شعر الميزابيون بقلق شديد وتوقعوا سورة الانتقام من فرنسا ، وقد كانوا يقاومونها في الشمال أينما حلت..³ " ويذكر أبو القاسم سعد الله أن هذا الأمر (اتفاق الحماية) اتخذته الفرنسيون كأسلوب جديد في المعاملة مع بعض الجزائريين وهو نصب حماية تضمن للطرفين واجبات وحقوقا معينة دون اللجوء إلى الحرب.⁴ وهذا ما أكدته الجنرال راندون *Randon* في احد خطاباته قائلا: ((لا يمكن اعتبارها معاهدة تجارة بيننا وبينكم، لكن بوضوح استسلامكم لفرنسا، خارج هذه الفكرة لا يوجد أي تسوية، مداخلكم من شتى الأنواع معروفة لدينا كل مدينة لا تدفع إلا ما هو معقول، اعتبروا أنفسكم في خدمتنا، وسنعطيكم حمايتنا في كل مكان لا نريد

¹ Henri Garrot, Op.Cit, pp191-192.

² يوسف بن بابكر الحاج سعيد ، المرجع السابق، ص 69

³ حمو عيسى النوري ، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق، ص 272.

⁴ سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1860، ج1، المرجع السابق، ص 359.

التدخل في شؤونكم الداخلية لا تهمنا أعمالكم إلا إذا مست الأمن العام وحقوق مواطنينا وقبائلنا الخاضعة)).¹

3- جبهة الاغواط : سبق وأن ذكرنا أن اتخاذ الشريف محمد بن عبد الله ورقلة مركزا لنشاطه الجهادي بهدف الاستيلاء على تقرت والاغواط، فراسل ابن الاحرش زعيم أولاد نايل المتواجد بالحلقة طالبا منه الانضمام إلى الثورة، غير أن الباشاغا الشريف بن الاحرش رفض العرض، مما دفع بالشريف محمد بن عبد الله أن يتوجه إليه في نهاية 1851م بجيش مكون من قبائل سعيد عتبة وشعانية بوروبة وشعانية القبالة، ودخل معه في اشتباكات أسفرت عن اغتنام 500 جمل و400 راس من البقر وأكثر من أربعة آلاف رأس من الغنم²، وفي هذه الأثناء كان ناصر بن شهرة قائد الأرباع قد انضم إلى الشريف، وقد كان هذا الانضمام حافزا قويا نحو السيطرة على الاغواط، وفي أوائل 1852م هاجم الشريف مدينة الاغواط، غير انه اخفق في الدخول إليها، إلا انه عاود الهجوم عليها مرة أخرى بمساعدة كلا من آغا الاغواط يحيى بن معمر بن سالم، حيث وصل إلى أسوارها يوم 15 سبتمبر 1852م، لكن النجدة الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف عرقلت عملية السيطرة على الاغواط وأبعدت الشريف عنها بعدما تم وضع ترتيبات التحصين والدفاع عنها.³

وأمام تهديدات الشريف محمد بن عبد الله قررت السلطة الفرنسية إخضاع مدينة الاغواط لسيطرتها بتجنيد ثلاث فرق عسكرية الأولى من وهران بقيادة الجنرال يوسف، والثانية بقيادة بيليسي والثالثة بقيادة ما كماهون، وفي الأثناء كانت قوات الشريف قد تقوت بعد الانتصار الذي حققه في "معركة الرق" ضد الفرنسيين، حيث استقبله سكان الاغواط بحفاوة بالغة. ولما علمت السلطة الاستعمارية بدخول الشريف محمد بن عبد الله إلى الاغواط انطلقت القوات الفرنسية المرتكزة في النواحي المجاورة للاغواط، حيث وصلت في 2 ديسمبر 1852، وشنّت حملة ضخمة على المدينة كانت في منتهى الوحشية،

¹ Augustin Bernard et N.Lacroix , Op.Cit.p19

² Ch.Féraud , le Sahara de Constantine, Op,Cit,p491

³ E .Mangin , Op.Cit ,pp 316-318

وقد أسفر هذا الهجوم على قتل حوالي 800 قتيل من المقاومين وخروج الشريف محمد بن عبد الله من المدينة وانسحابه إلى ورقلة.¹

ثالثا/ استمرار مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة بعد الاحتلال والسيطرة (1854-1861):

على الرغم من النتيجة السلبية التي أسفر عنها قتال مدينة ورقلة وضواحيها بالنسبة لمحمد بن عبد الله، واستسلام قبائل الشعانة والمخادمة وسعيد عتبة ، وانسحابه إلى وادي ريغ، ثم الجريد التونسي رفقة ناصر بن شهرة، ودخول ورقلة تحت النفوذ الفرنسي في 27 جانفي 1854م، وتذكر بعض الوثائق التاريخية خلال تواجد الشريف محمد بن عبد الله بتونس، كان قد متن علاقاته بكثير من اللاجئين الجزائريين ، واخذ رفقة ناصر بن شهرة يشنون الغارات على الأعوان الفرنسيين داخل الحدود الجزائرية، وكثيرا ما كان يشاركه في هذا العمل ثوار لاجئون آخرون خاصة محمد بوعلاق اليعقوبي، فتضايقت السلطات الفرنسية والتونسية من هذه الهجمات، وأمرت بطردهم واستخدام القوة ضدهم، وهذا ما تؤكد مجموعة من الرسائل أهمها: رسالة من المشير أحمد باشا باي تونس إلى قنصل فرنسا بتونس، والمؤرخة في 10 رمضان 1270هـ الموافق لـ: جوان 1854م، والتي جاء فيها :

((الحمد لله وحده من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير أحمد باشا صاحب المملكة التونسية إلى معاهدنا ذي الافتخار الأكبر الكولير بكالار المكلف بأمور الدولة الفرنسية والقنصل جنرال بحاضرنا تونس أما بعد: فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده، وعدم قبوله ثم نخرّب بمن معه، وأغار على الفطارية من رعيّتنا ما بين نفطة وتوزر، وأخذ لهم قدر ثلاثين بعيرا ووقعت بينهم القتلى والجرحى وهو من القائمين على الحكم بالجزائر، فأردنا أن نغصبه على البعد من عمالتنا تحفظا من فتنته ونخلص منه ما أخذ، وإن لم يبعد إذن بحربه، فأعلمناكم ليكون ذلك على ذكركم، فإننا لا نأوي

¹ Ibid.

الظالمين في عمالتنا، ولو يصدر منهم ضرر في عمالتنا أخرى مع الضرر. ودمتم في امن الله تعالى وكتب في رمضان المعظم من سنة 1270هـ)).¹

وجاء في رسالة أخرى من المشير احمد باشا باي تونس إلى القنصل العام الفرنسي بتونس، والمؤرخة في 21 جمادى الثانية 1270هـ الموافق لـ: مارس 1854م، مايلي:
(الحمد لله وحده. من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير احمد باشا صاحب المملكة التونسية إلى معاهدنا ذي الافتخار الأكبر الكولير بكالار المكلف بأمور الدولة الفرنسية والقنصل جنرال بحضرتنا تونس أما بعد: فانه بلغنا كتابكم في شان الرجل الشريف الذي قدم من الغرب، والجواب إننا سمعنا به قبل أن نخبرنا وفي الحين كاتبنا أمير اللواء ابننا احمد زروق بطرده وعدم قبوله في عمالتنا، هو ومن معه وأذناه يبعث له ليرحل من غرب عمالتنا، كما هو شان المحبة والموافقة بين الدولتين، وأما محمد بن القاضي الذي بنفزاوة فإننا نخاطب عامل الجريد بأن يخاطبه بالرحيل إلى دواخل العمالة، والبعد عن شبه الفساد، وإلا يخرج من عمالتنا ودمت في امن الله، وكتبت في 21 جمادى الثانية 1270هـ —)).² هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الرسائل ذات أهمية لا يمكن عرضها كلية، ويمكن الرجوع إليها في الأرشيف الوطني التونسي.³

¹ A.N.T,B 212,D239,N°5

² A.N.T,B 219,D237,N°4

³ ومن بقية هذه الرسائل نجد :

– رسالة من قنصل فرنسا بتونس إلى المشير الصادقي باي تونس، والمؤرخة في 31 أكتوبر 1860، يعطي الإذن فيها بإلقاء القبض على ناصر بن شهرة الذي قام بغارات على دواوير أولاد رشيش. الوثيقة رقم 11، صندوق 219 ، ملف 237

– رسالة من الحاكم العام بالجزائر إلى قنصل فرنسا بتونس ، والمؤرخة في 28 أكتوبر 1860م، جاء فيها: (نعرف جنابكم بأنه بلغ لي مكتوب بالتلغراف من الجنرال حاكم عمالة قسنطينة هذا نصه: بلغني أن جماعة ناصر بن شهرة بعد أن غزا السوايد واتجهوا لجهة الشرق ونزلوا على دواوير أولاد رشيش النازلين في وازرن وغزوهم. وبلغني هذا الخبر إجمالاً ولم يبلغني تفصيل عن ذلك)). الوثيقة رقم 11 ، صندوق 212، ملف 239

إلا أن حركة الجهادية للشريف محمد بن عبد الله بقيت متواصلة ومستمرة، فبعد مكوثه عدة شهور بتونس عاد مرة أخرى في شهر سبتمبر من نفس السنة إلى وادي ريغ واتجه رفقة سلمان الجلابي نحو ورقلة لاستعادتها، غير أن حليف الفرنسيين سي الزبير قاومهما، فتراجعا نحو وادي ريغ للتصدي للتوغل الفرنسي في المنطقة. ودخل في اشتباك مع القوات الفرنسية في معركة المقارين 29 نوفمبر 1854م، والتي أسفرت عن انهزامه وانسحابه مرة أخرى إلى الجريد التونسي، بقي فيها حوالي ستة سنوات ثم عاد إلى ورقلة ليجدد مقاومته ضد الفرنسيين وعملائهم في المنطقة، وقد ذكر تقرير فرنسي أنه في 15 أوت 1861م ظهر الشريف محمد بن عبد الله بورقلة مع مقاومين من التوارق واستوطن بحاسي الخفيف بين الحجيرة وناقوسة، وكان قد اخذ في طريقه تسع قطعان من الإبل لقبيلة المخادمة، ثم تموقع بين ورقلة والرويسات، حيث انضم إليه البعض من الشعابنة الذي خرجوا عن طاعة قائدهم أحمد الشايب المعروف باسم "البساطي" والموالي للفرنسيين¹. هذا بالإضافة إلى قبائل المخادمة حينما اخذ منهم الشريف محمد بن عبد الله إبلهم اخذوا يفاوضونه على استرجاعها، فاشتراط عليهم الانضمام إليه من جديد والدخول تحت طاعته، فما كان منهم إلا قبول بالأمر الواقع والالتحاق بصفوف الجهاد والمقاومة.

زيادة على ذلك فقد انضمت إليه قبائل بني ثور من جديد، وقد أهدوا له حصانا كرمز للطاعة والولاء، بالمقابل علمت السلطة الاستعمارية بكل هذه التطورات التي حدثت بالمنطقة، فقامت بعزل سي الزبير حاكم ورقلة الذي كان يعاني من مرض مزمن، وتعين علي باي بن بوعكاز مرة ثانية على ورقلة، وكلفته بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله، حيث وصل إلى منطقة الحجيرة بجيش قدره 170 فارس و1500 من المشاة تقريبا كلهم من وادي سوف.² وصل علي باي إلى نقوسة في أوائل أكتوبر 1861م، واستقبله أهلها، ثم توجه نحو بامنديل واستقر هناك لمدة قصيرة اخذ يفاوض أعيان الشعابنة والمخادمة وبني ثور حول تسليم الشريف محمد بن عبد الله، غير أن المفاوضات باءت بالفشل، مما دفع

¹Rapport: « Notes pour servir....»,pp381-445.

² Ibid ,p31

بعلي باي الدخول في معركة يوم 3 أكتوبر 1861م ضد أنصار الشريف محمد بن عبد الله والتوارق ببغابات الرويسات، ونظرا لخبرة الشريف ومعرفته بالمنطقة الجغرافية استطاع أن يحقق انتصارا على عدوه علي باي ويجبره على التراجع والانسحاب نحو وادي ريغ.¹

وتجدر الإشارة هنا إلى أن غياب سي الزبير عن ورقلة بسبب المرض، كان احد الأسباب القوية في انتصار الشريف محمد بن عبد الله، وفي هذه الأثناء قامت السلطة الفرنسية بعزل سي الزبير وتعويضه بابن أخيه بوبكر ولد حمزة.

استطاع الشريف محمد بن عبد الله في 2 أكتوبر 1861م تحرير بعض الضواحي من ورقلة²، غير أن المدة لم تطول، حيث دامت شهرا واحدا فقط، وفيها عمل على ترتيب الأمور واستتباب الأمن والاستقرار، وواصل هجماته الخاطفة ضد القبائل الموالية للعدو، إذ قام في 10 أكتوبر 1861م بأخذ قطعان من الغنم لأولاد السايح، ثم انسحب إلى قصر الحيران، وفي 18 و19 أكتوبر من نفس السنة هاجم نقوسة ودخل في اشتباكات مع القوات الفرنسية التي قدمت من البيض (حريفيل) بقيادة سي بوبكر ولد حمزة خليفة السي الزبير، وانتهت المعركة بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله إلى عرقل بوسروال جنوب ورقلة³، أين أُلقي عليه القبض بقارة الحاج، فأخذ أسيرا إلى وهران، ثم نفى إلى جزيرة كورسيكا⁴ حيث ظل سجيناً هناك لغاية إعادته إلى سجن عنابة بعد أن داهمه المرض.

هذا وقد دون الشاعر مسعودي لخضر مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في قصيدة شعبية طويلة من أبياتها مايلي:

¹ Ibid, p94

² Alain Romey, Op. Cit. p75

³ Ibid. p75

⁴ جزيرة كورسيكا تقع في حوض البحر المتوسط وبالضبط في الجنوب الشرقي لفرنسا استعمرتها هذه الأخيرة واعتبرتها جزءا من تراثها

نذكر لك رجال ياوطني تبغيك	نبد بالمقاومة في جبهتنا
في مدينة ورقلة مسمية بيك	بن عبد الله دار ثورة لمتنا
نظم ليها جيوش كانت تحمي فيك	محمد بن شريف اول قادتنا
وقت الحزة تكون في جنبك وتحيك	كانت رجال يلـقاهم معتنا
سال المجاهدين هاهم بين ايديك	ومن بعدو ابطال هاذي عادتنا
وكوراما رجالها لا مايخفيك	الشجاعة والنيف هي همـتنا
كي تسمع برهان دي جبهة يرضك	ياقصد دي التـراب وصحرتنا

وفي نفس السياق يقول الشاعر محمد بن جدية في أبيات شعرية شعبية حول مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة :

نسمع ليكم ذي القصيدة جنبها	ياحضرار نعد ليكم ذا المقال
وقعت في الجنوب ثورة معتها	التاريخ يعيد نفسوا يارجال
ابحث في تاريخ وطنك تلقاها	الشيء الي صار فايـت شاو الحال
الف وثمانية وخمسين معاها	وقعت ثورات في هذ الرمال
بن عبد الله الشريف هو مولها	قائدهم معروف بطل من الابطال

وفي موضع آخر يقول :

خالد المخدمي في مبداهـا	بايعيو البلاد كل نساء والرجال
الحكومة في الرويسات بناها	في مدينة ورقلة حط الرجال
في تقرت فرنسا تلقاها	كون جيش قوي خيول ورجال
خسرت فرنسا وماتوا بناها	وقعت معركة كبـيرة في القتـال
في غرداية وزاد لغواط معاها	قاوم الاستعمار حتى في الجبال

وحسب تقرير فرنسي يذكر أن علي باي بعد إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله اهتم بملاحقة ناصر بن شهرة إلى الحدود التونسية، حيث قام بشن حملة على أربعة قرى تونسية كانت تأوي ناصر بن شهرة، والتي أسفرت عن 62 قتيل من السكان، وحجز 185 بندقية، و400 خروف، و60 من الإبل، و8 من الخيل، بالإضافة إلى كمية من محصول التمور.¹

استكمالا لمقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ظهرت شخصيتين جديدتين، فالشخصية الأولى هو مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان، ظهر بورقلة في 15 جويلية 1864م، واستقبله سكان قرية الشط بحماس كبير وادعى انه شريف مبعوث من العثمانيين لمواصلة المقاومة ومحاربة النصارى المسحيين.²

أما الشخصية الثانية فهو الحاج محمد الغربي، ظهر بورقلة في 29 جويلية 1864م على أمل القيام بمقاومة ضد الفرنسيين، ولقد حاولت هاتين الشخصيتين تنسيق الجهود والتعاون فيما بينهما لمحاربه شيخ نقوسة، وهذا بعدما انضم إليهما الشعانبة والمخادمة وبني ثور، وشعانبة أولاد إسماعيل، وسكان الشط، فهاجموا الشيخ الحاج بوحفص بن بابة، الذي هرب إلى الحجيرة ثم توجه نحو تقرت مع ثلاثين من عائلته، فنهبت قصبته، ومساكن أنصاره، الذين القي عليهم القبض، ثم أطلق سراحهم بعد دفع غرامة مئة فرنك(100ف)، ثم عين المقاومون صيحية بن بابة(ابن عم الشيخ الحاج بوحفص) المعادي للفرنسيين على مشيخة نقوسة، وفي 10 سبتمبر 1864م توجه الحليفان مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان والحاج محمد الغربي نحو بريان لإخضاعها وكسب الأتباع والأنصار، وضمن المؤونة والسلاح، إلا أنهما فشلا أيضا في إخضاع هذه المنطقة وهزما في معركة فقدوا فيها بعض الرجال³، فتفرق شملهم، واخذ كل واحد سبيله، حيث تم

¹ Rapport à l'empereur, le 10/10/1868. A.O.M. 11H37.

² Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p411

³ Ibid, p 412

اعتقال مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان ، أما الحاج محمد الغربي فقد اختفى وغابت أخباره حسب رواية شارل فيرو.¹

والغريب في هاتين الشخصيتين أنهما غير سويتين من الناحية الأخلاقية فقد وصف شارل فيرو مولاي محمد على أنه ابن غير شرعي لسلطان المغرب الأقصى عبد الرحمان بن هشام، وكان يقيم في بسكرة سابقا، وقد تم سجنه بسبب ارتكابه جرم السرقة، أما فيما يخص الحاج محمد الغربي فقد وصفه على أنه تاجر مخدرات. وعليه نتساءل هنا : هل فعلا هاتين الشخصيتين جاء لرفع لواء الجهاد والمقاومة ضد النصارى؟؟. وزيادة على ذلك فقد بينت الأحداث السالفة الذكر أنهما ليست لديهما أية علاقة بحركة الجهاد والمقاومة، وذلك بسبب فشلهما في تحقيق أي انتصار على العدو، وأمام هذه الصورة يبقى التساؤل مطروحا مرة ثانية : كيف يمكن لسكان ورقلة قبول هاتين الشخصيتين لقيادة مقاومتهم ضد الفرنسيين؟ هل هذا يعود إلى الافتقار لزعيم يقود المقاومة؟ أم أن روح المقاومة والتعطش للجهاد أعمى بصيرتهم؟؟.

وعلى الرغم من نهاية مقاومة هاتين الشخصيتين إلا أن سكان ورقلة استمروا في مهاجمة القبائل الموالية للفرنسيين، فقد توجهوا بعدها إلى ضواحي بسكرة وصولا إلى وادي ايتل، وهاجموا أولاد زكري، وأهل سيدي خالد، واستولوا على غنائمهم المقدرة بحوالي 1764 ابل، و780 رأس من الغنم، وبعد هذه الهجمة رجعوا إلى ورقلة، وأوقفوا هجماتهم خلال شهري نوفمبر وديسمبر لانشغالهم بجني محصول التمور، وفي ليلة 31 ديسمبر 1864م جددوا هجماتهم على أولاد عيسى في أم العظم إلى أن جاءهم نداء سي لعلا للالتحاق به في حفرة الشوش".²

المبحث الثاني : مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف بشوشة

من المتعارف عليه تاريخيا أن مقاومة الشريف بشوشة ضد الفرنسيين كان نتيجة لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م، هذا بالإضافة إلى مجموعة من العوامل التي دعمت

¹ Ch.féraud: le Sahara de Constantine,Op.Cit. p502

² Rapport: « Notes pour servir... »,Op.Cit.pp413-414

حركته الجهادية، وأبرزها انهزام فرنسا في حربها ضد بروسيا سنة 1870م، وسخط الأعيان والاعراش من مرسوم 1863م، وظهور محي الدين بن الأمير عبد القادر بالجنوب التونسي في أوائل السبعينات، وانتفاضة المقراني والحداد أوائل 1872م، ونشاط الحركة السنوسية في الصحراء خاصة عن طريق ممثلها الحاج احمد التواتي.

لعله في هذا الصدد لا يجدر بنا التعمق في الأسباب التي دفعت بالشريف بوشوشة لرفع لواء الجهاد ضد الفرنسيين في الجنوب الشرقي الجزائري (ورقلة، وادي ريغ، وادي سوف، المنيعة، عين صالح)، وهنا نتساءل لماذا الجنوب الشرقي الجزائري بالتحديد؟ أهني الصدفة، أم هناك أسباب ؟

يبدو من وجهة نظرنا أن اختيار بوشوشة هذه المنطقة يعود إلى أن الجنوب يعتبر دائما الملجأ الآمن للمقاومين حينما تفشل مقاومتهم في الشمال، زيادة على ذلك أن بوشوشة أراد مواصلة مسيرة الشريف محمد بن عبد الله في الجهاد والمقاومة بعدما القي عليه القبض سنة 1861م، كما أن تواجد المقرانيين في منطقة ورقلة وعلى رأسهم بومزراق المقراني شجع بوشوشة على التواجد بالمنطقة لمساعدتهم وتسهيل مهمة انسحابهم إلى تونس¹، وخاصة بعدما استولى الفرنسيون على زمالة بومزراق المقراني في الحضنة، أضف إلى ذلك قرب الحدود الجغرافية مع تونس والتي كانت دائما ملجأ للانسحاب واسترجاع الأنفاس، وتجديد المقاومة.

¹ تجدر الإشارة إلى انه بعد انكسار مقاومة المقرانيين انسحب بمزراق المقراني نحو الجنوب ليتوجه نحو تونس عبر تقرت ووادي سوف ثم نفطة، لكن خبرا وصولهم أثار مخاوفهم وحذرهم من الذهاب إلى وادي سوف حيث لا يتعرضوا لمخاربة علي باي، فاتجهوا نحو ورقلة يوم 20 أكتوبر 1871م، واستقبلهم بوشوشة بحفاوة وابن شهرة وسي الزبير، واتفق رايهم على الهجرة إلى تونس بمعية ناصر بن شهرة في جانفي 1872م، وكان عددهم حوالي 150 شخص، واتخذوا طريقهم عبر تقرت ووادي سوف، ودخلوا الجريد التونسي واستقروا هناك، بينما رجع بمزراق المقراني إلى ورقلة لمواصلة المقاومة، غير انه القي عليه القبض في 20 جوان 1872م.

ولعل أول عمل عسكري للشريف بشوشة في إطار المقاومة ضد الاستعمار وبعيد عن "جماعة المدافنة"¹، كان سنة 1869م حين بدأ في مهاجمة القبائل والقوافل التي تتعامل مع الفرنسيين، وازداد نشاطه أكثر في الجنوب الشرقي بعدما تراجع قدور بن حمزة إلى الحدود الغربية، وفي المقابل استغل بشوشة هذا التراجع ليتقدم هو نحو الجنوب وصولاً إلى ورقلة التي استرجعها من عملاء فرنسا في 6 مارس 1871م وجعلها مركزاً لحركته الجهادية.²

أولاً/ حلول الشريف بشوشة بورقلة:

لقد اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد تاريخ موحد لقدم بشوشة إلى ورقلة، فالتقارير الفرنسية تؤكد على أن بشوشة كان متواجداً بورقلة منذ سنة 1870م، حينما عاد من طرابلس، وقالت أنه حمل رسائل إلى بعض الشخصيات من الشعانبة والمخادمة وبني ثور، الذين كانت لهم روابط مع الحركة السنوسية من ثورة الشريف محمد بن عبد الله، كما أن له علاقات جيدة مع الزاوية الرحمانية التي يوجد له فرع في منطقة لعجاجة وعين البيضاء بورقلة، ومن هذه الشخصيات : لخضر المخادمي، واحمد الشايب الشعاني، ومصطفى من بني ثور، والخازن من لعجاجة³. هذا بالإضافة إلى أن فارس قد شاركوا مع الشريف بشوشة في هجومه على المنيعة في أبريل 1870م بجيش قدره 200 فارس من الشعانبة و260 من التوارق.⁴

ويذهب أيضاً صاحب "غصن البان" إلى أن الشريف حل بورقلة سنة 1870م، إذ يقول: "... وذلك انه لما كانت الدولة الفرنسية منشغلة في حربها مع المانيا سنة 1870م قدم

¹ " المدافنة " نسبة إلى رجل ترقى ، وأول من أطلق هذه التسمية أحد كبار شعانبة ورقلة وهو " معطي الله بوظير " الذي كان في ضيافة الشعانبة المواضي ، فقدم له زعيمهم " بوبكر بن عبد الحكم " في مجاعة 1867 عنزة مشوية ، ولكن بدون سمن ولا ملح ، فقال له بوظير مازحا : (الطوارق مدافنت) أي صعاليك ، وبقيت التسمية بعد ذلك على الجماعة التي اتخذت من السطو والقتل عملاً لها في الصحراء والتي تكونت عام 1868 ، أنظر :

Le chatelier ,« Les Medaganat », in R.A, N° 30 , 1886 , pp 39- 40 .

² سعدالله، المرجع السابق، ج1، ص 278-279

³ Rapport: « Notes pour servir... »,Op.Cit.p429

⁴ Rapport: « Notes pour servir... »,Op.Cit.p429

لورجلان (ورقلة) بشوشة...¹، على خلاف رأي لويس رين L. Rinn الذي يذكر أن بشوشة حل بورقلة سنة 1871م من اجل القضاء على علي باي لتسهيل مهمة انتقال المقرانيين إلى تونس.² وهو نفس الطرح يؤكد لوشتليه Le chatelier بأن "بشوشة قدم إلى ورقلة سنة 1871م بعدما كان ينوي الاستيلاء على تقرت والقضاء على علي باي، إلا انه فشل فاتجه نحو ورقلة"³، وهذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله أيضا.⁴

أما بخصوص أسباب قدوم بشوشة إلى ورقلة، يذكر التقرير الفرنسي أنه لما كان متواجدا بمنطقة عين صالح وصلته رسالة من أهل ورقلة مفادها: "لا تبقوا يوما واحدا، أقدموا إلينا بخيمكم، احضروا بشوشة معكم، لم يبق فرنسي واحد يحكم، إلا قادتنا يعاملوننا بظلم. تعالوا لتخليصنا".⁵ وهو نفس الرأي الذي ذكره "صاحب الصروف" قائلا: "وكان أتى إلى ورقلة رجل شريف يقال له بشوشة، فاجتمع بابن لخضر المخدمي، والتفت حوله الجموع الكثيرة من المخادمة والشعانية، ومنهم المسمى: لبز من شعانية الوادي، وكثير من قرى سوف، وذكروا له أفعال علي باي وأمواله".⁶ غير أن صاحب "غصن البان" يذكر خلاف ذلك، إذ ينفي أن جماعة اتصلوا به لتخليصهم من ظلم بني جلدتهم، فيقول: "...وكان لما سمع الأهالي بقدومه اجتمع سكان المدينة من الاعراش الثلاثة واتفقوا على عدم طاعته والدخول تحت نفوذه...".⁷

من خلال هذين الرأيين حول قدوم بشوشة إلى ورقلة نتساءل: ما مدى صحة هذين الرأيين؟ وإذا كان الرأي الثاني صحيح، فما هي الدوافع التي جعلت الاعراش الثلاثة (بني

¹ أعزام، المصدر السابق، ص 68

² L. Rinn , **Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie**, Alger, 1891, pp612-613

³ A. Le Chatelier, *la Sanglante épopée des Medagant 1860-1885*, éditions grand-Alger livres. Alger, 2007, p18

⁴ سعدالله، المرجع السابق، ج 1، ص ص: 279-278

⁵ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit. p429

⁶ العوامر، المصدر السابق، ص 318

⁷ أعزام، المصدر السابق، ص 68

سيسين، بني واقين، بني براهيم) بورقلة يجتمعون لمحاربة بشوشة وهم يرزخون تحت نير الاستعمار الفرنسي؟ لاشك أن هذين الرأيين يدفعنا إلى القول إن السلطة الاستعمارية تعمدت ممارسة سياسة "فرق تسد"، والضرب بين الصفوف والقبائل والاعراش، وإذكاء الصراع الداخلي، حيث أشعلت الإدارة الاستعمارية الخلافات المذهبية والعرقية، فغدوها، ليخلقوا بذلك صفوفًا في المنطقة، وقد اوجدوا صفا يساندهم بالفعل، وهم الذين تحصلوا على امتيازات شخصية أو عائلية كفايد أو آغا، أو بشاغا... الخ، مثل علي باب بوعكاز، وسي حمزة ولد بوبكر من أولاد سيدي الشيخ، زيادة على ذلك أنه خلال الستينات اشتد الصراع بين الاعراش الثلاثة حول السلطة والنفوذ، ومن الجانب المذهبي بين الإباضية والمالكية، هذا بالإضافة إلى الصراع بين سلاطين ورقلة ومشايخ بن بايية بنقوسة، وعائلي بوعكاز وبن قانة بوادي ريغ.

ثانياً/ بشوشة يحرر ورقلة ويجدد المقاومة :

بعد مدة أقام فيها الشريف بشوشة بعين صالح، توجه نحو ورقلة لتحريرها من قبضة علي باي الموالي للفرنسيين، وقبل انطلاقه اجتمع بأنصاره وأتباعه، ويبيّن لهم الهدف الحقيقي من المقاومة، وأخبرهم بأن فرنسا قد حانت ساعة خلاصها، فقال: "إذا كنتم ترغبون في الغزو والنهب فقط، فلست منكم، وأما إذا عاهدتموني على أن تعطوني السيادة على ورقلة فإني أقبل قيادتكم شريطة أن تعاهدوني على أن تكونوا معي حتى النصر أو الموت"¹. وعليه اتجه بشوشة نحو تقرت في أوائل 1871م، لتحريرها من الفرنسيين، فوجد صعوبة في ذلك بسبب تمركز عدد من الجنود الرماة، فاتجه نحو نقوسة يوم 5 مارس دون مقاومة سكانها، مما سهل عليه التوجه نحو ورقلة في نفس اليوم والتي دخلها بدون أية مقاومة نظرا لوجود عدد من المؤيدين له بها (الذواودة، المخادمة).

وفي ذات الإشارة لهذا الجانب ومن وجهة نظرنا نجد أيضا خوف أهالي المنطقة من التجنيد الإجباري في صفوف القوم والصبايحية نتيجة للقرار الذي أصدره وزير الحربية

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p421

آنذاك بتاريخ 18 جانفي 1871م، والذي ينص على نقل عدد كبير من قوات الصبايحية التي كانت مجندة في صفوف الجيش الفرنسي إلى أوروبا للمشاركة إلى جانب فرنسا في حربها ضد بروسيا سنة 1871م، وزيادة على ذلك رفع السلطة الاستعمارية لقيمة الضرائب المفروضة على الأهالي نتيجة للاختيار الاقتصادي الذي عرفته فرنسا من خلال حربها مع بروسيا، وقد أوكلت مهمة جمعها إلى علي باي الذي اتبع سياسية البطش والتقتيل في سبيل إرضاء السلطة الاستعمارية. هذا بالإضافة إلى تزايد العجز الغذائي لدى فلاحي المنطقة بسبب السياسة الزراعية الاستعمارية التي أدت نقص مياه السقي، وهبوط مستوى المياه في واحات الأهالي لصالح المعمرين.

غير أن صاحب "غصن البان" يذكر أن الاعراش الثلاثة (بني سيسين، بني ابراهيم، بني واقين) رفضوا دخول بشوشة وقاوموه ، إذ يقول: " واجتمع سكان المدينة من الاعراش الثلاثة واتفقوا على عدم طاعته. والقائد إذ ذاك على بني واقين الشيخ الحاج معيزة، وعلي بني إبراهيم الحاج حمي، وعلي بني سيسين جلول بيحمان، والرئيس الحاج أبوعزيز بن خواجة، وبعد الاتفاق أعطوا العهود على عدم الخداع، ولمزيد من الاحتياط بنوا سدا بين كل عرش وآخر، ولما وصل بوشوشة نزل بمن معه في القصبة...، فانضم إليه من أطاعه من أهل ورقلة، فلما جمع عساكره خرجت إليه المدينة بسلاحها وقاتلته قتالا شديدا من الصباح إلى العشية (المساء) وكانت الدائرة عليهم فانهمزوا ودخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب وتسلقوا الجدران ثم تقابل الصفان من أول النهار إلى أن أظلم الليل فوقعت الغلبة على أهل المدينة وتكاثر الثوار ثم وقع الخداع من بعض الفساد، وفتحوا لبشوشة الأبواب بحجة أنه جاء لقتال الإباضية خاصة فنهبوا إباضية بني سيسين، وقتلوا منهم من وقعوا بأيديهم، وهرب البعض إلى عرش بني واقين، والبعض إلى نقوسة... وكانت الغلبة دايا على الأهالي ، اجمع رأيهم على السلم والانقياد، ويفعل الله في ملكه ما يشاء، فركب الشيخ احمد فرسه، ومعه عبد القادر بن الصحبي الوقيني حاملا راية بني واقين وقصد

بشوشة، ودفع له "القيود" وهو عبارة عن حصان يكون بعدته، ورجع من عنده بعد أن قبل طاعته...¹.

اللافت للأمر أن معظم الدراسات التاريخية العربية والأجنبية لم تشر إلى هذه المقاومة التي أبدتها أعراش ورقلة الثلاثة ضد بشوشة، ولكن بعض الدراسات في نفس الوقت أكدت أن الذواودة والمخادمة بعد دخول بشوشة المدينة قامو بتخريب متاجر الميزابيين الذي حاولوا أن يقاوموه ويرفضوا سيطرته.أضف إلى ذلك قد ذكرت سالفاً أن السلطة الاستعمارية قد نجحت في تغذية الصراعات المذهبية والعرقية، حينما صورت أن بشوشة جاء ليقضي على الإباضية فقط، وبالتالي بدلا من أن تواجهه القوات الفرنسية والعميلة واجهه إباضيو ورقلة.

زيادة على ذلك أن الفرنسيين لم يذكروا أن بشوشة شارك في عملية قتل الميزابيين، لأنه بقي خارج أسوار المدينة، لأن عملية القتل هي تصفية حسابات بين المخادمة والميزابيين، فالمخادمة هم الذين دخلوا المدينة وقتلوا أربعة من بني ميزاب من إخوة بومعيزة والشيخان بيحميان بوعزيز انتقاما لمقتل قائد المخادمة الناصر بن الناصر الذي مات مقتولا بالسهم بدسياسة من علي باي.²

وبعد ثلاثة أيام من الاستيلاء على ورقلة نصّب بشوشة خيمته خارج البلد واستدعى ممثلي العروش الثلاث التي حاربتة لتجديد لهم الأمان، وفي هذه الأثناء كان علي باي خارج ورقلة معسكرا في حاسي الناقة، حيث استولى على ابل الشريف بشوشة في حاسي بوخزانة، فانطلق مسرعا مع قواته لاسترجاع إبله، ولكن عاد خال اليدين، ولم

¹ أعزام ، المصدر السابق، ص ص: 69-70

² Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p432

يسترجع أي شيء، فرجع إلى ورقلة.¹ وهذا ما أكدده صاحب غصن البان قائلاً: "ثم ركب بشوشة وعسكره لإرجاع إبلهم فلم يضيفوا بشيء فرجع ودخل القصبة".²

بعد عودة بشوشة إلى ورقلة عين ناصر بن شهرة آغا عليها إلى غاية سبتمبر 1871م، ليعلن بعدها صهره سي الزبير ولد بوبكر، غير أن صاحب غصن البان يذكر أن بشوشة عين مولاي عبد القادر من أسرة أولاد علاهم أميراً على عروش ورقلة، وبعد مدة اظهر الناس تذرهم من حكم مولاي عبد القادر، وشكوه إلى بشوشة، فأمر بعزله وعين مكانه مولاي احمد من نفس الأسرة، ونفي مولاي عبد القادر إلى نقوسة، وبقي الأمر هكذا مدة إحدى عشرة شهراً.³

وفي هذه الأثناء اتصلت جماعة من شعابنة الوادي وكثير من قرى سوف ببشوشة يطلبون منه تخليصهم من سلطة علي باي وظلمه⁴، والإجهاز على عائلته وزمالاته وأمواله

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p438

² أعزام ، المصدر السابق، ص 71

³ المصدر نفسه، ص 71

⁴ حسب روايات المجتمع المحلي فإن علي باي كان حريصاً على خدمة فرنسا أكثر من خدمة الفرنسيين لها، وكان مجبراً على تطبيق السياسة الفرنسية في المنطقة ، وقد اتبع سياسة البطش والتقتيل تجاه إخوانه ، وكان لا يرحم كل من حاول الخروج أو التمرد عن سلطته، مما ولد كراهية في نفوس الأهالي ضد سياسته، الأمر الذي أدى إلى تعدد محاولات التمرد والثورة عليه في كل من تقرت و ورقلة ووادي سوف. ففي تقرت هناك قصة لازالت راسخة في الذاكرة الشعبية كرد فعل على بطش علي باي مفادها : « أن مجموعة من أعيان تقرت تمثل مختلف الاعراش اتخذت قراراً بتبدير عملية لاغتيال القايد علي باي، فاستأجروا أحد "الحرطانيين" لتنفيذ العملية مقابل تحريره من سيده ، لكن من حسن حظ علي باي أن حراسه اكتشفوا الأمر قبل تنفيذه، فقبضوا على الجاني ثم قتلوه ». ومن جانب آخر أرادت السلطة الفرنسية تهدئة الأوضاع وكسب الأهالي الى صفها، فعملت على إلغاء بعض الضرائب التي كانت مفروضة في العهد العثماني مثل "ضريبة العرس" ، إلا أن علي باي لم يلتزم ببعض القوانين الفرنسية التي = كانت لا تتخدم مصالحه مثل عدم إلغاء ضريبة العرس ، فقد كان يفرضها على الأهالي دون علم السلطة الفرنسية ، ويتجلى ذلك من خلال ضيافته لبعثة مالتسان إلى تقرت حيث يقول هذا : «...وعرفت فيما بعد السبب الحقيقي، الذي حمل القائد -علي باي- على أن يتخلص منا. لقد كان ينوي إقامة حفلة عرس، يزوج فيها أحد أبنائه. وتقع في العرس من هذا النوع أشياء كثيرة سيئة، ولذلك لم يكن يرغب في أن يكون الأوربيون شهوداً على تصرفاته الشاذة، لأنهم قد يحدثون فيما بعد المكتب العربي ببسكرة، الذي هو تابع له، عن أعماله الجنائية. ومن أبرز

التي أودعها ببلدة قمار، وكان علي باي قد ذهب إلى الزاب مصحوبا بنحو 40 فارس تاركا جميع عياله وأمواله في قمار¹، فاتجه يوم 8 مارس من نفس السنة إلى وادي سوف مار بالطيبات، وعليه وصل الشريف إلى قمار ونزل بها في آخر النهار. بمكان معروف في صحن الأبدوع، وأرسل إلى أهل قمار أنه ما جاء لمقاتلتهم ولا لحرهم وإنما لمقاتلة علي

ما يحدث في العرس من مساوئ هو نهب أموال الضيوف من طرف صاحب العرس، فلا يدعى إليه إلا رعايا القائد، وكان عليهم أن يحملوا معهم هدايا كثيرة للعروسين، مما يجعل هذا العرس شبيها بعملية نهب...». ينظر: مالتسان، مصدر سابق، ص 181-182. وينظر كتابي: **بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ، باتنة، دار قانة للطبع والتجليد، 2008، ص 110.**

أما في وادي سوف فقد استقبل سنة 1860 ضابط فرنسي جاء مفتشا للمنطقة في زيارة سنوية بسبيل من الشكاوي ضد علي باي، فبالقرب من الوادي خرج ثلاثة آلاف شخص متظاهرين ضد تعسفاته، وقد اعترف الضابط في تقريره بأن بعض الشكاوي كانت حقيقية ولكنه لم ير داعيا لأخذها في الاعتبار. ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج5، 2005، ص 16-17.**

¹ العوامر، المصدر السابق، ص 318

ويذكر الشيخ محمد الطاهر التليلي في مخطوطه، والذي حققه المؤرخ أبو القاسم سعد الله، أن سبب تواجد عائلة علي باي وزملائه بقمار هو: « أن الحكومة الفرنسية أمرته بأن يهجم على قرية من قرى أقبلي من القطر التونسي لأسباب لا محل لذكرها هنا، فامتثل حاكم الوادي وجهازه العسكر، وكان عنده من الحرس الدائم حصيصا له 600 جندي، فتوجه بهم إلى حيث أمر بالهجوم. وكان من الجنود الذين جهزهم البطل المشهور أبو الطيب الشعبي من شعانية الوادي وقد كان صاحب الكلمة النافذة في طرود. فلما قارب علي باي قرية أقبلي بجنوده حطّ الرحال في مكان معيّن، وحطّ أبو الطيب رحله بقومه قرب علي باي ومنفردا عنه. فبدا له أن يستأثر بالهجوم في قالب جديد، فذهب إلى تلك القرية، وقال لهم: إن علي باي المأمور من قبل الحكومة أتاكم بجنود لا قبل لكم بها، فما عليكم إلا أن تتركوا المال عندكم كرهن وعنوان سلام. فتسلم من عندهم صندوقين من النقود الفضية والذهبية، وقال لبعض قومه: بلغ هذين الصندوقين إلى معسكري. فلما رآهما علي باي قال لأبي الطيب، ما هذا؟ فأجابه أبو الطيب بأنه دخل القرية فلم يجد فيها إلا النساء والأطفال، فأعجبه من أثنائها هذان الصندوقان، وهما فارغان، فاستأثر بهما؛ فعلم علي باي أنه خانه وأنه اتفق مع أهل القرية على الصلح على شرط أن يؤدّوه هذه القيمة من المال، فحنق عليه وأمره بأن يرجع المال المأخوذ من القرية إلى الحاكم الرسمي للجيش. فامتنع أبو الطيب من تسليم صندوقي المال، ونادى في قومه أن لا قتال، وأنه لا بد من الرجوع إلى البئر الجديد والمبيت به. ونادى منادي علي باي في العسكر أنه لا بد من دخول القرية ومقاتلتها، فوجد أبو الطيب آذان العرب كلها مصغية إلى قوله، ومعرضة عن قول علي باي. وقوّض القوم خيامهم ورجعوا أدراجهم. ولم يبت مع علي باي إلا عدد قليل لا يمكنه معهم أن يقاتلوا قرية أو قرى عديدة، فما وسعه إلا اللحق بأبي الطيب ورجوعه من مأموريته دون أن ينال منالا»، ينظر: محمد الطاهر التليلي، « **فدلكة تاريخية عن منطقة سوف (الجزائر)** »، تح: أبو القاسم سعد الله، مجلة العرب، 2004.

باي.¹ لكن بوشوشة لم يجد علي باي إلا انه وجد أهله وعائلته وذخائره ، فخطب في أهلهم قائلاً : " فالواجب على أهل قمار إذا أرادوا الأمان على أنفسهم، أن يسلّموا عائلة علي باي وجميع ذخائره، وأن يسلّموا (أيضاً) الشيخ محمد الصغير²، رئيس الزاوية التجانية". فأجاب أهل قمار بأنه لا يمكنهم أن يسلّموا الوديعة له التي استودعها، ولا أن يسلّموا الشيخ مهما كلفهم الأمر. فدخل الشريف بجنوده إلى قمار وعاثوا فيها فساداً³، ولما عظم الأمر بعث له الشيخ محمد الصغير مبلغاً من المال بمعية جماعة من أهل قمار يفاوضونه من اجل حقن إراقة الدماء، فسمع كلامهم ووعدهم بالانتقال، فجمع قومه ومتاعه وارتحل راجعاً من حيث أتى بعد أن انضم إليه العديد من أهل وادي سوف.⁴

وأثناء تواجد بوشوشة هناك بوادي سوف وصلته العديد من الرسائل من منطقة تقرت يطلبون المساعدة للقضاء على حليف الفرنسيين علي باي و قواته المدعمة من طرف فرنسا، وقبل وصول بوشوشة إلى تقرت وقع اتفاق بين أهالي تقرت والشعانة لمساعدة بوشوشة في الهجوم على القوات الفرنسية ، وعلى أن يتم تقسيم المشاركون إلى فوجين :

¹ العوامر، المصدر السابق ، ص 319

² كان مقدماً على زاوية قمار بوادي سوف ، وبعد وفاة والده محمد العيد التجاني اجتمع المقدمون وانتخبوه لتولي مشيخة الطريقة التجانية يوم 19 نوفمبر 1875 ، وبالرغم من كبر سنه آنذاك (65 سنة) إلا أن أخلاقه وعلمه أهلاه لذلك، فحسب قول المصادر الفرنسية فإنه جمع كل الخصائص المطلوبة من ورع وعلم وفضيلة ، للمزيد انظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، ص ص: 225-226.

³ التليلي ، مصدر سابق ، ص 9.

⁴ العوامر، المصدر السابق ، ص 320

- الفوج الأول يلتحق بالشعانة في سطح العسكر¹ للقضاء على العساكر الفرنسيين كرجل واحد

- الفوج الثاني يبقى بوسط البلاد ويقوم بإفراغ مخازن الثكنة العسكرية من الأسلحة والذخيرة ثم إحراقها²، وفي هذه الأثناء انتهز بوشوشة غياب علي باي الذي كان يعسكر بجيشه بمنطقة عين الناقة ، ودخل تقرت يوم 13 ماي 1871م بقوة قدرت بـ 900 مقاتل³، من باب عيسى في جو من الزغاريد والتهليل مع وجود مقاومة ضعيفة من بعض الجنود الفرنسيين والذين تحصنوا بقصبة المدينة دامت يومين (14-15 ماي) ، ثم استسلموا بعد مفاوضات حيث ضمن لهم بوشمال بن قبي⁴ السلامة والعافية ومغادرة المدينة ، لكن بمجرد أن وصلوا إلى (ذراع البارود⁵) يوم 15 ماي 1871م ، هاجمهم بوشمال بن قبي وشقيقه قبي بن قبي انتقاما منهم على المناكر التي ارتكبوها، فقتلوه عن آخرهم وكان عددهم ثلاثين ، كما ألقوا القبض على العديد من أفراد عائلة علي باي وتم سجنهم بتقرت .

ويذكر صاحب "غصن البان" أن بشوشة قام بمطاردة الحامية الفرنسية التي كانت في المدينة، ولحق بها على مسيرة ثلاثة أيام باتجاه الشمال وقتل منها الكثير ومنهم والدي علي

¹ تعرف هذه المعركة عند المجتمع المحلي (بمعركة سطح العسكر) نسبة إلى المكان الذي حدثت فيه المواجهة بين بوشوشة والفرنسيين. ينظر: رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854-1875م، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص: 73-112، وينظر كتابي أيضا: بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ، ص: 91-105.

² قويدر بن احمد بن عبد القادر بن علي بن احمد بورنان ، كراسة مخطوطة حول تاريخ تقرت (غير محققة)، 1982،

³ André Voisin , *Le Souf, Monographie, Manuscrit, El-oued*, 1965, p4
⁴ الشيخ بوشمال بن قبي لا نعرف عن حياته العلمية ولا عن انتمائه الصوفي شيئا، سوى أنه هو أحد أعيان مدينة تقرت ، وكان يشغل منصب " مقدّم النزلة"⁴ ، أما من الناحية السياسية ومن خلال سياق الأحداث التاريخية فيبدو انه كان مواليا للسلطة الفرنسية في بداية الأمر ، ثم تدارك ذلك إلى الولاء لأنصار المقاومة ضد العدو، ينظر:

رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق ، ص109

⁵ هو حي تابع لبلدية النزلة ، ويبعد عن مقر دائرة تقرت حوالي 2 كلم .

باي بن فرحات، وذكر أيضا انه من بين الناجين قبطان يسمى كوخ وزوجته الذي حينما رأى القتل نطق بالشهادتين مظهرًا للإسلام خوفا على حياته، فأمسكوه وآتوا به إلى الشريف بشوشة، الذي عفا عنه واصطحبه إلى ورقلة فأمر بختانه وسماه "عبد الرحمان" وألبسه لباسا عربيا وأرغمه على الصلاة في مسجد المالكية الكبير، وكان هذا القبطان يحسن صناعة الأسلحة، فانخرط في معمل رجل يسمى "بن قامة الإبراهيمي" يساعده ويقتات من عمله هو وزوجته، وكلما وجد بندقية فرنسية صالحة اشتراها وخزنها عنده، ثم اختفى فجأة ولم يظهر إلا بعد خمسة عشرة يوما مع الجنرال دو لاكروا *DeLacroix* بتقرت ودخل معه إلى ورقلة".¹

كان بوشوشة قد وعد حامية علي باي وأنصاره بذهابها حرة إلى بسكرة، لكنه حدث العكس، فهل يعني هذا أن بوشوشة تواطأ مع بوشمال بن قبي على القيام بذلك، أو يكون بوشمال بن قبي قد نفذ ذلك دون علم الشريف بوشوشة؟ ويبدو لي أن الطرح الثاني هو الأقرب إلى الصواب.

وبعد أن ثبت بوشوشة سلطته ونفوذه في المنطقة، اتجه صوب الزاوية التجانية بتماسين وفرض عليها حصارا، ومنها واصل سيره إلى عين صالح قاعدته الإستراتيجية لجمع الأنصار وتدبير الخطط.² أما علي باي لما علم بما حدث في تقرت، اتجه يوم 27 ماي 1871م إلى الزيبان وأراد أن يحتج لدى الحاكم الفرنسي ضد عائلة بن قانة التي اتهمها بالتواطؤ مع بوشوشة وأتباعه في احتلال ورقلة وتقرت، لكن الحاكم عوض أن يكون في صفه انقلب ضده واتهمه بالإهمال والتقصير والجبن، وتوعده يوم في أول جوان من نفس السنة بتقديمه إلى المحاكمة، فغادر علي باي بسكرة، وعزم على استرجاع نفوذه الضائع، فاتجه إلى واحة انسيغة التي يتمركز فيها أتباع ابن قانة، ثم تقدم إلى المغير التي فر منها أهلها، فقام بسلب كل ما وجده بها من أمتعة وأثاث.

¹ أعزام، المصدر السابق، ص ص: 72-73

² L. Rinn, Op.Cit, p493

وما إن وصل إلى تقرت في 8 جويلية 1871م وجد أهل تقرت قد تخندقوا على البلدة وملئوا الخندق بالماء، فكان بحيرة حول البلدة، فحاصرها لمدة يومين بمساعدة أنصاره من أولاد عمر، وأولاد زكري وأولاد نايل ، واستطاع الجند دخول الخندق ونقبوا السور ووقع رمي بالرصاص بين علي باي وأهل تقرت، ففشلوا في اقتحامها بعد معركة خسر فيها الطرفين عدد كبير من القتلى والجرحى واضطر أن ينسحب إلى الورا ، ولما علم علي باي بمقدم الشريف من ورقلة ارتحل ليلاً تحت السر إلى سوف، فبات ليلته تلك غربي قمار، ودخل قمار صبيحة الغد وترك ذخائره فيها وجميع ما لا يمكنه نقله، واستودع أهله وجميع عائلته عند رجال قمار، وذهب إلى بسكرة فارا يوم 13 جويلية 1871م لتتخلص منه وادي ريغ وسوف نهائيا من بطشه.¹

وبعد استتباب الأمن في المنطقة ، أخذ بوشوشة ينتقل بينها وبين الدوسن وغيرهما رفقة ناصر بن شهرة لكسب أنصار جدد ، فأخذ يدعو الناس لتأييده والانضمام إلى حركته ، وخلال هذه الفترة ونظرا للموقف المعارض الذي اتخذته أولاد زكري الذين ساعدوا علي باي على محاصرة تقرت، حاول الانتقام منهم بخوض ثلاث معارك معهم، إلا أنه فشل استمالتهم إليه وفقد عددا كبيرا من أنصاره ، وبعض مواشيه وجماله .

بعد هذا الفشل عاد بوشوشة إلى ورقلة، حيث اهتم بمراسيم تزويج ابنته إلى سي الزبير من أولاد سيدي الشيخ، والذي عينه آغا على ورقلة خلفا لناصر بن شهرة، بعدها توجه نحو بني ميزاب طالبا منهم الدخول تحت طاعته، إلا أنهم رفضوا الولاء والطاعة بسبب ما ارتكبه أنصار بوشوشة في حق إخوانهم الميزابيين بورقلة، وصمموا على مقاومته، الأمر الذي دفع بوشوشة بالرجوع إلى ورقلة خوفا من مغبة هذه المقاومة الغير محسومة النتائج.

وفي المقابل استغلت السلطة الاستعمارية انشغال بوشوشة بالإغارة على القبائل المناوئة له، إذ كلفت العميل بولخراس بن قانة بالتوجه نحو وادي ريغ والاستيلاء عليها، فدخل

¹ التليلي ، المصدر سابق .ص10

تقرت وانتصر على قوات بوشوشة، وقرر الزحف نحو ورقلة، ولكنه أجل ذلك في انتظار عودة قبائل سعيد عتبة من رحلة الشمال لكي يضمها إلى قواته، في 4 نوفمبر 1871م كان سيتم اللقاء بين سعيد وبولخراس بالقرارة، ولكن سبقه بوشوشة بهجوم عليهم في كوييف الجبلية بين القرارة والعلية بقوة تعدادها 40 فارسا و 200 مهربا من شعانة بوروبة وشعانة المواضي والمخادمة، والمقرانيين الفارين من الشمال، وقد انهزم بوشوشة في هذه المعركة وفقد زمالته، إذ جرح بوشوشة في فخده، كما جرح قائد المخادمة عبد القادر بن عبد الله، وقائد الشعانة بوروبة الشايب بن بروبة، وتم استشهاد 56 قتيل من قوات بوشوشة، و 38 قتيل في صفوف سعيد عتبة.¹

بعد ما شفي بوشوشة من جروحه عاد إلى المقاومة من جديد، إذ استقر بحاسي بروبة في أواخر نوفمبر من نفس السنة، وأخذ ينظم صفوفه وجيشه، إذ قسم جيشه إلى عدة فرق بقيادة كلا من صهره السي الزبير وناصر بن شهرة والمخادمة والمقرانيين، ولما علمت السلطة الفرنسية بتحركاتهم أمرت بملاحقتهم، فاتجهوا جميعا نحو حاسي تمزقيدة، لتبدأ بعدها إرهابات القضاء على مقاومة الشريف بوشوشة.

ثالثا/ حملة الجنرال "دولا لا كروا" *DeLacroix* واحتلال ورقلة من جديد:

بعدها تأكدت السلطة الاستعمارية من فشل الباشاغات، والقياد في الحفاظ على سلطتها في الجنوب، جندت كل قواتها لمقاومة ثورة الشريف بوشوشة، ولا سيما عند إخمادها لانتفاضة "المقراني والشيخ الحداد"، وأعطيت الأوامر للجنرال "دولا لا كروا" *DeLacroix* بالزحف على تقرت، والذي انطلق من المسيلة في 30 نوفمبر ليصل إلى تقرت في 27 ديسمبر 1871م بعد تحرير دام ثمانية أشهر (من ماي إلى ديسمبر)، وعين "الملازم بن إدريس"² قائدا على المنطقة لمدة أربعة سنوات خلفا لعلي باي، كما

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p435

² الملازم بن إدريس جزائري الأصل، من مواليد الوطاية بمنطقة بسكرة سنة 1835، عمل بالجيش الفرنسي كقائد للصباحية، ثم عينته السلطة الفرنسية آغا على تقرت سنة 1871 كما عينت أخوه السعيد آغا على ورقلة، وتجدد الإشارة هنا إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها

عين حمو بن حرز الله الذواودي من أولاد زكري قائدًا على المنطقة الشمالية لوادي ريغ (المغير ، جامعة ، أم الطيور وما جاورها من قرى ومدا شر).¹

وبخصوص احتلال ورقلة من جديد فقد اختلفت الآراء ، فحسب لويس رين يذكر أنه في 28 ديسمبر 1871م كلف الجنرال دولا كروا القائد " Rose " الخبير بشؤون الصحراء بالاتجاه صوب ورقلة ، فاحتلها يوم 2 جانفي 1872م.² وحسب تقرير فرنسي أن الجنرال دولاكروا DeLacroix وصل إلى ورقلة يوم 5 جانفي 1872م.³

أما صاحب " غصن البان" فيذكر كيفية وصول الجنرال دولاكروا DeLacroix دون تحديد التاريخ إذ يقول: " ..قدم الجنرال في خمسمئة فارس وبعدها جاءت النجدة من ناحية بسكرة وناحية الاغواط، ولما وصل الجنرال ورجلان (ورقلة) تلقته سعيد عتبة، ومن كان تحت طاعة الدولة ودخل بعسكره من باب رابعة ابي الربيع خارقين زقاق جماعة بني وقين، والشارع الكبير الذي بوسط السوق الحالي قاصدين القصبة، ولما وصلها وجد خليفة بشوشة هناك مولاي احمد بمسكنه ومن معه فقتلهم، ثم أخذت العساكر في الوصول من جهة غرداية وبسكرة فملأت البلاد بذلك الجيش الجرار، وكان نزول العساكر في ناحية الطابية(موضع بجهة محط سعيد)، ولما استقر بالقصبة واجتمعت العساكر اخذ في عقاب من كان في إعانة بشوشة".⁴ كما عملت السلطة الاستعمارية معاقبة سكان ورقلة ،

للفرنسيين ومساعدتهم في عملية استكمال احتلال الصحراء ، ومن ذلك إلقاء القبض على اخطر ثائر بالصحراء بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873 ، انظر : أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ج2 المرجع السابق ، ص145.

¹ L.Rinn , Op.Cit , pp 628- 634

² Ibid.

³ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p435

⁴ أعزام ، المصدر السابق، ص ص: 73-74.

= ويذكر الشيخ أعزام انه عندما بدأ دولاكروا في البحث عن بوشوشة ومن معه من كبار أهل البلدة، أخرج القبطان كوخ(اسمه هكذا وهو احد الموالين لعلي باي) قائمة كانت عنده فيها أسماءهم كان يكتبها سرا وحيء بهم، فاحد الجنرال دولاكروا في الانتقام فقتل من لعجاجة والشط ، ومن جملة المقتولين: الحاج أحمد الذي أرغمه بوشوشة على تولي قيادة بني واقيين بعد مقتل والده عيسى" والحاج محمد وأحمد ابني عبد القادر الذي لقب

إذ حجزت بساتين المنشقين الآخرين وغرمت العروش التي ساندت الثورة بمبلغ 247.184 فرنك دفعت فوراً وسجن كثير من كبارها¹، في حين نجد مبلغ الضريبة عند بساجي *Passager* وصل إلى 250000 فرنك.²

وهكذا أعاد الجيش الفرنسي احتلال منطقة ورقلة ووادي ريغ عندما أدرك أهميتهما الإستراتيجية في الصحراء الشرقية ، والخطورة التي شكلتها ثورة بوشوشة وحلفائه من خلال السيطرة عليها ، وجعلها قاعدة ثورية لضرب العدو في كل الاتجاهات .بعدها، أرسل الجنرال دو لاكروا *DeLacroix* مجموعة لملاحقة بوشوشة بقيادة العقيد *Gaume* من الكتيبة الثالثة لقناصة إفريقيا والمكونة من 250 صبايحية ، و 240 خيالة ، و 45 فارس من القوم ، أسرع في السير ولحقت بالثوار إلى جنوب حاسي تامزقيدة واشتبكت معهم في معركة يوم 9 جانفي 1872م، مما دفع ببوشوشة إلى الانسحاب رفقة أنصاره من المعركة تاركين وراءهم 120 خيمة وعددا من الجمال³، واتجه هو ومن معه إلى الجنوب الغربي، وستولى الفرنسيون على الزمالة بما فيها من أغنام وجمال وتمور وحبوب وزراي مع النساء والخدم والأطفال، وقتل في المعركة عدد كبير من الثوار منهم أحد أحفاد بن ناصر بن شهرة وقبض الفرنسيون على اثنين من كبار المقرانيين من ثورة الحاج محمد المقراني الشهيرة والذين التحقوا بمقاومة بوشوشة والزاوية الرحمانية التي كان مقدمها

"كبيدي" لأنه رأى ولديه يقتلان بصورة بشعة فأخذ يتألم ويردد كلمة كبيدي، والحاج "الخازن" وهو مقدم الطريقة الرحمانية بالعجاجة الذي بقى فاراً مدة ثم أخبر به بعض الجواسيس قيل أنهم كسروا عظامه وأضلّاعه واحدا واحدا، وبعض كبار نقوسة. وحمة بن عبد القادر سيدروحو، ومحمد بن جلول حفيان، ثم أمر الجنرال بنهب ديار بني سيسين وهدمها جميعا، لأنهم فتحوا الباب لقوات بوشوشة، فأخذ العسكر في هدمها إلى أن وصلوا إلى جامع سدراتة، فاعترض الشيخ "إبراهيم بن عبد القادر الرويسي" بشدة وحزم على الجنرال، وادعى أن الديار الباقية ملكه، فتوقف الهدم ولكن أمر بقلع نخيلهم في عين بوسحاق، فعارضه أيضا بحجة أن الحكومة الفرنسية لا توافق على ذلك، وإن كان ولا بد فتأخذ الدولة تستثمره فأخذ برأيه. ينظر: أعزام ، المصدر السابق:ص73.

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p437

² P.Passager, Op.Cit, p104.

³ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p436

الحازن والشيخ "الحاج بلخير العجاجي" وهما "عبد العزيز بن محمد" القاضي و"محمد بن حمودة" القاضي، واستولوا على أغنام وأموال السعيد بوداود المقراني.¹

على اثر هذه المعركة افتراق شمل الثوار، واتجه كل طرف إلى حال سبيله يقرر مصيره بيده ، فيقال إن بوشوشة اتجه إلى الجنوب الغربي واستقر بقورد عيش. ثم أخذ يتنقل بين مناطق الجنوب إلى أواخر شهر جويلية 1873م حين ظهر بالمنيعه، وأغار على قطعان أولاد يعقوب بين البيض والأغواط، وجبال عمور، واقترب من ور قلة فكلف الآغا بن دريس الذي عينته السلطة الاستعمارية خلفا لعلي باي، أخاه السعيد بن دريس بملاحقة بوشوشة، والتقى الطرفان في حاسي الناقة خلال شهر ديسمبر، ودارت بينهما معركة انهزم فيها بوشوشة مرة أخرى، حيث فقد 15 قتيلا، وزمائله وحتى زوجته زينب، وفاطمة بنت جلول التي أخذت أسيرة، إلى الزاوية التجانية بتماسين. فقرر استرجاعها غير انه تصادف مع قوات الجنرال ليبير *Lieber* الذي كان يعسكر آنذاك شرق الحجرة قرب وادي ريغ، فأمر السعيد بن دريس بالتوجه لملاحقته فعثر عليه يوم 17 فيفري في حاسي معمر، وتلاحم معه في معركة محدودة ولم ينل منه، فعاد إلى ورقلة حيث جهزت له السلطات الفرنسية قوات كبيرة ممونة ومسلحة.²

قرر الجنرال د و لاكروا *DeLacroix* هذه المرة الخروج بنفسه للقضاء على بوشوشة، فانطلق من ورقلة يوم 4 مارس 1874م رفقة السعيد بن دريس بقوات مكونة من 40 فارسا و260 مهري، تحمل مقدار 40 يوما من المؤونة، وعددا كبيرا من القرب والبراميل لكي تسير دون خوف من الجوع، وبعد 26 يوما وصلت إلى حاسي الميلوك جنوب غرب عين صالح، حيث اشتبك الطرفان في معركة حامية الوطيس، انهزم فيها بوشوشة وجرح، وفقد 50 من رجاله³، ولنتركه يقص التفاصيل⁴: « هزمنا، أصحابي هربوا، وبقيت رفقة

¹ أعزام ، المصدر السابق:ص73.

² Rapport: « Notes pour servir... »,Op.Cit.p436

³ Rapport: « Notes pour servir... »,Op.Cit.p437

⁴ Ibid, p438

10 أو 15 فردا نطلق النار، بعد ذلك وجدت نفسي وحيدا مجروحا في رجلي، وحصاني مصاب إصابة مميتة لم يستطع الوقوف فتركته أرضا، وألقيت بندقيتي وتوجهت إلى القائد بعج بن قدور، قائلا: أعطوني الأمان لم يجيني وأخذني إلى سعيد بن دريس كل منازلنا نهب، وامرأتي عثر عليها وأخذت أسيرة مع الأخريات».¹

ويذكر في هذا الصدد أيضا الشيخ التليلي قائلا : « أرسل الفرنسيون حملة بقيادة الجنرال (لاكروا) لإطفاء نار الثوار، فلحق بالشريف إلى عين صالح. وكانت الإبل التي تحمل مؤونة الجنود اثني عشرة (مائة). فلما علم الشريف بلحاق الحملة الفرنسية فرّق قومه، فبعضهم قصد عين صالح بالذات، وبعضهم عرج غربيها، وبعضهم توجه شرقيها. وكان الشريف في جماعة توجه إلى الجبال، والحملة قصدت عين صالح ذاتها وحاصرتها، وأرسل الجنرال إلى أهلها بعدما نصب عليها المدافع من جهاتها الأربع فقال لهم: إن أردتم الأمان سلّموا لنا الثوار، وإن أبيتم إلا النار فلا يأتي على هذه القرية الغد إلا وهي في خبر ليس. فقاد أهل القرية جميع من دخل من الثوار إلى الجنرال، فوضعهم هذا في شكاثر الخيش وربطها وجعلها كالأعمدة. وكان من حسن الحظ أن دلّ الجنرال على شاب اسمه أحمد، بطل من أبطال الشعانبة، أنه هو الذي يأتيك بالشريف ميتا أو حيا، فلما جيئ به وبامراته وأبيه، وكان قتل قبطانا من الحملة أراد اعتراضه وإيقافه، فلما جاء عين له بساطا يخصه، فشاهد ما وقع بإخوانه من الحرق بالبارود وهم في وسط الشكاثر، فرغبه الجنرال أنه إن أتى بالشريف ينيله ما يستحقه من الجزاء ويحصل على رضا الحكومة، فأرسله في أربعين فارسا فذهب بهم حيث ينزل الشريف، ونزل مع الشريف بعدما ذكر له أنه هزم الحملة الفرنسية وانتصر عليها. فاطمأن الشريف لذلك، فغافله حتى تمكن منه، فأسره وقاده إلى الجنرال، فخرج به داخل هذا إلى قسنطينة، وقتل رميا بالرصاص»²

بعدما أُسر بشوشة على يد بعج بن قدور بن المبارك قايد سعيد عتبة ، اقتيد إلى ورقلة ووضع في سجن سري في الشط،وقد دامت فترة التحقيق معه شهرا بورقلة، وبعدها اقتيد

¹ Rapport :Comment Bou Choucha Raconta un jour son histoire, p13

² التليلي ، المصدر السابق ، ص 10.

إلى العاصمة لعرضه على المجلس الحربي باعتبار أن ورقلة أصبحت تابعة لمقاطعة الجزائر العسكرية ، ابتداء من 22 ماي 1874م، ومن هناك إلى قسنطينة حيث أودع في السجن لعدة شهور رفقة ثلاثة من شعانية ورقلة أسروا معه وهم: داود بن شوليه وعلي بن معمر وبوجمعة بن الشيخ ، ثم قدموا إلى المحاكمة كمجرمي حرب ، فصدر الحكم في الأولين بالنفي وعلى الثالث بالإبعاد في مكان حصين ، أما بشوشة فحكم عليه بالإعدام الذي نفذ يوم 29 جوان 1875م على الساعة الخامسة صباحا بمعسكر الزيتون في ضواحي مدينة قسنطينة¹. يذكر صاحب "غصن البان" أنه خلال محاكمة الشريف بشوشة شهد على أعماله بعض القياد والأغوات والمشايخ ومنهم: علي باي آغا تقرت ووادي سوف، والأخضر بن محمد آغا الأربعاء، وبن الأخضر قايد المخادمة، وسليمان بن مسعود قايد الشعانية، وحمو بن بودغاس.²

وعقب القضاء على انتفاضة بشوشة وإخضاع ورقلة ووادي ريغ من جديد للسلطة الاستعمارية ، عملت هذه الأخيرة على قمع الأهالي ، إذ أقدمت سنة 1872م على إعدام 12 رهينة بالرصاص في طابية نتاكوميت (عين المعدمين)، وصادروا أراضيهم ونخلهم، وهدمت منازلهم، كما صادرت ممتلكات كل العائلات التي شاركت في المقاومة ضد الفرنسيين، وعملت على إفقار المجتمع الأهلي لصالح المستوطنين الجدد، مما جعل الأهالي يتحولون من مالكين لأراضيهم إلى خماسين في أراضيهم عند المعمرين، ناهيك عن فرض غرامات مالية ثقيلة على أهالي المنطقة قدرها 247187 فرنك، وذلك لكونها احتضنت مقر الثورة والمقاومة.³

هذا بالإضافة إلى الاعتقالات والمحاكمات العسكرية، حيث أصدرت الإدارة الاستعمارية عدة إحكام قضائية عسكرية في حق المنتفضين وزج بهم في السجون بتهمة التصدي لفرنسا والمساس بامن الدولة الفرنسية، وخاصة الشخصيات المرموقة واعيان

¹ L. Rinn ,Op.Cit , p663.

² أعزام ، المصدر السابق، ص 77.

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 9

المنطقة، وقد تمت محاكمتهم بالمحكمة العليا للجنايات بقسنطينة خلال ربيع 1873م، وكان من المفروض أن تدوم هذه المحاكمات 45 يوما، إلا أنها استغرقت 56 يوما نظرا للعدد الكبير الذي احتضنته قاعة المحكمة، والذي قدر بحوالي 600 شخص بين متهمين وشهود، وبالتالي عدم قدرة لجنة متكونة من إثنة عشرة شخص على إدارة ومحاكمة عدد هام من المدنيين بتهم كبيرة وثقيلة، وقد حوكم حوالي ثلاثة عشر من أعيان تقرت، وثلاثة من شعابة ورقلة من جملة من 152 شخص حسب الإحصائيات المدونة في عقد الإدانة.¹

كما تجدر الإشارة أنه رغم القضاء على مقاومة بشوشة وأنصاره، وسيطرة الفرنسيين من جديد على ورقلة التي لم تستقر بها، إلا أن ورقلة لم تعرف استقرارا، وذلك بسبب هجمات عصابات المداقنة، حيث استمر سالم بن شرائر الورقلي في قيادة عصابة المداقنة، إذ قامت سنة 1874م بغزو ورقلة واغتنتم حوالي 500 بعير، غير أن معظمها هلك بسبب العطش عندما فرت هذه العصابة نحو عين صالح²، وفي صائفة 1876م تكررت عملية الغزو على المخادمة وبني ثور من طرف عصابات المداقنة، ونفس الشيء حدث في فيفري 1879م حين قام المداقنة بغزو كبير اشترك فيه 470 مهري على المخادمة، فاغتتموا حوالي 30 بعيرا في حاسي طرفاية، واستولوا أيضا على قافلة من الحبوب في حاسي الزيت (شرق ورقلة)، وفيما يخص موقف الإدارة الاستعمارية من هذه الهجمات، فإن الأغا الجديد عبد القادر بن عمر الذي نصبته فرنسا خلفا لابن ادريس لم يستطع أن يواجه هذه الهجمات بجديّة، وذلك بسبب الانشغاقات التي كانت موجودة بين المخادمة وبني ثور.³

المبحث الثالث : أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة

تنسب أسرة أولاد سيدي الشيخ إلى الجد السادس والعشرين عبد القادر بن محمد والمعروف باسم سيدي الشيخ، ولقد خلف سيدي الشيخ ستته عشر طفلا شكلوا العائلة، غير أنه بعد وفاة الأب انقسمت الأسرة إلى قسمين: قسم أولاد سيدي الشيخ الشراقة

¹ رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق، ص103.

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص12

³ المرجع نفسه، ص18

وقسم أولاد سيدي الشيخ الغرابه، وكل قسم عمل على تأسيس سلطة روحية وذلك من خلال إنشاء زاوية خاصة به.

وما يهمننا في هذه الأسرة هو علاقتها بالمقاومة في منطقة ورقلة، ويبدو لنا من خلال تتبع مسار هذه العلاقة وجدنا أنها تعود إلى القرن السابع عشر ميلادي، وذلك حينما أوصى سيدي الشيخ بالخلافة لابنه الحاج بوحفص (أولاد سيدي الشيخ الشراقة)، غير انه توفي وترك سمعة طيبة في مناطق ورقلة وضواحيها، حين كان يتردد عليها ويرشد الناس ويصلح بين القبائل، حيث أصلح بين الشعانة وبني ثور، وبين هؤلاء والمخادمة خلال صراعاتهم حول مناطق النفوذ والتجارة أيام القرن السابع عشر الميلادي.¹

ولعل الأسباب التي دفعتنا إلى الحديث عن علاقة أولاد سيدي الشيخ بورقلة، وتناقضاتهم بين العمالة للفرنسيين أحيانا، والمقاومة ضدهم أحيانا أخرى، هو الدور المزدوج الذي لعبته هذه العائلة في تعاملها مع الاستعمار خلال تواجده بالجزائر، فخلال مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، كان قد طلب مساعدتهم سنة 1846م، إلا أنهم اعتذروا عن تقديم أية مساعدات له بدعوى خوفهم من الفرنسيين بالاعتداء على قبور أجدادهم وتهديمها، هذا بالإضافة إلى اتصاهاهم المباشر والمبكر بالسلطة الاستعمارية في أبريل 1847م، حينما قدموا مبلغ لأحد الجنرالات الفرنسيين وفرسا كهدية وعربون وفاء للخضوع والولاء، وبقوا ملتزمين بدفع الضرائب للفرنسيين بانتظام إلى غاية 1848م.

كانت السلطة الاستعمارية تراقب تطور أوضاع أسرة أولاد سيدي الشيخ من بعيد، وكانت قد علمت عن طريق جواسيسها بالصراع الدائر بين أفراد الأسرة حول الولاء أو عدم الولاء للفرنسيين، فاغتنتم الفرصة وعملت على تشجيع سياسة التفرقة وضرب ذاك بذاك، لتحقيق مصالحها التوسعية في الصحراء الجزائرية. وفي رسالة من المارشال

¹ J. lethiellux, Op.Cit.p 208

راندون *Randon* إلى قائد مقاطعة وهران مؤرخة في 26 ماي 1858م، تؤكد مدى اهتمام السلطة الاستعمارية بهذه العائلة لتحقيق أهدافها، ومما جاء في هذه الرسالة نذكر: "...أسرة أولاد سيدي الشيخ كان لها تأثير كبير في كل المناطق الصحراوية، تأثير لا نقاش فيه، وإذا أراد سي حمزة الخليفة الحالي أن يضع هذا التأثير تحت تصرفنا فلا احد يشك أننا سنصل إلى أهدافنا، لكن بعيدا عن ذلك لا زلنا نبحث عن الوسائل للدخول في علاقات، لان عدم رغبة هذا القائد تميل إلى القضاء على جهودنا..."¹.

وما يهمننا في هذه الأسرة أبناءها الإخوة الأربعة الذين ارتبط اسمهم بالاحتلال والمقاومة في منطقة ورقلة وضواحيها وهم: "سي حمزة ولد بوبكر، سي النعيمي ولد بوبكر، سي لعلا ولد بوبكر، سي الزبير ولد بوبكر"، ولقد كانت البداية مع سي حمزة ولد بوبكر الذي اتصل بالفرنسيين منذ سنة 1850م، طمعا في الجاه والسلطة²، وقد تزامن أيضا هذا الاتصال مع قدوم الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة لقيادة المقاومة ضد فرنسا وعملائها في المنطقة.

ولقد حاول الشريف محمد بن عبد الله إقناع سي حمزة ولد بوبكر بعدم التعامل مع الفرنسيين، إلا انه فشل في ذلك، وفي المقابل عمل سي حمزة ولد بوبكر على خدمة الفرنسيين أكثر من خدمة أنفسهم، وهذا باعتراف السلطة الاستعمارية: "...ربط قضيته بقضيتنا، وكان وفيا لنا، كان يرغب في سلطنة ورقلة ليكون بين أيدينا، ويكون الشخص المهم في توسعنا بأقصى الجنوب، كان طموحه حكم الجنوب حتى تمبكتوا، أو على الأقل من ورقلة حتى توات..."³، فقد ساهم في إخضاع القبائل الموالية للشريف محمد بن عبد الله مثل قبائل الأرباع، وأولاد نايل إلى غاية وادي النساء، كما ساهم في حصار واحتلال الاغواط سنة 1852م، وزيادة على ذلك سهل مهمة الفرنسيين في احتلال ورقلة في 27 جانفي 1853، بعدما اخضع نقوسة ودخل في معركة مع قوات الشريف محمد بن

¹ Augustin Bernard et N.Lacroix , Op.Cit ,p31

² C.Trumelet , Op.Cit ,pp 74-76.

³ Augustin Bernard et N.Lacroix , Op.Cit ,p20- 21

عبد الله حيث انهزم فيها هذا الأخير، وبعدها دخل سي حمزة ورقلة باسم الفرنسيين، وانتظرهم إلى غاية وصولهم، حيث استقبلهم استقبال الفاتحين الأبطال بالطبول والمزامير.

ومما ساعد سي حمزة في انتصاره على الشريف محمد بن عبد الله بورقلة هو انضمام أخوه سي الزبير ولد بوبكر والشيخ الطيب بن باية شيخ نقوسة إليه ، وأعلننا تخليهما عن مقاومة الفرنسيين، فتقوى مركزه، وازداد طموحه أكثر.

وعلى اثر هذه الانجازات كرمته فرنسا سنة 1853م حيث عينته خليفة على كل المناطق التي تمتد من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة، وعينوا أخاه سي الزبير آغا على ورقلة. وهكذا بقي سي حمزة يخدم الفرنسيين طيلة ثماني سنوات إلى أن توفي سنة 1861م فخلفه ابنه سي بوبكر ولد حمزة الذي عينته السلطة الفرنسية خلفا لأبيه ولكن برتبة بشاغا، ومنطقة محدودة، على خلاف رتبة أبيه (الخليفة)، والامتداد الجغرافي لمنطقة الحكم (من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة)¹. وأهم دور لعبه سي بوبكر ولد حمزة للفرنسيين هو إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله في أواخر 1861م. غير أن سي بوبكر هو الآخر لم يبقى طويلا في منصبه حيث وافته المنية أوائل 1862م، فعين الفرنسيون بقيادة الرائد كولوميو Colomieu أخاه سي سليمان بن حمزة، وعينوا عمه سي لعلا آغا على ورقلة خلفا لأخيه سي الزبير.²

¹ لقد اعتمدت السلطة الاستعمارية خلال فترة احتلالها للجزائر على سياسة تحطيم نفوذ الأسر والعائلات الجزائرية الكبيرة ذات السمعة والمكانة المرموقة في البلاد مثل (أولاد سيدي الشيخ، عائلة المقراني، عائلي بوعكاز وبن قانة... وغيرهم)، بعد أن نالت غرضها، فمع بداية الاحتلال حاولت استمالة هذه العائلات إليها كوسيلة لفرض سيطرتها مثلما فعلت مع سي حمزة في احتلال ورقلة، وبن سالم في احتلال الاغواط، ولما حانت الفرصة للاستغناء عنهم سارعت إلى التقليل من رتبهم ومناطق حكمهم، وتقليل أظافرهم حتى لا يبقى فيها أي أمل للشعب إذا أراد أن يقوم بأي عمل ضد الإدارة الاستعمارية، وهذا الاحتقار والتهميش كان وراء الكثير من المقاومات الشعبية في الجزائر.

² Colomieu (v), « voyage dans le sahara algérien de Géryville à Ouargla », Tour du monde , T2,n° 193 ,1863, pp181-199.

إذا كان الكلام السالف الذكر عن أسرة أولاد سيدي الشيخ وعلاقتها بورقلة له دلالة واضحة عن العمالة للفرنسيين ومحاربه المقاومين، فيمكننا القول إن التغير الذي أجراه الفرنسيون سنة 1862م في هذه العائلة، يعتبر نقطة تحول في أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة من العمالة لصالح الفرنسيين بقيادة سي حمزة ولد بوبكر وابنه بوبكر إلى المقاومة والجهاد ضد الفرنسيين بقيادة سي سليمان ولد حمزة وعمه سي لعلا ولد بوبكر، ولم تستفد السلطة الاستعمارية من خطئها وغفوتها إلا بعد فوات الأوان وإعلان ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م.

ولما تم الإعلان عن ثورة أولاد سيدي الشيخ لى النداء آغا ورقلة سي لعلا، حيث جند كل بدو ورقلة، حيث اتجه أواخر فيفري 1864م إلى منطقة وادي النساء وأخذ يخضع كل الذين حاولوا معارضة الثورة من الشعابنة والمخادمة، وخلال شهر ماي من نفس السنة اتجه سي لعلا نحو نقوسة وقام بتخريبها والاستيلاء على أملاك الشيخ بوحفص بن بابية.¹

وفي الشتاء كان البعض من ثوار الشعابنة والمخادمة وبني ثور يهاجمون خصومهم والمعارضين لحركتهم الجهادية نواحي بسكرة، ثم تراجعوا في أوائل جانفي 1865م باتجاه قريتي العالية والطيبين بمنطقة الحجيرة، وبعدها التحقوا بضواحي ورقلة، أين كان ينتظرهم سي لعلا رفقة ناصر بن شهرة، والتقوا جميعا في "حفرة الشوش"، حيث قرروا الهجوم على ورقلة واسترجاعها من الفرنسيين.² غير أن سي قدور قائد قبائل سعيد عتبة المواليين للفرنسيين بعدما كانوا ضدهم سنة 1851م، وذلك لارتباطهم بقبائل الحرازة والأرباع المؤيدين لحركة الشريف محمد بن عبدالله، كشفوا خطة الهجوم وابلغوا السلطة الاستعمارية.³

¹ M.R.Brigol, Op.Cit ,p32

² Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p415

³ Ibid.p415

وفي هذه الأثناء كان العقيد سيروكا *Seroka* معسكرا بقواته في "منطقة دزيوة" بعدما أُخبر بتحركات سي لعلا، وخوفا من هجماته تقدمت قوات العقيد سيروكا *Seroka* نحو منطقة الحجيرة، ثم التحقت به قوات علي باي التي كانت هي الأخرى تعسكر منذ فترة بمنطقة الحجيرة، وفي طريقهم للالتحاق اخبروا بأن عدة قوافل تحمل كميات من البارود إلى قوات سي لعلا، فاعترضوا طريقهم، واخذوا حمولة البارود. وبعدها قرر العقيد سيروكا *Seroka* مباغته قوات سي لعلا في "حفرة الشوش"، فأمر النقيب فورجيمول يوم 31 جانفي 1865م، بالهجوم على قوات سي لعلا، مما دفع بهذا الأخير إلى الانسحاب نحو جنوب شرق ورقلة يوم 2 فيفري 1865م.¹

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن أعوان السلطة الاستعمارية بالمنطقة وجيوشهم وفي مقدمتهم بولخراس بن قانة بجيش قدره 200 فارس، والموهوب بن شنوف قائد بني سليمان، وفرسان تقرت بقيادة سي إسماعيل بن اليزيد بجيش قدره 350 فارس، والطيب بن حرز الله قائد أولاد زكري بجيش قدره 120 فارس و665 من المشاة، كانوا قد اعترضوا طريق سي لعلا لمحاصرته والقضاء عليه، وانتهت المعركة باستشهاد 50 قتيل وعدد كبير من الجرحى، مقابل ثلاثة قتلى و18 جريح في صفوف العدو. وقد فضل سي لعلا الانسحاب إلى الجنوب الغربي بعدما سمع بمقتل ابن أخيه سي محمد القائد الثاني لثورة أولاد سيدي الشيخ.²

وفي هذه الفترة استغلت بعض عروش ورقلة تراجع وتقهر سي لعلا وأنصاره، منهم عرش أولا إسماعيل الذين تأثروا بأحداث الحرب الطويلة، حيث اتصلوا بالعقيد سيروكا *Seroka* طالبين الأمان بشروط، غير أن العقيد سيروكا *Seroka* أخبرهم بأنه لا يملك الصلاحيات الكافية لتحديد الشروط، في انتظار قرار القيادة العامة، فجاءته الأوامر من

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p415

² Ibid.pp417-418

وهران بإلحاق آغوية ورقلة بمقاطعة قسنطينة، وتعين عليها علي باي قائد وادي سوف ووادي ريغ.¹

وفي أوائل مارس 1865 وصل العقيد سيروكا *Seroka* إلى ورقلة وبقي بها حوالي إثنة عشر يوما استسلمت خلالها سعيد عتبة والشعانة وفرع من بني ثور، أما الراضين للاستسلام فقد هددتهم بمصادرة أملاكهم وحجزها أن لم يعود إليها خلال شهرين، فاضطرت المخادمة وبني ثور إلى العودة للحفاظ على ممتلكاتهم، وفي شهر جوان جددت القبائل المستسلمة طلب الأمان من العقيد سيروكا *Seroka* ، وأرسلوا أعيانهم إلى بسكرة في 15 أبريل 1865م، غير أن السلطة الاستعمارية رفضت استسلامهم بحجة مشاركتهم في الحرب ضد فرنسا في مقاطعة وهران، وبالتالي طلبت منهم الذهاب إلى وهران، وفي شهر جوان ذهب مبعوثان عن ورقلة إلى بسكرة لطلب الاستسلام من جديد، فتم قبول الطلب وفق شروط أهمها²:

- عدم تدخل الاستعمار في دينهم وعاداتهم
- أن لا يطلب منهم التجنيد في الجيش كصبايحية لمحاربة قبائل أخرى
- أن ينزل بنو ثور في موقعهم الحالي بعد أن منع عليهم منطقة البرج الأحمر.
- احترام حرماهم بحيث لا يقترب منها عسكري ولا لفيف أجنبي.
- أن يدفعوا ضرائب مقابل الأمان والحراسة.
- أن لا يدخلوا مع أي متمرّد ضد السلطة الفرنسية. وفي شهر جويلية رجعت كل الأسر باستثناء أسرتي الحاج قنان، وناصر بن ناصر.³

وفي ظل تواجد سي لعلا بالناحية الغربية فضل ناصر بن شهرة رفقة النعيمي ولد الجديد قائد أولاد الشايب، وإبراهيم بن عبد القادر قائد السوهامة، وناصر بن ناصر قائد

¹ Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.pp417-418

² Ibid.p419

³ Ibid.p 419

المخادمة، وبوعزة بوعزة، وعثمان الخمقاني من أعيان المخادمة، مواصلة المقاومة بمنطقة ورقلة، غير أنهم في أواخر شهر مارس 1865م اصطدموا مع قوات الآغا علي باي في منطقة بئر روي (حاسي بركين) جنوب ورقلة، وانتهت المعركة بأسر ابراهيم بن عبد القادر وانسحاب ناصر بن شهرة ورفاقه نحو الجريد التونسي عبر غدامس.¹

أما سي لعلا وبعد التطورات التي حدثت في الناحية الغربية أخذ يرأس السلطة الاستعمارية لطلب الآمان والاستسلام بشروط، غير أن الفرنسيين رفضوا ذلك، مما دفع بسي لعلا إلى مواصلة مقاومته في التل بالجنوب الغربي على أمل قبول السلطة الاستعمارية استسلامه وإعطائه الآمان.² وحينما ظهر الشريف بشوشة وناصر بن شهرة بمنطقة ورقلة سنة 1870م، اتصل بهم سي لعلا لتنسيق الجهود الحربية ضد الفرنسيين بالمنطقة. ورغم هذا التنسيق بين الأطراف الثلاثة إلا أن السلطة الاستعمارية نجحت في تشتيت جهود المقاومة خلال بداية السبعينات من القرن التاسع عشر، فقلد كشفت معركة حاسي تمزقيدة في 9 جانفي 1872م عن ضعف المقاومين، وتشتت جبهتهم، وتعددت مشاكلهم، فسي لعلا عمل على تحديد اتصالاته بينه وبين السلطات الاستعمارية لطلب الآمان وتسهيل عملية الاستسلام³، ولم يُقدّر لهذه المحاولات أن تنجح، فاتجه نحو الجنوب الغربي على الحدود، واستقر بمنطقة كرزاز بوادي الساوره إلى أن وافته المنية سنة 1896م عن عمر يناهز ستون عاما، أما سي الزبير فقد استسلم للفرنسيين بدون شروط إلى أن وافته المنية هو الآخر سنة 1879م، خاصة بعد تفهقر مقاومة أولاد سيدي الشيخ في معركة حاسي عتاب سنة 1866م ومصادرة أملاكهم من طرف السلطة الاستعمارية، أما الشريف بشوشة فالقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام. وفيما يخص ناصر بن شهرة فقد انسحب إلى تونس رفقة بعض المقرانيين واخذ يواصل هجماته على الأعوان الفرنسيين.

¹ Ch.féraud, le Sahara de Constantine, Op.Cit. pp508-510

² Rapport: « Notes pour servir... », Op.Cit.p419

³ Trumelet, Op.Cit.pp 74- 75

المبحث الرابع : الطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن(19م):

إن الكثير من الناس يعتقد اليوم أن التصوف هو الدروشة والبدع والخرافات، وهذا الاعتقاد يعتبر من مخلفات الحقبة الاستعمارية في الجزائر، غير حقيقة التصوف تعني الزهد في الدنيا، والتأمل في ملكوت الله مع كثرة العبادات والطاعات، وهذا ما أكدّه ابن خلدون في قوله عن التصوف: "وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة".¹

ولعل الكثير من الباحثين يقرّون أنه كان للطرق الصوفية في الجزائر مكانه هامة في البدايات الأولى لعملية الاحتلال والتوسع والتغلغل الاستعماري في الأراضي الجزائرية، وذلك لدورها الفعال الذي لعبته في الأحداث العسكرية والسياسية والثقافية والدينية، ولا يختلف اثنان اليوم على أن معظم المقاومات الشعبية الجزائرية خلال القرن التاسع عشر كانت نابعة من مختلف الطرق الصوفية التي عرفت الجزائر، بل وصل الأمر إلى تحالف الطرق في ما بينها مثلما ما حدث مع الرحمانية حين تحالفت مع الأمير عبد القادر.

غير انه في الجهة المقابلة هناك من يرفض هذا الطرح، ويؤكد على أن الطرق الصوفية وقفت إلى جانب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، حيث سهلت للقوات الفرنسية عملية استكمال التوسع في الصحراء الجزائرية، وأنها أغرقت المجتمع الجزائري في ظلمات الجهل والدروشة، إلى أن جاءت الجامعة الإسلامية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحاولوا تصحيح مسار التصوف عند هذه الطرق، والتصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، مج 1، ص 683

وإذا ما انفردنا بالتصوف في المجتمع الورقلي فنجد أنه قد تجسد منذ القرن التاسع عشر في مجموعة من الطرق الصوفية، وهي القادرية و التجانية، والرحمانية، والشيخية، والسنوسية، والطيبية، وقد أقيم لهذه الطرق زوايا في مختلف أرجاء المنطقة باستثناء السنوسية التي كان مقرها خارج المنطقة، ولكن نفوذها وتأثيرها في حركة المقاومة الشعبية كان أقوى بكثير من الطرق الصوفية الأخرى، وسنناول أهم الطرق الصوفية من حيث علاقتها بحركة الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي بورقلة، وليس من حيث عقيدتها وأواردها وفروعها :

1- الطريقة القادرية: تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد (470-562هـ/1078-1167م)، ولقد انتقلت هذه الطريقة من المشرق العربي إلى بلاد المغرب العربي عن طريق الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين (500-594هـ/1104-1198م)، ومنها انتشرت أفكارها ومبادئها عبر مختلف بلدان المغرب العربي، ومنها الجزائر عن طرق الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي، الذي أسس أول فرع للقادرية سنة 1200م، ثم أسست فروعاً لها في الشرق والغرب والوسط والجنوب، وتم تعيين على كل فرع من فروع الزاوية مقدم، كما لها أوقاف كثيرة كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد.¹

أما من ناحية المقاومة فكانت بدايتها إلى جانب المقاومين الجزائريين في عهد الأمير عبد القادر الذي قاد مقاومة شعبية في الغرب الجزائري (1832-1847)، غير أن الاستعمار الفرنسي تفتن للدور الجهادي لهذه الطريقة فعمل على استغلالها لصالحه من أجل التحكم والسيطرة، وبنوا الفرقة والعداوة بين مختلف الطرق، وزرعوا الجواسيس وضعاف النفوس لمراقبة مريدها، وبالتالي القضاء على المقاومة الشعبية الجزائرية.

¹ سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج 4 ، ص 4

ولعل الطريقة القادرية بورقلة من الطرق التي احتوتها السلطة الاستعمارية واستخدمتها في تغلغلها في أعماق الصحراء الجزائرية، ويعود تأسيس هذه الزاوية إلى الشيخ محمد الطيب بن محمد بن براهيم، ومن ناحية سنة التأسيس فيذكر بساجي *P.Passager* أنها تأسست سنة 1884م¹، غير أننا بالرجوع إلى فترة مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، فإن معظم المصادر التاريخية تذكر أن محمد بن عبد الله جاء إلى ورقلة سنة 1850م ونزل بزاوية الرويسات، وهذا ما يطرح عدة تساؤلات: هل المقصود هو الزاوية القادرية، أم أن هناك زاوية أخرى؟ أما من ناحية عدد أتباعها فلم تذكر المصادر التاريخية العدد آنذاك باستثناء بساجي *P.Passager* الذي ذكر أن عدد مريدها قد وصل سنة 1957م إلى 2300 مريد.²

أما عن موقفها من الاستعمار، فقد ذكر أبو القاسم أن الزاوية القادرية بالرويسات قد وضفتها الإدارة الاستعمارية في اكتشافاتهم العلمية (التجسسية) في عمق الصحراء الجزائرية، وذلك أن الشيخ محمد الطيب كان قد رافق بنفسه بعثة المستكشف الفرنسي فلانمان *Flumand* إلى تيديكلت في خريف 1899م، بهدف استكشافها والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية، وإمكانيات مياهها الجوفية، وقد أخذ معه الشيخ محمد الطيب من خدمه عشرين شخصا مسلحا³، وأربعون مهريا لحماية القافلة، غادرت البعثة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م متوجهة نحو عين صالح، ولما تفطن سكانها إلى نوايا هذه البعثة استعدوا للمقاومة⁴، وقد تعرضت هذه البعثة إلى هجوم كبير من عرب الصحراء قاده حوالي 75 مسلحا، وذكر أيضا أن الحاكم العام جول كامبون قد اعتمد على الشيخ محمد الطيب سنة 1895م لتسهيل عملية احتلال منطقة تيديكلت.

¹ P.Passager, Op.Cit, p134

² Ibid, p133.

³ سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، ج 4 ، ص 49

⁴ عاشوري قمعون، « دور عائلة الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية»، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، ع3، س3، جوان 2006، ص76.

هذا بالإضافة إلى مرافقته لرحلة بول سولييه *Paul Soleillet* عام 1873م انطلاقاً من متليلي نحو عين صالح، زيادة على ذلك قام الشيخ محمد الطيب برحلة عام 1885م من ورقلة إلى غدامس، وكان قد كتب وصفا لرحلته وتركه عند أخيه محمد الكبير بزاوية نفطة، وقد ذكر في هذه الرحلة أن الشيخ محمد الطيب عندما وصل إلى تطاوين على الحدود التونسية وجد ضابطاً فرنسياً فسلمه المقبوض عليهم في مسألة قتل الماركيز دي موريس.¹

أضف إلى ذلك أنه احتفظ بعلاقاته الجيدة مع الفرنسيين إلى غاية وفاته، وهو ما تؤكد الرسالة مؤرخة في 19 ديسمبر 1897م من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط بين فيها غضبه من أولاد سيدي الشيخ بورقلة الذين نشروا الفوضى بالمنطقة حسب رأيه²، كما استطاع أن يتصدى لبعض هجومات المقاومين في الصحراء، وأن يساعد بعض قبائل التوارق في التصدي للثائرين من السنوسيين.³ وقد أكد دوني بيلي *D.Pillet* هذه الأعمال في قوله أن الشيخ محمد الطيب كان قد رافق عدة رحلات استكشافية مع الفرنسيين إلى أن قتل في معركة شروين قرب تيمون يوم 5 مارس 1901م، وهو يقاتل إلى جانب الجنرال سيرفير.⁴ ونقل جثمانه إلى مدينة ورقلة حيث دفن بزاويته بالرويسات.⁵

غير أن ما يلفت النظر هو أنه رغم الخدمات التي قدمها شيخ القادرية بورقلة للفرنسيين، إلا أن السلطة الاستعمارية تعاملت مع الطريقة القادرية بحذر شديد في

¹ عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 75-76

² ينظر الملحق رقم 10: (رسالة من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط 1897م)

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 49

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 36.

⁵ عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 76

تحقيق أهدافها، حتى لا تشكل عليها خطرا، ويكبح جماحها التوسعية في الصحراء الجزائرية، وفي حالة ما إذا وقع الخطر فهي تلجأ إلى سياسة "فرق تسد" حتى يخلو لها الجو بكل إرياحية، حيث سخرت السلطة الاستعمارية لتحقيق هذا الهدف، ولضرب العناصر الثائرة التابعة لأية طريقة دينية معادية لفرنسا، ما قيمته مائتين وأربعين ألف فرنك فرنسي (240000ف)¹. وهذا ما حدث حينما استخدمت الطريقة التجانية بضرب الطريقة القادرية في مؤامرة اغتيال المغامرة إيزابيل ابرهات حين حضرت إلى تقرت في إطار حفل استقبال أقيم على شرف قدوم الشيخ الهاشمي الشريف أخ الشيخ محمد الطيب من باريس، وقد تخوفت السلطة الاستعمارية من هذا الاستقبال فأوعزت إلى رئيس المكتب العربي بالوادي غاستون كوفي على زرع الفتنة بين القادرية والتجانية، حيث دبر مكيدة لاغتيال إيزابيل ابرهات، غير أنها نجت بأعجوبة، وقد اتهم الشيخ الهاشمي الشريف التجانية بتدبير المؤامرة، وهذا بعدما تم اعتقال الجاني الذي ثبت أنه من أتباع الطريقة التجانية.²

وفي المقابل لا يمكننا أن نغفل عن الضوء المشرف والمشرق في تاريخ الزاوية القادرية بورقلة، فعقب مقتل الشيخ محمد الطيب، خلفه أخوه الشيخ محمد الهاشمي الذي قدم إلى زاوية الرويسات سنة 1901م، وعمل على تنظيم شؤونها العائلية وتعمير الزاوية بالأتباع والمريدين، بفضل عطائه وجوده وكرمه على أهالي المنطقة، وذكائه وفطنته للسياسة الاستعمارية في استغلال نفوذ الزاوية، وهو الذي قال عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر: "كان الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية - رحمه الله - رجلا ذكيا، واسع الحيلة، بعيد النظر، أدرك بثاقب فكره أن ما عليه الطريقة من جهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا، وأن المستقبل للعلم لا محاله، فولى وجهه شطر العلم، وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم، واشترط في

¹ Budget 1868.A.O.M. F80/903

² سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع نفسه، ص 53

حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أئمة ومدرسين ومتعلمين، واشترط في أبنائه أن لا حظ لا حد في الحبس إلا إذا حصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة، وبني عمله هذا على أن أملاكه هي أول للمسلمين، فلتعد بالنفع على المسلمين، فكان عمله هذا لم يسبقه إليه أحد من أمثاله..¹، كل هذه الصفات والأعمال أصبحت في نظر فرنسا تشكل خطرا على تواجد السلطة الاستعمارية بالمنطقة، فاضطرت القيادة العسكرية بورقلة إلى استدعائه والتحقيق معه، وإعطائه مهلة 24 ساعة لمغادرة ورقلة نحو وادي سوف بعد قضاء ثمانية أشهر هناك.²

ورغم التغير الذي أحدثه الشيخ محمد الهاشمي وأحفاده من بعده في تاريخ الزاوية القادرية خلال النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن الكتابات التاريخية لازالت لم تنصفها، وتبقى الوثائق المخزنة في أدراج زواياها كقيلة بأن تنصفها مستقبلا.

2- الطريقة التجانية : ظهرت هذه الطريقة في أواخر القرن الثامن عشر، وهي تنسب إلى الشيخ " أحمد التجاني " المكنى بابي العباس أحمد محمد التجاني الشريف، ولد بعين ماضي قرب الاغواط سنة 1150هـ / 1737م³، وهي تعد أحدث الطرق الدينية في الجزائر ، وقد انتشرت هذه الطريقة عبر مختلف مناطق الوطن، حيث أسست لها زوايا، أهمها زاوية عين ماضي بالاغواط، وزاوية تماسين بورقلة، وزاوية قمار بوادي سوف، وذلك بفضل القوافل التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، فكثر أتباعها ومقدموها، بل وامتد نفوذها إلى خارج الجزائر، وأصبحت قوة

¹ البصائر، ع 95.

² عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 76

³ حرازم الفاسي ، جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، ج 1 ، دار الجيل، بيروت ، 1988 ، ص 23

يتودد إليها الراغبون في التحالف. وخلال البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، التزمت الطريقة التجانية الحياد، وقد قيل أن "الشيخ التجاني قد وضع التمر في فمه فأصبح بذلك ملتزما بعدم الحرب، ولكنه لا يمنع من يرغب في الانضمام إليه".¹ ولعل هذا السكوت هو الذي دفع بالأمير عبد القادر سنة 1838م بالهجوم على الزاوية التجانية بعين ماضي لما تبين خطر الاتصالات القائمة بين التجانيين والفرنسيين، أضف إلى ذلك أن لويس رين *L.Rinn* كان قد برر في كتابه (المرابطون والإخوان) موقف التجانية من المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي حين قال إن التجانيين كانوا على يقين من أن الأمير سيفشل لا محالة في حربه ضد فرنسا، وأنهما لن يجنبا شيئا منه حتى ولو نجح، لأن التل يقع بين يدي طرق صوفية أخرى أقدم من التجانية، وأكثر تجدرا بين السكان، وبالتالي فإن التبعية للأمير غير مناسبة لهم.²

وفيما يخص ارتباط أهل ورقلة بالطريقة التجانية، فليس هناك زاوية مؤسسة بالمنطقة، غير أن تأثير نفوذها في المنطقة عن طريق زاوية تماسين اوجد بعض الأتباع والمريدين يتراوح عددهم بعض المئات.³ وتأسس زاوية تماسين كان عن طريق "الشيخ الحاج علي الينبوعي" (1180-1260هـ/1767-1844م)، حيث بنى زاويته هناك سنة 1214هـ، ويرجع نسب الحاج علي إلى بلدة ينبع ببلاد الحجاز، فكان له دور كبير في قيادة الطريقة، ونشرها خصوصا بوادي ريغ ووادي سوف.

أما موقفها من الاستعمار، فهو شبيه بالطرق الصوفية الأخرى التي فضلت خدمة الاستعمار على خدمة الوطن باستثناء البعض خلال القرن التاسع عشر، ولم تلعب أي دور إيجابي في حركة المقاومة بورقلة، بل إن التجانيون عارضوا ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة، وتصدوا لدخوله إلى تماسين مقر الزاوية التجانية، وتذكر المصادر

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 196

² L.Rinn, *Marabouts et Khouans*, étude sur l'Islam en Algérie, Alger, 1884, p 423- 427

³ P.Passager, Op.Cit, p133

التاريخية أن الحاج علي هو الذي اخبر أهالي وادي سوف ووادي ريغ والزيان بتقديم الفرنسيين نحو بسكرة وقال لهم: "إن الله هو الذي أراد أن يعطي الجزائر وإقليمها للفرنسيين، وهو الذي مكن لهم فيها، فابقوا مسلمين، ولا تطلقوا البارود عليهم... فاتركوا الفرنسيين وشأنهم يفعلون ما يريدون، لأنهم اتخذوا في الظاهر طريقا عادلا وحكيما".¹ كما أن خليفة الحاج علي الينبوعي ابنه "محمد العيد التجاني" فقد أشادت المصادر الفرنسية بخصاله، فحسب شهادة هنري دوفيري *H. Duveyrier* أنه ساعده بوصية من الجنرال ديفو *Desvaux* على الدخول بكل أمن وأمان إلى بلاد الطوارق، وأعطاه لقب التابع للطريقة لحمايته من الأذى، وقلده سبحة الطريقة، أما لويس رين فيذكر أن تأثيره - أي محمد العيد - في سوف ووادي ريغ قد سهل كثيرا مهمة الجنرال ديفو *Desvaux* سنة 1854م في تأسيس السلطة الفرنسية بمنطقة الجنوب الشرقي.²

كما أن الزاوية التجانية بتماسين رفضت تأييد مقاومة بشوشة أيضا، عندما حاول استمالتها بعدما حرر تقرت من القوات الفرنسية في ماي 1871م، لكون أن الشيخ "محمد العيد التجاني"³ رفض استقباله قائلا: "بمشيئة الله دخل الفرنسيون إلى الجزائر، وأن حكومتهم دائمة فاحترس". هذا بالإضافة إلى أن الزاوية قدمت خدمات جليلة للرحالة الفرنسيين المستكشفين للصحراء الجزائرية، ومنها بعثة فلاترس *Flatters* المتجهة نحو أقصى الجنوب الجزائري لاكتشاف بلاد التوارق، ودراسة مشروع مد خط حديدي عبر هذه الفيافي، حيث كان ضمن البعثة أحد مقاديم التجانية وهو عبد

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج 4، ص 220

² المرجع نفسه، ص ص: 221-225.

³ هو محمد العيد التجاني بن الحاج علي التماسي من مواليد 1815م ببلدة تماسين التابعة لولاية ورقلة، نشأ وترعرع في حضان أسرته التي اشتهرت بالصلاح والطهارة، فحفظ القرآن وتعلم مبادئ الشريعة الإسلامية، بعد وفاة والده خلفه في قيادة الزاوية التجانية بتماسين (1853-1875) وبقي بها إلى أن وافته المنية بتاريخ 12 نوفمبر 1875م.

القادر بن أحمدية الذي استخدم كدليل للبعثة، غير أنه مات في الطريق مع فلاترس *Flatters* على اثر هجوم شنه التوارق، أضف إلى ذلك أن شيخ زاوية تماسين أرسل عدة رسائل إلى توات وعين صالح، وغيرها من المدن لتقديم المساعدات للفرنسيين.¹

3- الطريقة الطيبية: تواجدت هذه الطريقة بورقلة خلال القرن التاسع عشر للميلاد، أما الزاوية الأم فتتواجد بوزان بالمغرب الأقصى وتدعى " دار الضمانة " ، أما أورادها فهي شبيهة بالطرق الأخرى ، حيث تدعو إلى التقوى والإكثار من فعل الخير والحفاظ على القيام بالواجبات الدينية، غير أن أتباعها قليلون مقارنة بالقادرية والتجانية²، ولهم زاوية تعرف باسم الشيخ سيدي " عبدالله بن أحمد " الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، وقد سمي عليها الحي الذي تتواجد به الزاوية وهو حي سيدي عبد الله .

4- الطريقة السنوسية: الحديث عن هذه الطريقة الصوفية ليس كالحديث عن الطرق الأخرى، وذلك لكونها لعبت دور كبير وإيجابي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة خصوصا، وفي الصحراء الجزائرية عموما، زيادة على ذلك أنها لم تملك زاوية بمنطقة ورقلة، على خلاف الزاوية القادرية بالرويسات، والتجانية بتماسين، والرحمانية بعين البيضاء ولعجاجة، والشيخية بالشط. وتنسب الطريقة السنوسية إلى شيخها محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي (1787-1859م).³

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. ج4، المرجع السابق، ص 216

² P.Passager, Op.Cit, p133

³ ولد في مستغانم بالجزائر يوم الاثنين 15 من ربيع الأول 1202هـ، الموافق 1787/12/24م وتوفي بالجغبوب بليبيا يوم الأربعاء 9 صفر 1276 هـ، الموافق 1859/9/7م، اشتهرت طريقته في ليبيا، وبعض الدول المجاورة لها، ولا نرى أنه جاء إلى الجزائر كما ذكر المؤلف، وقد يكون أحد أتباعه، فقد ذكر أحمد الشريف السنوسي، وهو حفيد مباشر للمذكور، أن جده قد كلفه رسول الله (ص) في (رؤيا) بثلاثة أمور وهي بناء المساجد، وإرشاد العباد وبث العلوم، والجهاد في سبيل الله، حيث قام بالأولين، أما الجهاد فقال: " رأيت في نفسي ضعفاً من كثرة الأمراض، فعلمت أن لا قدرة لي عليه، فتشفعت بسيدتنا فاطمة رضي الله عنها، وقلت يا رسول الله لا طاقة لي به،

وفيما يخص علاقة السنوسية بمقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة فهي تعود إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي حين التقى الشريف محمد بن عبد الله بالشيخ السنوسي في مكة المكرمة في إطار أداء مناسك الحج، حيث توثقت الصلة بين الطرفين، وقد دعا الشيخ السنوسي كل الجزائريين إلى محاربة الاستعمار والنصارى. وأمام تدهور الأوضاع العسكرية في الجنوب الشرقي الجزائري خاصة بعد احتلال واحة الزعاطشة سنة 1849م رجع الشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر عن طريق غدامس واستقر بورقلة التي عين عليها سلطانا سنة 1851م بطلب من السيدة لآلة الزهرة الورقلية، بعد وصول رسائل التأييد والتشجيع من الشيخ السنوسي. وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن الشيخ السنوسي كان الواسطة بين الشريف محمد بن عبد الله والعثمانيين، ويكون قد جند له الأتباع وعاونوه بالسلاح وبالرسائل ونحوها.¹

وقد ذكرت بعض المصادر أن الشيخ السنوسي اجتمع بالشريف محمد بن عبد الله غرب مدينة تقرت، وهذا حسب ما ذكره صاحب "ري الغليل" في قوله : ((...ويوم الثلاث {الثلاثاء} في 15 رجب سنة 1268هـ أتت قافلة، وفيها أربع مئة جمل، وجاء معهم رجل اسمه محمد السنوسي، يدعي بأنه شريف، وهو قاضي عند الشريف القايم بورقلة وخليفته، وحط خيمته غرب تقرت بقرب باب سيدي عبد السلام، وأتى معه رجل من أكابر الأرباع اسمه الشيخ الناصر²، وأهدوا - الأرباع -

لتوالي الأمراض معي، فأمرت من ينوب عني" .. فأنا ب عنه الشريف محمد بن عبد الله السماحي، وأرسله للجهاد من مكة المكرمة في سنة 1264هـ (الموافق 1848م تقريباً) بعد أن بايعه على الجهاد والموت في سبيل الله، ووصّاه بالقيام بهذه الفريضة على إتباع السنّة، وقال له اجعل مركزك ببلد مغنية، وبعد ذلك اجمع عسكراً من السودان، ثم بعد ذلك قم بفريضة الجهاد؛ ثم أرسل بعده عمر الفضيل، وعبد الله السني، وأبا القاسم العيساوي، والشيخ عمر بن عزيز، والشيخ محمد بن حسن المصراقي، وهؤلاء كلهم قياد (أي من كبار المعاونين له) واستمر يرأسه ويكتبه ويحرضه على القيام بهذه الفريضة، حتى أرسل إليه بأن يقدم عليه في الجغبوب، فقدم عليه عام 1274هـ (الموافق 1857 - 1858م) فذاكره في خطته التي لم ينفذها المعني، ثم أمره بالرجوع، ولم يلبث أن أتاه الخبر بوفاة محمد بن علي السنوسي.

¹ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص385

² الشيخ الناصر: لم نتوصل إلى ترجمته.

للشيخ سلمان فرس من جياذ الخيل، وأتوا أربعين فارس من الأرباع، ومعه رجل يشعر ويقول:

أتينا على الخيل الجياذ شبيهه
وركبنا كل صنديدا هماما ولا نختشوا من أهل النفاق
ونحن حمية الإسلام جمعاً ونُقروا بالله باقي
ومحمد بالرسالة إلى يوم التلاقي

...وأما تقرت في وقتنا هذا للشريف بلا شك، وإنهم - أهل تقرت - كل يوم يركبوا في الصمعة¹، وينادوا: الجهاد في سبيل الله؛ وأما الحاج محمد الأدرسي²، كل يوم يقري في كتاب الجهاد على الشيخ سلمان، وعلى جميع أكابر تقرت، ويقول لهم: جاهدوا في سبيل الله خير لكم لو كنتم تعلمون، وكل ناس جاهدوا، إلا أنتم يا أهل تقرت، وها هم جاعلين أمرهم³.

وعليه فبفضل إرادة وعزيمة الشريف محمد بن عبد الله ، ورسائل الشيخ السنوسي التحريضية والتأييدية لبى الكثير من سكان ورقلة نداء المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، والدخول معه في عدة معارك طاحنة، إلا أنه في الخير تمكنت القوات الفرنسية من احتلال ورقلة سنة 1853م، وإلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله سنة 1861م، أما الحركة السنوسية فقد قامت السلطة الاستعمارية بمحاربتها وتضييق الخناق عليها من خلال توظيف الطريقة القادرية والطريقة التجانية للوقوف أمام

¹ الصمعة (عامية) جمعها: صوامع، وصمّع: الصوَمعة، مأذنة الجامع

² محمد الإدريسي، المقصود به الشيخ محمد بن علي السنوسي، والسنوسيون أدارسة، فهم ينتسبون إلى إدريس الأكبر.

³ محمد بن عبد الجليل، ري الغليل، المصدر السابق، ص17

انتشار السنوسية بالمنطقة وخطرهما، وقد ذكر أحد الفرنسيين عن السنوسية قائلاً: ((إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر، وإن السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الإفريقي.. وأنها أيدت ثورة محمد بن عبد الله في صحراء الجزائر 1849م..)).¹

5- الطريقة الرحمانية : يعود أصل الطريقة إلى الشيخ " محمد بن عبد الرحمان الأزهري الزواوي الجرجري " المولود حوالي 1720م من قبيلة آيت إسماعيل ، و توفي سنة 1793م المعروف يومئذ ببوقبرين²، و أخذت الطريقة تنتشر في أرجاء البلاد ، و كان من بين تلامذته الشيخ " محمد بن عزوز البرجي " المولود سنة 1756م بواحة البرج قرب طولقة ، فأسس الطريقة بالجنوب ، و أصبحت الطريقة تنسب إليه و صار أتباع الطريقة الرحمانية يعرفون بالعزوزية ، و في سنة 1817م توفي الشيخ محمد بن عزوز البرجي ، ودفن ببرج طولقة.³ وليس هناك إحصائيات حول أتباع هذه الطريقة بورقلة خلال القرن التاسع عشر ، غير أن بساجي P.Passager يذكر انه كان للطريقة فروع في قريتي عين البيضا ولعجاجة ، وقد وصل عدد أتباعها سنة 1957م إلى 2000 شخص.⁴

أما موقفها من الاستعمار فيتجلى في تأييدها لثورة الشريف محمد بن عبد الله، حيث وجد هذا الأخير مختلف أنواع المساعدة والدعم من خلال لجوئه العديد من المرات إلى الجريد التونسي، واجتماعه بالشيخ مصطفى بن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية

¹ محمد بن معمر، "علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله"، مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة، 25-27 فبراير 1998، ص 62.

² أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة، ج 2، 1991، ص ص 298-302 .

³ عبد الحليم صيد ، « محمد بن عزوز شيخ العلماء و المجاهدين » ، مجلة الثقافة ، العدد 115 ، الجزائر ، 1997 ، ص ص: 97 - 113 .

⁴ P.Passager, Op.Cit, p133

6- الطريقة الشيخية : تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها (سيدي الشيخ)، وهو عبد القادر بوسماحة ، دفين البيض (ت 1023هـ/1645م)، وترجع أصولها الصوفية إلى عدة طرق صوفية أخرى، غير أن مؤسسها قادري الطريقة، ولكن فيما بعد أصبح مقدا للطريقة الشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمن السهيلي، وأوصى أولاده عند وفاته باتباع تعاليم الشاذلية²، ويعتبر الولي سيدي بلخير الشطي الورقلي احد أتباع الطريقة الشيخية، حيث أسس زاوية له في قرية الشط تتضمن غرفتين وقاعة للصلاة، وكان قد اشتهر هذا الولي بتقواه وورعه وأخلاقه العالية، وحبه الشديد لفعل الخير، حيث شهد له الناس بالعديد من الكرامات التي عرفها الشيخ، من بينها كان يملك عصى يضرب بها ارض فيخرج الماء يتدفق يجري حول الزاوية، ومن كرامته أيضا يقال انه في احد الأيام لم يجد ما يقدمه لضيوفه فاستخرج الحليب من طوب الطين الذي بني به الزاوية. هذا بالإضافة إلى أن الزوار الذين كانوا يقصدونه بهدف المسّ بشخصه أو بزوايته فيكون الموت أو الإصابة بالعمى مصيرهم.³

وبعد وفاته صارت زاويته مكانا للتبرك به، حيث أصبح بعض الشباب المقبلين على الزواج يقصدون الزاوية لأخذ البركة من الولي وذلك بوضع مبلغ مالي اعتقادا منهم أن بركة سيدي بلخير الشطي تحمي العلاقة الزوجية وتكفلها بإنجاب أولاد. هذا زيادة على الاحتفال بالزيارة الأساسية السنوية للزاوية التي كانت تقام كل شهر سبتمبر.⁴ وفيما يخص عدد الأتباع فليس هناك إحصائيات حول أتباع هذه الطريقة بورقلة خلال القرن التاسع عشر الميلادي، غير أن بساجي P.Passager يذكر أن عدد

¹ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص386

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق، ص103

³ P.Passager, Op.Cit, p135

⁴ P.Passager, Op.Cit, p135.

أتباعها سنة 1957م وصل إلى 2000 شخص.¹

يبدو أن موقف الطريقة الشيخية من الاستعمار كان الرفض والمقاومة، وقد تجلّى ذلك من خلال موقف لآلة الزهرة الورقلية التي كانت ذات حركة دنية تتبع الطريقة الشيخية، وساعدت الشريف محمد بن عبد الله في ثورته ومبايعته سلطانا على ورقلة. زيادة على ذلك الدور الذي لعبه سي الزبير وسي لعلا من أولاد سيدي الشيخ في دعم مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم استعراضه سالفًا حول مظاهر المقاومة والتصدي التي أبدتها سكان ورقلة ضد التوسع الفرنسي في المنطقة، يبدو لنا أن هذه المقاومات الشعبية ارتقت بالعلاقات الاجتماعية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية بورقلة وخارجها، حيث تم تجاوز كل الصراعات المذهبية والعرقية من أجل الدفاع عن الأرض، واسترجاع الحرية والكرامة، فالمتأمل في قوات الشريف محمد بن عبد الله وقوات الشريف بشوشة، فسيلاحظ حتما ذلك التنوع في صفوف المقاومين الذين جاؤوا من مختلف المناطق الصحراوية تلبية لنداء الجهاد، خاصة من الاغواط ووادي ميزاب ووادي ريغ والزيان... وغيرهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عمق الروابط الاجتماعية وأواصر الأخوة بين أفراد المجتمع الجزائري.

أضف إلى ذلك أن المجتمع الورقلي أكد قابليته للمقاومة قبل عملية الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وأكد أيضا أنه كان متعطشا وحريص على من يقوده ويسير مقاومته، لذلك نجد أن الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة قد لقيا ترحابا واستقبالا كبيرين من طرف الورقلين، على خلاف بعض المصادر التاريخية التي حاولت تشويه الحقائق التاريخية مؤكدة في ذلك على أن المجتمع الورقلي كان يساند الفرنسيين من خلال استمالة بعض الزعامات الصحراوية إلى جانبهم، وخدمتهم للإدارة الاستعمارية أكثر من خدمة

¹ Ibid, p133

أنفسهم، وقد تجلّى هذا بوضوح في الدور المزدوج الذي لعبته أسرة أولاد سيدي الشيخ في تعاملها مع الاستعمار خلال تواجده بالمنطقة.

كما تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الأخوية التي كانت تربط بين الشعب الجزائري والتونسي والليبي ساهمت بشكل كبير وفعل في توسيع الإطار الجغرافي لحركة المقاومة التي قادها كلا من الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة وأنصارهم في الجنوب الشرقي، حيث كانت مناطقهم الحدودية ملجأً لتجديد المقاومة وكسب أنصار جدد، وهذا ما أكدته العديد من التقارير والمراسلات بين الفرنسيين والحكام التونسيين والليبيين.

تبقى الإشارة المهمة ذات الصلة بهذا الجانب أن حركة الجهادية بقيت متواصلة ومستمرة، حتى بعد القضاء على مقاومتي الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة، وهذا تأكيد على أن سكان ورقلة قد استفادوا من الخبرة العسكرية في عمليات التصدي والمقاومة خلال بداية احتلال المنطقة، الأمر الذي جعلهم يواصلون هجوماتهم الخاطفة بين الحين والآخر على القوات الفرنسية في مختلف المناطق الصحراوية المجاورة لمنطقة ورقلة، وفي نفس الوقت استمرار هذه الحركة الجهادية أعطى نتيجة عسكرية وسياسية وهي تأكيد السلطة الاستعمارية من فشل الباشاغات، والقياد في الحفاظ على سلطتها في الجنوب، مما دفعها إلى تجنيد كل قواتها العسكرية، لترسيخ الاحتلال واستقرار الوضع الأمي بورقلة منذ 1882م

كما يبدو أن موقف الطرق الصوفية كان قائما بورقلة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، ويتجلى ذلك من خلال الدعم المعنوي الذي قدمته بعض الطرق الصوفية، من بينها القادرية التي احتضنت الشريف محمد بن عبد الله منذ حلوله بورقلة سنة 1852م، غير أن موقفها تغير في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي لصالح الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى الطريقة الرحمانية، والطريقة الشيعية التي أبدت رفضها للاستعمار من خلال موقف لآله الزهرة الورقلية التي كانت ذات حركة دنية تتبع الطريقة الشيعية، علاوة على موقف الطريقة السنوسية التي كان نفوذها وتأثيرها في حركة المقاومة الشعبية كان أقوى بكثير من الطرق الصوفية الأخرى.

الفصل الرابع

السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854_1954م

المبحث الأول:

السياسة الإدارية والعسكرية

المبحث الثاني:

السياسة الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث :

السياسة التنصيرية (التبشيرية)

المبحث الرابع :

السياسة التعليمية والقضائية

المبحث الأول: السياسة الإدارية والعسكرية

أولاً/ السياسة الإدارية:

لقد كانت السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال متعددة المشاريع نتيجة عدم الاتفاق داخل البرلمان الفرنسي بين البقاء في الجزائر أو الخروج منها ومن بين التساؤلات التي طرحت آنذاك: هل تسلم الجزائر إلى الدولة العثمانية بعد أن تم القضاء على النظام الإداري بها، أم يكون الاحتفاظ بها كمستعمرة فرنسية؟ وقد استمرت هذه التساؤلات تطرح في البرلمان الفرنسي إلى أن أعلنت الحكومة الاستعمارية أن الجزائر قطعة فرنسية. بمرسوم 22 جويلية 1834م وعين عليها حاكم برتبة جنرال، وخولت له صلاحيات واسعة عسكرية ومدنية وبمساعدة وكيل مدني وكاتب عام ومدير مالي، ومنذ هذا التاريخ صار النظام الإداري في الجزائر يسيّر نظرياً بقوانين فرنسية وليس بقوانين المستعمرات على أساس أن الجزائر "امتداد طبيعي لفرنسا"، وعليه من خلال ما ذكرنا سالفا نستكشف أن أسلوب الإدارة الفرنسية في الجزائر تأثر بوجود رأيين مختلفين في الأوساط الاستعمارية هما: رأي العسكريين ويتمثل في اتخاذ بعض الرؤساء التقليديين الجزائريين المواليين للاستعمار وسطاء بينه وبين الجماهير، والرأي الثاني هو للمدنيين والذي يقوم على أسلوب الإدارة المباشرة.

وانطلاقاً من هذا الاختلاف جاء النظام الإداري خاصة بعد 1840م مزيجاً بين النظام العسكري والنظام المدني، بحيث عرفت المناطق الشمالية نظاماً مدني وعرفت المناطق الداخلية خليطاً بين نظام مدني على الأوروبيين وإدارة عسكرية بمساعدة المكاتب العربية، وعلى ضوء مرسوم جويلية 1834م اتسمت السياسة الإدارية بصدور قوانين كثيرة عرفت خلالها السلطة الفرنسية التردد حيناً والتناقص أحياناً، وقد سخرت هذه القوانين كلها في خدمة السياسة الإدارية الاستعمارية.

بعد عملية الاحتلال العسكري لمنطقة ورقلة وضواحيها عملت السلطة الاستعمارية على فرض سياسية إدارية ، وذلك لضمان استقرار الفرنسيين في المنطقة، والتحكم والسيطرة على الأهالي لتجنب اللاستقرار واللامن في المنطقة ،وقد عرفت هذه السياسة التنظيمية على المستوى الإداري أشكالاً متعددة ، حيث أسندت السلطة الاستعمارية النظام الإداري إلى أبناء البلاد باعتبارهم أكثر دراية بشؤون العرب والمسلمين، وكان من أهم المشرفين على هذا اللون من النظام نجد الجنرال ديفو Desveaux الذي حقق بعض التطورات لصالح الإدارة الاستعمارية، وذلك من خلال مجموعة مراسلات كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وشيوخ الزوايا من أجل استمالتهم ووضعهم في خدمة المصالح الفرنسية الاستعمارية.

1- استحداث نظام القيادة والباشاغوات:

لقد اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكنها من إحكام قبضتها على المنطقة ، باعتبار ورقلة منطقة صحراوية مفتوحة، والظهور أمام الأهالي بملامح الحرص على مصالحهم، فبعد الإطاحة بسلطنة أولاد علاهم الفاسية استبدلت السلطة الجديدة النظام الإداري الذي كان معمولاً به من قبل بنظام "القيادة والشيخوخة"¹ ، فجاء هذا بديلاً عن نظام السلطان ، ونظراً لكون فرنسا تعلم بأنه ليس من السهل على هؤلاء القيادة أن يمارسوا سلطتهم وسط الشعب الذي لن ينقاد لهم بسهولة ، فقد أعطتهم نوعاً من القوة التي تسمح لهم بممارسة حكمهم، ومن أبرز الباشاغوات والقيادة الذين حكموا ورقلة منذ بداية احتلالها ولغاية استقرار الفرنسيين بها نهائياً نجد:

أ- الباشاغا سي الزبير (1854-1862م): من أسرة أولاد سيدي الشيخ ، كان موالياً للفرنسيين منذ احتلال ورقلة سنة 1854م، وتم عزله سنة 1862م بسبب المرض ،وفي سنة 1864م تحول من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وناظر ضدهم وهذا بعد اندلاع ثورة

¹ شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعر: محمد مزالي، الجزائر، ش.و.ن.ت، تونس، الدار التونسية للنشر، ج2، 1978، ص: 378 - 737.

أولاد سيدي الشيخ ،على خلفية احتقار السلطة الفرنسية لعائلته، والتقصير من شأنها، وإلغاء الامتيازات التي كانت تحصل عليها، هذا بالإضافة إلى انه كوّن علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة الأمر الذي جعل هذا الأخير يعينه آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة سنة 1871م.

ب - الباشاغا سي لعلا ولد بوبكر (1862-1864م): شقيق الخليفة سي حمزة ولد بوبكر، عينته السلطة الاستعمارية آغا على ورقلة سنة 1862م خلفا لأخيه سي الزبير الذي كان يعاني من مرض مزمن منذ عدة سنوات، وتم عزله سنة 1864م بسبب تمرده على الفرنسيين ،والدفع بابن أخيه سليمان بن حمزة إلى الثورة ضد القوات الفرنسية، وخلال أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ حاول عدة مرات الاستسلام والتفاوض مع الفرنسيين بشروط، إلا أن السلطة الاستعمارية رفضت ذلك، فاستمر في المقاومة إلى غاية الثمانيات أين استقر مع ابن أخيه سي قدور بن حمزة في منطقة كرزاز إلى أن وافته المنية سنة 1896م بقرية الحاج الدين.¹

ج - الآغا علي باي (1865-1872م): هو علي باي بن فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز الذوادية ، عينه الفرنسيون آغا على تقرت خلفا لسلطة بني جلاب بعد سقوط إمارتهم، وأيضا وادي سوف بعد احتلالها، وقد ادعى هذا القائد أنه من نسل بني جلاب ، ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه هبة لدى سكان تقرت ، فاعتماده على هذا النسب يجعل له قيمة كبيرة في مدينة كان الحكم فيها مقتصر على بني جلاب مند سنوات طويلة ، أما من الجانب الوصفي لشخصيته ، فهو رجل في حوالي الأربعين من عمره اسود اللحية، اسمر الوجه ، ذو عينيّ صغيرتين براقّتين ، يتسم بالوقار عموما.²

د - الآغا السعيد بن ادريس (1874-1876م): هو شقيق الملازم محمد بن دريس آغا تقرت ، وتم تعيينه من طرف السلطة الفرنسية كآغا على ورقلة في 25 جويلية 1874م ، وتجدد الإشارة في هذا الجانب إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت

¹ Rapport: « Notes pour servir....»,pp415-445

² مالتسان، المرجع السابق،ص152.

بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها للفرنسيين ومساعدتهم في عملية استكمال احتلال الصحراء ، ومن ذلك إلقاء القبض على أخطر ثائر بالصحراء بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873م، وبقي في القيادة إلى تاريخ استقالته سنة 1876م.¹

هـ - الآغا عبد القادر بن عمر (1876-1884م): من مواليد مدينة المدية ، عينته السلطة الاستعمارية آغا على ورقلة سنة 1876م برتبة ملازم أول²، ويقال انه عرف بحسن سيرته في التعامل مع الرعية، وكانت له مواقف حازمة في القضاء على الفتن، ومن الأمثلة على ذلك، الفتنة التي حدثت بين المخادمة والإباضيين بسبب أن أحد المخادمة أراد أن يتوضأ في المسجد الإباضي فنزع الإبريق من يد صبي وصفعه، وكادت الحرب أن تبدأ لولا أنه تدخل وسجن كل المشاركين في القتال، وعزمت جماعة سعيد عتبة على الانتقام، ولكن منع كل من هو غير إباضي من الدخول للمسجد قطعاً للأسباب³، غير أن السلطة الفرنسية عزلته سنة 1884م بسبب فشلة في استتباب الأمن بورقلة وفض النزاعات بين الشعانبة والتوارق.⁴

وبتاريخ 22 ماي 1872م تم استحداث تعديل إداري في الجنوب القسنطيني أصبحت ورقلة تابعة للملحقة تقرت والتي تضم كلا من وادي ريغ ووادي سوف ، إلا أنه في سنة 1874م تم إلغاء ملحقة تقرت لتصبح تابعة للملحقة ورقلة. وبعد استقرار الفرنسيين نهائياً بورقلة سنة 1882م، وتنصيب أول حامية عسكرية بالرويسات، تحولت القيادة مباشرة إلى الحكام العسكريين الفرنسيين، وإلغاء نظام القياد بالتعين، والعمل بنظام الشيوخ بالانتخاب، وذلك أن كل عرش من أعراش القبائل ينتخب شيخاً يكون ممثلاً عنهم في التعامل مع السلطة الاستعمارية، ثم بعدها يقدم اسمه وسيرته رفقة اثنين آخرين إلى الحاكم

¹ Rapport: « Notes pour servir.... », p437

² Ibid, p137.

³ أعزام ، المصدر السابق، ص 76-77.

⁴ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 22

العام بالجزائر، وبعدها يقع تعيين أحدهم بورقة ممضاة من الحاكم العام، ثم يعلن الحاكم العسكري بالمنطقة يوما مشهودا بخصوص هذا التعيين، ثم يلبسه البرنوص¹، ويعطي له تسميته وخاتمه بحضرة الأهالي وبعض الضباط من الجيش الفرنسي، ثم يحرص الحاكم العسكري على تقديم النصائح للشيخ الجديد على القيام بوظيفته والنصح والإرشاد للتأقلم مع الفرنسيين، والرفق برعيته والسهر على مصالحهم وغير ذلك من الأمور.

ومن الأمثلة على ذلك تعيين سي محمد بن بقار قايد على عرش سعيد عتبة، وسي سليمان بن رابح قايد على عرش بني سيسين²، وتعين سي قدور بن عبد القادر قايد على عرش المخادمة سنة 1942م³. كما يتم الطلب في حالات استثنائية من بعض القياد الذين اثبتوا ولاءهم لفرنسا من الحكومة الفرنسية تعيينهم قيادا على بعض العروش التي تخدم مصالحهم، وهو ما حدث مع القايد نعمان بن دباخ الذي طلب من حاكم عمالة قسنطينة تعيينه حاكما على ورقلة وعروشها⁴.

¹ البرنوص (البرنس) لباس تقليدي فضفاض شائع في الجزائر، وهو عبارة عن ثوب من الصوف أو الوبر أو الملف يوضع على الأكتاف وله غطاء للرأس، وهو يذكره هنا كرمز للسلطة والحكم، لأن العثمانيين ثم الفرنسيين كانوا إذا ولّوا موظفًا ساميًا أعطوه البرنس ليظهر به أمام الرعية لكي يطيعوه. وتجدد الإشارة هنا إلى أن السلطة الفرنسية تفتنت إلى وسائل كثيرة تكسب بها الجزائريين، وهي اكتساب الشيوخ، سواء شيوخ الدين أو شيوخ الطرق الصوفية أو شيوخ القبائل والأسر العريقة، وذلك عن طريق "هدية البرنوص"، والتي كانت لها آثار فاعلة في النفوس منذ العهد العثماني، ومن خلال هذه السياسة يتضح لنا أن النفوذ الفرنسي امتد بواسطة هؤلاء الشيوخ إلى مناطق كثيرة من البلاد منذ بداية الاحتلال، ولكن لكل شيخ أهميته ولون برنسه ورموزه ووظيفته.

² رسالة من قائد مقاطعة باتنة الى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص شكوى تقدم بها سي سليمان بن رابح قايد بني سيسين بورقلة ضد علي باي. A.O.M, 8H6, 1865.

³ قرار من الوالي العام بالجزائر بتعيين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة A.O.M, 8H24, 1942 ينظر الملحق رقم (12).

⁴ رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعيينه حاكما على ورقلة وعروشها. A.O.M, 8H6, 1867 ينظر الملحق رقم (4).

وتكمن وظيفة هؤلاء الشيوخ في استخلاص الضرائب الفرنسية بأنواعها والبحث في النوازل، وبعد التحري والتقصي يرسل الحاكم العسكري ليرى رأيه في القضية، وللشيخ أن يفصل في بعض القضايا التي لا تتعلق بالدماء والقتل.¹

ويذكر أيضا صاحب "غصن البان" أن السلطة الاستعمارية استحدثت ما يسمى " بالضمان" وهو بمثابة خليفة ينوب الحاكم العسكري عند غيابه في حل المسائل الصعبة كالقتل مثلا. ورجل الضمان يتم انتخابه من طرف قبيلته أو عرشه بكل حرية، وان يكون من أهل الكفاءة والعلم، بعدما يعرضونه على شيخ القبيلة أو العرش، والذي بدوره يقدمه إلى الحاكم العسكري، ثم يتم تعيينه رسميا من طرف الوالي العام للجزائر، وبقي هذا النظام سائدا إلى غاية 1927م، حيث أصبح "رجل الضمان" هيكلا فاقدا لصلاحياته، وأصبحت مرتبته مرتبة حارس، يتم تعيينه من طرف حاكم الملحق.²

2- تأسيس ملحقة ورقلة 1902م :

لقد كلفت التوسعات الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعد 1870م ميزانية كبيرة مما أفلقت الإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي طرحت القضية على البرلمان الفرنسي بغية وضع حد للإسراف والتقليل من النفقات العسكرية في الزحف نحو الصحراء، وعلى اثر ذلك ارتفعت عدة أصوات تنادي بإنشاء وحدة إدارية خاصة تتمتع بميزانية خاصة يتم تمويلها عن طريق المساهمات المحلية المستخلصة من هذه المناطق، وبعد مشاورات حثيثة بين أفراد الحكومة الفرنسية، تقدمت لجنة الميزانية بغرفة النواب بعرض مشروع "قانون للتنظيم الإداري والمالي للجنوب الجزائري"، وبناءً على هذا الاقتراح أصدرت السلطة الاستعمارية يوم 24 ديسمبر 1902م قانون تضمن تنظيم أقاليم الجنوب

¹ أعزام، المصدر السابق، ص: 78-79

² المصدر نفسه، ص 79

الجزائري، وإنشاء ميزانية خاصة ومستقلة بها ، بما فيها قرار يخص إنشاء ملحقة ورقلة¹، وقد أخذ تقسيم هذه الأقاليم شكلين حسب مرسوم 12 ديسمبر 1905م: فالشكل الأول قسم إلى دوائر وملحقات ومراكز، والشكل الثاني قسم إلى بلديات مختلطة وأخرى أهلية، وقد شملت هذه الأقاليم العمالات التالية : (عمالة تقرت وعاصمتها تقرت ، عمالة الواحات وعاصمتها ورقلة ، عمالة عين الصفراء وعاصمتها كولومب (بشار) ، عمالة غرداية وعاصمتها الاغواط).²

وقد عيّن على رأس كل إقليم حاكم عسكري أو ضابط سامي يتم تعيينه حسب مرسوم 14 أوت 1905م المحدد لصلاحيات واختصاصات الحاكم العام على الجزائر بهذه الأقاليم، وتربطه علاقة مباشرة بالحاكم العام الذي له صلاحيات التعيين بناءً على اقتراح وزيرى الحربية والداخلية.³

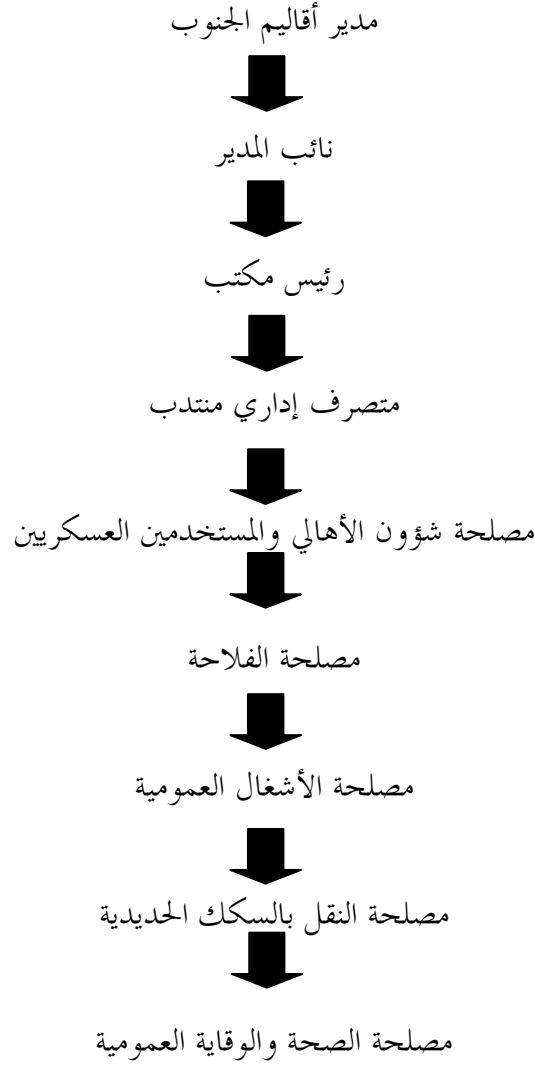
وفي ذات السياق أن هذه العمالات لها نفس التنظيم الإداري الذي يطبق في الشمال ، بحيث كانت ورقلة وتقرت تابعتان لمقاطعة قسنطينة وأراضي عين الصفراء تابعة لمقاطعة وهران وغرداية تابعة لمقاطعة الجزائر⁴، كما كان لهذه العمالات ميزانية موحدة يضعها الحاكم العام ويصدرها بمرسوم بعد استطلاع رأي مجلس الحكومة بالجزائر. والمخطط التالي يبين الهيكل الإداري لتسيير أقاليم الجنوب:

¹ Gouvernement Général de L'Algérie, **Les Territoire du Sud de L'Algérie**, Alger, imp. Algérienne, 1929, pp317- 318

² R.Estoublon et A.Lefebure, **Code de L'Algérie annoté**, Alger, imp. Adolphe Jordan, 1907, 1902, p82

³ M.Steeg, **Rapport d'ensemble, Situation Générale des Territoires du sud pendant 1903-1921**, Alger, p 39

⁴ M.Steeg, Op.Cit, p49



وفي الفترة الممتدة بين 1907-1919م أصبحت مقرا للقيادة العامة لمناطق الواحات ،ثم أصبحت ما بين 1917-1919م مقرا للقيادة العامة لمجموعة الصحراء الجزائرية و التونسية و السودانية بقيادة (لابيرين laprrine).¹ ولقد أصبحت ورقلة بلدية أهلية تضم ملحقة تديكلت المكونة من عين صالح و المنيعه حسب مرسوم 5 أوت 1920م.² ويعود إنشاء البلديات الجزائرية إلى سنة 1867م، حيث أصبح الجزائريون داخلين تحت السلطة الإدارية لهذه البلديات الجديدة بواسطة

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 39

² M.Steeg , Op.Cit ,p 53

القياد ورؤساء الاعراش، وفي سنة 1868م ظهرت البلديات المختلطة في المناطق التي لا تزال تحت سيطرة العسكرين، وتضم هذه البلديات بموجب تدابير المادة من قانون 20 ماي 1866م: "المراكز السكنية التي يتواجد فيها الأهالي والأوروبيون في آن واحد، وتتمتع بمداخيل خاصة غير أنها لا تحتوي على عدد من السكان يكفي لجعل مرسوم 27 ديسمبر 1866م نافذا فيها في الحين". وتجدر الإشارة هنا بحكم أن ورقلة بلدية أهلية فإن التسيير الإداري بها لم يخدم الورقليين بقدر ما خدم المصالح الاستعمارية والبعض من أعوانهم، فالجلس البلدي يكون منتخبا ويمثل مختلف الفئات الاجتماعية المتواجدة بالمنطقة، وحسب المراسيم الفرنسية فإن أغلبيته تكون فرنسية بنسبة الثلثين من أعضائه، بينما يمثل الأهالي والأجانب نسبة الثلث من أعضائه على أن توزع المقاعد بين الطوائف الثلاثة، ويشترط على الناخب الأهلي أن يبلغ من العمر 25 سنة وأن يكون من القاطنين بالمنطقة مند سنة.

وبعدما تم إنشاء بلدية ورقلة الأهلية، تحولت كل الدواوير (القبائل) التي تدخل ضمن نطاق هذه البلدية إلى مجالس جماعية، تتمتع بصلاحيات المجلس البلدي، ويتشكل مجلس الجماعة من القايد أو شيخ الدوار رئيسا، ومن الأعيان الذين يختارهم الدوار، ويختلف عددهم حسب عدد السكان¹، ويعقد مجلس الجماعة أربع دورات عادية ويمكن استدعاؤها استثنائيا من طرف قائد المركز، ويعين أعضاؤها لمدة ثلاث سنوات من طرف قائد الإقليم العسكري، وتتمتع بميزانية مرتبطة بميزانية البلدية الأم، وقد بقي هذا التنظيم معمول به إلى غاية 1931م تاريخ إنشاء الحالة المدنية بورقلة، وحسب الدليل الإحصائي لعروش ودواوير ورقلة

¹ حسب القانون الفرنسي المطبق على الدواوير يكون ثمانية أعضاء للدواوير التي تقل عن 1.000 ساكن، وعشرة أعضاء للدواوير التي يزيد عددها عن 1.000 ويقل عن 1.500 ساكن، واثنى عشر عضو للدواوير التي يفوق عدد سكانها 1.500 ساكن.

فقد وصل عدد مجالس الجماعة بين سنتي 1925 و1930م إلى 119 مجلس، والجدول التالي يبين ذلك¹:

الجدول رقم (12): مجالس الجماعة بمختلف عروش ودواوير ورقلة (1925-1930م)

العرش (الدوار)	عدد العشائر (الجماعة)	عدد أعضاء كل مجلس	عدد القياد	عدد السكان
بني واقين	09	09	01	1800
بني ابراهيم	08	08	01	1800
بني سيسين	07	07	01	1604
بني تور	07	14	01	1546
سعيد عتبة	10	20	01	1735
المخادمة	07	14	01	1591
الشط ولعجاجة	07	08	01	1151
انقوسة	04	؟/	01	؟/
سيدي خويلد	03	10	01	152
الشعانية	57	؟/	03	؟/
المجموع	119	90	12	11379

¹ الدليل الإحصائي ، عروش ودواوير جماعات الجزائر ، 1900، ص ص: 55- 367.

وللعلم فقد تعاقب على حكم ورقلة منذ إنشاء أول مركز عسكري سنة 1882م ولغاية إلغاء الحكم العسكري على مناطق الجنوب سنة 1947م حوالي تسعة حكام وهم كالتالي:

الجدول رقم (13): قائمة الحكّام الفرنسيين الذين تولوا الحكم في ورقلة 1881-1940م¹

اسم الحاكم	فترة حكمه
لوشاتولي الفريد Colonel le Chatelier	1881-1898م
الرائد بين le Commandant Payn	1898-1901م
العقيد لابرين Colonel Laperrine	1901-1910م
الرائد بين le Commandant Payn	1910-1913م
العقيد منيي Colonel Meynier	1913-1917م
العقيد دينو Colonel Dinaux	1917-1918م
الرائد سييجوني le Commandant Sigonney	1918-1922م
الرائد ديكلوس le Commandant Duclos	1922-1927م
العقيد م. كارييلات ² le Colonel M. Carbillet	1927-1940م
النقيب هاييس Le Capitaine Hays	1940-1949 ³ م

¹ M.Steeg,Op.Cit ,p 12

² ينظر الملحق رقم 30.

³ Rapport mensuel, les territoires du sud 1949 , C.D.A.W.O, B410.

وللإشارة فإن عهد العقيد م.كاربيلات M.carbillet

(1927-1940م) قد شهد إنشاء الحالة المدنية سنة 1931م، وذلك مواصلة لسياسة الإدماج وطمس الهوية الجزائرية¹، وزيادة على ذلك فإن إنشاء الحالة المدنية بورقلة على الطريقة الفرنسية لم يكن في خدمة الورقيلين، وإنما من أجل ضبط الأمور والتعرف على الأفراد والعائلات، وإحكام السيطرة عليهم، فمثلا حسب إحصائيات شهر مارس 1942م وصل عدد المواليد الجدد 97 شخص، وعدد الوفيات 58 شخص، وعدد المتزوجين 16 شخص، وعدد المطلقين 5 أشخاص²، وهذه الطريقة تختلف عما كان يتبعه الجزائريون من قبل في تدوين عائلاتهم، فقد كانوا يطبقون الطريقة الإسلامية في الأسماء والألقاب، وذلك بوضع كل عائلة سجل خاص بها يحمل أسماء المواليد والوفيات، وبرز الأحداث العائلية، هذا بالإضافة إلى طريقة أخرى تعتمد على الذاكرة القوية في حفظ النسب حتى يبقى متواترا بين الأجيال.

وتحقيقا للهدف الاستعماري المتمثل في الإدماج وطمس الهوية الجزائرية اصدر البرلمان الفرنسي قانونا في 23 مارس 1882م يلزم الجزائريين بالتسجيل في الحالة المدنية، بل وأضافت نصوص قانونية في قانون الأهالي (الانديجينا) تنص على معاقبة كل من يتأخر في الإعلان عن الحالة المدنية، وبناءً على ذلك فإن تأخر إنشاء الحالة المدنية بورقلة إلى سنة 1931م يعود إلى قلة عدد السكان مقارنة بسكان الشمال من جهة، وإلى تطور حركة تنقل البدو الرحل من منطقة إلى منطقة أخرى، واندماج بعض القبائل والاعراش مع بعضها البعض شكل خطرا على

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص58

² Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de mars 1942 ,A.N .T , B88

استقرار المعمرين وأمنهم من جهة أخرى، وقد تم إحصاء الورقليين الذين مسهم قانون الحالة المدنية سنة 1931م حوالي 16500 شخص.¹

ثانيا / السياسة العسكرية

1- الانجازات العسكرية (1882 – 1914):

بعد احتلال ورقلة في 27 جانفي 1854م عينت السلطة الاستعمارية سي حمزة ولد بوبكر خليفة عليها ، بغية استتباب الأمن والاستقرار، في حين غادرت القوات الفرنسية ورقلة باتجاه وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الاحتلال والتغلغل الاستعماري، غير أن لهيب المقاومة المحلية بالجنوب الشرقي بقيادة كلا من الشريف محمد بن عبد الله ،والشريف بوشوشة، وناصر بن شهرة، وأنصار مقاومة أولاد سيدي الشيخ، وبعض المقرانيين المتواجدين على مستوى المنطقة دفع بالقوات الاستعمارية بالعودة إلى ورقلة، بعدما فشل القياد الذي عينتهم فرنسا باسمها في المنطقة على بسط الأمن وفرض السيادة الفرنسية، ليستقر الجيش الفرنسي نهائيا بورقلة سنة 1882م بعدما قام بتنصيب مركز عسكري دائم بالرويسات، وتم تعيين العقيد الفريد لوشاتلي في جويلية 1883م حاكما عسكريا على فصيلة من القناصة الجزائريين.² من طرف الحاكم العام للجزائر آنذاك تيرمان Tirmane.

ومن الإجراءات العملية الأولى التي اتخذها العقيد لوشاتلي le chatelier ، قام يوم 9 فيفري 1884م بإقالة الآغا عبد القادر بن عمر من منصبه، وذلك بسبب فشله في عدم القضاء على هجمات الشعانية والتوارق وفض النزاع بينهما.³

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص58

² المرجع نفسه ، ص22

³ المرجع نفسه ، ص22

بعد ذلك في 10 مارس 1884م قام الحاكم العام بزيارة تفقدية، وأخذ انطباعات حسنة عن رئيس المركز، وتأكد بنفسه من قبول السكان للوضع الجديد، وكتب له وصية يقول فيها: " أرى أن الانشقاق بين الشعانبة والتوارق يشتد لأنه سيجعل الشعانبة في حاجة لمساعدتنا ضد جيرانهم، أما بالنسبة للتوارق فإنهم لن يكونوا بجانبنا مطلقا، لذلك عليك عزلهم حتى تسمح الظروف لنا بتطويعهم، وكل ذلك يجب أن يتم بحكمة وذكاء، وعند عودتي للجزائر سأضع تحت تصرفك اعتمادا ماليا من 500 إلى 600 فرنك، لأجل استخدامهما في استمالة الشعانبي أيغير بن الشيخ¹ حتى تلقي عليه القبض، وآمل أن يؤخذ حيا حتى يحاكم في المجلس الحربي". وللإشارة فإن هذا الصراع بين الشعانبة والتوارق على الرغم من أنه صراع قبلي، إلا أننا لا نستبعد دور السلطة الاستعمارية في تأجيج مثل هذه الصراعات.

وبعد حادثة مصرع الرحالة فلاترس Flatters في 16 فيفري 1881م من طرف التوارق، سارع العقيد لوشاتلي le chatelier إلى إنشاء مراكز وأبراج عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسية ، تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة ، وتضمن لهم الأمن للمعمرين ، وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة ثانية ، و منه بسط نفوذه على الشريط الواقع ما وراء الأطلس الصحراوي. ومن ناحية نمط بنائها فهي بناءات صغيرة، وتغطيها قبابها ميزة خاصة، وتحتوي على مسكن للحارس المكلف بحراسة الآبار القريبة، ويفتح هذا البرج للمسافرين وخصوصا الضباط العسكريين والموظفين ويخضع كل ذلك لنظام محدد²، وأهم هذه الأبراج في عهده نجد:

¹ هو أحد أبطال المجموعة التي قضت على فلاتيرس ومعسكره ببير لغرامة سنة 1881م في نطاق نشاط ثوار التوارق

² Commandant Couvet, **Notes sur le Souf et Les Souafa** , B.S.G.A, 1934 , p76

أ- برج فلاتيرس Flatters (برج عمر ادريس حاليا)¹: كانت واحة (تيماسيين) نقطة التقاء وعبور هامة لقوافل الصحراء في الطريق العرضي من عين صالح إلى غدامس، وطريق ورقلة - حاسي الطويل - غدامس وهي المسماة اليوم على الشهيد عمر إدريس - وتدعى أيضا الزاوية الكحلة، حيث اختار الفرنسيون هذا الموقع الذي يجمع بين الطرق التجارية ومزار المعتقدين في شيخ الزاوية، وقد تم بناء هذا البرج ما بين 1906م و1907م من طرف صبايحية تقرت، بتكلفة قدرها 5300000 فرنك²، وهو بناء مربع على شكل حصن به غرف ومخازن وغرف النوم للجنود، له بوابة ضخمة، وسور عليه حراس، ومنه يمكن مراقبة كل القوافل القادمة من الغرب والشمال والعكس.³

ب- برج شانديز Chandez بني تور (البرج الأحمر)⁴: سمي هذا البرج نسبة إلى الضابط شانديز Chandez الذي توفي سنة 1918م في عين قطارة على بعد 150 كلم من الشمال الشرقي لعين صالح، وقد بدأت أشغال هذا البرج أواخر 1885م، حين عمل العقيد لوشاتلي le chatelier على فصل المكتب العربي الموجه للإدارة المدنية عن القوات المسلحة، ثم بداية بناء البرج في بني ثور على يد الهندسة العسكرية بمساعدة عمال عسكريين جاؤوا من الجزائر العاصمة، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بحوالي 300 رجل من حافري الهندسة والمحكوم عليهم بالسجن في باب الواد، وانتهت أشغال هذا البرج وتم تدشينه في نوفمبر 1887م.⁵

وتعود أسباب بناء هذا البرج إلى افتقار السلطة الاستعمارية لبعض المكاتب الإدارية الخاصة بشؤون الأهالي، واستخدامه أيضا كمركز للمراقبة، زيادة على توسع مساكن القصر العتيق حتى أصبحت ملاصقة (لمقر الإدارة) الذي كان في القلعة القديمة

¹ ينظر الملحق رقم 34.

² J.C. Humbert, **L'œuvre du Colonel Carbillet au Sahara 1927-1940**, éditions jacques gandini, france, 1997, p72.

³ J.C. Humbert, **Sahara(Trass de L'homme)**, 1989, p 147

⁴ ينظر الملحق رقم 34.

⁵ P.Passager, Op.Cit, p105

التي كانت قصر سلطان ورقلة، حيث مدرسة عقبة بن نافع. وضيق هذه عن حاجة مصالح الإدارة. وكذلك لعدم شعور السلطات بالأمن نوعاً ما.¹

أما من ناحية وصف هذا البرج فهو يقع في وسط ثكنة عسكرية ذات أسوار سميكة الجدران عالية، ويمتد على مساحة تفوق 1000م، وتوجد في زوايا السور الخارجي أربعة أبراج للحراسة والمراقبة، ويتشكل من طابقين²:

- الطابق الأرضي: ويضم قاعات عديدة مخصصة للاستنطاق والتعذيب.

- الطابق العلوي: ويضم كذلك قاعات للاستنطاق والتعذيب تقابلها 12 زنزانة فردية.

ج- برج لالمان Lallemand: سمي هذا البرج نسبة إلى الضابط Lallemand الذي شارك في إخضاع منطقة القبائل عام 1857م وقمع انتفاضة المقرانيين سنة 1871م، وقد تم إنشاؤه سنة 1894م، في حاسي بلحيران على بعد 140 كلم شرق ورقلة³ على مفترق الطرق (تقرت- تماسين) و(الوادي- تماسين) و(ورقلة - غدامس)، وجاءت فكرة إنشاء هذا البرج في هذا الموقع من قبل العسكري بيجات Bujat قائد اقليم تقرت، وقد بلغت تكلفة انجاز هذا البرج حوالي 1800000 فرنك، وهو يحتوي على غرفتين، وفي سنة 1931م تمت إعادة ترميمه بعدما طلب العقيد كارييلات Carbillet من الحاكم العام بالجزائر مبلغاً للترميم قدره 1500 فرنك⁴، هذا وتذكر بعض

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص25-26. وينظر الملحق رقم (27)

² Roger Delerive, **Forts Sahariens des Territoires du Sud**, impr-Geuthner, paris, pp35-36.

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص31

⁴ J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit., p72.

الشهادات الحية التي عاصرت الثورة التحريرية بالمنطقة أن هذا البرج قد استخدم كمعتقل للتعذيب المجاهدين.

وفي سنة 1898م حدث تغير على مستوى القيادة العسكرية، حيث تم تعيين "الرائد بين Payn" خلفا للعقيد لوشاتلي le chatelier، وقد حاول هذا الحاكم الجديد السيطرة على الوضع في ورقلة، غير أنه لم يكن محظوظا، حيث شهدت فترة حكمه عدة هجمات من طرف فرسان المهاري، خاصة الهجوم الذي وقع أواخر 1898م على برج لالمان، وقتل أربعة من حراسه، هذا بالإضافة إلى مرض خطير أصاب الجيش الفرنسي بالمنطقة، فمن مجموع 100 عسكري من القناصة الجزائريين (الترايور) المتمركزين بورقلة توفي 34 منهم، وفي ظرف سنة واحدة من جراء حمى تعرف بالتيفومالاريا أو الحمى البرداء التي تنتهي بالتهاب القصبات والرئة.¹

هذه العوامل دفعت بالسلطة الاستعمارية سنة 1901م إلى عزل الرائد بين Payn وتعيين مكانه العقيد لابييرين laperrine وقد عرفت فترة حكم هذا الأخير انجازات وتطورات عسكرية هامة، حيث صدر قانون 24 ديسمبر 1902م الداعي إلى تقسيم الجنوب إلى أربعة أقاليم عسكرية²، وبموجب مرسوم 14 أوت 1905م تم تحديد صلاحيات الحاكم العام وتنظيم إدارة الأقاليم الجنوبية واعتبارها منطقة حكم عسكري، وقد وضعت هذه الأقاليم تحت إشراف المباشر للحاكم العام بالجزائر الذي يمارس بها كل الصلاحيات الإدارية والعسكرية والمالية، ويساعده في إدارة شؤون هذه الأقاليم مستشار مقرر يعين بمرسوم ويكلف بتسيير أقاليم الجنوب، وبناءا على هذه التطورات، فقد انتقلت قيادة منطقة الواحات والتي كان مركزها ورقلة إلى عين صالح وبقيت هناك غالى أن عادت مرة أخرى لورقلة مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914م.

¹ المرجع نفسه ، ص34

² P.Passager, Op.Cit, p105

2- الانجازات العسكرية (1914-1942): لقد تم استحداث مجموعة من

الإجراءات والعديد من الانجازات العسكرية تمثلت فيما يلي:

أ- استمرار سياسة بناء الأبراج العسكرية ومنها:

- برج لوطو¹ Lutaud: نسبة إلى الحاكم العام بالجزائر شارل لوطو Ch.Lutaud (1915-1916م)، تم بناؤه في ديسمبر 1907م.²

- برج بولنيك³ Polignac: نسبة إلى بولنيك مؤسس الشركة الجغرافية المختصة في الشؤون الصحراوية، وتم بناؤه بعد حفر حاسي (ايسنجل) مع 60 من ميهاريست الهقار 27 ماي 1908م وانتهت عملية الاشغال في سبتمبر 1909م، وقد وصل مبلغ انجاز هذا البرج حوالي 12870000 فرنك، أضف إلى ذلك أن هذا البرج تضمن سكناً عسكرية للضباط، ومستوصف، ومكاتب⁴، وقد تعرض هذا البرج إلى عدة هجمات من طرف التوارق، حيث وقع الهجوم عليه بقيادة إبراهيم بكدة عدة مرات وفي إحدى المرات قتلوا 10 عساكر مع العريف Lenoir واشتبكوا مرة أخرى سنة 1916م وقُتل عريف أول (فرنسوا) و6 آخرين، ثم أخلي البرج وهرب عساكره إلى عين الحجاج فهاجمهم القائد إبراهيم بكدة في 13 ديسمبر 1917م. واضطروا إلى الاختباء في برج فلاتيرس Flatters.

ب- تأسيس الكتائب الصحراوية المهرية:

في أول أفريل 1902م شرع العقيد لابيرين laperrine بهدوء وفعالية ودون استشارة الجنرالات المسنين في الجزائر في إنشاء قوة أخذت خلال عشر سنوات تجوب الصحراء في جميع الاتجاهات وتلتقي بالتوارق، وتؤاخيهم، وتلاقي منهم التعاون السلمي تحت

¹ ينظر الملحق رقم 35

J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p38.

³ ينظر الملحق رقم 35.

⁴J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p73

راية الحكم الفرنسي، فيما لم تستطع الجيوش الفرنسية أن تحقق شيئا مقارنة بما أنجزه العقيد لابيرين laperrine بوضع مئات دون إطلاق رصاصة واحدة تقريبا. وقد تم تأسيس كتيبة صحراوية مهرية خاصة بورقلة في 5 سبتمبر 1914م، في فترة حكم العقيد منيي Meynier (1913-1917م).¹

وقد لعبت هذه الكتائب الصحراوية المهرية دورا كبيرا في استقرار الأمن بورقلة ومساعدة الجيش الفرنسي في تغلغله نحو أقاصي الجنوب الجزائري، ففي أبريل 1916م غادر العقيد منيي Meynier ورقلة رفقة القوم وكتيبة ورقلة الصحراوية متوجها إلى مدينة جانت لاسترجاعها من أيدي التوارق الذين استولوا عليها في شهر مارس من نفس السنة، وفي 13 فيفري شارك حوالي 26 عنصر من كتيبة ورقلة الصحراوية في واقعة عين الحجاج، حيث لقي خمسة صحراويين، و16 عشر من القناصة وطبيب حتفهم.²

هذا بالإضافة إلى أن كتيبة ورقلة الصحراوية كانت تنشط كثيرا على محور (ورقلة - عين صالح)، ففي عهد "الرائد سيجوني Sigonney" خلال أبريل 1919م حاول الرائد بين Bayn مع حرفي في المكنيك الذي كان يشتغل تحت قيادته الالتحاق بعين صالح على متن دراجتين ناريتين ابتداء من ورقلة، فتوقف في الطريق بسبب الرمال على بعد 100 كلم شمال المنيعة، وتعطلت دراجتهما، وبعد يومين من الانتظار أنقذتهما مفرزة من فرسان المهاريست كانت تتبع خطواتهما³. وفي عملية استسلام إحدى القبائل التارقية غادرت الفصيلة الثانية للكتيبة الصحراوية بورقلة والمكونة من 110 فارس في 25 جانفي 1929م متوجهة إلى برج بولنيك للالتقاء بإبراهيم بن بكدة، ونحو 100 تارقي الذين يطلبون الأمان، ثم ترجع الكتيبة نحو برج

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص42

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص: 43- 44.

³ المرجع نفسه، ص40

فلاتيرس Flatters، ويصل جزء منها إلى ورقلة بعد أداء مهمتها بنجاح يوم 23 جوان من نفس السنة رفقة العقيد لايرين laperrine¹.

ج — التجنيد الإجباري: بعد الاحتجاجات التي قام بها بعض أبناء الجنوب أصدرت السلطة الاستعمارية في 8 نوفمبر 1926م قرارا يقتضي الفصل الأول منه إلغاء عملية التجنيد الإجباري في مناطق الجنوب.²

د- إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية: في عهد العقيد مني Meynier (1913-1917م) وفي إطار المواصلات تم إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية بورقلة سميت بـ (ت.م 1191)، وكانت أول تجارب هذه المصلحة في 22 جويلية 1916م حينما انطلقت سيارتين خفيفتين على خط تقرت - عين صالح، وقد وصلت واحدة إلى هدفها بينما الأخرى تعطلت. وفي ماي 1917م كانت تجربة انطلاق سيارات عسكرية مكونة من خمسة عربات خفيفة على مسافة 750 كلم عبر طريق ورقلة- عين صالح. هذا بالإضافة وفي إطار تدعيم المواصلات تم فتح خط بري للسيارات العسكرية سنة 1918م يربط بين تقرت وورقلة برحلات أسبوعية.³

وفي إطار الترفيه العسكري الرياضي تم بين شهري 10 مارس و18 أبريل 1929م إجراء مسابقة عسكرية للسيارات الصحراوية عبر طريق تونس-كاو-تونس مرورا بورقلة وتقرت، بمشاركة 38 سيارة من 18 طراز.⁴

¹ المرجع نفسه، ص 47.

² صدى الصحراء، 15 مارس 1926، ع 8، س 1، ص 1

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 40

⁴ المرجع نفسه، ص 55.

كما تجدر الإشارة إلى أن مصلحة السيارات العسكرية بورقلة كانت تستقبل عتادها العسكري من الجزائر العاصمة عن طريق القطار الذي يصل إلى تقرت عبر عدة محطات، ثم يتم نقله برا إلى ورقلة، وتذكر المصادر الفرنسية أنه في 17 ديسمبر 1919م وصلت أول قافلة عسكرية قادمة من الجزائر العاصمة قوامها 18 شاحنة صغيرة. وفي إطار تفعيل حركية هذه المصلحة، والاستعداد للحرب العالمية الثانية، تم إنشاء كتيبة صحراوية متنقلة مجهزة بسيارات عسكرية خفيفة سنة 1938م، وتنصيب وحدة مدفعية صحراوية متحركة بورقلة على طول الخط الرابط بين برج شانديز وبرج لوطو، وزودوه بمدافع من عيار 75، حيث تقوم هذه الوحدة بدوريات بين ورقلة وبرج لالمان، وفي حالة اندلاع الحرب العالمية الثانية يتوجب على الوحدة المدفعية الرجوع إلى برج فلاترس¹. Flatters.

ويبدو لنا من خلال انجاز المصلحة العسكرية للسيارات والوحدة المدفعية، أن فرنسا قد استغلت المنطقة ماديا وبشريا أحسن استغلال، وذلك استعداد للحرب العالمية الثانية، ومن مظاهر هذا الاستعداد، قامت السلطة الاستعمارية بتعزيزات أمنية على الحدود الشرقية، وذلك بسبب التوتر الحاصل بين فرنسا وإيطاليا، حيث عملت على ترميم برج لالمان، وبرج فلاترس Flatters، وزودتهم بالمزيد من المدفعية والمشاة، وفي إطار عملية الترميم استعملت شاحنات لاتيل وشاحنات خفيفة، كما استعملت سيارات التوربيدو، وسيارات رونو لنقل أفراد وحدات الجيش الفرنسي إلى هذه الأبراج.²

وفي خضم مجريات الحرب العالمية الثانية، ورغم التحصينات التي اتخذتها فرنسا تجاه أعدائها من دول المحور، إلا أنها لم تصمد أمام الضربات الألمانية حيث تم احتلال شمال

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 63.

² المرجع نفسه، ص 62.

فرنسا وتقهقر الجيش الفرنسي خاصة بعد إعلان إيطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا في 8 جوان 1940م، وسقطت القوات الفرنسية في ظرف عشرة أيام، مما دفع بالسلطة الاستعمارية الفرنسية إلى عقد هدنة مع الألمان بقيادة المارشال بيتان، على خلاف الجنرال ديغول الذي فر إلى بريطانيا وأعلن عن حكومة فرنسا الحرة المعارضة للاستسلام. وفي إطار هذه الهدنة عملت السلطة الاستعمارية بالجزائر باستبدال الكتائب الصحراوية المهرية بوحدة عسكرية منزوعة السلاح سميت بـ " المليشيات الصحراوية الإقليمية".¹

هـ - إنشاء محطة للطيران العسكري: بعدما أصبحت ورقلة مركزا للقيادة العليا لمجموع الصحراء (الجزائر، تونس، السودان) في المدة ما بين 1917 و 1919م، فكر الفرنسيون في استحداث قاعدة عسكرية للطيران الجوي بورقلة، ولقد كان أول استطلاع جوي فوق مدينة ورقلة في ماي 1917م، قامت به طائرتين من نوع فارمان، انطلقتا من القاعدة الجوية ببسكرة، ويتميز هذا النوع من الطائرات بمحركات بقوة 80 حصان، وسرعة 100 كلم/سا لمدة ثلاثة ساعات ونصف دون هبوط.² وفي أول فيفري 1919م تم إنشاء سرب جوي صحراوي بورقلة قوامه ستة طائرات من نوع فارمان، بعدما تم تخصيص وإيجاد مكان لهبوط الطائرات بمحاذاة برج شانديز، ثم تحول المهبط سنة 1939م إلى منطقة عين البيضاء حاليا.³ وفي إطار تحسين الخدمة الجوية قامت السلطة الاستعمارية باستقدام طائرات جديدة من نوع (دي.سي.3)، واستحداث خط جوي يربط بين ورقلة والجزائر العاصمة بمعدل رحلتين في الأسبوع، مروراً على بسكرة وتقرت⁴، وللعلم فإن استحداث المحطة العسكرية للطيران بورقلة

¹ المرجع نفسه ، ص 65

² دوني بيلي، المرجع السابق ، ص 45

³ المرجع نفسه ، ص 64

⁴ المرجع نفسه ، ص 82

بهدف استكشاف الصحراء إلى حدود الهقار وتمبكتو. واستخدمه في الغارات الجوية على أعدائها في حالة نشوب أية حرب.

وأمام هذه الانجازات شهدت ورقلة عدة زيارات من طرف الحكام العامون للجزائر، وذلك بهدف الوقوف على هذه الانجازات وتكريم وتشجيع حكامها بالمنطقة على خدمة الصحراء الفرنسية ، فقد ذكرت صحيفة "لاكروا Lacroix" ، أنه في شهر فيفري قام الجنرال نوقيس Nougis، وقائد الفصيلة 19 للجيش الفرنسي، والجنرال بوبنال Boubnall والنقيب Bic Abourben ابوربن بزيارة ورقلة، حيث استقبلوا من طرف العقيد كارييلات Carbillet قائد المركز في وسط جماهير كبيرة من الأهالي يهتفون ويهللون بحماسة لهذه الزيارة، ثم توجهت بعثة الجنرال نوقيس Nougis إلى جانت عن طريق برج فلاترس وبرج بولينياك.¹ وفي إطار التكريم والتشجيع قررت لجنة الرابطة البحرية الاستعمارية (L.M.C) سنة 1938م منح أكبر وسام في الرابطة للعقيد كارييلات Carbillet وأعوانه الصحراويين، والجنود المرتزقة بورقلة.²

وفي سنة 1942م زار الحاكم العام بالجزائر الجنرال شاتل Chatel تقرت ، حيث استقبل في تماسين من طرف الإخوة التجانيين ، وحدثهم عن عمق العلاقات بين المسلمين والفرنسيين. وفي نفس اليوم توجه إلى ورقلة حيث استقبله سكان ورقلة بالابتهاج والسرور باستخدام المزامير والطبول، فدخل المدينة، حيث بدأ بزيارة المرضى من الأهالي ثم زار بعض المدارس العمومية، وانتهت زيارته بتفتيش ومراقبة الجيش الصحراوي.³

¹ La Tournée du Général Noguès en Algérie, , **LA CROIX**, 22 jeudi 1934 ,55 année , N° 15646, p 6

² La Grande Médaille de la L.M.C. est attribuée à la ville nouvelle de Ouargla, , **LA CROIX**, 24 octobre 1938 ,59 année , N° 17091, p 6

³ Le Gouverneur Général Châtel visite le Sud Algérien , **LA CROIX**, 14 janvier 1942, 63 année , N° 18089, p5

المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية والاجتماعية

أولا/ السياسة الاقتصادية:

لقد أجمعت معظم المصادر الفرنسية أن دوافع وأهداف التوسع الاستعماري في الجنوب والواحات الصحراوية هي دوافع اقتصادية في المقام الأول، ثم تأتي الدوافع الأخرى متتالية الأخرى تلو الأخرى، فمنذ احتلال ورقلة سنة 1854م أولى الفرنسيون اهتماما كبيرا بالوضع الاقتصادي، فعملوا على تطويره وتحسينه وذلك بهدف خدمة المعمرين وإصلاح الاقتصاد لفائدة الأهالي، وقد تمثلت أهم مظاهر التنظيم الاقتصادي بورقلة فيما يلي :

1- **صيانة وتشبيد طرق المواصلات وتحسين النقل:** لعل الهدف الأساسي من هذه العملية هو تسهيل عمليات تنقل القوات الاستعمارية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشأوها، وكذا ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، زيادة على خدمة التجارة الفرنسية وفتح أبواب السبل لها في كل أسواق إفريقيا.

وعليه فقد شرعت السلطة الاستعمارية بعد استقرارها بورقلة في صيانة وتشبيد طرق المواصلات قصد فك العزلة بين ورقلة والمناطق المجاورة لها، حيث تذكر المصادر أنه لم يكن هناك طرق معبدة، ولقد كانت عملية النقل قبل الاحتلال تتم عن طريق ظهر البغال والجمال، فمسافة 160 كلم

بين تقرت وورقلة كانت تقطعها دابة تحمل راكبان اثنان واحد على كل جانب محمول على مقعد، واستمر الحال هكذا إلى سنة 1915م حينما شرعت السلطة الاستعمارية في تعبيد أول طريق بين ورقلة وعين صالح ، بعد ظهور أول سيارة عسكرية متحركة ذاتية من نوع (دولاهاي) قادمة من غرداية.¹ كما أن النشاط الحيوي للتجارة بورقلة جعلها تقوي علاقاتها ببلدان عديدة عبر طرق ومسالك متنوعة بين سنتي 1915 و1920م يمكن تحديدها فيما يلي²:

¹ Pistes de Ouargla 1914-1916,AOM, 21H355.

² Ibid

- طريق ورقلة تقرت : وتبلغ مسافته 180 كلم، ويمر عبر تماسين وبلدة عمر والحجيرة وصولا إلى واحات ورقلة، وتم انجاز بمبلغ قدره 60000 فرنك فرنسي.¹
- طريق ورقلة القولية (المنبعة) : وتبلغ مسافته بـ 330 كلم، تم انجازه سنة 1920م بمبلغ قدر بـ 14.089 فرنك فرنسي.
- طريق ورقلة غرداية : وتبلغ مسافته بـ 180 كلم ورقلة، وتم انجاز بمبلغ قدره 50000 فرنك فرنسي²
- طريق ورقلة تماسين : وتبلغ مسافته بـ 600 كلم ، ويمر عبر برج لالمان وبرج فلا ترس ، ومرورا بحاسي الطويل.
- طريق ورقلة عين صالح : وتبلغ مسافته بـ 500 كلم.

وبغض النظر عن السيارات العسكرية المستعملة في نقل أفراد الجيش الفرنسي ، تذكر المصادر الفرنسية أن أول اتصال بالسيارات النفعية وقع بين ورقلة وجانت عن طريق حاسي الطويل في صيف 1926م، حيث استعملت فيه سيارات من نوع "رونو" ذات ستة عجلات وتستهلك 40 لتر/100 كلم²، وفي السنة نفسها يحاول السيد أرمان ديفيك Arman dufic ناقل عمومي في تقرت أول اتصال تجاري بين تقرت وورقلة على متن شاحنة من نوع رونو ذات وزن 205 ط خلال 13 ساعة.³

وبعد المحاولة الناجحة لرحلة مغامر بسيارة ستروين Citroen التي انطلقت من تقرت يوم 17 جانفي 1922م مرورا بورقلة وصولا إلى تومبكتو، عملت السلطة

¹ J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p65.

² J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p65

³ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص: 52- 53

الاستعمارية على انجاز الطرق المعبدة وتحسينها حتى أصبحت طرقا صالحة للاستعمال من قبل الشاحنات ذات الوزن الثقيل، حيث أخذت تقوم بتهيئة الطرق ووضع الإشارات المرورية عليها¹، وأنشأت سنة 1933م خطين لنقل المسافرين بالسيارات يعملان بصفة منتظمة ، الأول يربط ورقلة بغرداية ، والثاني يربط ورقلة بالمنيعة بمعدل رحلة أسبوعية ، ورحلة بين ورقلة وتقرت بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع.² ولقد كانت ورقلة المكان المناسب من أجل صيانة وتلبية احتياجات مستلزمات الطريق من تزويد العجلات بالهواء ومراقبة المحركات والمبردات قبل قطع الجزء المتبقي من الطريق وهذا حسب رحلات المستكشفين، وحسب المشاركين في سباق السيارات الصحراوية.

وتجدر الإشارة هنا انه بمجرد تطور شبكة خطوط النقل والمواصلات الرابطة بين ورقلة والمدن المجاورة قلت حركة القوافل التجارية، وما بقي منها استخدم في الغالب في تهريب الشاي والسكر من قابس حتى نهاية 1937م.³

2- تطوير الخدمات البريدية والاتصالية : فيما يخص البريد والاتصالات الهاتفية فقد ظهر اهتمام كبير به ، فأمام التهديدات التي كانت تشكلها المقاومة الشعبية على الفرنسيين في الصحراء ، سعى القادة العسكريين إلى إقامة أول مركز راديو تلغرافي بورقلة سنة 1915م⁴، وأصبحت ورقلة تمتلك منذ 31 ديسمبر 1904 إلى 31 ديسمبر 1921 خطين تلغرافيين وهما⁵ :

1 - خط ورقلة - غرداية بطول 179.900 كلم²

2 - خط ورقلة - تقرت بطول 154.375 كلم²

¹ J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p34

² J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit,p64

³ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص 57.

⁴ J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit, p38.

⁵ Rapport, les Territoires du Sud..., Op.Cit, p387

وبهذه الخطوط التلغرافية حضيت ورقلة بوكالة بريدية سنة 1920م¹، حيث كانت ورقلة تتلقى بريدين في الأسبوع، واحد من غرداية على البغال، والآخر على الجمال من تقرت، وكان يسيرها قابض مساعد فرنسي وأربعة مساعدين من الأهالي وموزع بريد من الأهالي، وفي سنة 1931م تم تدشين الوكالة البريدية بانقوسة، وكان يتم نقل البريد كل أسبوع عن طريق أربع فرسان تدفع لهم إدارة البريد أجرا شهريا بقيمة 75 فرنك فرنسي، وبمرور الأيام وتسارع الأحداث، عملت السلطة الاستعمارية على تسريع عملية وصول البريد في ظرف زمني قصير، وعلية أصبحت تستخدم شركات النقل البري، حيث استخدمت في 8 نوفمبر 1933م أول خدمة بريدية بالسيارة بين ورقلة وجانت، بل واستخدمت أيضا الطيران في نقل البريد، حيث كان أول اتصال بريدي جوي بين ورقلة وجانت سنة 1938م². وتجدر الإشارة أن السلطة الاستعمارية كانت قد خصصت حوالي 2.500.000 فرنك لتطوير الخدمات البريدية لمدة عشر سنوات (1930-1940م) في مناطق الجنوب بما فيها ورقلة.³

جدول رقم (14): تطور مداخيل التلغراف والهاتف بورقلة خلال (1919-1921)⁴

مكتب البريد	رسوم التلغراف والهاتف (بالفرنك)		
	1919	1920	1921
ورقلة	14.814	16.719	21.364

أما الاتصالات الهاتفية فقد وضع أول خط هاتفي بورقلة سنة 1940م وكان يربط ورقلة- قسنطينة، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية شهد الهاتف في ورقلة توسعا كبيرا

¹ Ibid, p377

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص63.

³ G.Soubiron, Op.Cit, p345.

⁴ Rapport, les territoires du sud..., Op.Cit, p381

بافتتاح العديد من الغرف التلفونية، حيث تم فتح خطوط هاتفية على مستوى المناطق المجاورة، ففي سنة 1947م تم توصيل ورقلة هاتفيا بتقوت وغرداية ، وفي نفس السنة تم فتح حط هاتفي داخلي يربط ورقلة بالرويسات ، وكان لهذه الإنجازات الجديدة دورا في رفع عدد المشتركين بالهاتف في ورقلة ، وهذا ما ساهم بدوره في رفع عدد الاتصالات التلفونية، حيث قفز من 19905 مكالمات سنة 1946م إلى 24155 مكالمات سنة 1948م.¹

جدول رقم (15): امتدادات الشبكة الهاتفية بورقلة (1930-1940)²

خط الشبكة	الامتداد العام		حجم السلك	قيمة الأجهزة ومصاريف البريد
	خطوط موجودة	خطوط جديدة		
ورقلة- تقوت	/	170	3	670.000 فرنك
ورقلة- غرداية	70	155	3	730.000 فرنك

3- فرض الضرائب على الأهالي : لم تكتفي السلطة الاستعمارية بإدخال تنظيمات اقتصادية على الاقتصاد المحلي بهدف تنمية وتطوير الاقتصاد الفرنسي ، بل أنها فرضت على الأهالي مجموعة من الإجراءات والقوانين القمعية، خاصة إذا شارك الأهالي في أية مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الجزائر، منها إتهال كاهل الأهالي بمجموعة من الضرائب ،والتي برزت منذ بداية الاحتلال وكان ذلك بارزا من خلال المرسوم

¹ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص72.

² G.Soubiron ,Op.Cit , pp350-351.

الصادر 17 جانفي 1845م الذي حدد مجموعة من الضرائب مع استحداث ضريبة جديدة خصت عمالة قسنطينة، والقبائل والجنوب الخاصة بالنخيل. ومنذ 13 جويلية 1874م أقرت السلطة الاستعمارية ضريبة جديدة عرفت بالضريبة العربية، زيادة على الضريبة الفرنسية المباشرة¹. وبناءً على هذه القوانين فلم تسلم ورقلة من هذه الضرائب على الرغم من محدودية إنتاجها الفلاحي ومستواها المعيشي المتدني، مما دفع بسكان ورقلة من كل عام إلى بيع أجزاء من أراضيهم الفلاحية لتسديد الضرائب أو لتزويج بناتهم.² وأهم الضرائب التي فرضت على أهالي ورقلة نجد :

أ- **ضريبة الزمة** : والتي أقرها المستعمر وتُحدد حسب أصناف النخيل ومدى جودتها، وتعدادها، وهي ضريبة مستحدثة بموجب المرسوم الصادر 17 جانفي 1845م يبقى العمل سار بها إلا في منطقة تقرت بما فيها الوادي³ وظلت فرنسا تطبقها على النخيل، لتؤكد عنها وفقا لمرسوم 20 ديسمبر 1922⁴ و 8 جوان 1930⁵، وأخذت تتطور من حيث ارتفاع قيمتها وهذا من خلال أصناف النخيل، ففي سنة 1922م كانت الزمة على الأصناف الآتية: نخيل الصنف الأول (تمور التصدير الوحيدة دقلة نور) يدفع على النخلة الواحدة 1.80 فرنك، و نخيل الصنف الثاني (تمور رخوة للاستهلاك المحلي جيدة)، فالزمة على النخلة الواحدة 0.95 فرنك، أما نخيل الصنف

¹ أحمد عميراي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، م.م.و.د.ب.ح.ث، الجزائر، 2007، ص: 56-57.

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص41.

³ René , Valet , **Le Sahara Algérien** , étude de l'organisation administrative, financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927,p134.

⁴ Ibid, p 139.

⁵ Contribution direct imports , Impôts Arabe (1906-1945) Mémoire du Conseille du G.Gé.d'Alg ,A.N.A, B 051.

الثالث(تمور جافة من النوعية الرديئة) والنخلة الواحدة يدفع عليها 0.85 فرنك¹.

أما اللزّمة الواجب أدائها سنة 1930م فهي بالترتيب الآتي :

- الصنف الأول يدفع على النخلة الواحدة 3فرنك.

- الصنف الثاني يدفع على النخلة الواحدة 1.25فرنك.

- الصنف الثالث فقيمة الضريبة على النخلة 0.85فرنك².

ب- **ضريبة الزكاة** : تفرض على الأغنام والماعز والإبل والأبقار، وقد حددت قواعد هذه الضريبة كالتالي: (خروف واحد أو عنزة واحدة من مجموع مائة،عجل واحد من ثلاثين،جمل واحد من أربعين)، وتحويلها إلى ضريبة نقدية فقد حددت كالتالي: (الخروف: 0,10 فرنك، العجل والجمل: 4فرنك، البقرة: 0,05 فرنك).³

ج- **ضريبة العشور(ضريبة حول الحبوب)**: أي تقديم عشر المحصول الفلاحي إذا كانت الأرض لا تسقى، و 20/1 منه إذا كانت مروية. ونصيبا معنا عن المواشي.

وأمام ارتفاع هذه الضرائب العربية ما كان على أهالي ورقلة إلا البحث عن حلول لتسديد ضرائبهم، مما دفع بالسلطة الاستعمارية على إمدادهم بقروض عينية ذات اربح ربوية بلغت سنة 1891م حوالي 200% ساهمت في تجريد الحضريين الورقليين من نخيلهم ومن أشياء أخرى.⁴ وفي عام 1898م تحصل احد الفلاحين الورقليين من قرض ربوي بـ 200 فرنك فرنسي لعشرين يوما بقيمة فائدة ربوية 180%.⁵ وتجدر الإشارة إلى أن مسالة القروض قد أخذت لدى الفلاحين مظهر مأسويا، حيث أصبحت ظاهرة

¹ R.Valet , Op. Cit, p 139

² Contribution,A.N.A ,B 051

³ Note du général Martimrey sur l'usure. juillet 1860 , A.O.M F80-1762

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص27.

⁵ المرجع نفسه ، ص33.

الربا هي المنتشرة عند الأهالي، وكان الرباح الكبير من وراء هذه الظاهرة هم اليهود والمعمرون.¹

وأمام تدهور الوضع الاقتصادي المحلي، وفقر الأهالي، حاولت السلطة الاستعمارية منذ 1918م إصلاح نظام الضرائب العربية، حيث كلفت رؤساء القبائل بجمعها من الأهالي ثم دفعها في صندوق الخزينة الفرنسية.² وقد وصل مجموع الضرائب المحصلة بورقلة سنة 1949م حسب تقرير رئيس الملحقة النقيب هايس Hays الى 3,815,226 فرنك³، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (16): قيمة الضرائب المحصلة بورقلة خلال سنة 1949⁴

القبائل	قيمة الضرائب	التحصيل	الباقى من التحصيل
ورقلة المدينة	2,526,548	570,000	1,956,548
بني ثور	2,036,792	1,568,052	468,470
سعيد عتبة	853,300	600,000	253,300
المخادمة	376,086	354,384	21,702
شعانة القبليّة	373,230	349,835	23,395
شعانة بوسعيد	406,712	372,955	33,757
المجموع	6,572,668	3,815,226	2,757,172

¹ Note du général Martimrey sur l'usure. juillet 1860 ,Ibid

² دوني بيلي، المرجع السابق ، ص 67.

³ Rapport mensuel , Impôts. C.D.A.W.O,B 410

⁴ Renseignements Statistiques sur Ouargla. A.O.M. 10H18

4- الاستيلاء على الآبار الارتوازية :

يعود الاهتمام بالآبار الارتوازية بالصحراء الجزائرية إلى سنة 1856م، حين أمر "الجنرال ديفو Desveaux" بحفر بعض الآبار الارتوازية في منطقة وادي ريغ، حيث تفجر الماء في أول بئر ارتوازي يوم 9 جوان بواحة تمرنة بمنسوب قدر بـ 4010 لتر/د¹، ومن هناك امتدت حملة الحفر باتجاه تملاحت نواحي بلدة تماسين وحفروا بئر ثانية بلغ منسوبها من المياه 60 لتر/د، بعدها اخذوا في الاتجاه نحو الشمال وبالضبط إلى قرية سيدي راشد على مسافة عشرين كلم من تقرت وحفروا بئر ثالثة على عمق 40م بلغ منسوبها من المياه 4300 لتر/د، ثم تواصلت عمليات الحفر إلى قرية أم الطيور، الشقة إلى غاية منطقة الزيان.²

وفي ورقلة قبل استقرار الفرنسيين وصل عدد الآبار التقليدية سنة 1870م باستخدام تقنية الغطس حوالي 180 بئر، بسعة 20.790 ل/د، وفي لعجاجة حوالي 66 بئر بسعة 15.500 ل/د، وفي قرية الشط 70 بئر بسعة 14.000 ل/د، وفي عام 1883 ازداد عددها ليصل إلى 395 بئر.³ وبعد استقرار الفرنسيين بورقلة تم إدخال أول آلة للثقب مع فرقة مكونة من 40 رجلا تابعين لكتيبة إفريقية التأديبية لثقب الآبار لارتوازية، ليتفجر الماء يوم 4 فيفري 1883م مساءً، بمنسوب 150 ل/د، غير أن المحاولة في إخراج الماء لاقت صعوبات تمثلت في صعود الرمل مما يؤثر على منسوب المياه، ورغم ذلك تواصلت عمليات الحفر، حيث حفروا في شهر ماي بئر ثانية بمنسوب 100 لتر/د، وفي جوان حفروا بئر ثالثة ورابعة بمنسوب 10 لتر/د⁴. ولعل الهدف الأساسي من وراء عمليات الحفر هو تأمين المياه لغابات المعمرين، وللقوافل العسكرية التي تجوب الصحراء الشرقية الجزائرية، ولذلك يقول السيد بيرين perrine: ((... أن الصحراء الواسعة لم تكن قادرة على إعالة سوى بضع قبائل من الرحل، ونفر من العبيد السود الذين يعتنون بحالة

¹ M.Steeg, Op.Cit, p306

² الميشر، المصدر نفسه.

³ G.Rolland, **Rapport: états statistiques des oasis du Sahara Algérien**, Imprimerie Nationale, Paris, 1895, p323.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص ص: 22-26

الواحاحات لتحسين وضعها ، كان يتعين توفير قدر أكبر من الماء... وقد توجب انتظار قيام العلم والتقنية الفرنسيين ، باكتشاف طبقات مائية جديدة ذات عمق أكبر ، والتي لا يمكن استغلالها إلا بوسائل حفر قوية ، وذلك بعد أبحاث مضيئة...¹.

وفي عام 1891م تم انجاز آبار ارتوازية جديدة تسمح بتوسيع غراسة النخيل والقطن، ووصلت محاولات الحفر سنة 1892م حوالي 54 محاولة. بمنسوب إجمالي من الماء قدره 7440 لتر/د.² وعلى الرغم من أن عدد الآبار الارتوازية وصل سنة 1901م إلى 160 بئر إلا أن الطبقة الارتوازية عرفت انخفاضا في منسوب المياه ، وهذا بسبب الجفاف الذي ضرب المنطقة، ولتجنب مثل هذه العراقيل الطبيعية عملت الهندسة العسكرية على البحث عن طبقات مائية أكثر عمقا من "الميوبيثوسين" التي قل ماؤها وتم سنة 1911م انجاز أول بئر بعمق 120م. وفي سنة 1904م عرفت الآبار الارتوازية تطورا من ناحية الاستخدام، حيث تم استثمار 37 بئر في إنشاء مزارع بمنطقة بني تور.³

جدول رقم (17): تطور عدد الآبار الارتوازية بورقلة خلال (1883-1946)⁴

التعيين	1883	1946	الزيادة
عدد الآبار التقليدية للأهالي	395	350	45
عدد الآبار الفرنسية	4	249	250

5- السيطرة على الأراضي الزراعية واحتكار الإنتاج : منذ دخول الجيش الفرنسي إلى الصحراء في الخمسينات من القرن التاسع عشر أدرك الفرنسيون من الصعب خلق

¹ J.J. Perennes , **Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l'Oued Righ (Algérie) ,** Alger , O.P.U , 1979, p305

² دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص30.

³ المرجع نفسه ، ص30.

⁴ G.Rolland , Op.Cit. p 324.

استعمار استيطاني بالوحدات الصحراوية، مما دفع بهم إلى خلق استعمار زراعي عن طريق الاستيلاء على الأراضي الزراعية، وإنشاء مزارع حديثة رأسمالية غايتها إنتاج سلعة للتصدير، مع الاستفادة من اليد العاملة المحلية، والآبار الارتوازية، وهذا بناءً على القانون المتعلق بالملكية في الجزائر في 16 جوان 1851م، الذي ينص على حصر الأراضي و تحديدها. وتعززت سياسة الاستيلاء على الأراضي بعد نهاية مقاومة الشريف بوشوشة سنة 1871م ضد القوات الفرنسية بورقلة، إذ استغلوا هجرة الأهالي نحو تونس والمشرق العربي، ليقرضوهم المال لتحرير أنفسهم بفائدة ربوية 200 % في السنة، بعد أن رهن الورقليون نخيلهم عند دائنيهم، وبما أنهم غالباً ما يعجزون عن تسديد ديونهم تصبح أراضيهم المرهونة ملكاً للدائن في ظرف زمني قصير.¹ وعليه فقد العديد من الأهالي أراضيهم و ممتلكاتهم مقابل غناء الربويين ، مما دفع بالسلطة الاستعمارية دعوة بعض البنوك للاستثمار في ورقلة عن طريق القروض ذات الفوائد الخفيفة، لكن هذه الدعوة لم تلق صدى لدى هذه البنوك إلا 1 % ، مما جعل الاحتكار الربوي يزيد من حين إلى آخر، مما أدى بدوره إلى إضعاف كاهل الأهالي.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي توافد المعمرون الأوروبيون على ورقلة مستخدمين وسائل التكتل والابتزاز لاستغلال مواردها المائية ، واستعمار أراضيها البكر، وتسخير طاقة سكانها في تنشيط الاستثمار الاستعماري ، إذ تحولت أراضي الأهالي إلى مزارع استعمارية وتحول مالكوها إلى " خماسين"²، وأنشؤا شركات فلاحية، مثل " الشركة الفلاحية للاحتياط والإغاثة والقروض التعاونية" التي تم إنشاؤها سنة 1903م، ووصل عدد المشاركين فيها حوالي 5050 مشترك لينخفض سنة 1927م إلى 2829 مشترك.³ وهدف مثل هذه الشركات هو احتكار الإنتاج وتوجيهه للتصدير، واهم هذه المحاصيل: القمح والشعير والتمور، هذا بالإضافة إلى

¹ V. Largeau , Op.Cit.p 181

² الخماسين أو الخماسة هو نظام فلاحي قديم ، ويعني السماح للفلاح الجزائري العمل في الأرض لفائدة الدولة مقابل خمس الإنتاج بعد أن توفر له الأرض والمحراث والحيوانات والبذور.

³ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص37

محاصيل ثانوية مثل القطن الذي كان يزرع على حواف مزارع الشعير، وقد وصل طول النبتة الواحدة حوالي 1.20م ، أما التبغ على الرغم من نجاح زراعته إلا أن الفلاحون تركوه لأسباب اقتصادية واجتماعية.

جدول رقم (18): تطور إنتاج محصول القمح والشعير بورقلة خلال (1918- 1921)¹

المنطقة						المنطقة
الموسم الفلاحي		الموسم الفلاحي		الموسم الفلاحي		
1921	1920	1920	1919	1919	1918	
شعير	قمح	شعير	قمح	شعير	قمح	
427	330	405	306	378	282	ورقلة

أما فيما يخص إنتاج التمور عمل المعمرون على توسيع غراسه النخيل قصد التصدير بعدما كان سكان ورقلة يملكون سنة 1877م حوالي 221.035 نخلة²، وأدخلوا عليها التقنيات الحديثة العلمية ، وعملوا على توفير الري وتنظيم عملية السقي ، حيث تم تعميم استعمال النواعير في السقي ، والتي وصل عددها إلى حوالي 200 ناعورة ، كما حصروا إنتاج التمور في نوع واحد وهو " دقلة نور"، بعدما كانت هناك أنواع أخرى مثل الغرس والعولة، وقد شرع الفرنسيون في عملية التصدير نحو فرنسا منذ سنة 1925م، وذلك في صناديق صغيرة عن طريق النقل بالسيارات.³ وقد وصل معدل إنتاج ثمرة " دقلة نور" سنة 1946 إلى 21810 كلغ أي ما يساوي 6 %، وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع إنتاج ثمرة الغرس التي وصلت إلى 225200 كلغ، أي ما يساوي 63%.⁴

¹ M.Steeg, Op.Cit, p209

² دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص16

³ المرجع نفسه ، ص52

⁴ M.R.Brigol , Op.Cit. p 212

وعلى ما يبدو لنا من خلال هذه المفارقة العددية أن الإدارة الاستعمارية عجزت تطوير إنتاج دقلة نور لعدة أسباب طبيعية، ولذلك نجد أنها كانت تقوم بدورات شهرية لمراقبة نخيل منطقة ورقلة، وذلك لمكافحة الأمراض التي تصيب النخلة مثل (الدودة اليراقية)، وتطهير الخنادق لتصريف المياه الزائدة، حيث اشرف الملازم ميل **Mele** النائب الثاني لحاكم ملحقة ورقلة خلال صائفة 1949م على عملية إحصاء نخيل بني ثور، وتطوير خنادقها من الأوساخ والأعشاب الضارة.¹

جدول رقم (19): تطور عدد النخيل بورقلة خلال (1877-1921)²

الوحدة الإدارية	1877	1883	1914 ³	1920	1921
ورقلة	221.035	454.306	917.200	961.418	965.470

ثانيا/ السياسة الاجتماعية:

1- الهجرة الورقالية واتجاهاتها:

عقب استقرار الفرنسيين بورقلة عملت السلطة الاستعمارية دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين، وذلك تطبيقا للمقولة الشهيرة « يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم »، وعليه فإن دراسة السكان قد استهدفت التغلغل إلى أعماق مجتمع المنطقة لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه، حتى يسهل للفرنسيين التحكم في هذا المجتمع من الداخل ولإبعاد أية مقاومة شعبية من شأنها أن تعرقل المشاريع الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة. وفي نفس الوقت تظاهر بلمح المهتم بظروفهم الاجتماعية والصحية.

¹ Rapport mensuel , Tournées Administratives, C.D.A.W.O, B410

² A.O.M. 10H18. Op.Cit.

³ Ch.Lutaud ,Op.Cit , p81

غير أن السياسة الاقتصادية التي فرضتها الإدارة الاستعمارية على أهالي المنطقة أثرت عليهم اجتماعيا، مما دفع بالكثير من الورقليين على التفكير في الهجرة نحو تونس والشمال الجزائري منذ سنة 1883م، حيث كانت تمثل شكلا من أشكال المقاومة التي اتخذها الجزائريون لكنها في حقيقة الأمر هي مقاومة سلبية. غير أن ظاهرة الهجرة في ورقلة نحو مناطق الشمال أو إلى تونس لم تبدأ مع التواجد الاستعماري بالمنطقة، وإنما هي ظاهرة قديمة تعود إلى التواجد الحفصي بالمنطقة من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر ميلادي في إطار النشاط التجاري المتعلق بتجارة الذهب والعبيد، وخلال العهد التركي تحولت الهجرة الورقلية نحو الجزائر العاصمة خاصة السكان الذين أصولهم من العبيد، حيث كانوا يعملون في نظافة شوارع المدينة.¹

وفي الفترة الاستعمارية توسع نشاط الهجرة الورقلية، رغم محاولات فرنسا لتعطيل رخص الهجرة.² ويعتقد العقيد لوشاتلي le chatelier أن الثلث من رجال ورقلة هاجروا إلى تونس للبحث عن العمل ومنهم 1500 من سكان القصر، و80 من سكان الشط، و14 من سكان لعجاجة، و5 من سكان سيدي خويلد³، وفي عام 1921م شهدت ورقلة هجرة جماعية كبيرة نحو الجزائر العاصمة وتونس.⁴

ولعل أسباب هذه الهجرة يمكن إرجاعها إلى الشعور بالمهانة والمذلة التي أصبح يعيشها الأهالي جراء الفقر والفاقة، والتي أضحت هاجسا يؤرق كل جزائري، فكانت الدول المجاورة بلدان هجرة لكونها تقع على الحدود، وبالتالي تسهل عملية التنقل خفية دون وجود عراقيل من طرف السلطة الاستعمارية، هذا بالإضافة إلى الهروب من البطش والتنكيل، والهروب من القوانين الجائرة مثل: الهروب من الخدمة العسكرية،

¹ M.R.Brigol , Op.Cit. p 54

² عمار هلال ، «أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية»، مجلة الثقافة، العدد 88، الجزائر، يوليو - أغسطس 1985، ص 165.

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 22.

⁴ المرجع نفسه، ص 49

ومحاولة الأهالي التملص منها، زيادة على ذلك واقع الممارسة الاضطهادية ضد الأهالي انطلاقا من سلب الأراضي ومنحها إلى المعمرين نتيجة الضرائب التي أثقلت كاهلهم، أو سياسة الإعانة بالقروض المستعملة بطريقة ربوية مما يجعل الأهالي يفقدون ممتلكاتهم، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية.¹

وعليه فإن هذه السياسة التي دأبت فرنسا على انتهاجها في الجزائر منذ 1871م، قد حققت أهدافها إلى درجة أن الجزائريين أصبحوا يعيشون في شبه مجاعة ، فعلى سبيل المثال فيما يخص الهجرة الثانية التي شهدتها ورقلة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد كانت بسبب عدة أمراض مزمنة منها: وباء "حمى المستنقعات" الذي انتشر في الفترة ما بين منتصف سبتمبر ومنتصف أكتوبر مما تسبب في وفاة أكثر من 400 شخص أغلبهم من النساء والأطفال، هذا بالإضافة إلى وباء الجدري الذي تسبب هو الآخر في وفاة حوالي 200 شخص.² وفي سنة 1909م وقع بؤس وقحط حيث قل محصول التمور، وارتفعت أسعار القمح.

وفيما يخص الهجرة الثالثة التي شهدتها ورقلة سنة 1920م كانت بسبب تسلط الحكام المحليين ونوابهم من القياد الذين يخضعون لسلطتهم مباشرة، الذين اضطهدوا الأهالي وطبقوا عليهم الإجراءات التعسفية من خلال فرض الغرامات المباشرة لأسباب تافهة خاصة فيما يتعلق بالحصول على رخص التنقل، ولقد سُجلت حالتين بورقلة سنة 1914م³، وقد زادت هذه الغرامات القياد والحكام المحليين ثراءً.

هذا بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي حدثت سنة 1920م، والتي أدت إلى حدوث مجاعة أخرى نتجت عن الجفاف الذي أصاب المنطقة ونقص مياه الآبار

¹ عبد الحميد زوزو ،الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين (1919- 1939)، الجزائر، م.و.ك ، ط2، 1985، ص ص: 35 - 46.

² دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص: 24-26.

³ Ch.Lutaud, Op.Cit, p162

الارتوازية، والارتفاع الفاحش في أسعار الحبوب، وتقلص عدد المواشي بسبب موتها من العطش، زيادة على انتشار الأوبئة ومنها " وباء التيفس " الذي تسبب في هلاك عدة أشخاص.¹ ولقد اتخذت الهجرة ورقلة ثلاثة اتجاهات أساسية وهي :

أ- الهجرة نحو الشمال : تستقطب الهجرة للمناطق التلية شمال الجزائر سواء كانت موسمية أو المؤقتة أو الدائمة نسبة معتبرة من مهاجري ورقلة خارج المنطقة خاصة في المواسم التي تصبح فيها المداخل غير كافية لحاجيات السكان، ويكون ذلك نحو المناطق الساحلية أو الداخلية بالشمال وقد أصبحت الهجرة إلى المدن الجزائرية أكثر أهمية منذ 1930م²، وعرفت ورقلة خلال السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي هجرة موسمية لقبائل البدو الرحل نحو المناطق التلية بسبب الكوارث الطبيعية التي أصابت المنطقة ، مثل هجوم الجراد على محاصيل التمور سنة 1877م ، وبسبب النزاعات العرقية القائمة بين الأعراس الثلاثة (بني سيسين، بني إبراهيم، بني واقين). وفي العشرينات من القرن العشرين تطورت الهجرة الورقلية وشملت فئات أخرى من الحضريين، وقد تركزت خصوصا في الجزائر العاصمة.

ب- الهجرة نحو تونس : تعتبر تونس وجهة هامة لسكان ورقلة وذلك بحكم القرب الجغرافي والمحاذاة الحدودية لإقليم الجريد بالجنوب التونسي، وسهولة التنقل ، وعدم اكتراث السلطات التونسية لهذه الهجرات، ورغم محاولات فرنسا التحكم في حركة تنقل الجزائريين عبر الحدود لتونس من خلال قرارها الصادر في 7 فيفري 1898³، إلا أن هذا لم يمنع سكان ورقلة من الهجرة نحو تونس من البحث عن العمل، وقد شملت أربعة أعراس وهم : (بني سيسين ، وبني إبراهيم، وبني واقين ، وبني تماسين) وكانت نسبتهم حوالي 4.7 % من مجموع الجزائريين المتواجدين بتونس ، وكان تنقلهم مشيا على الأقدام تارة،

¹ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص 49.

² سعد الله، « تدهور التنظيم القبلي »، أبحاث وآراء....، المرجع السابق، ص 9

³ يوسف جفالي ، الجالية الجزائرية بجهة الكاف (1881-1929)، رسالة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية (92-93)، ص ص: 33-50.

وركوبا على الحيوانات أهمها الجمال، وتدوم الرحلة من 20 إلى 25 يوما ، ويتخذون طريق متلوي ثم قفصة، ثم صفاقس وصولاً إلى تونس¹. ومن المهن التي اشتغلوها، عمال في بيوت الأغنياء، وعمال في الحمامات والمطاعم، حراس، ونوادل في المقاهي.² وكان استقرارهم وتمرركزهم بتونس العاصمة وبالتحديد في سوق العطارين ، وسوق الكبابجية، وتشير التقارير التونسية أن عدد المهاجرين الورقليين سنة 1921م وصل إلى 1127 أي ما يعادل 27%، وفي سنة 1926م ارتفع العدد إلى 1343 أي ما يعادل 34%، ليصل سنة 1939م إلى 2000 شخص أي ما يعادل 39.5 % وهي اكبر نسبة عرفتها الهجرة الورقلية.³

وتجدر الإشارة هنا إلى الصراع الذي كان قائما بين الاعراش الثلاثة هاجر وانتقل معهم إلى تونس، حيث شهدت هذه الأخيرة طيلة تواجد الورقليين صراعات حول تمثيل الورقليين لدى السلطات التونسية، فقد جاء في رسالة مؤرخة في 12 شعبان 1302هـ/1881م من الشاوش الحاج محمد كاتب ديوان الورقلية إلى القنصل الفرنسي طالبا منه تفويض بتعين عبد القادر مقدما اكبر على عروش الورقلية.⁴ وفي رسالة أخرى بتاريخ جمادى الثانية 1306هـ/1885م تتضمن اتفاق أعراش ورقلة بالحاضرة التونسية على تعيين محمد بن قدور بن صالح السسيبي مقدما على أعراش ورقلة.⁵ هذا بالإضافة إلى أن فئة من الورقليين كانوا يعيشون حياة بؤس وشقاء من جراء البطالة، مما دفع بهم إلى ارتكاب عدة مخالفات كالسرقة، فقد ذكرت إحدى الرسائل الموجهة من الحاكم العام بتونس بيرج Berge إلى احمد بن قدور شيخ الورقلية والمؤرخة في 22

¹ Haggui Jamel : **les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale (1881-1956)**, (mozabite, Soufis, Ouarglias), mémoire de DEA Université de monouba, Tunis, Année Universitaire 2003-2004 ,p 25

² A.N.T .B 278.Document73, N° 5

³ Haggui Jamel, Op.Cit , p55

⁴ A.N.T .B 278.Document 73, N°14

⁵ A.N.T .B 278.Document 73, N°15

أفريل 1900، أن المصالح القضائية قد حكمت على المدعو محمد بلحاج احمد بثلاثة أشهر سجنًا وذلك بسبب سرقة (قندورة) من السوق.¹

ج - الهجرة نحو ليبيا : شملت فئة قليلة من الشباب، وكانت أسباب هذه الهجرة اضطرابية بسبب المجاعة والفاقة، حيث هاجر 260 شعاني في الفترة ما بين فيفري وديسمبر سنة 1924م إلى طرابلس بهدف العمل، وتجنّدوا في صفوف الجيش الايطالي ، لكن سرعان ما لوحظ رجوعهم يتحقق ابتداء من شهر فيفري 1925م، وفي طريق عودتهم إلى ورقلة توفي حوالي 49 مهاجر عطشا في الطريق، منهم 32 في حاسي الطويل، و 17 في حاسي لاروك على بعد 100 كلم من حاسي مسعود.²

د - الهجرة نحو المشرق العربي : بحكم أن ورقلة منطقة عسكرية، فقد شهدت شان المناطق الجزائرية الأخرى هجرات جماعية للأهالي إلى المشرق العربي، وتذكر الإدارة الاستعمارية أن هذه الهجرات كانت بسبب تحريض أهلهم وذويهم لهم الذين هاجروا إلى سوريا قبلهم واستقروا بها³، غير انه يمكن القول إن الهجرة إلى المشرق العربي ارتبطت بقوافل الحجيج، وبحكم منطقة ورقلة منطقة عبور، فقد استغل الأهالي هذه القوافل تحت غطاء أداء مناسك الحج للتوجه نحو بلاد الحجاز ،وفي هذا السياق لما علمت السلطة الاستعمارية باستغلال قوافل الحج للهجرة، فرضت إجراءات قمعية واستبدادية تفتيشية ضد الحجاج في الجنوب على غرار مناطق الشمال ، حيث ذكرت صحيفة "وادي ميزاب" سنة 1927م أن الولاية العامة بالجزائر رخصت للحج، بينما في دوائر الحكومة بالجنوب الجزائري نجد الظلم والحيث والاضطهاد في هذا الأمر، حيث أخذت الإدارة الاستعمارية في الجنوب تتماطل في إعطاء جوازات السفر، مما يدل على أنها غير راضية بما أصدرته الولاية العامة وذلك بعدما قدم الأهالي الضمانات اللازمة المشروطة.⁴

¹ A.N.T .B 278.Document 73, N°26

² دوني بيلي، المرجع السابق ، ص:ص 52، 56.

³ عمار هلال ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، الجزائر، دار هومة، 2007، ص 126.

⁴ وادي ميزاب ، ع33، س1، 27 ماي 1927م/1345هـ

وهناك درسوا وتعلموا الشريعة والسياسة والتاريخ وتعرفوا على بعض رجالات الفكر والإصلاح، وبرز الشخصيات المهاجرة نجد: الشهيد ميلودي الطاهر بن عمار، والشهيد شنين قدور، وعمار خيراني، وتخصيص هذه الأسماء جاء على أساس أنهم بعد عودتهم في الخمسينات من القرن العشرين حاولوا تأسيس جمعية إسلامية تهدف إلى محاربة سياسة التنصير.

2- المستوى المعيشي:

عرف المستوى المعيشي بمنطقة ورقلة حالة من البؤس والفقر، أصابت سكان ورقلة طيلة التواجد الاستعماري بالمنطقة، وذلك من جراء السياسة القمعية التي كان تتبعها السلطة المحلية ونوابهم من القياد والتي تعتمد على التحكم في الناس وفي ممتلكاتهم، وخاصة الأرض التي تعبر المورد الأساسي الذي يسترزق منه الفلاح، زيادة على الجفاف والأمراض المنتشرة في المنطقة، ولمواجهة هذا البؤس نظمت جمعيات الإغاثة الغذائية الاحتياطية شربات شعبية بالمجان، وقللت من فرض الضرائب، كما أعطت الشركة المحلية قروضا للفلاحين بهدف استصلاح الأراضي الزراعية.¹

وفي نظرنا أن هذه الجمعيات جاءت لتقضي على العادات والتقاليد الجزائرية الداعية إلى التكافل الاجتماعي عندما تقع الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية، ويعتبر لويس تيرمان هو من أمر سنة 1884م بإنشاء هذه الجمعيات الاحتياطية في كل بلدية مختلطة على أن تكون مهمتها جمع كميات محددة من حصاد القمح والشعير، ووضعه في مخازن احتياطية لمواجهة سنوات العجاف، وفي عهد جول كامبون تم تقنين هذه الجمعيات، بحيث أصبح في إمكان الفرد أن ينخرط بحرية سواء كان من الفلاحين أو الخماسة أو العمال الزراعيين، شريطة أن يتعهد بدفع حصة حصاده في الحبوب سنويا.²

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص57.

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، المرجع السابق، ج5، ص: 204-205.

ويعود تأسيس جمعيات الإغاثة الاحتياطية بالجنوب إلى أول جانفي 1904م بمعدل ستة جمعيات عبر أقاليم الجنوب، ولقد بلغ عدد المشتركين في هذه الجمعيات بورقلة بين سنة 1904م حوالي 5050 مشترك، وبلغ رأس مالها من جانفي إلى غاية شهر سبتمبر 589,658 فرنك، لينخفض عدد المشتركين سنة 1921 إلى 3058 مشترك، بينما رأس مالها ازداد وارتفع إلى 11,260,810 فرنك.¹

3- المستوى الصحي والبيئي:

من الجانب الصحي عرفت ورقلة أمراض مزمنة وأوبئة خطيرة نتيجة الكوارث الطبيعية سواء بسبب قحط سقوط الأمطار، أو بسبب تلوث مياه الآبار الارتوازية أو بسبب المجاعات التي أصابت ورقلة، وأهم هذه الأمراض نجد أمراض العيون (التراكوم)، والتهاب الملتحمة الحبيبي (وأمراض الجهاز الهضمي كالإسهال خاصة الطفولي القاتل بسبب الجفاف الذي يحدثه للأطفال والحمى الغديرية، وأمراض الجهاز التناسلي، وحمى المستنقعات، ووباء الجدري، ووباء السعال الديكي، وكذا لسعات العقارب، حيث تم تسجيل سنة 1905م هلاك نحو 10 أفراد في ظرف 24 ساعة.

هذا بالإضافة إلى مرض السل حيث بلغت نسبة الإصابات الإجمالية حوالي 29 عند الأطفال من سنة واحدة إلى 15 سنة، و52.6 بين الأطفال ما فوق سنة 15. ولقد وصل عدد المصابين بهذه الأمراض عام 1915م حوالي 180 حالة مرضية.²

جدول رقم (20): حالات المرضى الأهالي والأمراض المعالجة في المستشفيات بورقلة سنة 1915.³

العدد	التعین
20	عدد الأسرة
29	عدد المرضى في المستشفى الرجال

¹ M.Steeg, Op.Cit. p161

² Ch.Lutaud, Op.Cit, p37

³ Ibid , p37

4	النساء	خلال السنة
24	الأطفال	
582	عدد أيام المرضى في المستشفى	
16	الأوبئة	الأمراض المعالجة
10	الأمراض المعدية	
10	الأمراض الجلدية	
38	أمراض العينين	
4	أمراض المجاري التنفسية	
8	أمراض الجهاز الهضمي	
7	العمليات الجراحية	
10	أمراض أخرى	
6.357	عدد الفحص المجاني	
3.24050	نفقات عمل المرضى والمستشفيات	

ولمواجهة هذه الحالة الصحية ، بدلت السلطة الاستعمارية مجهودات كبيرة من اجل تطوير الصحة والحفاظ على البيئة ، حيث خصص الحكام العامون زيارات إلى مستشفيات ورقلة وزيارة المرضى والمرضى¹، وفتح عدة مستشفيات، إذ تم في أول ماي 1889م فتح المستشفى العسكري في بني تور، وفي عام 1900م تم فتح مستوصف مجاني لمعالجة السكان المحليين بساحة القصبة(ساحة فلاترس)، وحسب مرسوم رئاسي صادر في 15 فيفري 1918م يخص أقاليم الجنوب ، ينص على تقديم المساعدات الطبية للسكان المحليين وانجاز مصحات ومستشفيات كبيرة نسبيا داخل الثكنات، كما أمر الحاكم العام باتخاذ الإجراءات التالية²:

- تقديم فحوصات مجانية يومية من طرف الأطباء العسكريين
- معالجة الأهالي في المستوصفات والمستشفيات العسكرية

¹ Le Gouverneur Général Châtel visite le Sud Algérien , **LA CROIX**, Op.Cit,p5

² M.Steeg, Op.Cit, p138

- إقامة دورات في القبائل البدوية من اجل التطعيم، والقيام بمراقبة عامة للحالات الصحية للوقاية ومعالجة الأوبئة.
- مراقبة طبية في المدارس.¹
- مكافحة أمراض العيون والزهرية (الجنسية)²

زيادة على ذلك القيام بتجارب علمية قصد توفير الدواء للأمراض المنتشرة في المنطقة، حيث تم بين سنتي 1935 و1936م اكتشاف السيروم المضاد لسّم العقارب ، وجرب لأول مرة بمبادرة من معهد باستور، واكتشاف أن ماء المنيعه أكثر جودة من ماء ورقلة ، إذ ساهم في مكافحة وفيات الأطفال التي ترتفع في فصل الصيف ، أضف إلى ذلك استجلبت سنة 1941م من مدينة المنيعه أعداد كبيرة من اسماك صغيرة تعرف "بالقامبوز" وهي مبيدة للناموس واكله للدعاميص، ووضعت في قنوات صرف المياه من اجل محاربة حمى المستنقعات.³

جدول رقم (21): تطور عدد الفحوصات المجانية بورقلة خلال (1919-1921)⁴

السنوات	عدد الفحوصات المقدمة
1919	7.436
1920	8.910
1921	10.576

وفي قراءة تحليلية لهذا الجدول نلاحظ تطور في عدد الفحوصات بنسبة 3 % ، وهذا يعود طبعا إلى الزيادة في نسبة الأمراض رغم الإجراءات المتخذة من طرف السلطة الاستعمارية ، فقد كان عدد المرضى سنة 1919م حوالي 42 مريض، ليرتفع سنة 1920م إلى 54 حالة، ويرتفع العدد مرة أخرى سنة 1921م إلى 72 حالة، وقد نفسر

¹ G.Soubiron ,Op.Cit , p 162.

² Ibid, p 162

³ دوني بيلي، المرجع السابق ، ص65.

⁴ M.Steeg, Op.Cit, p151

سرعة الزيادة في الحالات المرضية إلى الأمراض المعدية سريعة الانتشار، مثل مرض السل الذي وصلت نسبة انتشاره إلى 40.8%¹، وفي سنة 1949م كلفت السلطة الاستعمارية الطبيب النقيب فالي Vallhe والملازم البرتيني Albertini بالقيام بمراقبات طبية أسبوعية في الرويسات، ونصف شهرية بالشط ولعجاجة ، وشهرية بانقوسة.²

أما على المستوى البيئي اتخذت السلطة الاستعمارية في 25 فيفري 1949م الإجراءات التالية:

- مكافحة مكثفة للحشرات في جميع المباني عن طريق رشد المبيدات على الجدران والسقوف.

- تجديد قنوات صرف المياه يجعل حواشيتها عمودية وليست مائلة لأن الحواشي المائلة تترك المجال للأعشاب الطفيلية ، وحفر 20 كلم² من القنوات الجديدة لصرف المياه وخمسة قنوات رئيسة لجمع المياه من 1200 إلى 2600م.

- وقاية كمائية جماعية مطبقة على كل أهالي ورقلة من يوم 10 جوان إلى غاية 30 ديسمبر 1949م.³

ولقد أعطت هذه الإجراءات نتائج ايجابية على الأهالي إذ انخفض عدد المرضى، وقضي على عدة أمراض.

المبحث الثالث: السياسة التنصيرية (التبشيرية)

أولاً/ التنصير ومظاهره بورقلة:

في البداية تجدر الإشارة إلى التنبيه لنقطة مهمة في تاريخ الحركة التنصيرية، والتي اعتبرها مغالطة تاريخية، وتزييف للحقيقة اللغوية والتاريخية، لكون أن جل المستشرقين الذين كتبوا عن " التبشير المسيحي " يتعمدون ذكر مصطلح " التبشير أو الحركة التبشيرية " بدلا من " التنصير أو الحركة التنصيرية " ، وهذا بهدف إعطاء صورة حسنة

¹ Ibid, p151

² Rapport mensuel , Tournées Médicales, C.D.A.W.O, B 410

³ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص73

وإيجابية عن الدين المسيحي ، وحتى يخلق قابلية لدى المجتمعات الغير النصرانية- بالخصوص المسلمين- دون مقاومة تذكر من جهة، وإبعادهم بقدر الإمكان عن المرجعية الدينية القرآنية والمحمدية من جهة أخرى ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾¹ ، وبالتالي فإن التبشير جاء تحت غطاء المسححية التي انتهى دورها كدين بعد ظهور الإسلام، ولم يبقى إلا هذا الأخير كمرجعية عالمية للدعوة والتبشير، لقوله تعالى: ﴿ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾² ، وعليه فإن دور المسيحية كدين انتهى ولم يبقى منه إلا النصرانية كمذهب وكأنصار لدينهم.

وفيما يخص التنصير بالجزائر فقد ركزت السلطة الاستعمارية في سياستها الدينية على محاربة الإسلام وتنصير الجزائريين ، والحديث عن الحركة التنصيرية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، يعود إلى البدايات الأولى للاحتلال بعد سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية يوم 5 جويلية 1830م بقيادة الجنرال دي برمون، الذي صرح بعدها للقساوسة الذين رافقوه قائلا: " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تنيع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع ".³

وفي هذا السياق ذكرت الكتابات الاستعمارية أنه في بداية الاحتلال حدث صراع وخلاف بين نوايا وأهداف رجال الدين والإدارة العسكرية الفرنسية، فهذه الأخيرة كانت لا تريد إطلاق العنان لرجال الدين ينفذون مخططاتهم بين المسلمين، والحكومة الفرنسية من جهتها أعلنت على لسان وسائلها الإعلامية أن الهدف من إنشاء الكنيسة هو خدمة المستوطنين الأوروبيين، وليس التبشير واستعادة المسيحية القديمة وإثارة مشاعر المسلمين. فحسب هذا التصريح قد ننصف الإدارة الاستعمارية، لكنه في حقيقة الأمر تضليل، الغرض منه تشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر وطمس المقومات الإسلامية

¹ سورة البقرة، الآية 120

² سورة. آل عمران، الآية 85.

³ شاوش حباسي، الحركة التبشيرية في الجزائر، ص12

للشعب الجزائري، بدليل أن الجيش الفرنسي داس على بنود اتفاق 5 جويلية 1830م، الذي ينص على احترام الدين الإسلامي ومعابده، فهدموا المساجد، وحولوها إلى كنائس ومستشفيات ومخازن وإسطبلات للحيوانات، وصادروا الأوقاف وقطعوا عن الكتائب القرآنية مواردها المالية. وبالتالي فإن الحقيقة بيّنت أن رجال الدين أرادوا مواجهة وتحدي المسلمين وجها لوجه تحت غطاء الجيش والسلطة، أما الإدارة العسكرية والمدنية فضّلت عدم المواجهة المباشرة واتخاذ أسلوب التوغل الهادئ والتسرب البطيء للوصول إلى السيطرة وبسط النفوذ وهذا ما حدث في الصحراء الجزائرية.

وفي إطار إرسال بعثات تنصيرية إلى الصحراء، أكدت صحيفة " وادي ميزاب " أن القائمون على شؤون الكنيسة كانوا يعقدون جماعات فيبعثونها إلى أنحاء العالم، وكثيرا ما يقصدوا أولئك المنصرون (المبشرون) بلاد الصحراء، حيث يتحملون مشاق الانتقال المستمر وأتعاب الأبعاد ومحنة التغرب، يبذلون في سبيل ذلك جهودا عظيمة، ومصاريف باهظة لأجل دعايتهم الناس إلى اعتناق الديانة المسيحية، وإخضاع سكان الصحراء للسيطرة الغربية النصرانية والتحكم في خيراتها ومدخراتها.¹

ولقد ارتبط التنصير بمناطق الصحراء الجزائرية بمجيء الكاردينال شارل لافيغري Ch.Lavigerie² إلى الجزائر عام 1860م³ قادما من سوريا، وقد تساءل مند البداية:

¹ وادي ميزاب ، ع57، س2، 17 نوفمبر 1927م.

² هو شارل أنطوان مارسيل لافيغري من مواليد 1825م بمدينة وير قرب بايوان، درس بمعهد الدعاية التبشيرية بسان لويس دوقوزاني، ثم بالمدرسة الكليزية الصغرى للدراسات الأسقفية بلاروسور، ثم بالمدرسة الكليزية الكبرى بباريسن تحصل على الليسانس عام 1847، متخصصا في علم اللاهوت، في عام 1876 عين مطرانا على أسقفية الجزائر، لبدأ نشاطه التبشيري، وقد توفي عام 1892م بالجزائر.

³ قد شهد مطلع القرن التاسع عشر بداية التدفق الاستعماري للقارة وهو نفس التاريخ الذي شهد تدفق الإرساليات التنصيرية إلى القارة، ومن هذه البعثات التنصيرية جمعية الآباء البيض white fathers التي تأسست في كل من نيجيريا والجزائر سنة 1868م ثم امتدت إلى منطقة البحيرات 1878م وإلى غرب إفريقيا 1885 وكذلك الجمعيات الآتية: جمعية شهود يهوه: Jehouas Witnesses وجمعية برلين التنصيرية: The Brln Missonary وجمعية لندن التنصيرية The london Missonary Society وجمعية آباء الكنيسة

كيف تظل فرنسا في الجزائر أربعين سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين؟ ومن هذا السؤال انطلق لافيغري في تحقيق مشروعه التنصيري الاستعماري بتأسيسه مؤسسة القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي سنة 1870م.

لقد قيل عن لافيغري أنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا، ولذلك كون الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسيحية، وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية، ومن هنا بدأت تظهر له فكرة إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء، انطلاقاً من منطقة ورقلة، حيث تأسست أول مركزية لجمعية الآباء البيض الصحراويين سنة 1873م وبقيت إلى غاية 1881م، ثم تقلص نشاطها التنصيري لمدة عشر سنوات خاصة في الجنوب الغربي بسبب تأثيرات مقاومة الشيخ بوعمامة، لتعود إلى النشاط من جديد سنة 1891م، بعد دخول الشيخ بوعمامة في مرحلة التراجع والتقهقر أمام الجيش الفرنسي. وهذا ما أكدته دوني بيلي¹، وذكره صاحب غصن البان" في مجي الآباء البيض إلى ورقلة بقيادة الأب ريتشارد Richard ، إذ يقول: "إنه قدم من بسكرة.. وفي نيته التمهيد لمشروعهم التبشيري فمكث بورجلان (ورقلة) أياماً قلائل ثم رجع لبسكرة وفي سنة 1875م رجع كذلك ومعه اثنان فمكثوا في البلاد ثلاثة أعوام وسكنوا بناحية بني واكين في جهة باب أبي الربيع وبعد مدة ذهبوا إلى غدامس وفي سنة 1892م قدم الأب (كارمبون) ومعه رفيقان فمكثوا هنا عاماً كاملاً ثم سافر المذكور وآخر معه إلى السودان وبقي الثالث وهو الأب (أقنو) فسكن في الحل الذي كانت فيه المدرسة الفرنسية مقابل باب القصبة الآن، وفي أثناء مكثه اشترى داراً بناحية بني إبراهيم بالسوق القديم ثم شرع يبني في الحل الذي هم فيه الآن"². غير أن الأب ريتشارد Richard تم قتله من طرف شعابة ورقلة بسبب نشاطه التنصيري، وهذا ما أكدته الرسالة المتعلقة بمقتل

الإنجليزية: Anglican Presbyterian. ويلاحظ أن الجمعيات البروتستانتية التنصيرية قد بدأت عملها مع نهاية القرن الثامن عشر وارتبطت بحركة الإصلاح الاجتماعي في بريطانيا.

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص19

² أعزام، المصدر السابق، ص52

الأب ريتشارد Richard والمرسلة من "الجنرال لويسال" قائد مقاطعة الجزائر إلى الجنرال قائد مقاطعة المدية ، والمؤرخة في 14 فيفري 1882م، ونصها كالتالي :
() سيدي الجنرال:

البرقية بتاريخ 8 فيفري الجاري . علمتمونا بأنه نظرا للمعلومات المتاحة لكم، فإن الدرك لم يكن يعلم بحادثة اغتيال الأب ريتشارد وكذا المبعوثين، وإنما كان ذلك مجرد إشاعات عمومية. يشرفنا انتباهكم إلى أن التقرير المنجز من طرف الدرك ما هو إلا نسخة طبق الأصل للتقرير الذي أرسلتموه، وكان من الواجب على آغا ورقلة القيام بنفس الشيء، ونشير إلى أن الأحداث كانت بنفس الطريقة والشكل، وفي نفس الأوقات. وعليه نرجو منكم الأخذ بمعلومات ومعطيات جديدة وصحيحة بخصوص هذا الموضوع وبإعطاء تعليمات صارمة من اجل تجنب مثل هذه الالتباسات.))¹.

وفي إطار التحقيق حول مقتل الأب ريتشارد Richard راسل الأب كار مابون Kermabon من غدامس بليبيا رسالة إلى أعيان الشعانية بورقلة وهم : قايد بن البساطي، احمد بن احمد، محمد بن المنصور،أحميدة بن بلخير، علي بن عمر، جاء فيها ما يلي² :
() يشرفني أن أعلمكم بان الخليفة بن سعد قد التقى السايح ورفاقه، وكذا رفاق السيد ريتشارد ثلاثة أيام بعد الأحداث، وأثناء اللقاء قام أهالي غدامس بمسائلة الخليفة وذلك لمعرفة فيما إذا كان السايح له علاقة بالهجوم المنفذ بأوامر أولاد يونس، وللتأكد أيضا من شخصية السايح. وبالرغم من تأكيد الخليفة على عدم وجود أية صلة بهذا الهجوم فإن التوارق وصلوا مساءلتهم لسي السايح ومرافقيه، وعدم الاتفاق بين التوارق وأهالي غدامس حول مصير الأهالي المحليين، وبفضل وجود الخليفة استطاعوا الفرار من الموت، وهم حاليا يعيشون في آمان ، أما بالنسبة للشعانية فلن يجدوا أبدا الأمن والسلام عندنا في غدامس وناس التوارق. إن الخليفة هو دائما بجانبكم لمساعدتكم، ولكنكم لا تريدون

¹ Ou sujet de la assassinat du père Richard, C.D.A.W.O, B 320, N°14

² ينظر الملحق رقم 8.

الاعتراف بالجميل، أما في حالة عدم وجوده لم تكونوا لتعرفو سي السايح ولا الآخرين ، وهذا الكلام الأخير ما هو إلا تصريحات للشعانة من طرف آباء غدامس.

غدامس: 31 ديسمبر 1881. إمضاء: كار مابون.....¹.

ولقد كان لمركزية ورقلة أربعة قساوسة، كما كانت تملك دارا للأيتام، ومدرسة يتردد عليها حوالي 70 تلميذا وعدد من الكبار، وكان لها أيضا مصحة استشفائية وورشة للنسيج وأخرى للنجارة، ومنشأة للاستمنت، وقد تطورت المركزية مع الأيام فأصبح لها ندوات أسبوعية وسينمائية للتعليم والتوجيه والترفيه، وكان القساوسة يملكون في الناحية النخيل والغابات، وقد حفروا بوسائلهم بئرا ارتوازية تمد منطقة ورقلة بالماء الصالح للشرب، واخذوا يتوسعون فحصلوا على امتياز في بامنديل لغراسة النخيل وحفر الآبار، وقد كانت الإدارة الفرنسية تحميهم وتمدهم بالمساعدات مقابل تقديم معلومات استخباراتية عن القوافل التجارية والزوار وغير ذلك من التحركات في المنطقة، ومعرفة أنماط تفكيرهم وعلاقاتهم الاجتماعية حتى تسهل السيطرة عليهم.²

أما الأخوات البيض فقد أنشأن في ورقلة أيضا مشاريع لجلب النساء والتغلغل في المجتمع الصحراوي، وحيث أنشأن سنة 1923م ورشة تأوي 200 تلميذة لنسيج الزراري والبرانس والمخدرات من الصوف والوبر³، وكانت لهذه الزراري سمعة تجارية رائجة في خارج الحدود الجزائرية. وفي عام 1931م كان رئيس المركز الكاثوليكي في ورقلة "الأب روبان"⁴ ولم يترك المنصرون وسيلة مهما كانت إلا واستغلوها أحسن استغلال لتحقيق أغراضهم، وتراوحت أساليبهم بين الإغراء والشدة، واللين والقسوة، فمن الأساليب الرومانسية الساحرة إلى الأساليب التدميرية الجهنمية، حيث سخرت القوى

¹ C.D.A.W.O, B 320 ,N° 06

² سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج6، ص130

³ J.C.Humbert, L'œuvre..., Op.Cit, p38

⁴ سعد الله، المرجع نفسه، ص131

الاستعمارية للتنصير الطلاب والمدرّسين والأساتذة الجامعيين ورجال الدين والرحالة والمكتشفين والنساء الجميلات والمهنيين والمهنيات، ولم تدع أحداً يقدر على خدمة أغراضها إلا واستخدمته أو حاولت استخدامه.

ثانيا/ وسائل وأساليب التنصير: يمكننا حصر أهم الوسائل التي استخدمها المنصّرون لتنصير في ورقة فيما يلي:

أ - إقامة المصحات والمستشفيات: استغل المنصرون العمل الطبي لتحقيق غايتهم الدينية والخسيسة بالتقرب من المرضى خاصة وأنهم في حالة ضعف لا يقدرّون على التفطن لهذه السياسة الخبيثة، ولا أدل على ذلك قولهم " حيث تجد البشر تجد آلاما، وحيث يكون الألم تكون الحاجة إلى طبيب، وهناك تكون الفرصة للتنصير". ففي سنة 1895م قدم الآباء البيض بورقلة حوالي 12000 علاج للمرض الأهالي.¹

ب - التعليم : يعتقد النصارى أن المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلدان تهدف إلى تمرير رسالة المسيح، وبالتالي لابد من غرس هذا الفكر النصراني في الأطفال الصغار قبل بلوغهم حتى يسهل التحكم فيهم. فضلا عن تأليف الكتب والمجلات، والنوادي الثقافية والترفيهية. ففي احتفالية من الاحتفالات الدينية المسيحية بورقلة سنة 1938م علقت الصليبان في رقاب أبناء وبنات المسلمين من طرف القائمين على الكنيسة بالمدارس الحكومية وجعلهم يتنقلون في مسيرة احتفالية أمام مرأى عامة الناس مما جعل البعض يتعص من الحادثة دون اتخاذ أي موقف إزاء هذه الظاهرة.²

ج - المساعدات الاجتماعية: لقد استغل المنصّرون الاستعماريون الظروف الاجتماعية الصعبة التي مر بها الشعب الجزائري لتمرير عملهم التنصيري كالفقر والجوع والأمراض

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص32

² جريدة الوفاق، ع3، س1، وهران يوم الثلاثاء 5 أفريل 1938م

والحروب ، زيادة على المناسبات الدينية الخاصة بالفرنسيين مثل أعياد الميلاد حيث يقدمون الهدايا والمساعدات بسخاء، ففي عام 1931م قامت الأخوات البيض بانجاز بئر لشرب المياه وخزان طاقته 20م ، وفي سنة 1946م أنشا الآباء البيض مركز للتكوين الفلاحي والصناعات التقليدية.¹

ثالثا / ردود الفعل الشعبية على سياسة التنصير: لقد عارض الجزائريون حركة التنصيرية منذ البداية ، ورأوها خطرا على هويتهم ودينهم، فقد تحصنوا أولا في بيوتهم فلم يرسلوا أولادهم إلى مدارس الإدارة الفرنسية خوفا عليهم من التنصير والفرنسة المتلازمين واحتجوا على تحويل المساجد إلى كنائس، وربما كل الثورات الشعبية التي جاءت بعد سنة 1870 ابرز دوافعها نشاط الحركة التنصيرية وتحديها المباشر لمشاعر المسلمين. كما لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في محاربة التنصير، وذلك عن طريق تنبيه الغافلين ووعظ وإرشاد الناس، بل وصل الأمر إلى حد استخدام العنف ضد القساوسة، والتخلص من بعضهم جسديا مثلما حدث في الصحراء عندما قتل شارل دو فوكو Charles de foucoultdt²، وحينما ظهرت جمعية العلماء المسلمين سخرت كل وسائلها المتاحة لمحاربة التنصير من تأسيس المدارس الحرة للتعليم العربي والكتابة في الصحف وإقامة الدروس في المساجد، و المحاضرات في النوادي الثقافية لكشف مخططات المنصيرين، ومن المواقف التي سجلها التاريخ لجمعية العلماء مهاجمة جريدة الشريعة، لما قام به الآباء البيض يوم 23 ماي 1933م حين استعرضوا المنتصرين الجزائريين بلباسهم المحلي وسط العاصمة ومعظمهم كانوا من أطفال العائلات الفقيرة.³

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 68

² شارل دو فوكو من مواليد 1858م بستراسبورغ، دخل الجيش الفرنسي الإفريقي وترقى إلى رتبة ملازم أول بالمدرسة العسكرية سان سير، عمل في عدة أنحاء من الجزائر كتلمسان وعناية وسطيف، ودرس اللغة العربية، وتعرف على مسالك الصحراء الجزائرية وسكانها مبكرا، ومنذ سنة 1897م بدأ ينسق نشاطه التنصيري مع رجال لافيجري في الصحراء، وكان هذا سببا كافيا وراء قتله من طرف احد مرابطي الحركة السنوسية سنة 1916م

³ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المرجع السابق، ص 140..

وعلى مستوى منطقة ورقلة فنلاحظ أن الحركة التنصيرية قد أثرت كثيرا على بعض الشباب ، بدليل أن الشيخ محمد خير الدين ذكر بأنه في أواخر 1934م تلقى دعوة مستعجلة من الشيخ عبد الحميد بن باديس عن طريق رسالة، قائلا : " ..سلمني رسالة وصلت إليه من رئيس شعبة جمعية العلماء بورقلة السيد إبراهيم بكرة يستغيث بالجمعية ويحثه على الإسراع قبل فوات الأوان للدفاع عن الإسلام وحماية المصلحين وأبنائهم يقول فيها: إن الحاكم قد حول السلطة لقساوسة الآباء البيض في منع المسلمين من الصلاة في المسجد، ونقل التلاميذ من المدارس القرآنية إلى مراكز التبشير بإشراف رجل جزائري يدعى يوسف صالح كان يعلم أبناء المسلمين في الكتاتيب القرآنية حسب العادة المتبعة ، ثم تنصّر وصار يدعى(جوزيف الأعور)،وكلفه القساوسة بتنشئة التلاميذ على الدين المسيحي ، وتلقينهم الأناشيد الدينية المسيحية.. طلب مني الرئيس ابن باديس السفر فورا إلى ورقلة، والاتصال بالشعبة هناك وكتابة تقرير مفصل عن الأوضاع كما هي، حتى يتسنى للجمعية أن تقوم بواجبها في الاتصال بالمسؤولين في العاصمة وخارجها، وبالصحافة الوطنية والأجنبية لكي تقاوم هذه الظاهرة الخطيرة بكل ما تستطيع من وسائل وتحول دون انتشارها.

قلت له: إنك تعلم بالقرار الذي أصدره الوالي العام في الجزائر منذ سنة الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء.

فأجابني: يجب أن تصل إلى عين المكان، ودعمهم يردونك تحت الحراسة مقيدا بالأغلال. — ثم يقول بعد تفاصيل الرحلة — وبعد مغادرتي السيارة.. سألني الشرطي: من أين أتيت؟ قلت من بسكرة فقال: اتبعني لمقابلة الحاكم فقلت له: إنني جئت لزيارة صديقي (الأب جوزيف) رئيس الآباء البيض "شارل دوفوكو" فقال لي: أصديقك (الأب جوزيف) قلت نعم. (ولم يوضح الشيخ إن كان جوزيف المقصود هو أب أم هو معلم القرآن المزعوم).

قال: اسمح لي إذن يا سيدي وامض إلى مقصدك، فحمدت الله الذي ألهمني إلى هذه الحيلة ودخلت المدينة، واتصلت برئيس الشعبة فيها، وتحولنا سوية في المدينة فرأيت

المساجد خالية من المصلين والكتاتيب معطلة، ومر بي على مركز المبشرين وكنائسهم لنرى ونسمع كيف يلقنون المئات من أبناء المسلمين مبادئ الدين المسيحي في فضاء واسع يلتفون وقوفا حول رجل أسود يلقي عليهم الكلمة فيرددونها بأصوات شجية في حماس، وكان هذا الرجل هو الذي ذكرته آنفا استغله المبشرون للطعن في الإسلام بإيهام البسطاء: إن هذا الرجل الذي كان يعلم أبناءهم في الكتاتيب القرآنية قد اختار المسيحية وترك دين المسلمين.

وبعد كلام يقول: طلبت من رئيس الشعبة بتلك الناحية أن يهيئ لي اجتماعا مع أعضاء الشعبة في داره ليلا وتم الاجتماع، وحصلت معهم على ما أحججه من المعلومات وأعدت تنظيم صفوفهم.. ثم يقول بعد تقديم تقريره للرئيس ابن باديس: فبادر رحمه الله إلى رفع الاحتجاجات إلى الدوائر الرسمية في الجزائر وفرنسا والصحافة المحلية والأجنبية، وكان لهذا العمل صدى عميقا في شتى الأوساط، وتحققت نتائج إيجابية، حيث توقف المد الصليبي في هذه الجهة وعاد المسلمون إلى صلواتهم في مساجدهم، وعاد أبناءهم إلى الكتاتيب القرآنية يلهجون بالقرآن ترتفع حناجرهم بترديد آيات الله..¹

المبحث الرابع: السياسة التعليمية والقضائية

أولا/ السياسة التعليمية:

1- التعليم العربي :

من المتعارف عليه تاريخيا أنه بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م عملت السلطة الاستعمارية على مصادرة الأوقاف وتحويل المساجد إلى كنائس، ومحاربة الزوايا والطرق الصوفية ، بهدف القضاء على التعليم القرآني وتعويضه تدريجيا بالتعليم الفرنسي الأكثر علمية، وذلك بإنشاء تعليم مزدوج خاص بالجزائريين تدرس فيه اللغة العربية على أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية ابتداءً من عام 1850م.

¹ محمد خير الدين ، مذكرات، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، بدون طبعة، ص272.

وعليه عملت السلطة الاستعمارية كل ما في وسعها لإهمال التعليم العربي الإسلامي وتطوير التعليم الفرنسي في الجزائر، وكل هذا يدخل في إطار سياسة دمنجة وفرنسة الشعب الجزائري، لذلك عملت على إدخال أملاك الأوقاف في أملاك الدولة الفرنسية، حتى لا تصرف منها رواتب المعلمين والمؤدين، زيادة على تهجير العلماء ، وتشيتت شمل المعلمين والمتعلمين.

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الزوايا في مناطق الجنوب استمرت في دورها التعليمي الذي اقتصر على تحفيظ القرآن الكريم، وبعض الدروس في العلوم الشرعية والفقهية. وتعتبر منطقة ورقلة من المناطق الجنوبية التي شهدت نشاط الزوايا التعليمي ، وفي مقدمتها فرع الزاوية التجانية بتماسين، وفرع الزاوية القادرية بالرويسات، وزاوية سيدي خويلد، وزاوية سيدي بلخير بالشط.

فالزاوية التجانية بتماسين قد مارست التعليم على خلاف التعليم بالطريقة التي سارت عليها الزوايا الأخرى ، إذ أنها تبنت تعليما خاصا بأبناء الزاوية أنفسهم بدلا من التعليم الشعبي المفتوح.¹ وبطبعة الحال هذا لا يعني أنها لم تقدم شيئا للتعليم الجزائري ، بل كان لها دور عظيم في بناء الثقافة الجزائرية والمحافظة على القيم الإسلامية والروح العربية وتوطيد الصلة الثقافية بين علماء تونس وأهل واحات تقرت². أما زاوية سيدي خويلد التي كان يقصدها الغني والفقير والقوي والضعيف، فقد كان بها مدرسة للتعليم القرآني وعلوم الدين ، بمجموع 30 طالبا.³

كما تجدر الإشارة هنا أن التعليم لم يقتصر على الزوايا، بل حتى المساجد لعبت دورا كبيرا في تنوير العقول بكلام الله وتحفيظه للصبيان، فقد ذكر دوماس Daumas أنه

¹ سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، المرجع السابق ، ص 226

² العوامر ، المصدر السابق ، 32

³ بن يوسف تلمساني ، المرجع السابق، ص 292

سنة 1842م احتوت ورقلة على ثلاثة مساجد¹ ، بينما تقرير فرنسي لسنة 1842م ذكر أن عدد المساجد بلغ 13 مسجداً، منها 12 مالكي، ومسجد واحد إباضي²، ليرتفع عددها أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى 31 مسجد بين مالكي وإباضي، والجدول التالي بين ذلك³ :

جدول رقم (22): عدد المساجد بورقلة خلال القرن 19م

مساجد المالكية	مساجد الإباضية
مسجد المالكية الكبير	مسجد أبي حضور
مسجد سيدي صالح بن أبي يعقوب	المسجد الكبير (لآلة عزة)
مسجد سيدي منصور	مسجد أبي سعيد
مسجد سيدي بعافو	مسجد أبي سهل
مسجد السنوسي	مسجد أبي ربيع
مسجد علي موكة	مسجد أبي يزير
مسجد بمهراج	مسجد مولاي براهيم
مسجد ابي الشاب	مسجد الشيخ الصالح
مسجد الزاوية القادرية	مسجد أبي يعقوب
مسجد سيدي عبد القادر	مسجد أبي عزيز
مسجد الخواص	مسجد أبي إسحاق
مسجد عزري	مسجد سدراتة
مسجد عمار	مسجد سيدي الناس
مسجد سيدي الحفيان	مسجد التوبة

¹ Daumas, Op.Cit,pp 72-80

² بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص: 287-288

³ أعزام ، المصدر السابق ، ص: 117-133.

مسجد الشيخ بن عانو	مسجد أبي عزاب	
مسجد لالة باهية	/	
16	15	المجموع

وإذا كان عدد المساجد واحد وثلاثون ، فإن عدد المدارس القرآنية ستكون حتما واحد وثلاثون مدرسة قرآنية ، غير أننا لا يمكن معرفة عدد الطلبة في كل مسجد ، وهذا طبعا مرتبط بعدد سكان الحي الذي يتواجد فيه المسجد ، وفيما يخص طريقة التعليم القرآني في المدارس القرآنية بالمساجد تقليدية مثلها المتبعة في المساجد أخرى من مناطق الجنوب ، ففي ورقلة لم يبلغ الطفل أربعة سنوات من عمره يتم ادخله إلى المدرسة القرآنية التابعة للمساجد أو لمنزل احد معلمي القرآن الكريم في القرية، وفي بعض الحالات نجد العائلات الثرية تستدعي معلم القرآن إلى ديارها لتعليم أبنائها.¹

كما أنه كان هناك تقليد خاص بالطلبة النجباء، حيث يتم إرسالهم إلى جامع لآلا ملكية لاستكمال دراستهم ولتدريهم على عملية التدريس ليتخرجوا فيما بعد معلمي قرآن، وفي ذات السياق كان الطالب الجديد لما يدخل إلى جامع لآلا ملكية يرمون فوق رأسه حزمة من أقلام القصب التي تستخدم للكتابة على الألواح، وبعدها يتسابق الطلبة الآخرين عليها لأخذها واستخدامها في الكتابة.²

وكان تأثيث هذه المدارس القرآنية محليا بسيطا، حيث يجلس الأطفال على حصائر مصنوعة من نبات "السمار" أو أفرشة مصنوعة من بقايا القماش، ولكل طالب لوح من الخشب³، هذا بالإضافة إلى الطين الذي يمحى به اللوح بعد حفظ ما به من آيات قرآنية

¹ P.Passager, Op.Cit, p126

² Ibid, p126

³ Ahmed Nadjah , **Le Souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971, p108.

، أما أدوات الكتابة فتشمل دواة السّمق¹ وقلما ميريا من قصب الدّيس، كما يفرض على كل طالب امتلاك نسخة من المصحف تحفظ في " مخلاة " صغيرة الحجم مصنوعة من الصوف أو الكتان ، أما المؤدب أو المعلم فيسمى " الطالب " أو " أنعم سيدي " أو " عريفي " ، وهو شخص متطوع ، تكون أجرته من أموال الناس²، أو مما يقدمه الأطفال عند مناسبات مرتبطة بالتعليم ومراحله مثل " الفتوح"³ أو " الختمة"⁴. وكان تحفيظ القرآن في المدارس لا يتم إلاّ برخص يمنحها لهم الحاكم العسكري للمنطقة.⁵

2- التعليم الفرنسي :

لقد حضى التعليم الفرنسي في ورقلة باهتمام السلطة الاستعمارية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عقب زيارة لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي للجزائر برئاسة جول فيري، حيث استمعت هذه اللجنة لشكاوي الجزائريين وطالبوا بإلحاح كبير على تعليم أبنائهم لغتهم العربية ودينهم الإسلامي. وعليه عملت السلطة الاستعمارية على تنفيذ توصيات اللجنة، حيث رصدت أموال كبيرة لبناء مدارس ابتدائية في الجزائر. وشهدت ورقلة سنة 1891م أول تجربة بناء مدرسة عمومية حينما حاول عسكري فرنسي بناء مدرسة ومسكن للمعلم في الجهة الجنوبية لقصبة ورقلة، غير أن البداية الفعلية لتأسيس أول مدرسة رسمية كان سنة 1898م، والتي سجل فيها حوالي 50 تلميذا.⁶

¹ هي علبة يوضع فيها الصمغ المحروق مع طحنه ثم توضع كمية منه في قاع دواة مع شيء من الصوف والماء، فيصير مدادا للكتابة

² سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3 ، المرجع السابق ، ص 224

³ " الفتوح " عادة يكون من التمر أو الطعام الذي يحمل إلى الكتّاب عند دخول الطفل أول مرة للكتاب.

⁴ " الختمة " وهي ختمة جزء من القرآن أو حزب منه وجعلت لها صورة ثابتة

⁵ سعد الله ، المرجع نفسه ، ص 51

⁶ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 29

وفي سنة 1900م لجاء الفرنسيون إلى إنشاء ما سموه بالمدارس الخاصة يعمل على تأطيرها الآباء البيض، حيث تم إنشاء مدرسة خاصة بورقلة، تضمنت 30 تلميذا، وفي هذا الصدد يمكن القول إنه بدل من أن تنشر السلطة الاستعمارية التعليم بين الجزائريين كما طالب به الأهالي، تركت الجزائريين لعبث الآباء البيض لتمرير مشروعهم التنصيري (التبشيري) ، وزيادة على ذلك أن الهدف من إنشاء هذه المدارس هو القضاء على اللغة العربية وفرنسة الجزائريين، وإبقائهم على جهلهم، وهذا ما صرح به الفرنسيون : " أن الهدف كان محو التعصب الديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم وذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد، وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار ونفس المصالح".¹

وفي عام 1903م أصبحت المدرسة الخاصة بالآباء البيض تعطي دروسا لعدد من الراشدين بمعدل خمس مرات في الأسبوع، وكان عدد الطلبة يتراوح ما بين 40 إلى 50 تلميذا.² وفي عهد شارل جوناو (1903-1913م) شهد التعليم في الجنوب تحسنا وتطورا ملحوظا، حيث ازداد عدد المدارس العمومية، وعدد التلاميذ، ففي سنة 1903م وصل عدد المدارس بالجنوب 29 مدرسة ابتدائية أهلية، ومدرستين خاصتين، بمجموع 47 قسم موزع بين البنين والبنات.³ وقد شهدت ورقلة هذا التطور حيث تم ما بين 1908 و1909م افتتاح أول قسم حربي للبنات، وفي عام 1910م تحصل الطالب صالح بوبكر على أول شهادة ابتدائية.⁴

وخلال الحرب العالمية الأولى شهد التعليم توقفا مؤقتا بسبب الحرب ولم يتم افتتاح أي قسم جديد، غير أنه عقب نهاية الحرب ، يذكر السيد رواد Rouède في تقريره حول

¹ سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3 ، المرجع السابق ، ص 330

² دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 33.

³ G.Soubiron, Op.Cit, p151

⁴ دوني بيلي ، المرجع نفسه، ص 41.

حالة التعليم في ورقلة ، أن التعليم بصفة عامة كان متقدماً بالرغم من العطل الطويلة والحرارة الشديدة، وحضور الطلبة إلى المدارس كان دائماً منتظماً باستثناء مدرسة واحدة في قرية تبسبست خلال سنة 1920م بسبب لامبالاة أستاذ المدرسة¹. ويذكر التقرير أيضاً أن المدارس الحضرية بالرويسات ونقوسة كانت بتعداد جيد، وهذا بفضل عمل السيد ريسكنيار Rescanières، وفيما يخص التجهيزات المدرسية فهي في حالة جيدة باستثناء مدرسة واحدة في تقرت، ومدرسة للبنات بورقلة، وبناء على هذه الوضعية سيتم استحداث مستقبلاً مدرسة في الشط بورقلة². وفي عام 1930م زار الحاكم العام بالجزائر السيد بورديس Bourdes ورقلة، وقام بتدشين المجموعة المدرسية الجديدة، حيث افتتح بها قسم ثالث للذكور، وقسم ثاني للبنات، كما زار مساكن للمعلمين.³

بعد هذه الزيارة الحكومية لم يتم فتح أية مدرسة جديدة بسبب الحرب العالمية الثانية، إلى غاية سنة 1947م عندما صدر قانون 20 سبتمبر أو ما يعرف بالقانون الأساسي الذي ينص على ضرورة التعليم بالعربية، وجعل اللغة العربية لغة رسمية، وفي هذا الإطار تم افتتاح ما بين 1947 و 1951م أربعة أقسام للذكور، ليصل عدد التلاميذ إلى 351 تلميذ، من بينهم 291 جزائري موزعين على سبعة أقسام، بمعدل 50 تلميذ في القسم الواحد، باستثناء قسم في الرويسات بـ 43 تلميذ، وقسم في انقوسة بـ 53 تلميذ.⁴

¹ M.Rouède, **Rapport sur la situation de l'enseignement primaire dans le département de Constantine**, imprimeur-Libraire-Editeur, Constantine, 1922, p26

² M.Rouède, Op.Cit, p26.

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 56

⁴ المرجع نفسه، ص 77.

جدول رقم(23): تطور حركة التعليم في المدارس العمومية بورقلة (1898-1951م)¹

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الأقسام
1898	50	1
1924	75	2
1951	351	9
المجموع	476	12

جدول رقم(24): تطور حركة التعليم في المدارس الخاصة بالآباء البيض بورقلة (1900-1951م)²

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الاقسام
1900	30	1
1903	50	1
1950	137	4
1951	203	6
المجموع	420	12

ثانيا / السياسة القضائية :

في إطار السياسة التعسفية المسلطة على الجزائريين من طرف الحكام والقياد والمتصرفين الإداريين، حاولت السلطة الاستعمارية إنهاء العمل بالقوانين الجزائرية وفقا للشريعة الإسلامية ، والعمل بالقوانين الفرنسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، على الرغم

¹ المرجع نفسه ، ص ص: 29-79

² دوني بيلي، المرجع السابق، ص ص: 29-79.

من رفض الجزائريين التخلي عن القوانين الإسلامية، هذا فيما يخص المناطق التلية (الشمال)، أما الجنوب فقد بقي القضاء على طبيعته التقليدية الذي يعتمد على الفقهاء وأهل العلم يفصلون في القضايا الهامة والنزعات المختلفة، هذا بالإضافة لدور شيوخ القبائل والاعراش في فض النزاعات والخصومات، وذلك بعدما يتم تشكيل مجلس قضائي متكون من شخصيات مشهود لها بالورع والتقوى والكفاءة في الحكم بالعدل. ومع بداية القرن العشرين شهد القضاء بالجنوب تغيرا وتطورا، وذلك في إطار تنظيم أقاليم الجنوب وفق مرسوم 24 ديسمبر 1902م، حيث شهد إنشاء محاكم مدنية خاصة بالفرنسيين والأجانب ومحاكم عسكرية خاصة بالأهالي.¹

وفيما يخص ورقلة قبل تنظيم الشؤون القضائية من طرف السلطة الفرنسية، كان القضاء يعتمد على السلطان الذي يمثل مختلف أعراش ورقلة، وهي التي تختار السلطان في إطار مجلس جماعي يتكون من إثنة عشر عضواً، ويعتبر هذا المجلس السلطان بمثابة القاضي الأساسي في استصدار الأحكام، ويتعين على كل الأعراش احترام أحكامه وتطبيقها وفقاً لعادات وتقاليد المنطقة، ومن الأمثلة على بعض القضايا القضائية، نجد يتم الحكم على السارق بتعليقه في عمود، مع الجلد في مكان عام، وفي ما يخص قضايا الخيانة الزوجية بالنسبة للمرأة، فإنها تتعرض لأقصى عقوبة بحكم العادات، ويتم نبذها من طرف زوجها، ومن أشهر قضاة ورقلة خلال القرن التاسع عشر الشيخ "محمد وليد سيدي عطا الله"، الذي عرف بعدله وحكمته في تصريف الأحكام.²

وخلال الثمانينات حينما استقر الفرنسيون نهائياً بورقلة، أنشأت السلطة الاستعمارية في 8 مارس 1888م أول محكمة عسكرية تنظر في قضايا الأهالي، وكانت هذه المحكمة تتكون من قاضي عسكري الذي هو رئيس المركز أو الإقليم، وباش عدل، وعدلين (مفردها عدل). بمثابة الشهود على إجراءات وأعمال القاضي

¹ M.Steeg, Op.Cit, p408

² Daumas ,Op.Cit, p 76- 77.

سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس، هذا بالإضافة إلى أعوان مساعدين من مثل (شاوس) يسهر على الانضباط في قاعة المحكمة ، والوكيل (ممثل الدفاع)، زيادة على محضر قضائي (اللّوسي) يسهر على تبليغ أحكام القاضي إلى الأشخاص المعنيين بجلسات المحاكمة¹. وتجدر الإشارة إلى أن تكاليف إجراءات المحاكمة في القضايا البسيطة لا تتعدى 300 فرنك، أما تكاليف القضايا الصعبة والمعقدة فهي تصل إلى 600 فرنك.²

وعقب تأسيس ملحقة ورقلة سنة 1902م تم إنشاء محكمتين بورقلة واحدة مالكية والأخرى إباضية، وأصبح الأوربيون القاطنين بالجنوب بما فيها ورقلة يخضعون للمحاكم العادية، بينما الأهالي يحاكمون عن طريق المجالس العسكرية بقسنطينة وباتنة، وفي حالة ارتكاب مخالفات تصنف في خانة الجنح البسيطة، فإن عرضها يتم أمام لجان تأديبية محلية، لا تنفذ قراراتها إلا بعد مصادقة الحاكم العام عليها. ويعتبر رئيس الملحقة بمثابة القاضي الذي يرتبط أساسا بمحكمة باتنة بمقتضى قرار جويلية 1887م، وكذلك الشأن بالنسبة لضباط الشؤون الأهلية بالملحقة الذين لهم دور المساعدين لوكيل الجمهورية بباتنة.

وحسب إحصائيات سنة 1915م بورقلة فقد تم رفع ثلاث حالات جنحة إلى المجلس العسكري بباتنة، الأوليتين تمثلا في القتل بالضرب والجرح، والثانية تمثلت في توزيع المخدرات على الشباب³، كما تم إحالة سبعة جنح إلى اللجنة التأديبية بتهمة الاختلاس ، وجنحة واحدة بتهمة التمرد والعصيان.⁴

¹ M.Steeg, Op.Cit, pp410-411

² Ibid, p 407

³ Ch.Lutaud, Op.Cit, p160

⁴ Ibid, p161

جدول رقم (25): الجنج والغرامات بأحكام مباشرة من السلطة المحلية بورقلة¹

الملاحقة	الأخطار	الشتيم من أعوان القياد	تشرّد	فضائح	احتجاجات كاذبة	السرقه
ورقلة	36	2	14	3	3	121

وللإشارة فإن المجالس التأديبية المحلية تتكون من الحاكم الأعلى أو قائد الملاحقة رئيسا، والقاضي، وضابط غالبا ما يكون برتبة نقيب²، وبعد صدور الأحكام المتمثلة أغلبها في شهرين حبسا مع دفع غرامة مالية مقدرة بـ 200 فرنك، يوضع المحكوم عليهم في السجن البلدي بورقلة، والأحكام المتعلقة بالمجالس العسكرية فيوضع أصحابها بسجن الكدية بقسنطينة أو سجن لومبارز بباتنة، وحسب تقرير النقيب هايس Hays رئيس ملحقة ورقلة، فقد تم رفع حالتين إلى وكيل الجمهورية بباتنة سنة 1949م، الحالة الأولى بسبب سرقة مجموعة من الإبل، والحالة الثانية بسبب الضرب والجرح³، ويذكر تقرير فرنسي حول معدل الجرائم والمخالفات الأهلية في الجنوب سنة 1913م، أنه تم إحالة 82 قضية على المجلس العسكري، و136 قضية على المجالس التأديبية، و4371 قضية حول الغرامات المالية التي دفعت بسبب المخالفات مباشرة إلى حاكم الملاحقة⁴.

وفيما يخص وضعية المساجين في مختلف سجون مناطق الجنوب (ورقلة، الوادي، تقرت، بسكرة، الاغواط) فهم يعانون معاناة كبيرة متشابهة، يعاملون باحتقار

¹ Ibid, p162

² M.Steeg, Op.Cit, p 416

³ Rapport mensuel , Dossiers de P.J. transmis au procureur de Batna, C.D.A.W.O, B 410

⁴ M.Steeg, Op.Cit, p 418

وازدراء، ويشغلون صباحا ومساء ، فالبعض يشغل في بساتين العساكر والحكام، والبعض الآخر يدير الآلات التي تخرج الماء من الآبار، وفي منتصف النهار يرجعون إلى السجن ويتسلم كل منهم قوته الذي يتألف من رطل ونصف من خبز الفرينة الرديئة ورطل من تمر تقرت والجزء العشرين من ليتر الزيت كل هذا للغذاء والعشاء. وبعد الغذاء يخرجون عند الساعة الأولى بعد الزوال إلى عملهم كالعادة حتى الساعة السادسة فيعودون للسجن وتغلق خلفهم الأبواب ويجلسون للاستراحة. وبعد أكلهم العشاء وأدائهم العشاء، وهكذا دواليك.¹

جدول رقم (26): بعض الخبوسين بالسجن البلدي بورقلة سنة 1949²

الاسم واللقب	التهمة	تاريخ الاعتقال
لعور بشير	السرقه	1949/3/10
قدوري احمد	السرقه	1949/3/10
بن منصور احمد	السرقه	1949/5/12
ماضوي علي	السرقه	1949/5/18
بن تسليب براهيم	السرقه	1949/6/6

خلاصة الفصل:

ما من شك في نهاية هذا الفصل نخلص إلى أن السياسة الاستعمارية بورقلة قد أفرزت جملة من التحولات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ، والتي كان لها الأثر البالغ على المجتمع الورقلي، وهذا تطبيقا للسياسة الاستعمارية المفروضة على المناطق

¹ البصائر، ع 167، السنة الرابعة، الجمعة 26 ماي 1939 م

² Rapport mensuel , Etat des musulmans détenus à la geôle municipale, C.D.A.W.O, B 410

الصحراوية ، والتي لخصها الدكتور جمال قنان في قوله التالي : "إحكام القيد على هذه المنطقة، والعمل على إماتها ببطء، مستخدمة في ذلك سياستها المفضلة التي اختبرت فعاليتها في الجزء الشمالي من البلاد وبشكل أكثر قوة وعنف، والمتمثل في الإرهاب والقهر والطغيان بجميع أشكاله وصوره".¹

ويمكننا القول إداريا أن السلطة الاستعمارية فرضت سياسية إدارية تضمن بها الاستقرار للفرنسيين في المنطقة، والتحكم والسيطرة في إفردتها بتعين قياد وباشاغوات يقمعون الأهالي بدون وازع ولا رقابة من أي كان، إلى جانب ما يمارسونه من قمع بوليسي، كما أن قانون 24 ديسمبر 1902م جعل ورقة ثكنة عسكرية يخضع من بداخلها إلى قوانين عسكرية صارمة مثلها مثل بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فكل حركة تنقل تخضع لترخيص أو تصريح.

واقتصاديا تراجعت التجارة الصحراوية بسبب تغير مسارات القوافل التجارية إلى مسارات أخرى بعيدا عن أعين الفرنسيين وقطاع الطرق، مما أفقد ورقة مكائنها التجارية، وفقدتها لمتوجاتها التقليدية (كالتمرور والمنسوجات) أسواقها التجارية لصالح المنتجات الأوروبية، أضف إلى ذلك أن فقدان ورقة لمكائنها الاقتصادية بين الحواضر الصحراوية أدي بها إلى قطع الروابط التجارية بينها وبين بلاد السودان الغربي وبلاد جنوب الصحراء، زيادة على هذا نرى أن السلطة الاستعمارية كبلت وقيدت الأهالي بأنواع مختلفة من الضرائب المجحفة، بحيث لم تترك لأهالي ورقة أية فرصة لتكوين أي شكل من أشكال الثروة الشخصية، هذا ناهيك عن اغتصاب الأراضي الزراعية، والاستيلاء على الآبار الارتوازية، خاصة بعدما أصدرت الولاية العامة في جويلية

¹ جمال قنان ،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر،الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994،ص 151

1915م قانون ينص على عدم حفر أية بئر بالأراضي التي يمتلكها الأهالي إلا بعد الحصول على رخصة من الإدارة الاستعمارية.

أما اجتماعيا فقد انتشرت مظاهر البؤس والحرمان والمجاعة نتيجة سنوات القحط والجفاف، وهجمات الجراد على المحاصيل الزراعية، مما نتج عنه تراجع كبير في إنتاج الحبوب، الأمر الذي دفع بالكثير من الورقليين خاصة البدو الرحل إلى الهجرة بحثا عن العمل والقوت لأنفسهم ولحيواناتهم، كما أن تدهور المستوى المعيشي قد أدى هو الآخر إلى التدهور في الحالة الصحية للفرد الورقلي بسبب النمط الغذائي السيئ، وانتشار الأمراض المعدية والتي أدت بدورها إلى هلاك الكثير من الأشخاص، ويبدو لنا أن تدهور الحالة الاجتماعية لسكان الصحراء بصفة هامة هو قصور المبادرة لدى السلطة الاستعمارية التي اتبعت في سياسة الأهالي سياسة الإهمال واللامبالاة وغض الطرف عنهم دون الاكتراث بتحسين مستواهم الاجتماعي والاقتصادي. وفي مجال التعليم نرى أن الإدارة الاستعمارية مارست نوعا من التمييز العنصري بين أبناء الأوروبيين وأبناء الأهالي، وهي سياسة مقصودة الغرض منها القضاء على الهوية الوطنية، والحرص على عدم نشوء نخبة وطنية قد تهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة، وهذا ما سنلاحظه في الفصل الآتي الذي يبين أن إرادة المجتمع الورقلي في الدفاع عن هويته ووطنيه أقوى بكثير من إرادة القمع والتسلط الاستعماريين.

الفصل الخامس

الثورة التحريرية في ورقلة 1954-1962م

المبحث الأول:

الإرهابات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية

المبحث الثاني:

موقف سكان منطقة ورقلة من اندلاع الثورة التحريرية

المبحث الثالث:

مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة

المبحث الأول: الإرهاصات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية 1954م:

أولا/ مظاهر المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار قبل اندلاع الثورة التحريرية:

لقد كان اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م نتيجة ترسبات تاريخية لنضال الشعب الجزائري منذ 1830م، حيث هبّ الشعب الجزائري منذ البدايات الأولى لعملية الغزو الفرنسي للجزائر منتفضا ورافعا لواء المقاومة مدافعا عن حريته وأرضه ومقدساته، رافضا كل أنواع الغطرسة والفرئسة والنصرّة والدمنّجة، فكانت البداية مع الدّاي حسين¹ لصد العدوان وعدم سقوط مدينة الجزائر في يد قوات الاحتلال الفرنسي، ثم انتشر مدد المقاومة نحو الغرب حيث قاد الأمير عبد القادرة مقاومة شرسة ضد التوسع الفرنسي في هذه المنطقة، وفي الشرق ظهرت مقاومة الحاج أحمد باي، ليتسارع مدد المقاومات الشعبية في مختلف أرجاء القطر الجزائري يذودون عن ديوهم ووطنهم مستبسلين في وجه الطغاة، فظهر الشريف بوبغلة ولّالا فاطمة نسومر في منطقة القبائل، والشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة وناصر بن شهرة في الجنوب الشرقي، والشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ بنواحي البيض، ومقاومة المقراني والحداد بنواحي الشرق والهضاب العليا، ومقاومة الشيخ آمود بأقصى الجنوب الجزائري، واستمرت هذه المقاومات الشعبية إلى بداية القرن العشرين، غير أن هذه المقاومات فشلت بفعل تفاعل عدة عوامل، أهمها عدم التخطيط المحكم في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وارتباط هذا المقاومات بزعمائها، زيادة على ذلك عدم توحيدها وعدم التنسيق فيما بينها جعلها

¹ هو حسين بن الحسن آخر دايات الجزائر، ولد في مدينة أزمير التركية حوالي عام 1773م، تلقى تكويننا خاصا، وبعدها أرسل إلى القسطنطينية لمزاولة دراسته في مدرسة خاصة كجندي بسيط، بعدها تدرّج في العسكرية من درجة جندي بسيط إلى متخصص في المدفعية، وقد كان على دراية كبيرة بفنون الحرب كما اشتهر منذ صغره بميولاته الدينية فكان على قدر كبير من الثقافة الإسلامية كحفظه للقرآن والتزامه بأحكام الشريعة الحمديدية، تولى الحكم في الجزائر بناء على وصية من الحاكم السابق عمر باشا قبل وفاته، فتمت مبايعته من طرف الوزراء و الأعيان والعلماء والأشراف في 1 مارس 1818م، ليبقى في الحكم إلى غية احتلال الجزائر عام 1830م، من طرق الاستعمار الفرنسي، بعدها نفي إلى إيطاليا ومكث فيها مدة ثلاث سنوات ماين 1830م و1833م، وبعدها استقر نهائيا في الإسكندرية إلى أن وافته المنية عام 1838م.

سهلة القضاء عليها من طرف القوات الفرنسية، بالإضافة إلى وجود بعض الخيانات الداخلية في صفوف رجال المقاومة، دون أن ننسى الخلافات الشخصية بين المقاومين والتي كانت تغذيها الإدارة الاستعمارية بطرقها الخاصة.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين ظهرت المقاومة الجزائرية بأسلوب جديد يختلف عن المرحلة السابقة¹، عرف بأسلوب المقاومة السياسية² أو ما أطلق على تسميته في هذه الفترة بالحركة الوطنية الجزائرية والتي شملت مختلف الأحزاب السياسية والجمعيات الإصلاحية، حيث أخذت على عاتقها استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال

¹ يمكننا حصر ظروف الانتقال من أسلوب المقاومة الشعبية إلى أسلوب المقاومة السياسية في النقاط التالية:
أولا /الداخلية: بروز نهضة فكرية وإعلامية بقيادة جماعة من المثقفين الجزائريين وكان من نتائجها بداية تبلور الوعي الوطني والقومي عن طريق الصحافة الوطنية المناضلة باللغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى بروز النوادي والجمعيات الثقافية والتي شكلت المنابع الفكرية والنواة السياسية للحركة الوطنية.

ثانيا/ الخارجية: ظهور في العالم العربي والإسلامي بؤادر نهضة إسلامية تحريرية على يد كوكبة من المفكرين والعلماء المسلمين مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد العزيز الثعالبي، حيث كانوا يدعون إلى التحرير السياسي والتصدي للاستبداد والاستعمار، بالإضافة إلى احتكاك الجزائريين وخاصة المثقفين منهم بالعالمين العربي والإسلامي وبالعالم الأوروبي، وتأثرهم بالأحداث والتطورات، مما جعلهم يتعرفون على أنواع جديدة من الكفاح لم يستعملوها من قبل أو استعملوها في حدود ضيقة، مثل الثورة المهدية بالسودان سنة 1899م، والانقلاب العثماني سنة 1908م، واحتلال ليبيا سنة 1911م، وفرض الحماية على المغرب سنة 1912م، زيادة على عامل الهجرة نحو أوروبا، خصوصا خلال الحرب العالمية الأولى، حيث جند الفرنسيون أعدادا كبيرة من الجزائريين وفتحوا لهم أبواب العمل في المصانع الحربية، ولقد شاهد هؤلاء المهاجرون نمط الحياة الفرنسية الرغبة مما دفع بهم إلى محاولة تغيير لغة الخطاب مع الفرنسيين.

² أول من استعمل الأسلوب السياسي كشخص بعد أن سقطت العاصمة في أيدي القوات الفرنسية هو حمدان بن عثمان خوجة حيث تولى الدفاع عن المعاهدة المعقودة بين الدّاي والفرنسيين، خاصة ما كان متعلقا باحترام الممتلكات والأعراض والشعائر الدينية، حيث دافع بلسانه وقلمه وماله واتصالاته المتعددة، وهو الذي تولى تقديم مذكرة بعنوان : "المرأة" إلى السلطات الفرنسية ،ينظر: حمدان بن عثمان خوجة ، المرأة ، تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1975

بوسائل جديدة أكثر نجاعة، فكانت البداية مع حركة الشبان الجزائريين التي تأسست سنة 1892م، ثم حركة الأمير خالد¹ السياسية الإصلاحية سنة 1924م، ثم نجم شمال إفريقيا سنة 1926م بقيادة مصالي الحاج²، ثم ظهرت جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م برئاسة شيخها عبد الحميد بن باديس³، وفي سنة 1935م ظهر الحزب الشيوعي الجزائري، وما بين الحربين ظهر حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، بعدما تم حل نجم شمال إفريقيا من

¹ ولد خالد الهاشمي بن عبد القادر (الأمير) يوم 20 فيفري 1875م بدمشق، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ودرس اللغتين العربية والفرنسية، واصل دراسته الثانوية بباريس بثانوية لويس الأكبر بعد أن عادت عائلته إلى الجزائر سنة 1892م، انضم إلى الكلية الحربية الفرنسية المعروفة بسان سير التي تخرج منها عام 1897م، شارك مع الفرنسيين في حملات عسكرية ضد المغرب سنة 1907م، وفي الحرب العالمية الأولى سن 1914م، بعدها انسحب من الجيش الفرنسي سنة 1919م واستقر بالجزائر، لبدأ نشاطه السياسي ضد الفرنسيين على جبهتين الأولى: التصدي لدعاة الإدماج والداعين إلى التجنس بالجنسية الفرنسية، والثانية ضد غلاة المعمرين والنواب الفرنسيين، غير أن السلطة الاستعمارية وبسبب نشاطه السياسي قامت بنفيه إلى القاهرة سنة 1923م، ثم انتقل إلى سوريا سنة 1926م، وعلى الرغم محاولاته المتكررة للعودة إلى الجزائر إلا أن السلطات الفرنسية وقفت له بالمرصاد إلى غاية وفاته بدمشق بتاريخ 09 جانفي 1936م،

² هو أحمد بن مصالي الحاج ولد بمدينة تلمسان في 16 مايو 1898م، يعتبر أحد زعماء السياسيين للحركة الوطنية الجزائرية، بدأ نشاطه السياسي سنة 1926م بتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1937م، ثم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م وأخيرا حزب الحركة الوطنية الجزائرية، وبسبب نشاطه السياسي وطالبته باستقلال الجزائر سجن مرات عديدة في فرنسا والجزائر، وتم نفيه إلى برازافيل عام 1945م، وعند اندلاع الثورة المسلحة في 1 نوفمبر 1954م كان موقف مصالي الحاج معارضا للكفاح المسلح متمسكا بالعمل السياسي، وفي هذا الإطار أسس عام 1954م حزب الحركة الوطنية الجزائرية الذي كان الحزب الوحيد الذي لم ينخرط في الثورة، وقد وضع مصالي الحاج في تلك الفترة تحت الإقامة الجبرية بأنغولا، ثم شارنت بفرنسا، وهناك توفي بالعاصمة الفرنسية باريس في 3 جوان 1974م، ودفن بمقبرة الشيخ السنوسي بمسقط رأسه. ينظر:

Benjamin Stora , **Messali Hadj (1898-1974)**, L'Harmattan, Paris, 1986

³ هو الإمام عبد الحميد بن باديس من مواليد 1889م بقسنطينة، يعتبر من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، حارب السياسة الاستعمارية الداعية إلى القضاء على الشخصية الإسلامية والهوية الوطنية، وظل على ذلك إلى أن وافته المنية في 16 أبريل 1940م، ترك العديد من المؤلفات الفكرية منها: مبادئ الأصول، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، مجالس التذكير،... وغيرها.

طرف الإدارة الاستعمارية، ولقد مثلت مختلف هذه التشكيلات ثلاثة اتجاهات وهم: الاتجاه الاستقلالي، والاتجاه الإدماجي، والاتجاه الإصلاحية.

وعلى الرغم من المجهودات النضالية التي بدلتها الحركة الوطنية الجزائرية لمواجهة السياسة الفرنسية، إلا أنها فشلت هي الأخرى في تحقيق طموحات الشعب الجزائري، خصوصا بعدما ارتكبت السلطة الاستعمارية مجازر دموية في 8 ماي 1945م، والتي راح ضحيتها أزيد من 45 ألف شهيد، وبذلك اقتنع الشعب الجزائري أن أسلوب المقاومة السياسية لم يعد يجدي نفعا، وأن السبيل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية هو العمل العسكري المسلح، وعليه اخذ يتم التحضير للثورة المسلحة ضد الجيش الفرنسي، حيث تم تأسيس منظمة عسكرية خاصة سنة 1947م مهمتها التحضير والإعداد للثورة المسلحة.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عوامل خارجية ساعدت على الإعداد لتفجير الثورة الجزائرية، ومنها ظهور حركات تحررية على المستوى الإفريقي والآسيوي، وظهور منظمات دولية تطالب الدول الاستعمارية بإعطاء حق تقرير مصير الشعوب المستعمرة، من خلال مبادئ ويلسون الأربعة عشر، وميثاق سان فرانسيسكو الداعي إلى تصفية الاستعمار 1945م، زيادة على انعكاسات الحرب العالمية الثانية ودورها في تغيير الفكر الوطني والقومي، بالإضافة إلى سقوط أسطورة الرجل الأوربي الذي لا يقهر بعدما تكبدت فرنسا هزيمة نكراء في معركة "ديان بيان فو" بالفيتنام سنة 1954م.

إذن كانت هذه الأسباب كفيلة باندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، والتي عمت مختلف أنحاء الوطن واحتضنها الشعب الجزائري ودعمها، بكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية بدافع الغيرة على الدين والعرض والوطن والاستماتة من أجلهم، على الرغم من الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها تحت السيطرة الاستعمارية، خاصة المناطق الجنوبية التي كانت تعيش تحت قمع الحكم العسكري.

لقد نقلت الثورة عملها السياسي و العسكري إلى الصحراء الجزائرية منذ غرة نوفمبر 1954م حسب شهادات بعض المجاهدين¹، وإذا خصصنا منطقة ورقلة، فإن أغلب المراجع والمصادر خاصة شهادات المجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة، تتفق على أن النشاط الفعلي للثورة في المنطقة، كان ابتداءً من سنة 1955م، وبرز أكثر ابتداءً من سنة 1956م، لاسيما بعد إضافة منطقة الصحراء كولاية سادسة طبقاً لمقررات مؤتمر الصومام، وهذا لا يختلف تقريباً مع الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها، والتي أكدت أن التنظيم الثوري لجهة التحرير الوطني بمناطق الجنوب الجزائري كان منتشرًا بقوة بين 1956م و 1959م.²

ثانيا/الإرهاصات السياسية :

على الرغم من وجود منطقة ورقلة تحت الحكم العسكري الجائر طيلة العهد الاستعماري تقريباً، ورغم موقعها الجغرافي البعيد ، ومناخها الصحراوي القاسي، إلا أنها لم تكن معزولة عن تطور الأحداث السياسية في الجزائر، وقد كانت حاضرة بقوة في الحراك السياسي في العقد الثاني من القرن العشرين ، ويمكننا حصر هذه الإرهاصات في النقاط الآتية:

1- **التجنيد الإجباري:** بعد إصدار السلطات الفرنسية لمرسوم 03 فيفري 1912م، الخاص بتجنيد الأهالي الجزائريين في الجيش الفرنسي، تعالت أصوات المعارضة والاحتجاج من مختلف المدن الجزائرية، فبعض الأهالي سلكوا مسلك التظاهر إلى حد الشغب والبعض الآخر بعث بالوفود، وبعضهم لجأ إلى الجبال والمناطق النائية، وآخرون هاجروا البلاد كلية هروباً من نير التجنيد. وما كان من السلطات الفرنسية إلا أن استعملت القوة والقسر لاقتياد الشبان الجزائريين المعنيين بقانون التجنيد (أي البالغين سن الثامنة عشرة سنة) إلى الثكنات العسكرية. أما فيما يخص منطقة ورقلة فقد استغل شبان

¹ يوسف مناصريه، «بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري»، مجلة المصادر

، م.و.د.ب.ج.و.ث.ا.ن، ع5، 2006، ص 121.

² Rapport mensuel , , les Territoires du Sud 1957 ,A.O.M , OA4.

ورقلة سنة 1916م التجنيد الإجباري في صفوف الفرنسيين إلى أبعد الحدود، حيث مكّنتهم من اكتساب خبرة عسكرية في استخدام السلاح، وإستراتيجية الدفاع والمواجهة، هؤلاء الشبان كان لهم الفضل الكبير في بعث الفكر السياسي والثوري بين الأهالي.

2- تأثر الورقالية بالأحداث العربية والإسلامية في إطار الهجرة: هاجر بعض الورقاليين سنة 1922م إلى تونس، وليبيا وصولاً إلى المشرق العربي تحت غطاء أداء مناسك الحج، وهناك درسوا وتعلّموا الشريعة والسياسة والتاريخ، وتعرفوا على بعض رجالات الفكر والإصلاح، وعاشوا بعض التطورات السياسية التي شهدتها العالم الإسلامي مثل سقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924م، ومن أمثال هؤلاء: الشهيد شنين قدور¹ الذي حاول في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين إنشاء فرع لجمعية العلماء المسلمين بورقلة، وذلك انه صادف نشاطهما بقسنطينة أثناء تواجده هناك، فاتفق مع صديق له أن يهيئ له الأجواء وتعبئة سكان ورقلة لتقبل مشروع تأسيس فرع الجمعية، وهذا ما حدث فعلاً، حيث تم الاتفاق مع القاضي بالعلمي، وعمار خيراني، والصيد برجال، وبحضور وفد عن جمعية العلماء المسلمين بقسنطينة عقد الاجتماع بمسجد المالكية، غير أن هذا الاجتماع فشل بسبب اكتشاف السلطة الاستعمارية بمكان وزمان عقد الاجتماع، بعدما علمت بالأمر من أحد أعيانها المخبرين والمندسين، وروجّت لدعاية مفادها أن هؤلاء المجتمعين ينتمون

¹ من مواليد 1909م بقرية بامنديل بورقة، نشأ وترعرع في وسط عائلي متواضع، ولما شب امتحن حرفة التجارة ومع بداية الأربعينيات وسع في نشاطه التجاري ليشمل تجارة السلاح، وبسببها اعتقل سنة 1944م من طرف القوات الفرنسية لمدة ثلاثة أشهر في سجون الاحتلال بورقلة، وغرداية، والبرواقية، والحراش، وعقب اندلاع الثورة التحريرية التحق بصفوف المنظمة المدنية لجهة التحرير الوطني بورقلة سنة 1956م، وعمل إلى جانب إخوانه بكل تفاني إلى أن تفتنت له السلطة الاستعمارية فاعتقلته مرة أخرى رفقة بعض المجاهدين وذلك في 18 ديسمبر 1957م جو بارد جدا إلى محتشد عين البيضاء بورقلة وعذب ونكل به، وتم رميه في بئر عميقة رفقة بعض المجاهدين، وتم إغلاقها بالاسمنت المسلح. ينظر: عبد الحميد نجاح، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، الوادي، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، الآمال للطباعة، 2003، ص: 47-48

إلى الحركة الوهابية¹، وقد جاؤوا من اجل محاربة الطرق الصوفية والزوايا، ومحاربة بعض عادات وتقاليد السكان، فاجتمع بعض الناس الطرقيين لرفض هذه الجمعية، مرددين القول الشائع آنذاك ((إبليس ولا بن باديس)).²

هذا بالإضافة إلى أشخاص آخرين كان لهم دور في الحياة السياسية والاجتماعية، ونخص بالذكر كلا من: ميلودي الطاهر بن عمار³، والشهيد عمار خيراني، الذين حاولوا في سنة 1951م تأسيس جمعية إسلامية⁴، تهدف إلى محاربة سياسة التنصير، والتي كانت قد بلغت ذروتها بورقلة سنة 1923م، أضف إلى ذلك الشهيد الحاج سيد روهو الحاج، وسيد روهو محمد الصالح، ولعلام عبد القادر، وابن محسن محمد، وعيساوي عبد القادر الذين، جلول بن جلول بن مبارك⁵، كلهم درسوا بتونس بدءاً بالمدرسة الخلدونية، ثم جامع الزيتونة إلى أن تخرجوا منه. بالإضافة إلى عبد القادر الأخضر السائحي الذي درس المرحلتين الابتدائية والثانوية بجامع الزيتونة وفروعه، وكذا المجاهد البشير الذي كان طالبا بالمدرسة الخلدونية وتوقف عن الدراسة سنة 1957م، تلبية لنداء الواجب الوطني.⁶

¹ نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهي حركة دينية إصلاحية شاملة ظهرت في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر.

² شهادة شنين الحاج (شقيق الشهيد شنين قدور)، مخطوطة، دون تاريخ

³ كان من الطلبة الذين درسوا بالزيتونة بتونس، حيث تأثر بأحداث الحركة الوطنية التونسية آنذاك، ومن آثاره انه اشتهر بمقولة تاريخية حين شاهد الكتابات الحائطية التي تندد بالسياسة الفرنسية في تونس، والمطالبة بخروجها من الأراضي التونسية، حيث قال: "والله لو علمنا أن الكتابة على الجدران تخرج فرنسا، لكننا قد كتبنا بالشواقي، واعلموا أن فرنسا لن تغادر أرضينا سوى بالاتحاد وقوة السلاح". ينظر: عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص 47

⁴ المرجع نفسه، ص 47.

⁵ جلول بن جلول بن مبارك من الطلبة الذين درسوا بجامع الزيتونة (الجامع الأعظم)، حيث استفاد من الإعانة المالية من الحكومة التونسية بسبب انقطاع المدد عنهم نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية سنة 1942م. ينظر:

(106.107.108) A.N.T, sérir E, Boit35,dossier28, n°

⁶ شهادة مصورة ومسجلة للمجاهد البشير البشير، بتاريخ 2005/06/06، متحف المجاهد بتقرت

وفيما يخص عدد الطلبة الزيتونيين ليس هناك إحصائيات عديدة ثابتة، غير أن الوثائق الأرشيفية التونسية أكدت أنه بعد الحرب العالمية الثانية كان عدد الطلبة الجزائريين القادمين من الجنوب الجزائري قليل مقارنة بطلبة الشمال، دون تحديد الانتماء الجغرافي لهم، وهنا يمكن طرح التساؤل: ما أسباب قلة التعداد الطلابي الورقلي الزيتوني؟، في نظريا قد يعود ذلك أربعة أسباب رئيسية وهي كالآتي:

- طبيعة الحكم العسكري القمعي في الجنوب الجزائري، وانعكاساته على الأهالي.
- انعكاسات الحرب العالمية الثانية على الطلبة الجزائريين الزيتونيين، حيث توقف المدد المالي للطلبة من طرف أهاليهم، وعدم قدرتهم على العودة إلى ديوهم، الأمر الذي دفع بهم طلب المساعدة من الحكومة التونسية، ومن بعض الجمعيات الخيرية التونسية. وهذا ما أكدته المراسلة الآتية:

« الحمد لله نسخة مكتوب وزيرى لجمعية الأوقاف فى 14 محرم 1362هـ وفى 20 جانفى 1943م

وبعد: بناء على ما حل بتلامذة الجامع الأعظم وغيرهم من تلامذة المعاهد الأخرى الذين أصلهم من الآفاق من انقطاع المدد عنهم بسبب الظروف الراهنة، فقد اقتضى الأمر أن تمدهم الدولة بالإعانة، لتمكينهم من الاستمرار على مزاولة التعليم، وحيث انه يحسن أن تتولى الجمعية توزيع الإعانة المذكورة (بحساب خمسة عشر فرنكا فى اليوم الواحد لكل واحد منهم) على مستحقيها مثلما وقع إشعاركم بذلك شفها بالمراد أن تستمر الجمعية على توزيع ما ذكر إلى أن يصدر لها الإذن بما يخالف ذلك وتقيم ما يقع إنفاقه فى الغرض بحساب خاص ليعطى لها من مال الدولة فيما بعد، بعدما أعلمناكم بذلك ودمتم. 1942/12/30»¹.

- الإجراءات التعسفية الصادرة عن المكاتب العربية ومصالح الإدارة الاستعمارية بخصوص إعطاء رخصة التنقل، وفي ذلك يذكر الدكتور خير الدين شترة: «أن الطلبة

¹ A.N.T, séries E, B35 , dossier 28, doc n°19

الجزائريين الذين يرغبون في إتمام دراستهم بتونس يكونون عرضة لإجراءات معينة من قبل سلطات الأشرف عن طريق المصالح الإدارية والمهنية، ولم تكتف السلطات الفرنسية بهذه الإجراءات، بل طلبت من القياد وأعوأهم القيام بتحقيق سري يتضمن معلومات حول كل طالب يرغب في الحصول على ترخيص السفر للثبت من سيرته وانتمائه السياسي وولائه لفرنسا ومد إدارة الأمن بتقرير في الموضوع»¹.

- عدم وجود جمعية علمية أو معهد ديني في ورقلة في مستوى جمعية العلماء المسلمين، أو مستوى معهد ابن باديس بقسنطينة، يسهر على إرسال بعثات طلابية إلى تونس للدراسة، وهذا بالرغم من جود مناطق مجاورة لها كان لها فضل كبير في إرسال طلبتها إلى تونس، مثل معهد الحياة² بوادي ميزاب، وجمعية الفلاح بتقوت³.

¹ خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص: 974-975

² تأسس هذا المعهد سنة 1925م، وقد أسسه العلامة الشيخ ابراهيم بيوض، في إطار حملته الإصلاحية، و أطلق عليه في أول عهده اسم : معهد الشباب ، شعاره الخلق و الدين قبل الثقافة، ومصلحة المجتمع قبل مصلحة الفرد، وكان طلبته يصعدون مجلة أسبوعية بخط اليد سميت مجلة الشباب، ثم أطلق عليه معهد الحياة سنة 1937م بعد تأسيس جمعية الحياة من طرف الشيخ بيوض و التي كانت تشرف عليه، و تدرس فيه المراحل المتوسطة أو الاكاديمية، و الثانوية، ومرحلة التعليم العالي في الشريعة الإسلامية.

³ يعود الفضل في تأسيس جمعية الفلاح إلى الشيخ الحشاني العمري، والشيخ احمد بن العربي جاري، والشيخ بشير بكالة، وقد كانت هذه الجمعية الإصلاحية تشرف على البعثات العلمية إلى جامع الزيتونية بتونس، وقد ترأس احمد جاري أول دفعة أرسلتها هذه الجمعية والتي كانت تتكون من: " علي كافي، محمد كافي، محمد بورقعة ، المولدي بن أمحمد، عبد الحميد عقال " ، ثم تحولت الى مدرسة حرة عام 1940م، إلا أن الإدارة الاستعمارية قامت بغلقها سنة 1958م بأمر من الحاكم، ومما يروى عن الذين عاصروا فترة الحركة الوطنية بالمنطقة ، انه عندما رفض الحاكم العام إعطاء رخصة فتح أبواب مدرسة الفلاح من جديد، فما كان من الشيخ احمد العربي جاري إلا أن هدد الحاكم العسكري بمقابلة الوالي العام بالعاصمة وهدده بهذه العبارات : (إن لم تسلمنا الرخصة وهي من حقنا كأمة فسأعلن انضمامي إلى الحزب الشيوعي وسأكون من أعضائه وستفتح أبواب المدرسة رغم أنوفكم)، مع العلم أن الحزب الشيوعي بالمنطقة كان له نفوذ قوي وله القدرة الكافية على مواجهة الحاكم العسكري. ينظر: شهادة المجاهد علي كافي مصورة ومسجلة ، ديسمبر 2004، بمتحف المجاهد تقوت.

3- تطور الوعي السياسي : لم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى تطور الوعي السياسي أكثر مما كان عليه في السابق، وذلك بسبب النشاط القوي الذي فرضته الحركة الإصلاحية والحركة الكشفية داخل وخارج حدود المنطقة ،فداحليا كان للكشافة الإسلامية في تقرت بقيادة الشهيد بحري عظامو¹ دور كبير في تأسيس فرع كشفي بورقلة،وهو ما أكده دوني بيلي قائلا: «أنه في سنة 1951م تأسست الحركة الكشفية للفتيات بورقلة»²،زيادة على بروز مختلف التشكيلات السياسية والإصلاحية على مسرح الأحداث خاصة في سنة 1943م بقيادة احمد خليل ومحمد الصيد برجال.

أما خارج حدود المنطقة فقد كان لبعض الورقليين المقيمين بتونس دور فعال في الحركة السياسية والتعبئة الثورية بالمنطقة، فحسب شهادة المجاهد حجاج عبد القادر الذي كان مقيما وعاملا بتونس،انه كان عضوا نشطا في التنظيم النقابي برئاسة فرحات حشاد³،غير أن السلطة الاستعمارية ألقت عليه القبض رفقة بعض المناضلين التونسيين، واعتقلته لمدة يومين على ذمة التحقيق، ليصدر في حقه الطرد والنفي إلى بلده الجزائر عائدا إلى ورقلة سنة 1954م، وأنداك بدأ ينشط ضمن الخلايا المدنية الثورية التي بدأت

¹ ولد عظامو محمد البحري خلال سنة 1924م بتقرت، درس مبادئ اللغة العربية في الكتاب ثم كما التحق بالمدرسة الفرنسية، يعود له الفضل في تأسيس أول فوج كشفي بتقرت سنة 1945م، انتقل رفقة عائلته إلى الجزائر وعمل بالإذاعة، وبعد اندلاع الثورة انخرط في صفوف المنظمة المدنية بالعاصمة وظل ينشط إلى أن اغتالته عناصر اليد الحمراء سنة 1961م.

² دوني بيلي ، المرجع السابق، ص79

³ فرحات حشاد من مواليد 2 فيفري 1914م بالعباسية،وهو زعيم سياسي ونقابي تونسي.لمع نجمه بعد تأسيسه للاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946م،واكتسب شعبية عارمة بين الطبقة العاملة وكل مكونات الشعب التونسي، اغتيل على يد عصابة من الفرنسيين المقيمين بتونس (اليد الحمراء) برادس الضاحية الجنوبية للعاصمة تونس يوم 5 ديسمبر 1952م،كما يعتبر أحد أهم رجالات الحركة الاستقلالية في تونس إلى جانب الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف.

تشكل في المنطقة¹، هذا بالإضافة إلى أن الدكتور خير الدين شترة، وبناء على تقرير حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام تونس في نهاية 1920م ذكر: « أن بعض الجزائريين كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري معا، وهم كلهم ثقة بان كل المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعية»، وبخصوص الورقية فمن بين الشخصيات التي كانت تنشط في هذه الجمعية الدينية السيد بكير بن الحاج عيسى بن بكير بن يعقوب.²

4- تبلور النشاط السياسي تحت غطاءات ثقافية ورياضية: أفادت بعض التقارير الفرنسية أنه لم يكن هناك وجود لأحزاب سياسية مثلما هو موجود في مناطق الشمال، غير أنه بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت هناك بعض النشاطات السياسية لا تأثير لها على السيادة الفرنسية بالمنطقة.³

قد تكون هذه الإفادة صحيحة، لأنه في نظرنا تكون فرنسا في تلك الفترة منشغلة بالحرب من جهة، بالإضافة إلى غطسة الحكم العسكري المسلط على الأهالي من خلال فرض الرقابة الشديدة على أية حركة تمس الأمن والاستقرار الفرنسي من جهة ثانية، غير أن شهادات بعض المجاهدين تكذب هذه الإفادة على أساس أن نشاطاتهم السياسية لم يصرحوا بها وكانوا يقومون بها في السر تحت غطاءات ثقافية ورياضية، مثل الفرقة

¹ شهادة المجاهد حجاج عبد القادر مصورة ومسجلة، جويلية 2005، كما يذكر نفس المجاهد أن أول خلية نشط معها بورقلة شملت كلا من السادة: زويدي عبد القادر، شنين قدور، صفرائي عبد القادر، حروز محمد، محمد الصيد برجال.

² خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 361

³ Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires du Sud 1942 , C.D.A.W.O, B21 .voir aussi :

Rapport Mensuel du sud Algérien , mois de juin 1929, A.N .T, série E, dossier 63.

Rapport Mensuel du Sud Algérien , mois de Décembre 1932 , A.N .T, série E , dossier 49

الاولمبية الورقالية التي تأسست سنة 1948م.¹ زيادة على وصول بعض الجرائد بطرق سرية ممنوعة إعلاميا من طرف الإدارة الفرنسية مثل جريدتي "الدفاع" و "البصائر".²

ويذكر دوني بيلي *D.Pillet* أن تبلور النشاط السياسي في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية يعود إلى اللقاءات التي كانت تعقد في الجزائر العاصمة بين طلبة من العاصمة ومجموعة من الطلبة الورقاليين في الفترة ما بين 1942م و1943م، وعند رجوعهم إلى ورقلة سنة 1946م، كوّنوا خلية حزب انتصار الحريات الديمقراطية والتي كانت مرتبطة بخلية تقرت وجامعة.³

ولعل المظهر السياسي الوحيد الذي أشارت إليه التقارير الفرنسية هو مشاركة فرع حركة انتصار الحريات الديمقراطية بورقلة في الانتخابات الخاصة بإنشاء أول مجلس جزائري يوم 4 أفريل 1948م،⁴ حيث رشحت الحركة ممثلا عن ورقلة (ووادي سوف أيضا) السيد ميلودي احمد⁵، بينما السلطة الفرنسية اختارت شخصيات موالية لها ورشحتهم على أساس أنهم مستقلون وهم السادة التالية أسماءهم: ابراهيم غريب من الوادي، تجاني احمد من تقرت، وسنوسي علي من جامعة، وبن قانة من بسكرة، بالإضافة

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 72.

² Rapport Mensuel sur la Situation Economique et Politique des Territoires du Sud pendant le mois de avril 1938, A.N.T , sérir E dossier 80.

³ دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 81

⁴ في إطار المواد التي جاءت في القانون الأساسي بتاريخ 20 سبتمبر 1947م، ومنها على الخصوص إلغاء الحكم العسكري بالجنوب، والزيادة في التمثيل النيابي للمسلمين في البرلمان الفرنسي، وخوفا من تحول الممثلين الفرنسيين من أغلبية إلى أقلية في البرلمان الجزائري أو البرلمان الفرنسي، عمل الحاكم العام الجديد نايجلان على تزوير الانتخابات، وغلق الطريق أمام أي فوز بتحقيقه حركة انتصار الحريات الديمقراطية، مع إتباع سياسة الاعتقال والقمع في حق المناضلين المسلمين. للمزيد ينظر: عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005، ص ص: 315-317.

⁵ أصله من وادي سوف، ويعتبر مؤسس حركة الانتصار الحريات الديمقراطية بوادي سوف. ينظر: عمار عوادي محمد كشو، مذكرات الحاج احفوظة، الوادي، مطبعة مزوار، 2008، ص 72

إلى المرشح والممثل الوحيد عن الإدارة الفرنسية بالمنطقة السيد اكسي Axi¹، واستطاع مرشح منطقة ورقلة أن يفوز على مرشحي الإدارة الاستعمارية، مما دفع بالسلطة الاستعمارية إلى إلغاء الانتخابات بحجة الغش والتزوير، وعملت على اعتقال مجموعة من مناضلي الحزب بالمنطقة الذين قادوا الحملة الانتخابية ومنهم: طواهر الحاج عمر، قريشي احمد ناجي، شنين قدور، ومحمد الصيد برجال، وعلي الصديق... وغيرهم. وبعدها أعادت الإدارة الاستعمارية الانتخابات مرة أخرى يوم 11 أبريل، ورشحت فيها السيد احمد التجاني من تشرت بدلا من مرشحها الأول السيد اكسي Axi²، وقد أكد لنا هذا القول المجاهد الحاج عمر بن بلخير طوهير قائلا: «... كان سبب اعتقالنا أن مرشح حزبنا نجح بنسبة عالية على حساب مرشح الاستعمار، وأثناء قراءة النتائج التي كان يقوم بها الأخ بلخضير، كان باديا نجاح المرشح احمد ميلودي، ولكن بعد انتهاء الانتخابات اعتقلنا، وقامت فرنسا بإعادة انتخابات أخرى، والتي جرت تحت تهديد المدافع التي نصبته القوات الاستعمارية بالقرب من القرى... ولقد كانت تهمتنا هي الانتماء إلى حزب مصالي الحاج المحظور آنذاك...»³.

كما عملت مجموعة من الطلبة الورقليين على تكوين خلايا شبانية تابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي كانت تنشط تحت ستار النشاط الاجتماعي، وتقديم دروس دعم ليلية للطلبة والشباب، وممارسة النشاطات الثقافية، هذا فضلا عن نشاط اتحاد شباب ورقلة الذي تأسس سنة 1951م بالجزائر العاصمة، تحت غطاء النشاط الرياضي والاجتماعي، حيث كان يقدم إعانة للورقليين النازحين إلى الجزائر العاصمة، والذين يعيشون أغلبهم عزابا، ويعملون في مصلحة الطرق بالبلدية⁴. ومع بداية 1953م تحول هذا

¹ Rapport Mensuel, les Territoires du Sud 1948 , C.D.A.W.O, B22.

² شهادة شنين الحاج، المصدر السابق. شهادة الحاج عمر طواهر بتاريخ 17 فيفري 2002.

³ شهادة الحاج عمر طواهر، المصدر السابق.

⁴ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 81

التنظيم إلى "اتحاد الشباب الصحراوي" يضم كلا من بسكرة ووادي سوف ووادي ريغ، وورقلة.¹

5- البحث عن العلم في مؤسسات تعليمية عريقة خارج المنطقة: إن أوضاع ورقلة التعليمية جعلت الكثير من أبنائها لا يكتفون ولا يقتنعون بما يتزودون به من علوم، بل يتوقون إلى الاستزادة في التحصيل بالتفكير في السفر إلى البلدان المجاورة ذات الحظائر العلمية الزاهية لأجل الاستفادة من علومها، والجلوس إلى حلق علمائها. وتمثل ذلك خاصة في جامع الزيتونة وفروعه بتونس. فقد كان لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين الصحراويين² بتونس دور كبير في تكوين أبناء الصحراء تكوينا سياسيا وفكريا، ومنهم : محمد بن ثابت، وحميد بن حمودة الورقلي³ الشهيد محمد الأخضر السائحي المعروف ثوريا باسم "الكبتان سي المختار".⁴

والجدير بالذكر أن جامع الزيتونة وفروعه عرف العديد من الجمعيات التي تمثل الطلبة الدارسين به، فتنوعت حسب الفئات التي تمثلها، وحسب الأهداف التي أنشأت من أجلها، وعليه فإن هذا التنوع جعل الطلبة الصحراويين يؤسسون جمعية خاصة بهم، بالإضافة إلى أنهم تعرضوا لمضايقات من بعض الطلبة الجزائريين.⁵

¹ عبد الحميد بنجاح، المرجع السابق، ص 41

² A.N.T, séries E,B35 , dossier28.

³ A.N.T, séries historical,B63, dossier758

⁴ حوار مع ابن عم الشهيد الشاعر عبد القادر محمد الأخضر السائحي. بمتحف المجاهد بتقمرت، ديسمبر 2007. ينظر أيضا: A.N.T, séries E,B35 , dossier28

⁵ من أبرز الجمعيات التي ظهرت في تلك الفترة: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين 1933م، الجمع العام لجميع الطلبة 1936م، جمعية الشباب السوفي الزيتوني، شبيبة شمال إفريقيا الموحدة 1938م، جمعية إعانة الضعفاء الطلبة، وهناك عدد آخر من الوداديات التي كانت موجودة بالعاصمة وتضم طلبة الجامع الأعظم حسب المناطق التي ينتمون لها ومنها: الرابطة الثقافية لطلبة الجريد، الجمعية الزيتونية بالكاف، الأمل الزيتوني السوسي... وغيرهم. ينظر: محمد السعيد عقيب، «جمعية الشباب السوفي الزيتوني»، مجلة البحوث والدراسات، ع3، المركز الجامعي بالوادي، جوان 2006. (ينظر أيضا الملحق رقم 13)

ولعل اختيار الطلبة الصحراويين تونس يعود إلى قربها الجغرافي وسهولة تكاليف السفر إليها، حيث يقول محمد صالح الجابري: « قرب مدينة تونس من الحواضر الجزائرية الشرقية... هو الذي اختصر كلفة الرحلة إليها، فتعدد المقبلون على جامع الزيتونة وعلى المدارس الأخرى التي تكاثر عددها خلال هذه الفترة. وقد نبغ في رحاب هذا الجامع الأعظم مئات العلماء الجزائريين، وأسهموا في حركته العلمية إسهاما مرموقا، فكانوا من تلاميذه النبغاء، ثم أصبحوا من علمائه ومدرسيه وفقهائه وخطباء منابرهم».¹

6- وجود عدة جمعيات محلية ذات طابع ثقافي تعليمي واجتماعي: ساهمت هي الأخرى في التعبئة السياسية والعسكرية لسكان المنطقة تحت غطاء الرياضة والتعليم ومنها:²

- جمعية الوفاق والتي أسسها الشيخ أعزام سنة 1930م.
- جمعية الإصلاح التي أسسها الحاج بكير بن أحمد بومعقل سنة 1934م
- جمعية صوت المسجد التي أسسها مجموعة من الأئمة الإباضية سنة 1949م، وكانت لها مجلة تسمى " صوت المسجد".
- الجمعية الخيرية التي أسسها الشيخ قريشي الحاج بنقوسة، والتي عمل من خلالها على إنشاء العديد من المدارس القرآنية والمساجد في كل من قرى البور، ونقوسة، وفران، زيادة على مساعدة الفقراء والمساكين.

7- اشتراك بعض الأهالي في الجرائد الوطنية التي كانت تصدر آنذاك: إن النشاط الصحفي خصوصا في ورقلة يكاد يكون منعزلا باستثناء ما يصلهم من المناطق المجاورة

¹ محمد صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، 1983، ص52

² حوار مع السيد، سليمان حكوم بمنزله، (مهتم بجمع تاريخ وتراث المنطقة). جوان 2010.

مثل منطقة وادي ميزاب ووادي سوف¹، واكتفى سكان ورقلة بمطالعة بعض الجرائد التي كانت تصلهم مثل: البصائر، صدى الصحراء، وادي ميزاب، الوفاق، ميزاب، الأمة، الفرقان، الزهراء، السنة، الشريعة، الصراط، الشهاب، المنتقد، النهضة، ولقد كان العدد الواحد منها ينتقل من شخص إلى آخر حتى يتسنى للجميع قراءتها، ومما لاشك فيه أن جل هذه الصحف كانت تدعوا إلى التربية والتعليم ومحاربة الاستعمار الفرنسي، والحفاظ على الهوية الوطنية، فمثلا جاء في "جريدة صدى الصحراء"² قصيدة موجهة إلى أبناء الصحراء لشاعر مجهول يشجع فيه على تعليم النشء وتربيته مع الدعوة إلى الإصلاح، ومن الأبيات مايلي³:

أجلو رجال العلم بين ربوعكم	فقدروهم وافي الرجاجة عالي
ولا تقبلوا فيهم وشاية خائن	ونفثة مغتاب وبغضة قالي
فتلك عراقيل يعانون وعمرها	على أنهم لا يثنون بحال
ولا تغفلوا شأن الصغار فانهم	لمستقبل الأيام خير رجال
وأشبه شيء بالمرايا عقولهم	فصوغوا لها منكم اجل مثال
ابنوا لهم طيب الفعال ليقتدوا	بكم فحياة المرء طيب فعال
وهبوا إلى الإصلاح فالله كافل	لمن هب للإصلاح حسن منال

بالإضافة إلى صدور جريدتين سنة 1953م، اهتمتا بالأوضاع الاجتماعية لسكان الصحراء، فالأولى باللغة الفرنسية باسم "الصحراوي"، تصدر مرتين في الشهر، حيث

¹Rapport Mensuel sur la Situation Economique et Politique des Territoires du Sud pendant le mois d'avril 1938 ,A.N.T, sérrier E , Dossier 80.

² نشرية إسلامية علمية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية، شعارها " العمل على درا المفسدة قبل جلب المصلحة"، صدرت سنة 1925م، وتصدر كل يوم اثنين من أيام الأسبوع، رئيس تحريرها الشيخ احمد بن عابد العقبي.

³ صدى الصحراء (جريدة)، ع 1، 23/11/1925، ص 3.

جاء في عددها الأول الصادر في شهر أفريل مقال يدافع على جزائرية الصحراء بعنوان " إن الصحراء يجب أن تبقى جزائرية"، وفي العدد السادس (ماي-جوان) من سنة 1954م تناولت الجريدة مقال في شكل تساؤل: "هناك مقياسان! هل سيبقى الصحراويون دائما مغبونين؟" ثم توضح الجريدة: " في الأبحاث النفطية الحالية لا يتقاضى عامل الواحات إلا 32 فرنكا في الساعة، بينما يتقاضى عامل من منطقة تقرت، أو منطقة الاغواط أو من ولاية من ولايات الشمال 72 فرنكا في الساعة، إنما هي رواتب لا مبرر لها تفرضها السلطة العسكرية المحلية".¹

طبعا هذا المقال يدل دلالة واضحة على مدى غطرسة الحكم العسكري في الجنوب حتى في أبسط الأشياء مثل أجر العامل خاصة الورقلي، ويبقى هذا التساؤل مطروحا: لماذا العامل الورقلي؟؟، وقد وصل عدد نسخ هذه الجريدة إلى 1500 نسخة، أما الثانية كانت تصدر باللغة العربية باسم "شمال وجنوب"، ووصل عدد نسخها إلى 2000 نسخة، واستمر صدور هاتين الجريدتين إلى نوفمبر 1954م²، ومن غير المستبعد أن الإدارة الاستعمارية كانت وراء توقفهما. هذا ناهيك على أن السلطة الاستعمارية فرضت رقابة صارمة، وأعطت أوامر سرية على عدم وصول الصحف العربية إلى المثقفين في الجنوب، أو التماطل في توزيعها على أصحابها فمثلا كانت بعض الجرائد تصل إلى مكاتب البريد، فيتعمد مسيروها إهمالها وإبقائها في إداراتهم، وإذا سألهم المشترك الذي له الحق في قبضها، يقابلونهم بالغبط.³

ومما يتوجب ذكره أيضا هو أن النشاط المسرحي قد حظي باهتمام كبير في منتصف القرن العشرين في سبيل إذكاء الروح الوطنية، حيث تذكر إحدى الروايات أن

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 83

² المرجع نفسه، ص 81

³ صدى الصحراء (جريدة)، ع 7، 25 جانفي 1925، ص 3.

مجموعة من الشباب الكشفي بمدينة بسكرة قاموا بتجسيد مسرحية بعنوان " في سبيل التاج " كانت من أشهر المسرحيات التي أحدثت صدى ووقع في أوساط الجماهير الشعبية، وقد أسند دور البطولة فيها إلى الشهيد محمد العربي بن مهيدي¹ الذي وجد ضالته النفسية والمعنوية في هذا الدور لما كان يحمله كغيره من الجزائريين الأحرار من مقت وكره وعداء للاستعمار. وكان فريق المسرحية يتنقل بين العديد من مدن الجنوب الجزائري، وعندما أتى الدور على مدينة تقرت منعهم الحاكم الفرنسي من عرضها كما منعهم حتى من اقتناء الحافلة التي أتوا على متنها، بل عملت السلطة الفرنسية أكثر من ذلك، حيث أصدرت قانونا يمنع منعاً باتاً عرض هذه المسرحية في الجنوب الجزائري، غير أن الروح الوطنية المتأججة في نفوس أعضاء هذا الفريق المسرحي جعلتهم لا يتوانون عن تحقيق هدفهم و انتقلوا لتجسيده في مدن الشمال وكان ذلك حوالي سنة 1946².

8- دور الزوايا الدينية: التي كان لها دور كبير في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للأهالي، وكيان الأمة الجزائرية، مثل الزاوية القادرية بالرويسات التي تغيّر موقفها خاصة بعد انضمام أحد أبرز أقطابها بفرع وادي سوف إلى جمعية العلماء المسلمين سنة 1937م

المدرسة الابتدائية الفرنسية العربي بن مهيدي في عام 1923م بدوار الكواهي (عين مليلة)، دخل ولد الشهيد¹ إلى باتنة لمواصلة التعليم الابتدائي، ولما تحصل على الشهادة الابتدائية بمسقط رأسه، وبعد سنة دراسية واحدة انتقل عاد لأسرته التي انتقلت هي الأخرى إلى مدينة بسكرة وفيها تابع دراسته، وقبل في قسم الإعداد للالتحاق بمدرسة قسنطينة، وفي سنة 1942م انضم إلى حزب الشعب الجزائري، وعند تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل في بن مهيدي جماعة 22 التاريخية، ولعب مارس 1954م أصبح الشهيد من بين عناصرها البارزين، ثم عضوا فعالا في دورا كبيرا في التحضير للثورة المسلحة، حيث أصبح أول قائد للمنطقة الخامسة (وهران)، وفي سنة 1956م عين سنة 1956م ونهاية 1957م إلى غاية الجزائرية، قاد معركة الجزائر بداية عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ للثورة تحت التعذيب ليلة الثالث إلى الرابع من مارس 1957م. اعتقاله في نهاية شهر فيفري 1957م، وأستشهد² المتحف الوطني للمجاهد، الشهيد محمد العربي بن مهيدي، د.ط، الجزائر: دار هومة، 2002، ص 39.

وهو الشيخ عبد العزيز الشريف¹ الذي لعب دورا كبيرا في نشر التعليم العصري وفق مناهج الجمعية، مع محاولته تصحيح مسار الزاوية من المساندة إلى معارضة الاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى الدور الذي قدمته زاوية سيدي بلخير الشطي².

ثالثا/ الإرهاصات العسكرية:

لقد ارتبطت منطقة ورقلة بروابط تاريخية أبدية بالوطن الجزائري منذ عقود خلت، فلما وقع الاحتلال تحولت هذه المنطقة إلى قاعدة خلفية للمقاومة الشعبية، وبالتالي فإن الأهالي كانوا على أتم الاستعداد للعمل العسكري في البدايات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية، لكون أن هذه القابلية هي امتداد تاريخي للمقاومة الشعبية منذ 1854م بقيادة الشريف محمد بن عبد الله في محاولته التصدي للفرنسيين في احتلالهم لورقلة، بالإضافة إلى مقاومة كلا من الشريف بوشوشة وناصر بن شهرة خلال محاولة تحرير ورقلة من الفرنسيين سنة 1871م، وقد خلدت هذه الملاحم في أبيات من الشعر الملحون للشاعر سالم بن تيممة يقول فيها :

نحن أهل الصحراء خيالة وفرسان	وبجودنا العربان راهي تتكلم
أبدعنا الشعر ونظمنا الأوزان	ومنا الأبطال الشجاعة تتعلم
أحكى يا تاريخ على ذاك الزمان	ما خيلنا المستعمر في بلادنا يتنعم
وبن عبد الله حرك الوديان	ميزاب ووادي ريغ في صفوف تتنظم
سقسي بوشوشة يعطيكم البرهان	وشحال من معارك التاريخ رسم

¹ هو ابن الشيخ محمد الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الشريف، ولد بزاوية والده بقرية البياضة بوادي سوف سنة 1898م، وكان توأما لأختهن كما أنه الابن الثالث للشيخ محمد الهاشمي، يتصف بالفطنة وسرعة البداة، حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم غادر الوادي ليلتحق بجامع الزيتونة عام 1913م وكان أول الناجحين من بين أقرانه، إذ تحصل على شهادة التطويع بامتياز، وعاد إلى الوادي عام 1923م، فاستخلف أخاه بعد وفاته وصار شيخا للطريقة القادرية بوادي سوف مع ملحقاتها في كل من تقرت، وبسكرة، وسكيكدة، والجزائر العاصمة. ينظر: عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص 80.

² نسبة إلى قرية الشط بورقلة.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود سؤال قد طرحه كثير من الناس وبعض الباحثين وهو: هل غيّت أم غابت الصحراء في التقسيم الأول للمناطق قبيل اندلاع الثورة التحريرية ؟ وهذا السؤال منطلق من أن جبهة التحرير الوطني اكتشفت أهمية الصحراء إلا بعد مؤتمر الصومام سنة 1956م.

يبدو لنا أن هذا السؤال في طرحه هو مغالطة تاريخية لا يستند إلى أدلة تاريخية ، ويفتقر إلى الموضوعية ، والحقيقة التاريخية هي أن الصحراء الجزائرية كانت حاضرة في أذهان القادة الستة خلال اجتماع 24 أكتوبر 1954م، وهي إستراتيجية اتبعها مفجروا الثورة تجنباً لعدة عراقيل قد تعترض تفجير الثورة، ويذكر عمار قليل في كتابه "ملحمة الجزائر الجديدة": «أن التقسيم الذي اعتمدته القادة الستة أملت ظروف الثورة التحريرية في مرحلتها الأولى، والتي لم تستدعي التفكير في جعل الصحراء منطقة مستقلة، بل وعمدت إلى تقسيمها على مختلف المناطق المتاخمة للصحراء، وبالتالي فقد كان هذا الأمر متعمداً تبعاً لعدة عوامل أهمها قلة الكثافة السكانية والإمكانات، وفي المقابل حتى تكون قاعدة خلفية للكفاح العسكري مثلما كانت خلفية للمقاومة الشعبية من جهة، وحتى تكون مكاناً لتأمين الثوريين في حالة فشل الثورة».¹

وإذا خصصنا منطقة ورقلة فإن هذه الأخيرة كانت تمثل محطة هامة للقوافل التجارية القادمة من الشمال نحو الجنوب ثم نحو تونس وليبيا وصولاً إلى أواسط إفريقيا، وبحكم موقعها القريب من الحدود فقد كانت مكاناً لتخزين السلاح الذي كان يأتي من تونس وليبيا ومصر حسب شهادة الكثير من المجاهدين، ثم يتم نقله فوق الجمال والبغال في أكياس التمر إلى تقرت لينقل بعدها عبر القطار الرابط بين تقرت وبسكرة إلى منطقتي مشونش والأوراس بواسطة "لخضر بن موسى، وعقبة العقبي" اللذين كانا يعملان في

¹ عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة ، الجزائر، ج2، 1993، ص

القطار¹، وما يؤكد هذا الطرح هو شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد يذكر قائلا: " في فترة عمل اللجنة الثورية للوحدة والعمل² كنت رفقة شنين قدور وحجاج الحاج الخير نعمل على نقل السلاح إلى السيد لهلاي الساكن بالحوش ببسكرة، وكانت كلمة السر في تسليم الأسلحة هي إخراج ورقة 20 فرنك (أي أربعة دورو) لتأكد من أننا مجاهدين".³

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية تركت الجيوش الإيطالية والألمانية المنهزمة مخلفات أسلحتها في صحاري ليبيا وتونس، فكانت قوافل تهريب السلاح في مد وجزر عبر ورقة وادي سوف ووادي ريغ وبسكرة، تزعمتها قبائل البدو الرحل، مما جعل هذه الفترة تعرف رواجاً كبيراً لتجارة السلاح، أو ما يعرف بالسوق السوداء، وفي المقابل كانت السلطة الفرنسية تسعى لشل تلك الحركة التجارية، وهو ما يفسر حدوث الكثير من الاشتباكات المسلحة بينها وبين تلك القوافل.⁴

إن الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها تقرر بأن الأوضاع بمنطقة ورقلة والمناطق المجاورة في حالة جيدة، وليس هناك ما يقلق القوات الفرنسية خاصة في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين⁵، غير أنه حسب شهادة شقيق الشهيد شنين قدور ذكر أن

¹ قام الشهيد لزهاري التونسي بتهريب لخضر بن موسى وعقبة العقبي المشرفين على نقل المئونة من تقرت نحو الجبال بعدما علم من أحد أصدقائه كان يعمل بجهاز الشرطة اسمه محمد نواري من بريكة، وفي نفس الوقت يعمل لصالح الثورة داخل صفوف العدو.

² اللجنة الثورية للوحدة والعمل: منظمة جزائرية تأسست يوم 23 مارس 1954م من طرف أعضاء المنظمة الخاصة والمركزيين وتولى رئاستها محمد بوضياف.

³ شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد مصورة ومسجلة، بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت

⁴ عمار حشية، في الأطلس الصحراوي، الجزائر، دار إفريقيا للنشر، 2001، ص 11.

⁵ Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires Militaire des Oasis ,période du 5juin au 5 juillet 1949 , C.D.A.W.O, B410 .voir aussi : Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires Militaire de Touggourt ,mois de septembre 1952 , A.O.M , OA19.

أخاه الشهيد كان خلال الأربعينات يتاجر في بيع السلاح الذي يحضر من ليبيا وتونس وفي صائفة 1944م ألقت السلطة الاستعمارية بغرداية القبض على المرحوم سي الطيب شريف من متليلي ومعه 16 بندقية من نوع ستايتي صنع ألماني، وآخر يسمى زرباني بوبكر بن مرزوق، واعترفا تحت التعذيب بمن يعمل معهما، فالقي القبض بورقلة على كل من الأشخاص التالية أسماؤهم: المش محمد، عواريب بوجمعة، شنين قدور، وحكم عليهم بالسجن ما بين سنة إلى سنتين تنقلوا خلالها ما بين سجون الحراش، والبرواقية، ولا مبيز بباتنة.¹

المبحث الثاني: موقف سكان منطقة ورقلة من اندلاع الثورة التحريرية:

كان لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م وقعٌ على سكان ورقلة وضواحيها، إذ لم يكن عامة الناس على علم بالحقائق الجارية في الشمال، إلا قلة قليلة حيث كانت تراقب الوضع من بعيد، يستفسرون عما يجري هنا وهناك، ويسألون المسافرين القادمين من الشمال، وتجار التمور والناقلين للبضائع والسلع من وإلى مدن و قرى التل خصوصا القادمين من بسكرة و باتنة و قسنطينة الجلفة و المدية و الاغواط، فينقلون لهم ما يجري، ويصفون لهم الأحداث و العمليات التي تستهدف مقرات الشرطة و الدرك و المراكز الحيوية، ونقل الأخبار عن تصفيات الخونة و العملاء، وتنفيذ الإعدام في غلاة المستعمرين، بالإضافة إلى الإعلام العربي الذي لعب دورا كبيرا في التعريف بالقضية الوطنية في أوساط الشعوب وذلك عن طريق إذاعة صوت العرب²، ومن ثم بدأت التعبئة الثورية تتم بين الناس، لتبلغ أصداء الثورة و الأسباب الحقيقية التي دفعت بالوطنيين لتفجيرها و خوض غمارها، وشرح أهدافها، وكان ذلك عن طريق توزيع المناشير الثورية، أو عن طريق الأفراد الذين كانت لهم علاقات أسرية أو اجتماعية، و معاملات تجارية

¹ شهادة شنين الحاج، المصدر السابق.

² شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر مصورة ومسجلة، بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقרת.

بالمنطقة، هذا زيادة عن دور الشعابنة في نشر أصداء الثورة وتثبيتها عبر مختلف مناطق الجنوب الشرقي، بحكم معرفتهم للمناطق كأدلاء.¹ وقد شهدت الفترة الأولى للثورة التحريرية بالمنطقة (54-56) مرحلتين وهما :

أولا/ مرحلة الاتصالات وتشكيل الخلايا المدنية الثورية :

إن الأحداث الثورية التي عرفتھا منطقة الأوراس دفعت بمناضلي الحركة الوطنية عن طريق الاتصالات ببعض القادة إلى تهيئة الجو المناسب وتبليغ أصداء الثورة ، وتوفير الأرضية الصلبة للعمل المسلح، وهو ما أكده المجاهد سليمان فراحي سليمان قائلا: "أن القائد سي الحواس كان قد قدم إلى مناطق الجنوب الشرقي في إحدى جولاته المتعددة التي شملت تقرت، ورقلة، غرداية...، وكان ذلك سنة 1953م، وهي فترة التحضير للثورة المسلحة، وقام بالاتصال ببعض الشخصيات الفاعلة في الحركة الوطنية بهدف التحسيس والدعاية"²، واعتبرت هذه الاتصالات الأولية بمثابة عملية جس نبض لمعرفة مدى استعداد المواطنين لخوض الكفاح المسلح.³

وتجدر الإشارة إلى أن الصحراء كانت بصفة عامة تابعة للمنطقة الأولى ويتقاسم قيادتها قائدين هما:

- زيان عاشور (المدعو سي زيان)⁴ وكان يسيطر نفوذه على المنطقة الغربية الواقعة بين أولاد جلال والبيض، وكان مساعده المباشر عمر إدريس.⁵

¹ EL Moudjahid (quotidien), n° 40, 24 avril 1959, vol 2, p 233

² شهادة المجاهد سلمان فراحي مصورة ومسجلة، بتاريخ 200/04/09، متحف المجاهد بتقرت.

³ الهادي درواز، الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954-1962، الجزائر، دار هومة، 2002، ص126

⁴ من مواليد أولاد جلال ببسكرة، كان مناضلا ناشطا في حزب الشعب، وعند اندلاع الثورة كان في السجن أطلق سراحه سنة 1955 التحق بصفوف جيش التحرير، ثم بدأ في تنظيم المقاومة في جهته حيث كون جيشا يضم حوالي 1000 مجاهد مزودا بأسلحة عسكرية ينشط بين أولاد جلال والبيض، وكان بن بولعيد يعول عليه كثيرا ولا يتوقف الثناء عليه، استشهد عاشور زيان يوم 09 نوفمبر 1965 في بوكحيل ناحية بوسعادة. أنظر: عمار حشية، مصدر سابق، ص28 .

⁵ كان مناضلا نشيطا في سلك الحركة الوطنية، التحق بالثورة في بداياتها وكلف من طرف بن بولعيد بتنظيم الثورة في جبال أولاد نايل بالاشتراك مع عاشور زيان، وبعد استشهاد هذا الأخير أصبحت المنطقة تحت قيادته بعد

- حسين بن عبد الباقي (المدعو سي الحسين) وكان ييسط قيادته على المنطقة الشرقية من الصحراء، ويساعده في القيادة أحمد بن عبد الرزاق (المدعو سي الحواس)¹ هذا الأخير الذي كان بحكم مهمته السياسية يتنقل ويقوم بالاتصالات خاصة في نطاق المنطقة الرابعة التي تشمل مناطق الزيبان وامدوكال وورقلة ووادي ريغ بهدف التعبئة والتجنيد، ونتيجة لهذه الاتصالات تشكلت اللجان الأولى عبر مختلف أنحاء ورقلة.² وللعلم فإن المنطقة الرابعة تنقسم إلى ثلاثة نواحي هي³:

- أ- الناحية الأولى: بقيادة الملازم الثاني الشهيد سي ابراهيم سعادة، والملازم الأول العسكري الشهيد محمد شعبان، والملازم الأول السياسي سي المسعود اونيبي، والملازم الأول للاتصال والأخبار سي محمد الشريف عبد السلام.
- ب- الناحية الثانية: بقيادة الملازم الثاني سي بلقاسم مشيش، والملازم الأول العسكري الشهيد سي دحمان عسوس، والملازم الأول السياسي الشهيد سي احمد اوريجع.
- ج- الناحية الثالثة: بقيادة الشهيد احمد طالب، والملازم الأول العسكري الشهيد محمد السبع، والملازم الأول للاتصال والأخبار الشهيد سي احمد طشايشي.

وفي لقاء مع السيد "قويدر أولاد مسعود قومار" بمقر الزاوية القادرية ، قصد معرفة موقف الطريقة القادرية من الثورة الجزائرية صرح لنا قائلا: " أنه في سنة 1955م حل بمدينة ورقلة سي الحواس وبشير شحاني والجيلالي بالحويتية، حيث زاروا شيخ الزاوية حمّ

التمكن من القضاء على جماعة بلونيس، كان يلقبه المجاهدون بعمر لا ليجو لونه الأشقر ولباسه المشابه للباس الفرنسيين، عين كتائب أول لقائد الولاية السادسة سي الحواس، ألقى عليه القبض يوم 28 مارس 1959م وتم إعدامه. أنظر: عمار حشية، مصدر سابق، ص 28.

¹ سي الحواس: هو أحمد بن عبد الرزاق، من مواليد 1923م، كان أول قائد للمنطقة الثالثة للولاية الأولى ثم أصبح قائدا للولاية السادسة، كان يتميز بذكاء خارق وبعد في النظر، يعود له الفضل الكبير في تنظيم إطارات وهياكل جبهة وجيش التحرير في الولاية السادسة، قاد جيشا من الأبطال لحماية الصحراء من براثن الاستعمار واستمر نضاله إلى غاية استشهاد برفقة العقيد عميروش في 28 مارس 1959م.

² عمار حشية، مصدر سابق، ص 20-21.

³ المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954م، المرجع السابق.

باهي(المدعو أبي الصحور نورالدين)¹ بالرويسات ،وعقدوا معه اجتماع بهدف الدعاية للثورة في أوساط أتباع الطريقة، والتنسيق معه لتوسيع انتشار ثورة التحرير بالمناطق الصحراوية²، يبقى هذا القول مجرد كلام يحتاج إلى أدلة واضحة، لكون أن معظم شهادات مجاهدي ورقلة أشاروا إلى الدور الكبير الذي قام به حمّ باهي شيخ القادرية في العمل الثوري بالمنطقة خاصة بين 1957م و1962م ،غير أنهم لم يشيروا إلى هذه الزيارة السالفة الذكر.

وحسب تحليلنا وتمحيصنا لشهادات بعض المجاهدين ، وجدنا أن طريقة الاتصال بالأهالي لتجنيدهم كانت تتم في الأعراس والمناسبات الدينية ، ومن خلالها جندوا المئات من الشباب، وبدأت السلطة الاستعمارية التي كانت تحكم الجنوب تشتم رائحة الثورة قد قربت منها، خصوصا بعدما علمت وبعد فوات الأوان قدوم مسؤوليين من المقاومة

¹ هو الشيخ "حساني محمد بن إبراهيم الشريف، من مواليد خلال 1923م بمنطقة الرويسات (ورقلة)، تربى في أحضان الطريقة القادرية وشرب منها، ثم تلقى تعليمه القرآني والديني وحفظ المتون والفقه ودروس التوحيد برعاية والده وأجداده، وتلمذ على يد شيوخه الطالب "علال قريشي"، "أحمد برغده" وغيرهم، تزوج أربع نساء من أسر معروفة، ترك العشرات من الأحفاد وعدد من الأبناء والبنات في مستويات تعليمية مختلفة، وبدأ نشاطه السياسي بالتحاقه بصنفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وبقي يواصل نضاله رفقة رجالها سرا عبر مناطق بسكرة والوادي وتبسة والعاصمة، انطلاقا من مقرات الزوايا المنتشرة عبر الوطن، وعقب اندلاع الثورة التحق بصنفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بورقلة عام 1956م، وكلف بعملية الاتصال، حيث كون له اتصالات كبيرة وسرية في تمويل الثورة بالسلاح والذخيرة والتنسيق مع الولاية الخامسة، واستمر جهاده إلى أن اعتقل، ثم فر من سجنه وحكم عليه بالإعدام غيابيا في جانفي سنة 1962م وبقي محتبسا في حماية المناضلين بضواحي المدينة إلى غاية الإعلان عن الاستقلال، بعدها عين كأول رئيس بلدية ورقلة إلى سنة 1964م، وبعدها تفرغ لأعمال الزاوية القادرية إلى أن وافته المنية يوم الجمعة الموافق لـ 11 أبريل 2008م عن عمر يناهز 85، ودفن بمسقط رأسه. ينظر: حكيم عزي، «الفقيه محمد بن إبراهيم الشريف» شيخ الطريقة القادرية بالجزائر وعموم إفريقيا»، الشروق اليومي، 2008/04/12، العدد 2273.

² حوار مع السيد قويدر أولاد مسعود قومار بمقر الزاوية القادرية بورقلة، بتاريخ 2011/09/09، بالإضافة إلى أن التصريح منشور في كتاب مخطوط بعنوان "الشعانية وحركاتهم الثورية". (السيد قويدر: احد مريدي الطريقة القادرية بورقلة)

المسلحة، وإقامتهما بتقوت والحجيرة لدراسة الكيفية التي بواسطتها يمكن لجيش التحرير الوطني الانتشار بالمنطقة واتخاذها مقرا متأخرا لقيادة عمليات فدائية¹

ثانيا/ مرحلة تجميع السلاح والعمليات الفدائية:

على الرغم من الفترة الأولى لحرب التحرير في المنطقة لم تشهد تأسيس فرق لجيش التحرير مثلما كانت في شمال البلاد ، والتي طبع عليها العمل تكوين خلايا للاتصالات، إلا أن المسؤولين عملوا على تشكيل خلايا مدنية شعبية هدفها جمع الاشتراكات والسلاح والتموين،على الرغم من سكان ورقلة كانوا فقراء لكونهم يعتمدون على الزراعة المعاشية المحلية،غير أنهم كانوا أغنياء بالروح الوطنية،فهم يثيرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.والجدير بالذكر أن مجاهدي ورقلة فيهم من ناضل في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وفيهم من ناضل في صفوف جيش التحرير الوطني خارج المنطقة،وعليه فان العمل الثوري بورقلة يمكن تقسيمه إلى أربعة جبهات،من خلال شهادات المجاهدين، وبعض رسائلهم:

- 1- جبهة وسط ورقلة
- 2- جبهة ورقلة- غرداية
- 3- جبهة ورقلة - الحدود الجزائرية التونسية
- 4- جبهة ورقلة- الحدود الجزائرية الليبية

فيما يخص الجبهة الثانية والثالثة والرابعة، فإن معظم المجاهدين دفعتهم عدة ظروف عسكرية واجتماعية وعلمية للهجرة، فجبهة غرداية كانت ملاذا للكثير من المجاهدين الملاحقين من طرف السلطة الاستعمارية، مما دفع بهم إلى الاستقرار بالمنطقة والنضال مع أهلها، أما جبهتي الحدود الجزائرية التونسية،والحدود الجزائرية الليبية، فتعتبران الوجه المشرف للكثير من مجاهدي ورقلة الذين لم يتسنى لهم العمل الثوري في منطقتهم،ففي تونس وجدوا أنفسهم وهم يزاولون دراستهم بجامع الزيتونة أو المدرسة الخلدونية

¹ عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص42

مناضلين في جيش التحرير الوطني على الحدود بعفوية، حيث توقفوا عن الدراسة ولّبوا نداء الواجب الوطني، أما في ليبيا فعملية جلب السلاح هي التي دفعتم إلى التواجد هناك على الحدود، وفي هذا الصدد سنأخذ أربعة نماذج لشهادات حية عايشة العمل الثوري على مستوى كل جبهة. وللإشارة فإن مقياس اختيارنا لهذه النماذج الأربعة من الشهادات الحية، هو مدى قوة ذاكرة المجاهدين في استرجاع الأحداث بتسلسلها الزمني، على غرار بعض الشهادات الأخرى التي غلب عليها الخلط في ذكر الأحداث، وتناقض الروايات في بعض الحالات.

1- جبهة وسط ورقلة: شهادة المجاهد الشنين الشيخ بن محمد: من مواليد 1918م بورقلة، التحق بصفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني سنة 1956م، وعن ذلك يقول: « انضمت إلى الثورة عن طريق المولدي السوفي (كاتب بالبلدية)، سي احمد بن الصغير، وذلك كنا نجلس كل جمعة في حانوت أحميدة بالسوق، اطهي لهم الشاي ونتجاذب أطراف الحديث عن الثورة والفرنسيين، وفي نفس الوقت ادفع لهم مبلغ الاشتراك كل شهر، وكان المولدي السوفي يبعثها بدوره إلى وادي سوف، وفي مرة من المرات اكتشفت دورية للجيش الفرنسي وصولات الاشتراك، فألقت عليه القبض، ووضعت في السجن بقسنطينة إلى غاية الاستقلال، وفيما يخص إدخال السلاح، فكان يأتي به رفقاء الشهيد شنين قدور من ليبيا، وكانوا يمرون على دوريات الجيش الفرنسي دون أن يكتشف أمرهم، حيث كانوا يخبئون الأسلحة في أسفل صناديق محملة بالتمر، فلما تستوقفهم دورية الجيش الفرنسي للتفتيش، فيطلب الإخوة من الجنود الفرنسيين أحد القليل من التمر، لاستغفاهم وإبعاد الشك والخطر عنهم، فتركهم الدورية يمرون بسلام....»¹.

2- جبهة ورقلة- غرداية: شهادة المجاهد بلقاسم بن احمد بن براهيم بوخطة: من مواليد 1934م بورقلة، بدأ عمله الثوري بغرداية سنة 1955م، وعن ذلك يقول: «

¹ شهادة المجاهد شنين الشيخ مصورة ومسجلة، بتاريخ 2006/05/01، متحف المجاهد بتقرت

التحقت بالثورة وأنا صغير السن، ولم أكن اعرف ما هي الثورة؟، كنت آنذاك قد كلفت بمهمة الاتصال بالتعاون مع عمر زهواني، محمد جغابة¹، هذا الأخير الذي قام بعملية فدائية تمثلت في مقتل مترجم عسكري فرنسي، على اثر هذه العملية، انسحبنا نحو منطقة العطف وبقينا فيها إلى غاية 1957م، حيث أصبحت مسؤول مركز، واثّر وشاية من طرف أحد العملاء، طلب والدي وأعمامي مني الهروب نحو المنية أو ورقلة، فقلت لهم أعطوني رسالة أسلمها إلى مسؤولي المنطقة التي سأذهب إليها، فاختارت ورقلة للذهاب عند عمي، بعدما سُلمت إليّ رسالة ثورية لكي أعطيها للمجاهد محمد الصيد برجال، وصلت إلى ورقلة وسالت عن دار محمد الصيد برجال، فذهبت إليها ودققت الباب، ففتح لي وسلمته الرسالة، فقرأها، ثم طلب مني العودة غداً قدام الدار من بعيد، وهذا ما حدث، فجنّت في اليوم الموالي وذهبنا إلى مقبرة بني ميزاب، وعقدنا جلسة تباحثنا في محتوى الرسالة، بعدها كلفني بتكوين مناضلين بالمخادمة، وكان هذا في أواخر سنة 1957م، فكونا قسمة مكونة من: حبرش محمد، طمار، حميدات احمد، وكلفت في هذه القسمة بفرع المسبلين، مع جمع الاشتراكات واللباس والسلاح، ثم إرسالها إلى بريّان، واستمرينا في هذا العمل إلى غاية الستينات، حيث بدأت السلطة الاستعمارية تكتشف أمرنا، مما دفعني الهروب نحو منطقة ايليزي...»².

3- جبهة ورقلة- الحدود الجزائرية التونسية: شهادة المجاهد كنوش احمد بن ميلود : هو من مواليد 4 جوان 1935م بورقلة، هاجر إلى تونس سنة 1949م في البحث عن العمل، واستطاع أن يعمل عند الوزير الأكبر آنذاك محمد شنيق³، ولما اندلعت الثورة

¹ محمد جغابة: من مواليد 05 نوفمبر 1935 بالقنطرة بيسكرة، التحق بصفوف الثورة في بدايتها، سنة 1955م، تم أسره من طرف الجيش الفرنسي ليطلق سراحه أشهر من بعد، هذا لم يمنعه من مواصلة الكفاح في صفوف جيش التحرير الوطني إلى غاية الاستقلال، في سنة 1986 عين وزيرا للمجاهدين، وبعدها في سنة 1991م عين كسفير للجزائر ببولونيا، من آثاره كتابين وهما: "وما خطر على بال البشر" سنة 1997، و" بيان أول نوفمبر، دعوة إلى الحب، رسالة للسلام" سنة 1995م.

² شهادة المجاهد بوخطة بلقاسم مصورة ومسجلة، 2008، متحف المجاهد بتقרת

³ محمد شنيق هو محمد بن محمد بن حسن شنيق، ولد بتونس العاصمة عام 1889م، وتوفي يوم 20 نوفمبر 1976م، سياسي تونسي تولى الوزارة الكبرى مرتين أولاها عام 1943م والثانية في مطلع الخمسينات.

التحريرية عاد إلى ورقلة لمعرفة أحوال أهله وبلده، وكانت بدايته الأولى في العمل الثوري بدفع الاشتراكات وعقد الاجتماعات مع مسؤولي الخلايا المدنية بورقلة، وكانت الاشتراكات حسب قدرة كل فرد على العطاء دون إلزامه بمبلغ معين، وكانت مبالغ الاشتراكات محصورة بين 5 دنانير و10 دنانير.

وعن التحاقه بصفوف جيش التحرير الوطني بالحدود الجزائرية التونسية(القاعدة الشرقية¹) يقول: «التحقت بالثورة في 12 أكتوبر 1960م بمركز الزيتون للتدريب العسكري عن طريق المجاهد عبد القادر مريقة المكلف بجمع الاشتراكات، حيث أعطاني استدعاء من رئيس مكتب التجنيد ببني ورقلا، رفقة زملائي: زروق احمد، لكحل محمد، وكان مكتب التجنيد بقيادة كلا من السادة: ناجي دباغين، عفو محمد الشريف"، فذهبنا إلى مكتب التجنيد على الساعة الحادية عشر صباحا، حيث استقبلنا عفو محمد الشريف، وطلب منا أن نحضر غدا على الساعة الثانية عشر، فرجعنا يوم غد بالتوقيت المحدد لنا، فوجدنا سيارة متوقفة أمام مكتب التجنيد، فعلمنا أن في الأمر شيء، دخلنا المكتب، وبعدها اخذ سي عفو محمد الشريف يمدحنا وينصحنا ويشرح لنا المهمة الوطنية التي كلفنا بها، ثم أخذنا سائق السيارة التي كانت متوقفة أمام مكتب التجنيد إلى

¹ يذكر الأستاذ جمال بلفردي أن سوق أهراس كانت مقرا للقاعدة الشرقية والتي يمتد موقعها الجغرافي - القاعدة الجغرافية- داخل التراب الجزائري: من العيون والقالة إلى مدينة عنابة شمالا، أما شرقا فإنها تمتد من الشمال إلى الجنوب عبر المدن الآتية: العيون -الزيتونة - عين الكرمة- الوزنة- المريج- نقرين ملازمة للحدود التونسية. أما القواعد الخلفية للثورة الجزائرية والموجودة بالتراب التونسي والمنتشرة عبر القطر فإن مقر الجيش للتحرير الوطني كان بمدينة الكاف القريبة من العاصمة تونس، وأمام اتساع نشاط جيش التحرير الوطني على الحدود خاصة سنة 1957م، لإدخال قوافل الرجال والسلاح أرتأ للقيادة أن تنقله إلى غاردماو في أبريل 1957م. ولما أصبحت القاعدة الشرقية تحت مظلة لجنة العمليات العسكرية في أبريل 1958م اتخذت هذه الأخيرة غاردماو مقرا للقيادة العامة، وفي سنة 1960م أصبحت القاعدة الشرقية تحت سلطة هيئة الأركان العامة مكلفة بالعمليات العسكرية في القطاع الشمالي، وعرفت بمنطقة العمليات الشمالية، وحددت مهامها: مثل القيام بعمليات عسكرية خاصة على مستوى خطي شال وموريس لترك قوات العدو حالة استنفار قصوى، وتمكين القوافل الخاصة بالسلاح والرجال بالمرور بسلام. ينظر: جمال بلفردي، هيكلية وتنظيم جيش التحرير الجزائري على الحدود الشرقية والغربية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(مخطوطة)، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم، بوزريعة، 2004/2005، ص 31

مركز التدريب بمنطقة الزيتون(غار ديماء)¹، وتدرّبنا هناك لمدة ستة أشهر، فعلمنا كيفية استخدام السلاح الخفيف الثقيل، مثل سلاح خماسي، وبندقية الموزييط(فرنسية الصنع)، وبعد انتهاء فترة التدريب إستجمعونا في ليلة من الليالي، وقسمونا إلى مجموعة فيالق وكتائب، وكنت أنا ضمن فيلق 72، والكتيبة الرابعة المتخصصة في السلاح الثقيل بقيادة خالدي الطاهر، وجاء أحد القادة وخطب فينا خطبة وطنية قائلاً بالعامية: "إخواني الجيش راكوم رايحين إلى مكان ناقصوا الخطب.."، ففهمنا المغزى والمقصود من الخطاب، ومن ثم ركبنا الشاحنات، وكنت برفقة حسن السعيد، وذهبنا إلى دوار ماء الأبيض على حدود تبسة، وخصنا عدة اشتباكات مع العدو، وبقينا هناك إلى غاية وقف إطلاق النار، الذي سمعناه عن طريق المذياع بصوت عيسى مسعودي، وفي منتصف نهار 19 مارس 1962م، توقف القتال، وفرح أفراد الجيش، وبدؤوا يمرحون ويرقصون لفرحة الانتصار...»².

4- جبهة ورقلة- الحدود الجزائرية الليبية :شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر: هو من مواليد 1933م بورقلة، تعرف عن الثورة عن طريق مصطفى بالخادم الذي نزل ضيفاً عنده لمدة أربعة أيام، وكان يحمل قنابل(غراند) ووثائق ومنشورات ثورية تركها عنده في المنزل وسافر بنية العودة إلى ورقلة، وبعد مدة سمع أنه القي عليه القبض فقام بتسليم الوثائق إلى مجموعة من المناضلين بورقلة :ومنهم الزيغمي سي بلقاسم، حسيني محمد، غزال سي محمد بلحسن.³

¹ مع تعاظم نطاق المعارك ، وتماشياً مع الوضعية الحربية اتخذت لجنة التنسيق والتنفيذ في أواخر سنة 1957م قراراً يسمح بتمركز وحدات جيش التحرير الوطني على الحدود التونسية- الجزائرية، منها: *مراكز زيتون 1، زيتون 2، زيتون 3 للتدريب العسكري، وكانت قريبة من مركز القيادة العامة بغار دماو ، بالإضافة إلى مركز واد ميلق الذي يعتبر من أهم مراكز جيش التحرير الوطني في تونس، ويقوم بالتدريب العسكري ، وتخزين الأسلحة وتموين الجنود، وجمع المساعدات التي يتحصل عليها الجيش من الدول الصديقة والشقيقة، وكان الهدف من هذه المراكز هو تكيف التدريبات ، وتطوير أسلوب المواجهة مع القوات الفرنسية ، والتدريب على كيفية شن الهجمات ، وبدون انقطاع على مراكز العدو على طول خط الجبهة الشرقية . ينظر: جمال بلفردى، المرجع السابق، ص34

² شهادة المجاهد كنوش أحمد مصورة ومسجلة، بتاريخ 2006/05/01، متحف المجاهد بتقרת

³ شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر مصورة ومسجلة، بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقרת

وعن التحاقه بالثورة في الحدود الليبية يقول: « في سنة 1957م كنت في تارات (قرب غات) حيث التقيت بالإخوة المجاهدين وهم: السيد عابدين، وبلحاج احمادو مساعد الضابط صوايعية، وهناك عملت معهم في إطار التموين وجمع الملابس العسكرية الرسمية لضرورة التخفي، وجمع بعض الأدوية والخرطوش التي كنت أجمعها من الثوار، أو تُشتري من بعض الأشخاص العاملين بالكتائب الصحراوية المهاريست (فرق المهاري الصحراوية)¹، بالإضافة إلى رشوة بعض الجنود الفرنسيين بالغزال، أو ببعض المصنوعات التقليدية، فيعطوننا ما نحتاج من خراطيش ولا يحاسبون عليه أفراد المهاريست... وفي نفس السنة تقرر القيام بعمليات عسكرية لإثبات وجود جيش التحرير في تلك المناطق، وتم اختيار شاحنات النقل للمعمر الفرنسي دي فيك *Dific*، وكان دوري هو نقل مخطط سير الشاحنات الحاملة للبنزين والمواد، وكان قد كلفا كلا من بلحاج احمادو والسيد عابدين بمعرفة الطرق التي تمر منها الشاحنات، والوقت الذي تأتي فيه، وهكذا تمت العملية بنجاح حيث تم إحراق الشاحنات مع سائقها في طريق الحدود قبل وصولها إلى تارات... وما بين 1958م و1962م كنت كثير التردد بين ورقلة والحدود الليبية ومنطقة غدامس، فكانت لي فرصة للقيام ببعض المهام مثل إرسال الأسلحة والعتاد والذخيرة إلى منطقة متليلي حسب الأوامر الصادر من قيادة الولاية السادسة...»².

من خلال هذه الشهادات يمكن القول إن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بورقلة استطاعت أن توفر أموالا وألبسة وأسلحة من التبرعات وعطاءات السكان³، مثلما كان يفعل الشهيد احمد تمام رفقة زملائه لاسيما أموال الزكاة التي كان يجمعها من تجار المنطقة، بالإضافة إلى استخدام إبله في تهريب الأسلحة والذخيرة على طول الخط الرابط

¹ تأسست بمرسوم 1 أفريل 1902م في عهد العقيد لابرين Laperrine، وذلك بهدف إقرار الأمن بالمناطق الصحراوية، وهي تتكون غالبا من البدو المتواجدين بعين المكان. للمزيد ينظر:

Gouverneur général de l'Algérie, Direction du Territoire du sud, **Historique des Compagnies Méharistes 1902-1952**, Alger, impr. Officielle, 1955, p127.

² شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر، المصدر السابق.

³ شهادة المجاهد كنوش احمد، المصدر السابق.

بين ورقلة والبيض، والتي كان يتم جلبها من مناطق غدامس وفزان بليبيا والجريد التونسي، ومما يُروى عنه: "أنه طلب منه ذات مرة تحضير أسلحة على جناح السرعة، فقام بتحضيرها ووضعها داخل أكياس التمر، ثم سافر بها من ورقلة إلى غرداية، على متن حافلة للنقل العمومي، متحديا الحواجز الأمنية التي غرسها الجيش الفرنسي على طول الطريق، إلى أن أوصلها إلى المكان المتفق عليه دون اكتشاف أمره من طرف السلطات الاستعمارية".¹ وحسب شهادة المجاهد الحاج عمر طواهر فقد تم اعتقاله سنة 1956م بتهمة إيواء كلا من محمد بن بيتور، ومحمد بن معمر، وإعطائهما الحقن الطبية، مع مصادرة 16 بندقية من نوع ستايتي و200 حقنة بنسلين². هذا بالإضافة إلى القيام بعمليات فدائية إن سنحت الفرصة، فقد استمر العمل النضالي تحت غطاءات سرية، مثلما فعل المجاهد أحمد خليل خاصة بعد إطلاق سراحه، حيث استمر ينشط تحت غطاء التعاونية الغذائية لاتحاد الشباب الصحراوي.³

وما بين 1956م و1958م شهدت المنطقة تطورا عسكريا كبيرا نتيجة لثلاثة متغيرات عسكرية وهما:

أ- تزايد عدد المنخرطين في صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير بورقلة، واتساع نطاق العمل الثوري خارج حدود منطقة ورقلة وصولا إلى غرداية ومثليي والأوراس، وجبال القعدة، وجبال لعمور ناحية آفلو والبيض.⁴

ب- انتعاش الاشتراكات والتبرعات المالية، وحركة إدخال السلاح عبر الحدود الشرقية مع تونس وليبيا، وهذا ما أكدته تقرير فرنسي مؤرخ في 19 ماي 1960م، في إطار إعادة التحقيق من طرق قاضي التحقيق بالمحكمة الدائمة للقوات المسلحة بمنطقة شمال

¹ عبد الحميد بنجاح، المرجع السابق، ص 57

² شهادة المجاهد الحاج عمر طواهر، بتاريخ 17 فيفري 2002 بالرويسات، (مخطوطة)

³ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 81

⁴ تقرير مكتب منظمة المجاهدين حول وقائع ثورة التحرير بولاية غرداية للفترة ما بين 1959-1962. (غير مرقم)، بالإضافة إلى مجموعة من الشهادات الحية لمجاهدين التحقوا بالثورة في هذه المناطق مثل: بخديجة عدة، بوخريص عمر، بخديجة مسعود، بن التاج الحاج القراي (الولاية الخامسة - آفلو)، حاتية سعد (الولاية الخامسة - القعدة)، بشيري بشير، دقناقي الطيب، توشن مسعود (الولاية الأولى - الأوراس)، بوخطة ابراهيم، بوخطة بلقاسم (الولاية السادسة - مثليي)،.... وغيرهم.

الجزائر مع مجموعة من المناضلين بورقلة تم اعتقالهم وهم: (مداني الطيب، مخرمش معمر، مخرمش محمد، الشطي عبد القادر، دغموش علي، الداوي احمد)، وكانت تهمة الاعتقال التي نسبت إليهم حسب ما جاء في محضر التحقيق، هي المساس بالأمن الخارجي للدولة والسلطة خلال 1958م و1959م، وذلك من خلال الدعم بنشاطهم السري للنشاط المعادي لفرنسا (تهريب السلاح، وجمع المال)، وهي مخالفة منصوص عليها في المواد 80، 83 من القانون الجزائري، والقرار رقم 55503 المؤرخ في 7 أفريل 1959م¹، وفي ذات السياق يذكر مولاي محمد بن قويدر أنه في سنة 1958م تم فتح خط اتصال بين ورقلة وبوسعادة، وكانوا يبعثون الخراطيش والأسلحة بأوامر من حسيني محمد بن الحسن عن طريق شاحنات تحمل أكياس التمور، يملكها تجار من ورقلة مثل: بوعكة الشيخ، ومهيري رحمون، ومن الأمثلة على كميات السلاح التي كانت تصل إلى بوسعادة تحت إشراف حساني حم باهي (المدعو أبي صخور نورالدين) مايلي²:

- 2000 خرطوشة جاء بها من ليبيا شخص يدعى (طويل) وسلمها للأخ حسيني محمد بن الحسن.

- 6000 خرطوشة مختلفة الأنواع.

- 400 قطعة سلاح.

- ملابس، تمر... الخ .

ج- التقسيم الجديد الذي خرج به مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، وإضافة الولاية التاريخية السادسة، وكانت منطقة ورقلة تمثل الناحية الرابعة، المنطقة الرابعة، من الولاية السادسة، والتي تعاقب على قيادتها برتبة ملازم ثاني الإطارات آلاتية : محمد شنوفي، وله قسمة يشرف عليها احمد بن يحي (شعبان)، حشاني نصرات، عثمان

¹ Tribunal Permanent des Forces Armées de la Zone Nord-Algéroise, Ordonnance de Renvoi, C.D.A.W.O, B 294.

² شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر، المصدر السابق

حامدي، بورقعة الطاهر. وبرتبة عريف القسمة: النعيمي موسى (النعيمي)¹، وقد كانت هذه الفترة أكثر شراسة وبطولية من خلال المعارك والعمليات الفدائية التي خاضوها ضد العدو، وخاصة بعد اكتشاف البترول بمنطقة حاسي مسعود² سنة 1956م، سواء كأعضاء في خلايا مدنية ثورية متنقلة، أو كجنود يعملون في صفوف الجيش الفرنسي في إطار سياسة التجنيد الإجباري، مثلما حدث مع الشهيد سيد روجو الحاج الذي القي عليه القبض بتهمة التهرب من أداء الخدمة العسكرية، والتي أُجبر على أدائها، ولكنه لم يترك الفرصة تمر حيث استغلها وعمل على خدمة الثورة الجزائرية بكل ما أوتي من قوة، ودون أن تنتبه السلطة العسكرية التي طلبت منه في إحدى المرات المشاركة في عملية عسكرية فرنسية ضد الأهداف الجزائرية فأبدى اعتراضه ورفضه لتنفيذ الأوامر، مما أدى معاقبته بنقله إلى الجزائر العاصمة ووضعه تحت المراقبة الشديدة³، هذا بالإضافة إلى الشهيد روابح عبد الرحمان الذي قدم مع فصيلة عسكرية فرنسية من غدامس بليبيا واستقرت بغرداية، وأنداك أخذ يتصل بالخلايا الثورية بالمنطقة ويعمل على تزويدهم بالسلاح والذخيرة والألبسة العسكرية التمويهية، إلى أن فرّ من الجيش الفرنسي ملتحقا فيما بعد بإخوانه بالثوار⁴، زيادة على القيام بعمليات فدائية على مستوى المنطقة، مثل العملية التي وقعت في شهر أكتوبر 1956م، حيث تم قطع أعمدة الهاتف بورقعة.⁵

والجدير بالذكر أن هذه العمليات كانت تتم بالتنسيق مع قيادة الولاية السادسة التاريخية، وهو ما يؤكد لنا المجاهد مولاي محمد بن قويدر قائلا: «...» في سنة 1961 التقيت بالضابط صف مسعودي الشيخ بن علي (حاليا مدير المجاهدين بسطيف)، رفقة

¹ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة، المنعقد يومي 5-6 فيفري 1985، ص 1-14.

² حاسي مسعود: نسبة إلى مسعود روابح أحد العرب الرحل من قبيلة الشعابنة والذي حفر بها بئر ماء أو " الحاسي " في بدايات القرن العشرون (حوالي سنة 1917م)، وهي مدينة تابعة لولاية ورقلة، وتعتبر من أهم المناطق في الجزائر من حيث الثروات الطبيعية.

³ عبد الحميد بنجاح، المرجع السابق، ص 51

⁴ المرجع نفسه، ص 52-54

⁵ تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة...، المرجع السابق، ص 170

ضابط صف علي بن تافنة (من المنيع) في الحدود الليبية ما بين حاسي مسعود والدبداب، والذين كانا تحت قيادة كلا من الضابط الطيب فرحات¹، والضابط علي بوغزالة²، وطلب مني تقديم مخطط أنابيب البترول الممتدة ما بين عين امناس وتونس، لكي يتم تدميرها من طرف قوات جيش التحرير الوطني، غير أن العملية الفدائية فشلت بسبب تأخر المكلفين بتفجير الأنبوب البترولي، وعلى الرغم من ذلك فقد عوضت ذلك الفشل بحرق سيارة، وتعليق العلم الجزائري فوق (قارة الهامل) وهي علامة حدودية بين الجزائر وليبيا...»³.

وفي تصريح لأحد ضباط الولاية السادسة التاريخية يقول: «إذا كان الفضل في سرعة انتشار الثورة وتعمقها واشتدادها بتلك النواحي يعود إلى ثورية القادة، وتفانيهم في العمل وبعد نظرهم، فهو يعود كذلك وأساسا إلى مناضلي تلك الجهات الذين كانوا كثيرا ما يبحثون عن النظام الثوري ويذهبون إليه قبل أن يصل إليهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى وفي نفس الوقت امتد العمل الثوري بفضل العديد من البعثات التي أُرست قواعد التنظيم الثوري في غرداية ووادي ريغ وورقلة»⁴. وهو ما أكدته لنا المجاهد سعيد عبادو قائلا: "أن هاته المناطق لعبت دورا كبيرا في التموين والإمداد بالسلاح، على الرغم من أنها لم تشهد عمليات عسكرية كثيرة نتيجة لعدة أسباب أهمها الطبيعة الصحراوية القاسية"⁵.

ثالثا/ موقف سكان ورقلة من إضراب ثمانية أيام سنة 1957م :

من بين أهم الأحداث الهامة في مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية، والتي أعطت صدى وبعدا جديدا للثورة المسلحة هو إضراب ثمانية أيام من 28 جانفي إلى 04 فيفري

¹ سفير سابق متقاعد.

² حاليا عضو الأمانة الوطنية للمجاهدين.

³ شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر، المصدر السابق.

⁴ المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني...، المرجع السابق، ص

⁵ شهادة المجاهد السعيد عبادو، بتاريخ 27 فيفري 2012، دار الثقافة مغدي زكرياء بورقلة.

1957م الذي شنه الشعب الجزائري تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني، و كان الهدف الأساسي من هذا الإضراب هو إسماع صوت الجزائريين في العالم عشية انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة القضية الجزائرية، ولتنفيذ هذا الهدف النبيل وجهت جبهة التحرير الوطني بيانا تدعو فيه إلى الإضراب في 27 جانفي 1957م، ومما جاء في البيان ما يلي: ﴿يا أيها الشعب الجزائري المجاهد، أيها المواطنون من تجار وعمال وموظفين وفلاحين ومحترفين إنكم تستعدون لأسبوع الإضراب العظيم أسبوع الكفاح السلمي للأمة التي فاتها شرف الكفاح المسلح، أمضوا مصممين، اصبروا للمحنة والبطش وأنواع العذاب التي يسلطها عليكم العدو، فالله معكم وجبهة التحرير وجيشها العتيد من ورائكم تشد أزركم وتأخذ بأيديكم إلى النصر إلى الحرية، إلى الاستقلال﴾.¹

من خلال هذا البيان لى سكان ورقلة النداء، فوزعوا المناشير الداعية إلى الإضراب على التجار والعمال والفلاحين ، فشلت حركة التجارة والنقل والفلاحة طيلة أسبوع وهي المدة المحددة للإضراب، وهذا ما تؤكدته الرسائل المتبادلة بين مدير القرض المالي الجزائري- التونسي بقسنطينة ومدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت ، فالرسالة الأولى كانت بتاريخ 24 جانفي 1957م، وجاء فيها كما يلي: ﴿سيدي المدير..لنا عظيم الشرف بإخباركم بأن منطقتنا أصبحت جد خطيرة بسبب الحركات الاحتجاجية بتاريخ 22 جانفي كانت محاولات إرهابية﴾.²

والرسالة الثانية من مدير القرض المالي الجزائري التونسي بقسنطينة إلى مدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت بتاريخ 30 جانفي 1957م، وجاء فيها كما يلي: ﴿سيدي المدير..عليكم بموافاتي في نهاية الأسبوع بتقرير عن الوضعية السارية بمنطقتكم نظرا لحركة الاحتجاجات المندلعة بتاريخ 28 جانفي الجاري، وعليه نطلب

¹ Mouvement de Grève ,27 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.

² Mouvement de Grève , 24 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.

منكم تأكيد رد فعل موظفيكم أثناء هذه الحركة خصوصا الموظفين بما فيها عاملات النظافة¹.

أما الرسالة الثالثة فهي كانت ردا على الرسالة السابقة من مدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت، والمؤرخة في 8 فيفري 1957م، حيث جاء فيها: ﴿سيدي المدير.. لي عظيم الشرف بتلقي وصل استلامكم لرسالتكم بتاريخ 30 جانفي المتعلقة بحركة الإضرابات، لقد كان هذا الإضراب شبه عام في منطقتنا لان معظم التجار لم تفتح محلاتها إلا بعد تدخل القوات العمومية، ويمكن القول بأنه في هذه الفترة كانت التجارة مشلولة تماما قبل تدخل قوات الجيش.، وعليه أغلبية المواطنين لم تتمكن من التسوق. وفيما يخص التحصيل الضريبي لنهاية الشهر لم يتم إلا بتاريخ 5 فيفري، ومن جهة أخرى قدمت إلينا مجموعة من زبائننا التجار وطلبت منا الوثائق حتى نهاية الإضراب وذلك لتسوية المستحقات، باستثناء بعض الجهات الجزائرية الأخرى فلقد قامت بدفع مستحقاتها. ولتلبية حاجيات زبائننا، تقدما بأنفسنا إلى التجار وتسليمهم الأوامر بالدفع وبعدها إمضاءاتهم. وعليه فلقد تم تحصيل 28 من مجموع 363².

وفي ذات السياق يذكر لنا المجاهد احمد حقيقة عن مظاهر الإضراب بورقلة قائلا: «... في إضراب 27 جانفي شاركنا، وفي الصباح وجد الذين شاركوا من التجار علامة على حوانيتهم (محلاتهم) ومنهم:

- محل خياطة كنت أعمل به في سوق الرويسات
 - محل نجارة للسيد فلقط أحمد
 - دار لتعليم قران للطالب قريشي قدور
- هذا الأخير جاءني وقال لي: لقد وجدت علامات على محلك ومحل فلقط ومحلي، ولما كان المساء حضر رجال الدرك الفرنسي إلى السوق (اليوم الموالي) وسألونا عن عدم فتح محلاتنا بالأمس؟ أما أنا فقلت لهم: أنا خياط ولا يوجد لدي ما أخيطه، فوجدت عملا

¹ Mouvement de Grève , 30 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.

² Mouvement de Grève , 8 février 1957, C.D.A.W.O, B134.

آخر يدرّ علي دخلا فعملته، وأما فلقط فتحجج بأنه ذهب إلى ورقة لإحضار بضائع، وأما معلم القران فقال لهم: نحن لا ندرّس يوم الخميس...¹».

رابعاً/ ردود فعل السلطة الاستعمارية ضد نشاط الخلايا المدنية بورقلة:

إن انتشار سرعة العمل العسكري بالصحراء عموماً، ومنطقة ورقلة خصوصاً، دفعت بالكثير من السياسيين في البرلمان الفرنسي إلى المطالبة باتخاذ تدابير وإجراءات عسكرية حاسمة، بهدف حماية المصالح الفرنسية، وضمان أمن وسلامة المستوطنين الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى أن كبار القادة العسكريين المرابطين بالصحراء الجزائرية كانوا جد متخوفين من أي عمل يقوم به المجاهدون لتخريب المنشآت البترولية قبل انطلاق الضّخ نحو مدينة سكيكدة²، وهذا باعتراف الجنرال شال *Chall* القائد العام للقوات الاستعمارية في الجزائر، وقائد أركانه الحربية العقيد بواسيو *Boisyou* في تقريره إلى الوزير الأول أن جبهة التحرير الوطني تهدد المصالح الفرنسية بقوة في الصحراء³، وهو ما أكدته لنا أيضاً السعيد عبادو من خلال التحضير رفقة زملائه لتفجير بعض الأنابيب البترولية بحاسي مسعود.⁴

وأمام هذه الضغوطات السياسية والتهديدات العسكرية، عُقدت لقاءات على مستوى الاتحاد الفرنسي في 10 سبتمبر 1957م، لمناقشة الإجراءات والتدابير الأمنية التي يجب أن تتخذ لحماية المصالح الفرنسية في الصحراء الجزائرية⁵، وذلك كالاتي:

1- تعزيز القوات الفرنسية من تواجدها بالمنطقة وإعادة هيكلتها، وتتبع المجاهدين في أي مكان بمساعدة بعض المخبرين من المنطقة، حيث استطاعت القوات الفرنسية توجيه ضربة قاسية لمجاهدي المنطقة في 7 ديسمبر 1957م اثر اشتباكات وقعت بالمغير، بعد تدخل

¹ شهادة المجاهد الحاج احمد حقيقة (مخطوطة)، بتاريخ 2002/02/16، الرويسات (سلمت لنا من طرف السيد سليمان حكوم)

² يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص56

³ المرجع نفسه، ص54

⁴ شهادة المجاهد السعيد عبادو، المصدر السابق.

⁵ J.O.R.F, 28 novembre 1957. Annexe N° 58, pp 72-74

كتائب العقيد جان بيار *jean piere* والقوا القبض على نحو 20 أو 30 شخص في الأوساط المختلفة لورقلة، وقتل شخص وثلاثة أفراد ماتوا تحت التعذيب، واعتقل الآخرون في عين البيضاء ثم البرج الأحمر، ثم تقرت ثم بوسيو قرب سيدي بلعباس، ثم بسيدي الشحمي¹. وقد وصف هذه العملية العسكرية أحد الضباط العسكريين قائلا: «العقيد جان بيار *jean piere* يعين الطريقة والأسلوب، قرية بما فيها من صحراء تطوّق وتحاصر من الجو والبر، يحصد الذكور ويستخلص من بينهم الأفراد الملاحقين والذين يجري عليهم البحث واستنطاقهم، يسمح بفرز المتمردين والثوار والتطلع على مخابئ الأسلحة وهكذا تتسلسل الأمور»². وهو نفس الطرح حسب شهادة المجاهد الحاج عمر طواهرير في قوله: «لقد كانت حملة اعتقالات كبيرة وموسعة طالت جميع المشبوهين ممن كان لهم نشاط سياسي زمن الأحزاب السياسية»³.

2- في إطار حماية المصالح الفرنسية الحيوية والحساسة بالمنطقة أصدرت تعليمات مؤرخة في 16 جويلية 1957م، وممضاة من طرف العقيد كاتز *Katz*، فرضت من خلالها مجموعة من الإجراءات العسكرية، كزيادة عدد الجنود لحراسة الشركات الفرنسية لتأمين وصول البترول إلى السواحل الجزائرية، وتشديد الرقابة على مداخل ومخارج المدن والقرى المجاورة لورقلة⁴، وهو ما يؤكد العقيد جان بيار *jean piere* قائلا أنه: «في 24 جانفي أوكل سلان *Salain* للكتيبة الأولى للوحدات الخاصة مهمة تبدو بالنسبة للفيف المحمول جوا جوهرية، القضاء على الخلايا الإرهابية بالصحراء، وتتبع شبكات الدعاية، الكشف والقضاء على المدنيين المنتمين للعصابات إن وجدت، المساهمة في الحماية ذاتها لحاسي مسعود»⁵. وفي هذا الإطار وزعت السلطة الاستعمارية قوات عسكرية كبيرة على طول

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 88

² Jean piere, Ne Regrette rien, La Foiguant histoire des Légionnaires-Parachutistes du 1^{er} R.E.P, paris, 1972, p 261

³ شهادة المجاهد الحاج عمر طواهرير، المصدر السابق.

⁴ Protection des Points Sensibles, 1957, C.D.A.W.O, B134. voir l'annexe n°15.

⁵ Jean piere, Op.Cit, p 259

مسافة بلغت أكثر من 300 كلم من حاسي مسعود وورقلة بالجنوب إلى المغير بالشمال¹، هذا بالإضافة إلى تعليمات أخرى مؤرخة في 8 افريل 1957م، تتضمن وضع خطة إستراتيجية للقضاء على الثورة والثوار بالمناطق الصحراوية، وذلك بالعمل على جمع عدد أكبر من المعلومات من خلال التعبئة الشعبية، وتوظيف أكبر عدد من العملاء الموالين للدارة الاستعمارية.²

3- محاصرة الخلايا الثورية المدنية بجميع الوسائل، وتضييق الخناق على تحركاتها ونشاطاتها، وذلك في إطار إنشاء المناطق المحرمة بالصحراء.³ فحسب أوامر القيادة العسكرية المراقبة بين ورقلة وحاسي مسعود: "ينبغي أن يكون الجميع في حالة تأهب وحركة، وعليهم أن يضعوا مقر القيادة في القرية التي يتم التعامل معها ولا عودة، وترك مناوبة في النقطة التي ينطلق منها إلا إذا المعلومات تطلبت ذلك"⁴، واستطاعت القوات الفرنسية في هذه الفترة القضاء على 36 فلاق (شهيد)، واسترجاع 66 سلاح.⁵

4- قامت السلطة الاستعمارية بتنظيم حركة التنقل، حيث تم استصدار عدة قوانين تلزم الأشخاص المتنقلين ما بين الجنوب والشمال بضرورة الحصول على رخصة السفر من طرف حاكم العمالة، على أن يلتزم صاحب الرخصة بمسار الرحلة المحددة في الرخصة⁶، ولقد ذكر الباحث محمد بن داره، في بحثه حول السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952-1962م: «إن هذا الإجراء ترك آثارا سلبية على مختلف النشاطات العامة والخاصة، خاصة بالنسبة للشركات البترولية، التي كان عمالها يحتاجون

¹ Ibid , p 259

² Orientation de L'activité Opérationnelle des Unités à partir du 1^{er} Juillet 1957. C.D.A.W.O, B134 .

³ Conditions d'Ouverture du Feu aérien en Zones Interdites, Arrêté N° 13 du 7 Octobre 1958 , C.D.A.W.O, B134.

⁴ Jean pierre , Op.Cit,p 262

⁵ Ibid,p 262

⁶ Arrêté du 28 Février 1957,Réglementant la Circulation dans la Commune d'EL Oued, Touggourt et Ouargla, J.O.A , du 12/03/1957, p775

دوريا للتنقل نحو الشمال لقضاء عطلمهم التعويضية، ذلك أن عملية الحصول على رخصة السفر هذه كانت تستغرق أياما في بعض الأحيان، كما اثر هذا الإجراء سلبا على نشاط التجار وسائقي شاحنات التموين الذين كانوا في حركة دائمة نحو الشمال لتموين الشركات البترولية والسكان»¹.

وفيما يخص إضراب 27 جانفي 1957م، شرعت السلطة الاستعمارية في قمع المضربين بكل عنف، ولجأت إلى اختطاف الكثير من المضربين من منازلهم واصطحبتهم لفتح محلاتهم تحت طائلة التخويف والتهديد والضرب المبرح، كما حطمت محلات أخرى بعدما اقتحمتها بالقوة.²

خامسا/ موقف الخلايا الثورية المدنية بورقلة من ردود الفعل الاستعمارية:

نتيجة لهذه الإجراءات والاعتقالات، تفككت العديد من اللجان والخلايا المدنية العاملة، وشهد النشاط الثوري نوعا من الركود³، إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما أعيد بلورة النشاط من جديد، لاسيما وأن هذا الأمر قد تزامن مع إعادة هيكلة الولاية السادسة ورسم حدودها مرة أخرى في أفريل 1958م⁴، فتم إرسال عدة بعثات جابت

¹ محمد بن داره، المرجع السابق، ص 203. ينظر أيضا لمجموعة من الرخص للسفر لبعض الأشخاص:

Circulation des personnes et véhicules. C.D.A.W.O, B176.

² Mouvement de Grève, 8 février 1957, C.D.A.W.O, B134.

³ شهادة المجاهد سليمان فراحي، المصدر سابق.

⁴ تعرضت الولاية السادسة منذ نشأتها إلى تحديات صعبة وعلى أكثر من صعيد تمثلت وبشكل أحص في حركة الخيانة المصالية (بلونيس والشريف السعدي)، ونتيجة لهذه التحديات قررت لجنة التنسيق والتنفيذ حل الولاية = السادسة خاصة عندما أقدم الشريف بن السعدي على قتل قائدها علي ملاح في سنة 1957م، وعلى الرغم من ذلك إلا أن العمل الثوري تواصل نشيطا في الصحراء الجزائرية حيث دأب على إلحاق الضربات الموجعة بالعدو وعملائه، وقد ازداد الأمر ضراوة لاسيما عندما وصل التنظيم العسكري والفدائي للثورة إلى أقصى الجنوب شاملا كلا من ورقلة وغرداية وعين صالح وتمنراست، وأمام هذا الوضع سافر العقيد السي الحواس إلى تونس أواخر سنة 1957م، أين التقى بأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، وتم ضبط حدود الولاية السادسة وأخذت شكلها النهائي مع مطلع سنة 1958م، وعين على رأسها العقيد السي الحواس.

أنحاء الجنوب الشرقي بهدف إعادة تشكيل المجالس القسامات وخلايا الفدائيين ومراكز الاتصال بعد الهزة العنيفة التي عصفت بها. وكان كل مجلس يتكون من العناصر التالية¹:

- العريف الأول خاص بالاتصال والأخبار ويشمل على: مكتب تجاري، خلايا الاستعلامات، مراكز الاتصال، مستشفيات، مراكز العدو، بريد.
- العريف الأول خاص بالتموين ويشمل: أفواج عمل (خياطين، اسكافيين، حدادين)، المخابئ، مؤونة، لباس، سلاح وذخيرة، آلات ومعدات، أدوية، مواشي.

وعلى مستوى منطقة ورقلة فقد تم تأسيس أربعة مجلس عبر مختلف قراها، نذكر البعض منها كالآتي²:

- مجلس بني ثور بقيادة صديقي محمد البشير.
- مجلس المخادمة بقيادة حمدات احمد بن حامد.
- مجلس سعيد عتبة بقيادة مسعود بخديجة.
- مجلس الرويسات بقيادة عباسي العيد.
- مجلس عين البيضا بقيادة علي بن الصغير.
- مجلس الشقة بقيادة الحاج احمد.
- مجلس سيدي خويلد بقيادة دكار الطالب بلخير.
- مجلس الشط بقيادة لعروسي مداني.
- مجلس سيدي بوغفالة بقيادة حسيني محمد.

كما اتبعت قيادة المنطقة نظاما جديدا يتلاءم مع تطورات التواجد الفرنسي بالمنطقة يختلف عن مناطق الشمال، فعلى مستوى الميدان اعتمدت مايلي :

¹ الهادي درواز، المرجع السابق، ص 61

² شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد، المصدر السابق.

- 1- أن تتم حركة الجنود و تنقلهم بالفوج ،و نصف الفوج ،و دعم الجنود بجيش من المسبلين و الفدائيين .
- 2- أن يكون تواجد جيش التحرير تواجدا تعبويا و تحسيسيا وفسح المجال للضباط السياسيين .
- 3- أن يسود العمل الفدائي بدل العمل العسكري و ذلك لاستشعار القوات الاستعمارية بشمولية الثورة و هيمنتها على كامل التراب الوطني .
- 4- بث الرعب في صفوف العدو ، وإبطال مفعول الحرب النفسية التي كانت تنفذها مكاتب و مراكز الاستنطاق و التعذيب .
- 5- تعبئة الجماهير و الدفع بهم للخروج في مظاهرات عامة ضد السياسة الفرنسية، وتكذيب وتسفيه أجهزة الاستخبارات التي كانت تروج لسياسة الانفصال .

وفي ما يخص حركة وتنقل خلايا جيش التحرير، فقد ربطوا بين مناطق الولاية السادسة بمسالك طولية وعرضية مسالك بعيدة عن مراكز العدو، بعد أن زودوا نقاط العبور بحواصي وخزانات مائية، وقد تمثلت فيما يلي¹:

أ- المسالك الطولية:

- مسلك يمتد من بسكرة إلى القرارة مروراً بوادي إيتل، فزريق، فوادي الرمث، فوادي الأخضر، فوادي، الرثم، فالمرارة، فديزوة، فالعالية، فالقرارة.
- مسلك يمتد من بسكرة إلى ورقلة مروراً بالسعدة، ثم قرى وادي ريغ، فالعالية، فوادي النسا، فنقوسة، فورقلة.

ب- المسالك العرضية:

- مسلك يمتد من وادي سوف إلى أولاد نايل مروراً بتقديدين، فجامعة، فالمرارة، فمسعد، فالجلفة.

¹ هذه المسالك استقيناها من شهادات المجاهدين السالفة الذكر.

- مسلك يمتد من وادي سوف إلى ورقلة مروراً بالطيبات ،فبلدة عمر ،فشقة الفتايت
فالعالية ،فورقلة.

- مسلك يمتد من وادي سوف إلى أولاد جلال مروراً بسيدي خليل ،فالمغير ،فوادي
ازريق ، فأولاد جلال.

- مسلك يمتد من الحدود الليبية إلى أولاد جلال مروراً بالدبداب ،فالبرمة ،فوادي ريغ ،
فالبعاج ، فأولاد جلال.

- مسلك يمتد من ورقلة إلى جبال أولاد نايل مروراً بنقوسة ، فوادي النسا ،فالعالية
فالقراة ، فالأغواط ، فالجلفة، ويتفرع إلى مسلك آخر في العالية ويتجه نحو مسعد ، فجبال
أولاد نايل¹.

ومما لاشك فيه إن مثل هذه المظاهر العسكرية تؤكد دلالة قاطعة على أن سكان
ورقلة والقرى المجاورة لها ساهمت بشكل كبير في مقاومة التواجد الاستعماري بالمنطقة،
بل إنها أكدت على لحمية أبناء الصحراء في الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم، وهو نفس
الطرح الذي يؤكده المجاهد السعيد عبادو²، والعقيد محمد شعباني³ في قوله: " ولقد عبر
أبناء الصحراء للاستعمار، أكثر من مرة، بنفس الطريقة التي عبر عنها إخوانهم في الشمال،
بوسائل عملية فعالة عن عدم المساومة على عروبتههم وجزائريتهم واستقلالهم، التي لن

¹ جمعية الوفاء للشهيد، المرجع سابق، ص ص: 467، 466.

² شهادة المجاهد السعيد عبادو، المصدر السابق.

³ محمد شعباني: من مواليد 4 سبتمبر 1934م في أوماش ببسكرة ،كان عسكري ومجاهد أثناء الثورة الجزائرية
برتبة عقيد، تلقى تعليمه الابتدائي في بسكرة ثم انتقل إلى قسنطينة عام 1952م للدراسة في معهد الشيخ بن
باديس. وهناك اكتشف الالتزام السياسي وأهمية الكفاح المسلح من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين. شارك في أولى العمليات عند اندلاع الثورة ثم أصبح كاتباً مساعداً لسي الحواس في منطقة
الصحراء. ترقى إلى رتبة ملازم، وفي أبريل 1958م أصبح ضابط أول سياسي، وسنة 1959م عين على رأس
المنطقة الثالثة من الولاية السادسة.، بعد استشهاد العقيد سي الحواس خلفه على رأس الولاية السادسة. اشتهر بكونه
أصغر عقيد في العالم، في 3 سبتمبر 1964م تم إعدامه بأمر من الرئيس السابق أحمد بن بلة بتهمة محاولة التمرد
على السلطة وزرع الفتنة في صفوف الجيش الجزائري.

يرضوا عنها بديلا، فمنذ اندلاع ثورة 1954م المباركة، ووحدات جيش التحرير الوطني بالصحراء، تعبر بلغة الحديد والنار، وحصدت نيران بنادقها مئات ومئات من جنود فرنسا، وغلاة الاستعمار، وذلك في كل من غرداية والقرارة والمنيعه وبريان وعين صالح وورقلة وتيميمون وبشار والهفار ووادي سوف وتفرت والمغير، وجميع القرى والمدن الصحراوية، كما عبر شعب الصحراء دائما على تأييده المطلق لجيشه الوطني وجبهته المناضلة وحكومته المؤقتة بالإضرابات، ورفض المشاركة في الانتخابات... إلخ".¹

ولقد خلد الكثير من شعراء الشعر الشعبي بالمنطقة ملاحم وبطولات شهداء ورقلة ومنها قصيدة للشاعر مسعودي بوعمامة بعنوان " ثوار الواحات"، يقول في بعض أبياتها مايلي:

هيا ندرس تاريخ واحتنا	وفي بلادنا نعرف ما صار
هجم عنا جيش داخل تربتنا	سبب لنا ياسر لضرار
يقتل في النساء سبت كثرنا	يهدم في القرى يضرب بالاشرار
يعذب في الشباب يقصد دولتنا	تولي ليه أوطان تسكنها لشرار
الشعب العظيم يعرف عزتنا	ما نخضع محال لهذا الجبار

وفي مقطع آخر يقول:

ورقلة فيها تدرس خطتنا	تقرت الطاهرة ماتوا فيها لحرار
أخينا سرحان مول ثورتنا	ينقل في السلاح ما هموا حصار
وياحصراه منين كان بصحبتنا	وكحب الإله في تجرونة تمت لعمار
وبن عامر بلخير صانع فرحتنا	وفي بريان صحيح ولي من لخيار
صفرائي معروف غزال في صحرنا	سائح في الرمال غايب عن لنظار

¹ محمد شعباني(العقيد)، «مهزلة المهازل»، صدى الجبال، ع2، 1961، ص1

المبحث الثالث: مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة:

إن عمليات التعذيب والتنكيل التي مارستها السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لم تبدأ في الجزائر مع مجازر الثامن ماي 1945م، ولا مع ثورة أول نوفمبر 1954م، ولا مع بداية الاحتلال، وإنما هي طبيعة متأصلة في ذات الفرنسيين بوجه خاص والأوروبيين بوجه عام في ثقافتهم، إذ تجعلهم يحتقرون الشعوب التي لا تشاركها في جنسها وثقافتها ودينها ولذلك تهينهم وتذلهم، إن لفرنسا في مستعمراتها تاريخ متعدد الحلقات يخلد جرائمها ضد الإنسانية سواء في الجزائر، أو في مستعمراتها ما وراء البحار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تعطش الاستعمار الفرنسي للدم، وقد شهد شاهد من أهلها عندما قال الكاتب الفرنسي فرانسيس جانسون: "إن كلمة استعمار قبل أن تكون جريمة بشعة في حق الشعب الجزائري فهي في حد ذاتها جريمة ضد الإنسانية"¹، وهو ما أكدته المؤرخ أحمد رضوان شرف الدين نقلاً عن جريدة المجاهد في قوله: "إن الممارسات الوحشية حقاً التي برزت منذ الفاتح نوفمبر 1954م تثير الدهشة لما صارت عليه من التعقيم أكثر من أي اعتبار... في الحقيقة، يجد سلوك الجيش الفرنسي في الجزائر مكانه ضمن بنية السيطرة البوليسية والعنصرية الشاملة ونزع إنسانية الإنسان بصورة عقلانية، فالتعذيب جزء من الكل الاستعماري... والاستعمار الذي لا يميز التعذيب والاغتصاب والإبادة هو استعمار غير قابل للفهم"².

أولاً/ مراكز التعذيب ووسائله:

لقد أنشأت السلطة الفرنسية عبر مناطق الوطن مراكز للسجون والمعتقلات الاستعمارية ومخابر للتعذيب والاستنطاق والإعدام، وكانت هذه المراكز في مجملها تهدف إلى خلق الرعب في نفوس الجزائريين، والإبقاء عليه بصفة دائمة من جهة ومحاولة إخماد ثورة التحرير الوطني وذلك بضرب تنظيماتها وعناصرها من جهة أخرى، وعلى سبيل

¹ سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر. دار هومة، 2002، ص13

² أحمد رضوان شرف الدين، «التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد 1957-1962م»، مجلة المصادر، ع8، ماي 2003، ص26

المثال أنشأت فرنسا في أواخر 1956م ضمن وحدات جيشها مصلحة عسكرية للاستخبارات أطلقت عليها اسم " المفرزة العملية للوقاية " ومع مطلع العام الموالي صارت هذه المصلحة عملية في الميدان، وتتمثل مهمتها في تفكيك شبكات جبهة التحرير الوطني بكل الوسائل المتاحة وخاصة منها التعذيب بأبشع أساليبه القديمة. وفي خريف 1959م عرفت المصلحة إعادة تنظيم فسميت بـ " كتائب المدفعية " وهي تسمية وهمية الهدف منها تضليلي بحث لإبعاد الاشتباه بحقيقة مهمتها الخاصة، ويمكن القول أنه بإنشاء هذه المصلحة انتقل التعذيب إلى مرحلة عقلانية وفعالة وفنية وصناعية.

وقد جاء في مقال منشور بجريدة "الخبر اليومية" بتاريخ 1 نوفمبر 2004، مترجم عن جريدة "لوفيل اوبسيفاتور" تعريفا مختصرا عن هذه المصلحة العسكرية :

« إن مخبر الـ (DOP) يتشكل من ضابط في غالب الأحيان برتبة نقيب وضابطين أو ثلاثة معاونين له، ومن أربعة أو خمسة ضباط صف، ومن خمسة عشر فردا من جنود الاحتياط ، وفي كل مفرزة ترجمان أو أكثر، وغالبا ما يكون هؤلاء من الأقدام السوداء أو من جنود الخدمة العسكرية المنتمين إلى نفس الفئة أو من الخونة والحركة، كان لأفراد المصلحة حرية اختيار الانتماء إليها خاصة بالنسبة للمستدعين لأداء الخدمة العسكرية، كما كان نظام العمل بها يمتاز بالمرونة والحرية الواسعة، فالنزي النظامي لم يكن إجباريا فضلا عن الامتيازات الطبيعية التي توفرها الصناديق الخاصة والهدايا بمناسبة رأس السنة الميلادية، وإطعام أفضل من غيره في الوحدات، وغياب مصالح الحراسة والخضوع، ونادٍ مجهز بحيث لا يشكو من أي نقص، كما كانت إقامات عناصر الـ (DOP) مكيفة مع طبيعة المهمة المسندة لهم، فهي في الغالب عبارة عن فيلات واسعة بعيدة عن أي مجمع عسكري...، وكان أفراد هذه المصلحة من الضباط وضباط صف يحوزون "تكليفا بمهمة" دائما عليه الصورة وشريط ثلاثي الألوان، وينص التكليف على التسريح لحامله بنقل أشخاص من الجنسين في أي نوع كان من العربات، مع عدم

إلزامية الكشف عن هويتهم وكذا تبرير تواجدهم أو جهتهم للمراقبة العسكرية...¹»، وكان محتوى تعليمات المهمة في ظاهرها ينص على أنه يجب أن تتم الاستنطاقات بكيفية تكون فيها الكرامة الإنسانية مصونة، أما في باطنها يجب أن تتم الاستنطاقات بالكِيّ بالسيجارة والتعذيب بالكهرباء ، والغطس في الماء. وأهم مراكز التعذيب بورقلة مايلي:

- **محتشد عين البيضاء أو (دار الدوب DOP):** أنشأت السلطة الاستعمارية الفرنسية هذا الموقع العام 1957م لغرض يتم فيه تجميع الأشخاص المعتقلين من أبطال الثورة فدائيين ومسبلين وكل مواطن مشتبّه فيه، حيث يتم استنطاقهم مع استعمال مختلف أساليب التعذيب، هذا المحتشد في شكل ساحة نصبت فيها مجموعة من الخيم الصغيرة مخصصة لإقامة الضباط المكلفين بالاستنطاق وخيمة كبيرة تتسع لحوالي 400 شخص خصصت للمعتقلين، وبعد سنة 1958م أزيل هذا المحتشد ومنذ ذلك التاريخ بقي المكان خاليا باستثناء بعض الأجزاء التي بنيت عليها مباني عمومية.

- **مركز برج شانديز:** يعرف أيضا باسم البرج الأحمر، ويقع في وسط ثكنة عسكرية بمدينة ورقلة في الجهة الجنوبية، تم بناؤه سنة 1885م، ويضم طابقين بهما قاعات للتعذيب والاستنطاق.²

وبناءً على شهادات بعض المجاهدين التي اطلعنا عليها، والذين تعرضوا للتعذيب، وعاشوا تعذيب البعض من رفاقهم، فإن أهم أصناف التعذيب تمثلت فيما يلي :

- التكبيل بسلاسل حديدية من الرجلين واليدين بخلاف (الرجل اليمنى مع اليد اليسرى، والرجل اليسرى مع اليد اليمنى).

- التعذيب بالحرق وذلك باستعمال شواظ قارورة غاز الخاص بالتلحيم ويستعمل حتى الموت وحتى يفصل اللحم عن العظم.

¹ (مجهول)، «المفرزة العملية للوقاية DOP»، الخبر اليومي، 1 نوفمبر 2004.

² سبق التعريف به في الفصل الرابع من خلال استعراض السياسة العسكرية بالمنطقة

- التعذيب بالماء : وذلك في حالتين،الأولى: يكون الماء عكر وملوثا في حوض صغير يغطس فيه المعتقل لساعات طويلة لاستنطاقه،والثانية: عن طريق تمرير الماء بمضخة المياه عبر أنبوب حديدي يوضع في فم المعتذب (بفتح الذال)حتى ينتفخ بطنه،وفي حالات ينفجر من شدة الضخ (ولكم أن تتصور الصورة البشعة).

- التعذيب بالتجريح وبترا الأعضاء وتكسير العظام.

- التعذيب بالضرب المبرح بحيث يتم وضع المعتذب (بفتح الذال) بين لوحين ويتم إطباقهما عليه لمدة طويلة بعد ذلك يسكب عليه الماء البارد وبعدها يضرب ضربا مبرحا على رجليه،وتتم عادة في فصل الشتاء.

- التعذيب بالطابوري: وهو حلقة حديدية يعلق المعتذب(بفتح الذال) داخلها في السقف فيدخل الحديد في ظهره.

- التعذيب بالكلاب المدربة وذلك بتحريشها على السجين وهو عاري الجسد.

- التعذيب بالكهرباء حيث يطرح المعتذب(بفتح الذال)أرضا مسلسلا من الرجلين واليدين وتلصق به أسلاك كهربائية في الإصبعين الكبيرين من القدمين،واليدين،والأذنين ، وذكر الرجل ،كلها توصل بألة تشبه الرحي لها ذراع يديرها المعتذب (بكسر الذال)، إذا أدارها ببطء تحدث صدمات كهربائية قوية للجسم ،وإذا أدارها بسرعة غاب المعتذب عن وعيه.

وللحقيقة التاريخية فإن الجلادون بمركز الدوب(DOP) حاولوا استحداث أساليب جديدة أكثر فعالية،ويروي أحدهم أنه تم بذل مجهودات جبارة لعب الخيال فيها دور المساعد إلى أن تم إتقان هذا الفن، فلقد تم التنبه إلى أن المولد الكهربائي ذا المدواس ينشئ تيارا اشد من الذي يتولد من جهاز اللاسلكي المنقول، لم يكن الدوب (DOP) يتوفر على مثل هذا الجهاز،لكن عناصره كانوا يلجؤون إلى استعارته من مصالح الاتصالات الأقرب.

ثانيا/ نماذج من شهادات عن التعذيب في مراكز الاعتقال بورقلة:

ارتأينا أن نضيف إلى ما ذكرناه سالفًا بعض الشهادات لمجاهدين لازالوا على قيد الحياة منهم من مورس عليه التعذيب، ومنهم شاهد رفاقه يعذبون حتى الاستشهاد، وفي نظرنا تعتبر هذه الشهادات ذات أهمية لكونها تسلط الضوء على جوانب من المعاناة التي كان يعيشها هؤلاء المعتقلون وغيرهم في هذه المراكز:

1- الشهادة المجاهد الحاج عمر بن بلخير طواهر¹: هذا المجاهد اعتقل ثلاثة مرات كان أولها سنة 1948م بعد فوز مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية بورقلة في انتخابات المجلس الجزائري، والثانية في أواخر ماي 1956م بتهمة إيواء بعض المجاهدين المطلوبين من طرف السلطة الاستعمارية، والثالثة في 9 ديسمبر 1957م بمحتشد عين البيضاء، الذي بقي فيه إلى أوائل 1958م، ثم نقلوه رفقة 75 معتقلا إلى البرج الأحمر، وعن ظروف هذا الاعتقال ومجرياته، يروي قائلا: «لقد كانت حملة اعتقالات طالت جميع المشبوهين ممن كان لهم نشاط سياسي زمن الأحزاب، وفي هذا اليوم تم اعتقالنا نحن الخمسة من الرويسات وهم: أنا المتحدث، وقريشي محمد ناجي، وعباس عباس، وقريشي احمد، وقريشي محمد بن قاسم، في ليلة باردة حملتنا السيارة العسكرية إلى خيام نصبت غرب عين البيضاء وسط العروق، وفي هذا المعتقل شاهدنا هولا وعذابا لم نعرفه من قبل واليكم بعض صور التعذيب لرفقائي:

- في احد الأيام أيقضني احد رفاقي في السجن وقالو لي بأنهم ينادونك، فخرجت فأخذوني مباشرة إلى سيارة جيب (كات كات) وربطوني وابطحوني، فعلمت أنهم يريدون سحبي على الأرض، وقبل البدا في عملية السحب، جاء ضابط عسكري قدم من حاسي مسعود وسألهم عني؟، فأجابوه: هذا الذي حكمتم عليه بالسحب على وجهه، ولما سال عن اسمي: قلت طواهر عمر، فقال: لا لا، نحن أمرناكم بسحب محمد بن عمارة (من بسكرة)، فأطلقوني ثم جاؤوا بالمعني الذي مات تحت تعذيب الجر بالسيارة.

¹ شهادة المجاهد الحاج عمر طواهر، المصدر السابق.

- "استشهد زبيدي عبد القادر بعدما اعتقله الجنود السكارى ليلة الميلاد، واستغل هؤلاء الجنود خلو المعتقل من المسؤولين المحتفلين بحاسي مسعود، فاختدوا يرفعونه فوق رؤوسهم ويتركونه يسقط ثم يسحبونه على وجهه، وقد فعلوا به ذلك عدة مرات وهم يتضحكون حتى انقطع صوته، فعلم رفاقه في الخيمة انه استشهد.

- في نفس اليوم حملوا المجاهد شنين قدور وربطوه بالسلك الشائك إلى جدع النخلة وبقوا ليلة كاملة يضربونه بلوحة خشب ويعذبونه بأنواع العذاب، وعندما خرج احد رفاقه في الصباح للاستخلا، وشاهده، فقال لزملائه: بأنه استشهد بعلامة انه رأى الدماء تسيل من رأسه، وأن أسنانه الذهبية تلمع من بعيد.

- في ليلة أخرى حفروا خمسة قبور ثم جاؤونا وسألونا إن كنا نريد الذهاب للمرحاض؟، فأجابهم مصطفى حفيان: بأنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام، وأجبت أنا كذلك والحاج الأسمر أيضا، ولما وصلوا إلى العيد بن حروز (من متليلي)، خرج معهم فأطلقوا القيد (جمع قيود) من رجله وبقيت يدها مقيدتين، وأوقفوه عند إحدى الحفر، وأمروه بالنزول لقضاء الحاجة، وآذاك رموه بالرصاص على ظهره، ثم دفنوه في الحفرة.

- باحرiz (كذا) (اباضي) كانوا يعذبونه بالضرب والصعق بالكهرباء، وكلما أوقفوا تعذيبه يقول لهم مهددا: والله والله ستخرجون من الجزائر مهزومين مدحورين، واستمر على ذلك لا هم تركوه، ولا هو توقف عن الكلام حتى قلنا لهم انه مجنون، فتركوه.

2 - شهادة حول المرحوم المجاهد بن مالك محمد الحسان: في إطار البحث عن الدور النضالي الذي قام به هذا المجاهد خلال الثورة التحريرية بمنطقة ورقلة، سلم لنا السيد حكوم سليمان مخطوطة حول حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان، نقلها شفويا من بعض رفاقه، ومن ابن أخته الشيخ احمد بلعالم، وابنه محمد الحبيب سنة 2001م، وعن ظروف اعتقاله وتعذيبه يقول: « في سنة 1948م تم اعتقاله للتحقيق معه على خلفية نجاح ميلودي احمد بن عمار مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية في انتخابات المجلس الجزائري، وفي سنة 1959م اعتقل مرة أخرى بتهمة المساس بأمن الدولة الفرنسية،

وحكم عليه بأربعة أشهر سجنًا بمعقل الدوب (DOP)، حيث نال ألوانًا من العذب، بعدها نقل إلى المحكمة العسكرية بباتنة لمحاكمته، وأثناء المحاكمة تعمد نزع كل ملابسه في حركة سريعة أمام القضاة بحجة اطلاعهم على ثار التعذيب في أماكن حساسة من جسده، فاضطرب القضاة وأمرؤا بإخراجه ومن معه من قاعة المحكمة، فعجلوا بالحكم عليه وعلى رفاقه بأربعة سنوات سجنًا مع وقف التنفيذ... ومن آثار التعذيب عليه: سقوط جميع أسنانه، جروح بليغة في ذراعيه، حفرة في بطنه وظهره لازمتة الفراش مدة طويلة إلى أن وافته المنية بتاريخ 30 أفريل 1964م¹.

خلاصة الفصل :

ما يمكن قوله من خلال ما سبق إن قانون الحكم العسكري المفروض على الجنوب مند 1902م وقانون الأهالي (الانديجينا) الذي لا يعطي الحق للسكان الأصليين في التعليم والتوظيف والملكية وحرية الرأي والتعبير جعل الأجهزة الاستعمارية وعملائها على يقظة دائمة بكل ما يحدث في أي منطقة بالجنوب، ولذلك فإنها لم تكن على غفلة من الإراصاصات والتفاعلات السياسية والفكرية التي كانت تحدث في منطقة ورقلة، فدخلت في مواجهة مع مختلف التشكيلات السياسية على عدة جبهات بغية القضاء على أي تمرد سياسي في نظرهم يهين السلطة الفرنسية، ومن الإجراءات التي اتخذتها شن حملات اعتقال في صفوف التنظيمات السياسية، وفرض رقابة صارمة على كل الجمعيات الخيرية والرياضية، كما أطلقوا العنان لحكام المنطقة للتصدي لكل من تسول له نفسه الإساءة للسلطة الفرنسية.

زيادة على ذلك أن السلطة الاستعمارية استطاعت أن تحكم قبضتها على منطقة ورقلة لتعرف هذه الأخيرة نفس المصير الذي عرفته المناطق الأخرى من الوطن بعد الاحتلال وهو الخراب والفقر والحرمان والجوع والاضطهاد إلى غير ذلك من الحالات المكروهة من طرف الإنسانية جمعاء والتي كان يسميها الفرنسيون (التعمير أو الاستعمار)

¹ مخطوطة حول حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان، نقلها السيد سليمان حكوم شغويا من بعض رفاقه، ومن ابن أخته الشيخ أحمد بلعالم، وإبنه محمد الحبيب سنة 2001

،بالإضافة إلى السياسة التعسفية الاستعمارية التي دفعتهم إلى محاولة البحث عن خيار آخر ، يكون أكثر قوة من أسلوب المهادنة مع الاستعمار لأنه لا فائدة من ذلك ، وبالتالي فقد كان لبعض العناصر الدين أفرز تهم الحركة الوطنية بالمنطقة الفضل في اختيار الأسلوب العسكري الذي بدأ التحضير له بعد إلغاء الحكم العسكري بالجنوب سنة 1947م.

كما تجدر الإشارة أيضا أنه على الرغم ما فعله الطغاة المستعمرون في حق الجزائريين إلا أن إرادة الله كانت أقوى، وإرادة التضحية والفداء كانت أجلى وأبهى، وأبى هؤلاء الأحرار الذين قال فيهم الله عز وجل ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ إلا أن يمتطوا مذبح البطولة معراجا، ولا يهتم من الشهادة إلا أن تحيا الجزائر حرة مستقلة، كما أن صفحات التاريخ لن تلغي ما فعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر وما لحق بشعبه من جراء أساليبه الجهنمية في التعذيب والتنكيل والاعتصاب والإعدام، ولن تلغي كذلك صفحات التاريخ مراكز الاستنطاق والتعذيب، ولن ينسى المجاهدون الذين لازالت آثار التعذيب على أجسادهم كشواهد على جرائم بشعة ارتكبت في حقهم.

وزيادة على ما تمت الإشارة إليه في سياق الحديث عن التعذيب والقمع البوليسي، هو أن السلطة الاستعمارية لم تكتفي بذلك، بل راحت تواصل سياستها القمعية ومشاريعها الاستعمارية في المنطقة، وخصوصا لما اشتدّ عود الثورة في المناطق الصحراوية، واكتشاف النفط فيها، غير انه في المقابل كان أهالي ورقلة بالمرصاد لهذه المشاريع الاستعمارية ، ولم يفوتوا الفرصة لتخليد موقفهم، واخص بالذكر مشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

الفصل السادس

موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية

المبحث الأول:

المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1947-1962م)

المبحث الثاني:

موقف مجلس عمالة الواحات وسكان ورقلة من مشروع الانفصال

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول من الدراسة أنه من بين الدوافع الأساسية لاحتلال ورقلة هو محاولة اكتشاف الصحراء، وهذا ما يؤكد لنا قطعاً أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية كان مع البدايات الأولى للغزو الفرنسي سنة 1830م، وما الدراسات العلمية الفرنسية والمخطوطات العربية المترجمة والمشاريع الاستعمارية الصحراوية كمشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصحراوي، ومشروع البحر الداخلي الصحراوي الإفريقي، لأقوى دليل على أقدمية الاهتمام الفرنسي بالصحراء، وعليه يبدو أن نظرتنا أن هذه الدراسات والمشاريع الاستعمارية ساهمت مساهمة فعالة في إدخال وتغلغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

ولقد حدد الساسة والمؤرخون الفرنسيون أن سنة 1844م هي البداية الفعلية للاهتمام الرسمي الفرنسي بالصحراء الجزائرية، وذلك حين أصدر البرلمان الفرنسي قانوناً ينص على تمديد منطقة الاحتلال باتجاه الجنوب، وتكوين عملاء موالين لفرنسا يمهّدون ويسهلون لفرنسا احتلال الصحراء، وهذا ما حدث مع الخليفة أحمد بن سالم الذي عينته فرنسا خليفة على الاغواط. بمرسوم ملكي صادر بتاريخ 16 أوت 1844م، ونفس الشيء مع حمزة ولد بوبكر الذي عينوه خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى ورقلة، وقد لعب دوراً كبيراً في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شجرة في الاغواط و ورقلة.

وتواصل الاهتمام الفرنسي بالصحراء كلما ظهرت ظروف جديدة تخدم المصالح الفرنسية، حيث ازدادت حدة هذا الاهتمام في منتصف الستينات من القرن التاسع عشر (19م) حين تم اقتراح بجعل الصحراء عمالة رابعة في الحكومة العامة الفرنسية بالجزائر، وأن تكون الاغواط مركز القيادة العسكرية، غير أنه خلال بداية القرن العشرين تراجع هذا الاهتمام تدريجياً بسبب ظهور مسؤوليين معارضين لهذا الاهتمام الكبير بالصحراء، ولتقليل من نفقاتها المالية، ومنهم أوقستان برنار *Augustin Bernard* الذي

قال: " أنه بكل تأكيد أن الصحراء لا تستحق التضحية بكثير من الرجال، ولا بالكثير من الأموال من أجلها فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة، سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها، أو على اعتبار كونها منفذاً نحو السودان"¹.

لكن في المقابل ظهر خلال الحرب العالمية الثانية دعاة فرنسيون بعثوا الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية من جديد، وطالبوا باستغلال الصحراء الجزائرية ، خاصة بعد صدور القانون الأساسي الخاص بنظام الجزائر، والذي نص على إلغاء النظام العسكري في المناطق الصحراوية وجعلها مثل عمالات الجزائر، وعليه عملت الإدارة الاستعمارية على إقامة قواعد عسكرية ومؤسسات اقتصادية تحمي فرنسا وظهر أوروبا الغربية من ناحية الجنوب²، وهذا ما سنستعرضه في المبحث الآتي.

المبحث الأول: المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1947-1962م)

أولا/ أسباب عودة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية: بطبيعة الحال فقد اقترح العديد من الخبراء والسياسيين الفرنسيين عدة مقترحات بهدف استغلال المناطق الصحراوية الجزائرية، ولكن يبقى السؤال مطروحا في هذا السياق: لماذا كل هذا الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية؟ هل هو لمصلحة اقتصادية تحاول فرنسا من خلاله تعويض التدهور الاقتصادي نتيجة الحرب العالمية الثانية؟ أم لمصلحة إستراتيجية وعسكرية تحاول فرنسا من خلاله رد الاعتبار لجيشها الذي مُنيّ بخسارة كبيرة أمام القوات الألمانية سنة 1940م من جهة، ولتغير موازين القوى العسكرية من جهة أخرى؟

¹ Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit, pp 149-150

² المجاهد، « الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء أخطر من البترول »، ع 102، 14 أوت 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص6.

طبعاً الأكيد أن التطورات العسكرية والسياسية والاقتصادية والجغرافية التي غيرت الخريطة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية كانت وراء ازدياد حدة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، ويمكننا أن نحصر أسباب عودة الاهتمام من جديد في النقاط التالية:

1- ظهور دعاة ينادون باستغلال المناطق الصحراوية، منهم على الخصوص اريك لابون¹ *Erik Labonne* الذي اقترح مشروعاً اقتصادياً وعسكرياً للاستفادة من الثروات الطبيعية والطاقة الصحراوية الجزائرية، وفي ذلك يقول: "إن إنشاء صناعات ثقيلة وخفيفة لغايات مزدوجة إستراتيجية واقتصادية لا يمكن مباشرته من مراكز متفرقة ومتباعدة على الخصوص، وحتى لو تم التنسيق بين إمكانياتنا، فإن هذه الأخيرة تبقى ضعيفة ومحدودة أمام عظم هذه المهمة، كما أن منهجية توزيع الجهد على عدة نقاط هي غير مقبولة تقنياً، ومضرة عملياً، وتقود حيثما كانت إلى النقص في الموارد والفشل، لذلك فمن الأنسب تركيز الجهود والإمكانيات في نقاط محددة بما يسمح جملة باستعمال معقول للموارد الطبيعية والاستجابة للمتطلبات الإستراتيجية".²

2- العمليات العسكرية التي وقعت بصحراء شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية كشفت مدى الأهمية الإستراتيجية والحيوية التي تمثلها هذه الصحراء خاصة على الصعيدين الأمني والسلمي بالنسبة لأوروبا، وتم التوصل إلى قناعة عسكرية أن المسيطر على هذه المنطقة ستكون له الكلمة الأولى في استخدام هذه المنطقة اقتصادياً وعسكرياً، خاصة في ظل الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، إذ أصبحت أوروبا تشعر بالضيق والاختناق عسكرياً وصناعياً، فمكائنها العسكرية ومنشأتها الصناعية تتموقع في مساحات ضيقة آهلة بالسكان، على عكس ما يتمتع به الاتحاد السوفياتي من مساحات

¹ سفير فرنسا والمقيم العام الفرنسي السابق بكل من المغرب وتونس، والرئيس بالنيابة للجنة الدراسات لمناطق التنظيم الصناعي بإفريقيا

² محمد بن دارة، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952-1962، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة (مخطوط)، جامعة الجزائر، 1998/1999، ص ص: 22-23

واسعة، ومن هذا المنطلق اكتشفت الدول الأوروبية أنه لا مفر من استغلال فضاءات شمال إفريقيا وامتداداته الصحراوية للتخلص من الضيق والاختناق الجغرافي.¹

وفي نظر أحد الباحثين أن اندلاع الحرب الباردة، وظهور الحركات التحررية في المغرب العربي أدى إلى إسناد دور آخر أكبر وأوسع للصحراء مما يخدم هدفين استراتيجيين وهما²:

أ- جعل من عملية تثمين واستغلال المناطق الصحراوية حاجزا يقف أمام المد الشيوعي والعربي الذي يحاول التغلغل في قلب القارة الإفريقية عن طريق مصر الناصرية حليفة موسكو.

ب- جعل من عملية تثمين واستغلال هذه المناطق أيضا مفتاحا لتحقيق دمج كامل لشمال إفريقيا في فرنسا ثم في أوروبا في إطار المشروع الاستراتيجي الجديد المعروف بـ "الأوروافريك".

3- محاولة التخلص من التبعية الطاقوية التي كانت تعاني منها فرنسا، مما أصبحت لديها قناعة راسخة أنه لا يمكن تحقيق أي استقلالية طاقوية إلا باستغلال الموارد الطبيعية المخزونة بالصحراء الجزائرية، وهذا ما جعل ماكس لوجان *Max lejeune* يتساءل في حالة ضياع الصحراء الجزائرية من أيديهم قائلا: "إذا ضاعت الصحراء من أيدينا وأصبحت بأيدي الآخرين فماذا ستصير فرنسا أمام منافسة الدول الجديدة؟ وكيف تُوازن واردتها الضرورية في المواد الأولية؟ وماذا يحدث للرخاء الفرنسي وللعمل الفرنسي ولمستوى المعيشة لدى الفرنسيين؟.. إن الصحراء تعتبر بما تضمنه لنا من استقلال اقتصادي نجاحا رائعا لعبقرية وشجاعة الشعب الفرنسي".³

¹ محمد الميلي، المغرب العربي بين حسابات الدول ومصالح الشعوب، بيروت، دار الثورة للنشر، 1983، ص 75

² محمد بن دارة، المرجع السابق، ص 21

³ المجاهد، «الصحراء من ماكس لوجان إلى دي غول»، ع 93، بتاريخ 10 أبريل 1961، (ج 4)، طبعة خاصة 2007، ص 10.

4- إن القيادة العسكرية الاستعمارية أصبحت لديها قناعة في أن اتساع الرقعة الجغرافية للصحراء الجزائرية يصلح كميدان عسكري لاختبار التجارب النووية والجرثومية، لكون أن مثل هذه الأسلحة تحتاج إلى ميادين خالية وشاسعة، ويمكن في نفس الوقت استحداث قاعدة عسكرية لفرنسا لتكون منطلقا لعمليات عسكرية في إفريقيا وأوروبا، وهو ما يؤكد أحد الجنرالات في قوله: "طيران استراتيجي، صواريخ توجه عن بعد، مراكز قيادة، مخازن حربية لمختلف الأسلحة... يمكن أن تجد لها كلها في الصحراء وبلا صعوبة، أماكن متفرقة تضمن حمايتها وأمنها، مما يجعل من هذه الصحراء أكبر قاعدة إستراتيجية في العالم... كما أن توفرها على ثروات باطنية هائلة يسمح لنا بإقامة صناعة ثقيلة لا حاجة لتدليل على أهميتها الحيوية في حالة حرب عالمية، فتمركز الصناعات وتكدسها بأوروبا الغربية يجعل منها أهدافا سهلة لبضعة قنابل نووية".¹ وبالفعل استطاعت فرنسا سنة 1947م أن تنشئ محافظتين متعلقتين بالنشاط النووي، وعملت من خلالهما على القيام بتجارب نووية في الصحراء الجزائرية باستخدام الجزائريين دروعا بشرية لهذه التجارب دون احترام ادني شروط الإنسانية. زيادة على ذلك أنشأت السلطة الاستعمارية في 24 أبريل 1947م بمنطقة كولب بشار قاعدة حربية ضخمة تجري فيها كل تجارب الحرب العصرية من القنبلة الذرية إلى الصواريخ، وأخذت هذه القاعدة اسم "المركز العسكري للتجارب الصاروخية الخاصة".²

5- تعتقد السلطة الاستعمارية أن الصحراء الجزائرية أداة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، وعليه فبهذه الخاصية ستلعب دورا كبيرا في مستقبل العلاقات التضامنية بالقارة الإفريقية، ويعدّها هذا الدور وضعها الجغرافي وإمكاناتها الاقتصادية، ومن هنا فهي تشكل في نظرها خطرا يجب إبطال مفعوله، وذلك بفصل الجنوب عن الشمال حتى تفقد الجزائر حدودها المشتركة مع الدول المجاورة، مع إقامة قواعد عسكرية في إفريقيا تكون مصدر تهديد دائم لكل محاولات التحرر والانعقاد الحقيقي.³

¹ محمد بن دارة، المرجع السابق، ص21

² المجاهد، «الخفايا العسكرية...»، المصدر السابق، ص6.

³ المجاهد، «أهداف الاستعمار في الصحراء»، ع98، 19 جوان 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص4

إذن كانت هذه الأسباب كافية لعودة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بقوة كبيرة، وشرعت بعد الحرب العالمية الثانية في استغلال هذه المناطق، عن طريق استحداث مجموعة من المشاريع الاستعمارية تمثلت في استصدار عدة قوانين وتنظيمات إدارية واقتصادية تضمن السيطرة والاستغلال الكلي للصحراء الجزائرية.

ثانيا/ أهم هذه المشاريع الاستعمارية :

1- إنشاء مجموعة من المؤسسات والمجمعات الصناعية: وهي مجهزة بإمكانيات بشرية ومالية هامة تابعة لرئاسة الوزارة الفرنسية ومنها:

أ- مكتب البحوث البترولية: تم إنشاؤه عام 1945م، وكلف بمراقبة جميع البرامج والتصميمات المالية والفنية، ومراقبة جميع الشركات القائمة بمختلف البحوث والتنقيبات.¹

ب- الشركة القومية للبحث عن البترول في الجزائر (S.N.REPAL): أنشئت عام 1946م، لعبت دورا كبيرا في استنزاف خيرات وثروات الصحراء الجزائرية.²

ج- مكتب البحوث المنجمية: تم إنشاؤه سنة 1948م ليضمن مواصلة التفتيش عن الموارد الطبيعية الموجودة في الجزائر وضمان استغلالها.

د- لجنة دراسة مناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي: وقد تم تأسيسها في 24 جوان 1950م بهدف التنسيق الصناعي بين مختلف أجزاء الاتحاد الفرنسي، والنظر في إمكانية تحقيق برامج اقتصادية وصناعية واسعة تراعى فيها المنابع الطبيعية الموجودة والمصالح الفرنسية السياسية والفنية والعسكرية، هذا بالإضافة إلى تحديد أماكن معينة يركز فيها التجهيز الصناعي.³

¹ الجاهد، «الصحراء من ماكس لوجون...»، المصدر السابق، ص8.

² المصدر نفسه، ص8

³ "فرنسا وثروات الصحراء الجزائرية"، ملتقى وطني حول فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن، 1998، ص ص: 44-45

هـ- شركة البحث واستغلال بترول الصحراء(C.R.E.P.S)،: أنشئت عام 1951م، ويتألف رأس مالها من 65 % مساهمة الدولة، و35 % مساهمة شركة شال وشركة بترول الجزائر.¹

و- المكتب الصناعي الإفريقي: تم إنشاؤه سنة 1951م، ويعمل على تنفيذ القرارات الاقتصادية والصناعية المتعلقة بإفريقيا، وفي توسيع المنظمات الصناعية واستثمار الموارد الطبيعية المختلفة، وتشجيع كل محاولة لاستغلال الصحراء. هذا بالإضافة إلى وجود منظمات خاصة شبيهة بالعامّة تعمل بتوجيه الحكومة الفرنسية، مثل شركة الدراسات للتجهيز المنجمي والصناعي، والجمعية الأوروبية الإفريقية المنجمية والصناعية²، والعنوان الرسمي الذي اخفت وراءه فرنسا الهدف الحقيقي من وراء هذه القواعد لمخادعة الأفارقة هو "تطوير الصناعات في البلدان الإفريقية".³

وعليه استطاعت فرنسا عن طريق هذه المؤسسات الصناعية أن تكتشف الكثير من الثروات الطبيعية بالصحراء الجزائرية، وفي مقدمتها الغاز حيث تم اكتشافه سنة 1954م لأول مرة في جبل برغة قرب عين صالح، وفي 12 جوان 1956م توجت الأبحاث الجارية في حاسي مسعود على بعد 100 كلم شرق ورقلة بالنجاح حيث اكتشف على عمق 3300م حقل هام للبترول تبلغ كثافته 140م⁴، الأمر الذي دفع بالإدارة الفرنسية إلى التثبيت بفكرة تثمين واستغلال الصحراء الجزائرية من أي وقت مضى، مختلقين عدة ذرائع وحجج لتبرير التواجد الفرنسي بالمناطق الصحراوية.

وعلى إثر النتائج الأولية للاكتشافات البترولية جندت فرنسا منذ سنة 1955م ثلث نفقاتها في كل مستعمراتها ومحمياتها للأبحاث التمهيدية والحفر في الصحراء⁵، غير أن ما

¹ المجاهد، «الصحراء من ماكس لوجون...»، المصدر السابق، ص8.

² "فرنسا وثروات الصحراء الجزائرية"، المرجع السابق، ص45.

³ المجاهد، «الخفايا العسكرية...»، المصدر السابق، ص6.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ الحاج عمر موسى بن عمر، بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا ورهانات الثورة في الجزائر، 2008، ص88.

تجدر الإشارة إليه هو أن فرنسا كانت قد فتحت باب الاستثمار البترولي لبعض الشركات الأجنبية لدعم الاقتصاد الفرنسي ولكن بشروط للحصول على رخصة الحفر والتنقيب والاستغلال، ولعل الدافع من وراء وضع هذه الشروط هو ضمان عدم تدخل حكومات الشركات الأجنبية في شؤون فرنسا مع مستعمراتها، وبحلول سنة 1959م بلغت الرخص الموزعة على الشركات البترولية الأجنبية المستثمرة في الصحراء الجزائرية 54 رخصة.¹

2- إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية OCRS:

فيما يبدو لنا أن التطورات المتزايدة في الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية كانت بسبب اشتعال الثورة الجزائرية التي كانت إحدى العوامل الأساسية في التصدي للسياسة الفرنسية بالصحراء الجزائرية، غير أنه في المقابل استغل بعض الفرنسيين الثورة الجزائرية وحاولوا إطالة عمرها بغية الحفاظ على أن تبقى الصحراء الجزائرية فرنسية، وبل دعمت ذلك بإصدار قانون رقم 27-57 المؤرخ في 10 جانفي 1957م، الذي ينص على إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، وهو مشروع يسعى إلى تحقيق تنظيم اقتصادي للصحراء، ويحتوي القانون على ثلاثة عشرة مادة، وما يهمنا في هذه الدراسة يمكن استعراضه كالآتي²:

المادة رقم 01: تنشأ منظمة مشتركة للمناطق الصحراوية، تهدف إلى العمل على التطوير الاقتصادي والرفعي الاجتماعي للمناطق الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية والتي تساهم في تسييرها الجزائر، موريتانيا، السودان الفرنسي، النيجر، التشاد.

المادة رقم 02: تضم المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية أساسا المناطق الآتية والكائنة بين الجزائر والسودان الفرنسي والنيجر والتشاد وهي:

أ- البلدية المختلطة والأجزاء الملحقمة بـكولومب بشار، والجزء الملحق بـيجري فيل (البيض) الواقع جنوب جبال القصور، وكذا البلديات المحلية وملحقات الساور، وقورارة، وتوات وتندوف، والآجر، والهقار، والقسم الصحراوي لدائرة قندام وتمبوكتو وقاو.

¹ الحاج عمر موسى بن عمر، المرجع السابق، ص 88

² J.O.R.F, du 11 Janvier 1957, p578

ب- الأقسام الصحراوية من البلديات المختلطة للاغواط والجللفة والبلديات المحلية وملحقات غرداية، والمنيعة، وورقلة، والبلديات المختلطة لتقوت ووادي سوف، وملحقات تيديكلت، والآجر، والحقار، والقسم الشمالي لدوائر طاوي واقاديس، والمتضمنة لمجموع فرع بيلمة، ومنطقة بيركو انيدي تيبستي.

المادة رقم 05/الفقرة الثانية: يمثل المنظمة مندوب عام يعين بمرسوم في مجلس الوزراء وهو المسؤول الأول على تطبيق البرامج المخططة ومراقبتها.

المادة رقم 08: تتمتع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي ولها ميزانية للتسيير تحت إشراف رئاسة المجلس.

المادة رقم 12: المنظمة ملزمة بتقديم تقرير سنوي عن نشاطها إلى البرلمان، يتم إلحاقه بمشروع الميزانية للمنظمة مع كل سنة مالية.

طبعاً مشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية جاء باقتراح السيد هوفوي بوانيي *Hauphouet Boigny*¹، الذي قدمه بدوره إلى مجلس الوزراء بعدما تم عرضه على المجلس الوطني ومجلس الجمهورية، تمت المصادقة عليه في 10 جانفي 1957م²، ولإشارة فإن مقترح السيد هوفوي بوانيي *Hauphouet Boigny* كان قد سبقته عدة مقترحات من طرف بعض السياسيين، ونخص بالذكر كلا من السادة بيار كورني *Pierre Corneille*، وبواسدون *Boisdon*، وجولي بيار *Jolly Pierre*... وغيرهم، غير أن جل مقترحاتهم لقيت معارضة قوية من طرف بعض أعضاء البرلمان الفرنسي، ومن طرف ممثلي الجزائر في المجلس الوطني، على الرغم من أن مشروع المنظمة المشتركة الصحراوية كان سيلقى هو الآخر معارضة مثل الاقتراحات السابقة لولا تحايل الحكومة الفرنسية، وذلك بتمرير المصادقة على المشروع دون موافقة المجالس الإقليمية للمناطق الصحراوية. زيادة على ذلك ونتيجة لمجموعة انتقادات وجهت لهذا المشروع، فإن قانون إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية كان قد تعرض إلى عدة تعديلات جوهرية نتيجة للأوضاع المستجدة

¹ هوفوي بوانيي *Hauphouet Boigny* : الوزير المنتدب لدى رئاسة مجلس الوزراء في حكومة قي موليه، ورئيس جمهورية ساحل العاج فيما بعد.

² J.O.R.F, du 11 Janvier 1957,p578

على كافة الأصعدة¹، وعلى الرغم مما جاء به قانون 10 جانفي 1957م من مواد، هل استطاعت هذه المنظمة أن تحقق أهدافها التي سطرها هذا القانون؟

يبدو انه من خلال قراءتنا لما أنجزته هذه المنظمة على مستوى منطقة ورقلة ما بين 1958 و1962م، يمكن القول أنها استطاعت أن تحقق تنمية اقتصادية في إطار ما يخدم المصالح الفرنسية بهذه المناطق خاصة في مجال البنى التحتية والمشاءات القاعدية كالري والتعمير والسكن، وهذا يتجلى من خلال قوة الاعتمادات المخصصة للتمويل والتجهيز، حيث وصل مجموع رصيد المدفوعات لميزانيتي التجهيز والتسيير ما بين 1958م و1959م إلى 291،21 مليون فرنك جديد، أي حوالي 16%²، ويمكننا استعراض انجازات المنظمة بمنطقة ورقلة في هذه الفترة كما يلي:

أ- التنمية الاقتصادية:

1- في مجال الاستثمار والصناعة البترولية والكيمياوية: لم يكن الاستثمار في الصحراء من الاهتمامات الأولية للإدارة الفرنسية، غير انه بعد اكتشاف البترول والغاز في الخمسينات سارعت السلطة الاستعمارية إلى إعطاء أهمية قصوى لمجال الاستثمار في الصناعة البترولية، حيث سخرت كل الوسائل اللازمة، وقدمت مجموعة من التسهيلات المالية والجمركية لتحقيق ذلك، حيث أصدرت في شان ذلك مجموعة من القوانين³ ترمي إلى تشجيع وإنشاء المؤسسات الصناعية بالمناطق الصحراوية، فعلى مستوى منطقة ورقلة، وفي إطار التقسيمات الإدارية الجديدة، وبموجب قانون رقم 58-866، الصادر في 20 ديسمبر 1958م والمتعلق بالتنظيم البلدي بعمالي الواحات والساورة، إنشاء ثلاث بلديات جديدة كاملة الصلاحيات وهي ورقلة، الشعانة مع بني ثور، سعيد عتبة مع

¹ محمد بن دارة، المرجع السابق، ص 76

² المرجع نفسه، ص 89

³ مثل: قانون رقم 58-1248 المؤرخ في 18 ديسمبر 1958م والمتعلق بتنظيم الشركات الصحراوية للتنمية

- قانون 7 جانفي 1959م متعلق بالمساهمة المالية للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية

- قانون 11 سبتمبر 1959م يتعلق بالإجراءات ذات الطابع الضريبي

المخادمة¹، وباعتبار هذه البلديات جديدة، فقد كانت بداية التنمية فيها ضعيفة، لكونها تحتاج إلى ميزانية مالية ضخمة للتنمية المحلية، وعليه في هذا السياق صدر قانون تحت رقم 59-1589 المؤرخ في 31 ديسمبر 1959م، يتعلق بإنشاء الصندوق الصحراوي للتضامن (CSS) الذي يشرف على توزيع العائدات البترولية على العمالات والبلديات بهدف تنميتها، ويكون ذلك وفقا لتوزيع التالي²:

- 13 فرنك للساكن الواحد تدفع لبلديات العمالة.
- 6 فرنك للساكن الواحد تدفع للعمالة.
- إلغاء ضريبة الزكاة على المواشي وضريبة اللزّمة على النخيل.
- يستعاد العمل بنظام المساهمة الفردية من الوجهة النظرية.

إضافة إلى ما ذكرناه سابقا، وفي إطار تحويل البترول نحو اراضي الشمال، واستخدام الطاقة الشمسية في الصحراء ، أشرفت المنظمة في 19 نوفمبر 1959م على تدشين أول أنبوب لحمل البترول من حوض الحمراء إلى بجاية يبلغ قطره 60سم، وطوله 662 كلم²، به أربع محطات للضّخ بطاقة تبلغ 15,3 مليون من الأطنان في السنة، وفي شهر أوت 1961م تم إنشاء محطة للطاقة الشمسية تابعة لمعهد الطاقة الشمسية بجامعة الجزائر في ثلاث أماكن، إحدهما في المنطقة الصناعية، واثنان في قطاع التطور الريفي لبلدية المخادمة في إطار انجاز جملة من المشاريع الصناعية مثل: تجارب على مواد معاكسة مختلفة، إنتاج هواء ساخن بواسطة الطاقة الشمسية، تصنيع بعض مواد البناء في الفرن الشمسي، إعادة تصنيع الزجاج المكسر، صنع مبيدات للحشرات، تصنيع بعض الأسمدة الفلاحية الخاصة بمزروعات الكلاء والخضر.³

2- في مجال النقل البري: سبقت الإشارة إلى أن السلطة الاستعمارية بعد

استقرارها بورقلة اهتمت اهتماما كبيرا بصيانة وتشييد طرق المواصلات قصد

¹ J.O.R.F, du 23 Septembre 1958, p 8738

² Rapport sur la politique du crédit de la Caisse Saharienne de Solidarité 1959, C.D.A.W.O, B574

³ Nouvelles du Sahara , bulletin périodique d'information économique et financiers , N°48, 26 /08 / 1961

الربط بين ورقلة والمناطق المجاورة لها، وقد تجسد هذا الاهتمام سنة 1915م حينما أنشأت السلطة الاستعمارية أول طريق بين ورقلة وعين صالح ، بعد ظهور أول سيارة عسكرية متحركة ذاتية¹، لتتوالى بعدها إنجاز العديد من الطرق بخطى متباطئة نتيجة عدة عراقيل طبيعية وعسكرية، ومع تجدد الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية واكتشاف البترول سنة 1956م، سارعت السلطة الاستعمارية إلى وضع برنامج لإنجاز شبكة جديدة للطرق والمواصلات والنقل الحضري سنة 1958م بإشراف المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بهدف تخفيف تكاليف النقل، وتسريع وتيرة البحث والتنقيب عن البترول في المناطق الصحراوية، ولهذا استطاعت المنظمة إنجاز ما يلي:

- إنجاز الطريق المزفت يربط بين ورقلة وحاسي مسعود.
- إنجاز الطريق المزفت يربط بين ورقلة وغرداية.
- إنشاء محطة للنقل البري بمساحة 4 هكتارات، والمنطقة الصناعية بمساحة 60 هكتار.²
- انطلاق أول شبكة للنقل الحضري.³
- ربط الشبكة الحضرية لورقلة بمحطة حوض الحمراء بحاسي مسعود.⁴

أما فيما يخص النقل الجوي فقد سارعت السلطة الاستعمارية إلى إنشاء العديد من المطارات نظرا لمتطلبات البحث والتنقيب عن البترول، فقد صدر مرسوم بتاريخ 20 نوفمبر 1958م متعلق بتهيئة البنية التحتية لإنشاء مطارات في المناطق الصحراوية، حيث تم لذلك تخصيص قطعة أرضية في ورقلة بمساحة قدرت بـ 114300م²، وقسمت إلى قطعتين الأولى بمساحة 113180م² خصصت كأرضية للمطار، والثانية بمساحة 1120م² خصصت لبناء سكنات للمهندسين الطيارين، ورئيس المطار، وبعض المكاتب

¹ دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص43

² S.E.L.I.S, Etude Générale d'aménagement de Ouargla ,Rapport préliminaire, paris,1960 ,p158

³ Ibid,p160

⁴ Ibid,p158

لعمال المطار¹، وفي أول سبتمبر 1959م تم استكمال تهتئة المطار، حيث دشنت حظيرة للطائرات قرب برج المراقبة، وشهدت هذه الحظيرة نشاطا حيويا بسبب ذهاب وإياب عمال البترول القادمين من الشمال، فحسب إحصائيات المنظمة لسنة 1960م فقد وصل عدد الركاب الواصلين الى 6003 راكب، و5710 مغادر، كما قامت المنظمة من جانبها في نفس السنة من تهئية مدرج الحظيرة، كما دلت إحصائيات أخرى للمنظمة لسنة 1962م أن قيمة الاستثمار في مجال النقل الجوي وصلت الى 5،6 مليار فرنك قديم.²

3 - في مجال الاتصالات: في إطار تحسين خدمة الاتصالات بالمناطق الصحراوية عمدت المنظمة إلى إنشاء شبكة اتصالات هيرترية تربط بين مختلف جهات الوطن بشماله وجنوبه وشرقه وغربه، وذلك وفقا لثلاثة محاور رئيسية وهي كالتالي³:

- المحور الأول: يشمل الجزائر، الاغواط، غرداية، ورقلة.
- المحور الثاني: يشمل قسنطينة، بسكرة، تقرت، ورقلة، حاسي مسعود، عين امناس.
- المحور الثالث: يشمل وهران، بشار، تميمون، ادرار، عين صالح، تمنراست.

وفي ذات السياق قامت المنظمة في أول سبتمبر 1959م بافتتاح الاتصال اللاسلكي والهاتفي المباشر بين ورقلة وباريس⁴، وإنشاء شبكة هاتفية أخرى على مستوى حاسي مسعود⁵، كما قامت المنظمة ابتداءً من شهر جانفي 1960م إلى وضع الشبكة الهيرترية تربط بين الجزائر العاصمة وورقلة مجهزة بهوائيات مقعرة قطرها حوالي 10م⁶، وفي 17

¹ Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11, p183. C.D.A.W.O, B 62

² O.C.R.S ,dossier établi par le S.R.P.I , op.cit

³ Ibid

⁴ المجاهد، «الصحراء من ماكس لوجون...»، المصدر السابق، ص9.

⁵ Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 8 Octobre 1959.

⁶ Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 1 Janvier 1960

نوفمبر 1960م تم تدشين الاتصال الهيرتزي الاغواط- غرداية- ورقلة مع 24 مكالمة في نفس الوقت.¹

4- في مجال الري: في إطار استكمال المنظمة لبرنامجها الاقتصادي، عمل فرع الري والتجهيز الريفي التابع للمنظمة، بالتنسيق مع مكتب البحث والتنقيب عن البترول على القيام بمجموعة من الأبحاث العلمية على مستوى الطبقات الأرضية بورقلة، وذلك لمعرفة كميات الثروة المائية الجوفية من أجل استغلالها واستخدامها فيما يخدم المصالح الاستعمارية، وفي هذا الصدد شرعت المنظمة ما بين 1959م و1960م في حملة لحفر 13 بئر على طبقة ميوبليوسان مجهزة بمضخات²، بالإضافة إلى أنه تم في شهر ماي 1961م انجاز بئرين: الأول كان على مستوى منطقة الحذب على طبقة الايبان عمقه 1340م وضغطه لدى الخروج 21كلغ/سم²، وطاقة إنتاجه 4000ل/ث، أما الثاني فكان على مستوى حاسي بن عبد الله على عمق 1380م وبضغط 21كلغ/سم²، وبطاقة إنتاجه تصل إلى 400ل/ث³، زيادة على تشييد خزان لمياه الايبان بقدرة تخزين 1500م.⁴

5- في مجال الفلاحة والزراعة: بناء على المادة الأولى من قانون إنشاء المنظمة، والتي تهدف إلى العمل على تطوير الاقتصاد بالمناطق الصحراوية، اتخذت المنظمة عدة إجراءات بغية تطوير وتنمية الفلاحة والزراعة الصحراوية، وذلك باستصلاح الأراضي الزراعية، وتجهيزها ليتم توزيعها على الفلاحين، وهذا تكملة للدور الذي يقوم به صندوق التمليك والاستثمار الريفي (CAPER) منذ إنشائه سنة 1956م⁵، ولتحقيق هذه السياسة الزراعية تم إسناد المهمة إلى قطاع التطور الريفي (SAR) الذي أنشئ سنة 1958م،

¹ Nouvelles du Sahara, N°39, 26 Décembre 1960

² M.R.Brigol, Op.Cit. pp 149-150

³ Ibid, p 131

⁴ Ibid, p 149

⁵ J.J.Perennes , Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l' Oued R'hir (Algérie) Alger, O.P.U,1979,pp 128-133

والذي كان مقرة بسعيد عتبة¹، وأول ما قام به هذا القطاع بذل مجهودا لإعادة إنعاش غابات النخيل بمنطقة بني ثور والمخادمة، كما صدر مرسوم في 20 نوفمبر 1958م ينص على تقديم خدمات هيدرولية وتوزيع تجهيزات فلاحية لصالح فلاحى منطقة المخادمة²، وفي إطار القيام بأبحاث علمية لمختلف مشاكل الفلاحة الصحراوية، وخصوصا مشكل ملوحة مياه السقي، قام قطاع التطور الريفي سنة 1959م بتجاربه الأولى للسقي النخيل بمياه الليان، غير أن هذه التجارب الأولى أعطت نتائج سلبية³.

وفيما يخص استفادة فلاحى منطقة ورقلة من مشروع استصلاح الأراضي عن طريق تقديم قروض مالية من صندوق التمليك والاستثمار الزراعي، فقد استفاد عدد كبير منهم بقطعة فلاحية بمساحة 0,75 هكتار بها ما بين 90 إلى 100 نخلة (جبارة)، حيث وصل عددهم سنة 1960م إلى 3190 فلاح⁴، وعلى الرغم من استفادة الفلاحين من قطع فلاحية، إلا أنهم واجهوا عدة صعوبات، أهمها عدم توفر منابع المياه للسقي، حتى وان وجدت فقد تكون بعيدة عن المساحات الزراعية، فمثلا في شهر أفريل 1960م استفادت المخادمة وسعيد عتبة بمساحة زراعية تقدر بـ 51,5 هكتار، غير انه لم يستصلح منها 13 هكتار⁵.

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 91

² Bulletin Officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11, p181.

³ M.R.Brigol, Op.Cit. p164

⁴ Nouvelles du Sahara, N°6, Décembre 1963-Janvier 1964

⁵ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 99

وتجدر الإشارة إلى أن الفلاحين المستفيدين من صندوق التمليك والاستثمار الزراعي، يسددون ديونهم بعد ثماني سنوات من الإنتاج على شكل أقساط لمدة تتراوح ما بين 25 إلى 30 سنة، وفقا للتوزيع الآتي:

- مستحقات تكاليف حفر البئر 750000 ف.ق
- مستحقات قنوات السقي وصرف المياه 370000 ف.ق
- مستحقات الفسائل وتكاليف المتابعة التقنية لمدة ثماني سنوات 580000 ف.ق
- مستحقات المسكن 600000 ف.ق

للمزيد حول السياسة الاستعمارية الزراعية بالجنوب ينظر: J.J.Perennes, Op.Cit ,pp 128-133

ب - التنمية الاجتماعية:

1- في مجال السكن والتعمير: في إطار المخطط العمراني التنموي بالمناطق الصحراوية وبناء على مرسوم صدر في 19 فيفري 1958م أوكلت المنظمة مهمة تطبيق هذا المخطط إلى شركة معدات البنية التحتية الصحراوية (S.E.L.I.S)، والشركة القومية للبحث واستغلال البترول في الجزائر (S.N.Repal)، وعليه شرعت هذه الشركات منذ 1958م ببناء العديد من السكنات الاجتماعية والوظيفية وهيئتها بتقوت وغرداية وبسكرة وادي مية¹، فبورقلة ابتدأت في شهر ماي 1958م أشغال بناء السكنات ذو الكراء المعتدل والتي بلغ عددها 48 مسكن مقسمة إلى عمارتين كل واحدة مقسمة إلى ثلاثة طوابق، وما يلاحظ على هذه السكنات أنها تختلف من حيث عدد الغرف، وهي موزعة كالآتي²:

- 8 مساكن مكونة من غرفتين + مطبخ

- 18 مسكن مكون من ثلاثة غرف + مطبخ

- 18 مسكن مكون من أربعة غرف + مطبخ

- أربعة مساكن مكونة من خمسة غرف + مطبخ

زيادة على بناء السكنات تم إنشاء شبكة لصرف المياه القدرة، وفي إطار إيجاد حلول لمشكل ارتفاع درجة الحرارة داخل السكنات الاجتماعية القديمة، قامت المنظمة في سنة 1959م بمجموعة من الأبحاث والدراسات العلمية حول نوعية مادة البناء وتطويرها بهدف الحفاظ على درجة معتدلة للحرارة داخل البيوت³، وفي سنة 1960م تم بناء 200 سكن من طرف شركة سيليس (SELIS)⁴، كما تم في نفس السنة انجاز عدة مشاريع عمرانية على مستوى بلدية ورقلة تمثلت في فندق ترانزاتلانتيك، والملعب البلدي، والمعبد البروتستنتي، ومقر جديد لبلدية ورقلة في شكل بيضوي، والسوق المغطاة بشكل

¹ Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes 1958, N°2, p13.

A.W.O , Boit 62

² (SELIS), Op.Cit, pp119-120.

³ J.Dubief , le climat du sahara, alger, T1, 1959, PP 113-114

⁴ (SELIS), Op.Cit, p158

دائري بالقصر، والمسبح البلدي وبجواره دار للشباب، بالإضافة إلى بناء 70 وحدة سكنية عسكرية بحى كاريبي، مع اقتراح زيادة بناء 24 وحدة إضافية مستقبلا.¹

2- في مجال الصحة: من اجل تحسين المستوى الصحي وترقية الحياة الاجتماعية بالمناطق الصحراوية أصدرت السلطة الاستعمار في 27 ماي 1961م قانونا خاص بالتنمية الاجتماعية بعمالي الواحات والساورة، حيث خصصت لقطاع الصحة ما يقارب 34500000 ف.ق.²، فخلال سنة 1961م تم بورقلة فتح مستشفى لطب العيون، حيث استطاع في ظرف شهرين منذ افتتاحه القيام بـ 1800 فحص، و 120 عملية جراحية، ليرتفع العدد في نهاية السنة الى 7610 فحص و 820 عملية جراحية.³

وإذا ما تمت المقارنة بين ما كان عليه المستوى الصحي في بداية الخمسينات، وما أصبح عليه في بداية الستينات فإننا نلاحظ تطور كبير في الفحوصات والرعاية الطبية، حيث وصل عدد الفحوصات الطبية في سنة 1952م إلى 3676 فحص، لينخفض سنة 1956م إلى 1609 فحص⁴، و ليرتفع مرة أخرى سنة 1961م إلى 7610 فحص طبي، وهذا يعود إلى تطور الإمكانيات الطبية التي وفرتها السلطة الاستعمارية، كزيادة عدد الأطباء وبناء العديد من المستشفيات، وتسخير فرق طبية متنقلة إلى البدو الرحل.⁵

أمام هذه الانجازات يبدو لنا أن المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية جاءت فعلا للتنمية الاقتصادية والترقية الاجتماعية للصحراء الجزائرية، بل في نظر السلطة الاستعمارية امتداد للمشاريع الاقتصادية والاجتماعية في الشمال مثل مصانع عناية وارزيو، ومشروع

¹ دوني بيلي، المرجع السابق، ص 102

² Loi de programme N° 61-515 du 27 mai 1961, J.O.R.F, du 28 mai 1961, p4829

³ Bulletin de Liaison Sahariennes, N°42, juin 1961, p186

⁴ P.Passager, Op.Cit, p161

⁵ Bulletin de Liaison Sahariennes, N°42, Op.Cit, p186

قسنطينة¹، غير أن الشيء المؤكد والعارف بخفايا السياسة الاستعمارية بالمناطق الصحراوية يرى أن هذه الانجازات ما هي إلا مناورة استعمارية² غير مباشرة تخدم الاقتصاد والمجتمع الفرنسي على حساب سكان المجتمع الصحراوي، وهو ما أكدته جبهة التحرير الوطني في جريدة المجاهد على أن هذه المنظمة ما هي إلا وكالة دولية لنهب الصحراء واستغلالها.³ وفي ذات السياق سعت جبهة التحرير الوطني إلى فضح سياسة هذه المنظمة المتكررة في ثوب اقتصادي هدفها الأساسي ليس التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإنما هدفها الجوهري التمهيد لمشروع فصل المناطق الصحراوية عن الشمال، وعليه أكدت القيادة الثورية أن هذه المنظمة لن تكون وصية على ثرواتهم الصحراوية، وهذا ما ذكرته في جريدة المجاهد: "إن الجزائر لن تقبل أبدا وبأي شكل من الأشكال وصاية اقتصادية من أية قوة عالمية، وبالنسبة للجزائر الصحراوية فنحن نعترم اختيار شركائنا بحرية، للحصول على الأموال والتقنيين، عن طريق عقد اتفاقيات متبادلة يتم إبرامها وفقا لمصلحة شعبنا".⁴

وفيما يخص سياسة هذه المنظمة بورقلة فقد وجه مجلس عمالة الواحات انتقاد شديد للهجة حول السياسة الاستغلالية المتبعة من طرف المنظمة في جلستهم المنعقدة بتاريخ 23 ماي 1960م، خاصة فيما يتعلق بانجاز شبكة الطرقات⁵، زيادة على ذلك ما يلاحظ أيضا وما يلفت النظر هو أن كثرة بناء المستشفيات المتخصصة في طب العيون على مستوى المنطقة، ظاهريا كان بهدف القضاء على مرض الرمد الحبيبي الذي كان منتشرا بكثرة وبقوة في الصحراء، أما باطنيا فكان الخوف من انتقال العدوى إلى السكان الأوروبيين المستوطنين والعاملين بورقلة.

¹ المجاهد، "أهداف الاستعمار في الصحراء" ع19، 98 جوان 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص4.

² EL-Moujahid, « L'O.C.R.S , Dernière Base de Manœuvre du Colonialisme Français », n° 66, 20 Juin 1960, vol 3, p 133.

³ EL-Moujahid , n° 86, 1 November 1961, vol 3, p 608.

⁴ Ibid.

⁵ Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire du 23 mai 1960, C.D.A.W.O , B298.

وإذا خصصنا الحديث أيضا عن المطار الذي تم انجازه بعين البيضا بورقلة، فقد كان لفائدة العمال الفرنسيين والأجانب العاملين في الشركات البترولية الفرنسية والأجنبية بمنطقة حاسي مسعود، وإلا يا ترى فيما خدم هذا المطار سكان ورقلة؟ غير انه يمكننا أن نستثني برنامج القطاع الفلاحي الذي استفاد منه سكان ورقلة ولو نسبيا من حيث حفر وتحديد آبار السقي، وتنظيم زراعة النخيل، واستصلاح بعض الأراضي الزراعية، وهذه الاستفادة راجعة بحكم غالبية سكان ورقلة يمتنون فلاحا الأرض، لكونها مصدر رزقهم وعيشهم.

ومن جهة أخرى لا نغفل النشاط الثوري على مستوى المنطقة، فالقيام بمثل هذه الانجازات الاقتصادية والاجتماعية بورقلة قد يمتص أية حركة شعبية ثورية تهدد بتقويض دعائم الاستعمار بالمنطقة، ولا ترضى بالإصلاحات السطحية التي يبدلها كل استعمار لإنقاذ مصالحه الأساسية.

3- إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتقسيم الصحراء إلى عمالتين:

نظرا لعدم وجود إطار ادري يسير المناطق الصحراوية نتيجة لقرار إلغاء نظام الأقاليم في الجنوب أصدرت السلطة الاستعمارية قرار في 10 جوان 1957م يتعلق بإنشاء وزارة خاصة بالصحراء، بهدف استمرارية الحفاظ على الصحراء الفرنسية، وقد تم تعيين السيد ماكس لوجون *Max lejeune* وزيرا على رأس هذه الوزارة الصحراوية.¹

أما فيما يخص تقسيم الصحراء إلى عمالتين فقد تم تقسيمها وفقا للمرسوم رقم 57-903 المؤرخ في 7 أوت 1957م²، فالعمالة الأولى هي الواحات وعاصمتها الاغواط ثم ورقلة (الجنوب الشرقي) بمساحة تقدر بـ 1302000 كلم²، و348000 نسمة، والعمالة الثانية هي الساورة وعاصمتها بشار (الجنوب الغربي) بمساحة

¹ J.O.R.F. du 14 Juin 1957, p 5923

² Décret n° 57-903. du 31 décembre 1959, J.O.R.F, du 12 Janvier 1960, p 339.

تقدر بـ 780000 كلم²، و 152000 نسمة، خلفا لما كان يعرف سابقا بأقاليم الجنوب الجزائرية، وقد تضمن هذا المرسوم ثمانية مواد وهي كالآتي¹:

المادة الأولى: إن منطقة أراضي الجنوب الجزائري التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء تقسم إلى عمالتين الواحات والساورة.

المادة الثانية: تضم عمالة الواحات التي يوجد مقرها بمدينة الأغواط مناطق غرداية، تقرت التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء ومناطق الواحات، وتضم إلى جانب ذلك منطقة البلدية المختلطة للبيض (بحيري فيل سابقا) والكائنة شرق وادي أزفون حتى الحدود الغابة الكحلة وهي مقسمة إلى ثلاث دوائر:

- دائرة الأغواط التي تشتمل على قسم منطقة غرداية التابع للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء، وقسم منطقة بلدية البيض (بحيري فيل سابقا).

- دائرة ورقلة التي تشتمل على منطقة الواحات وقسما من البلديات المختلطة للوادي والواقعة جنوب خط التوازي.

- دائرة تقرت التي تشمل على قسم من منطقة تقرت التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء والموجودة شمال خط التوازي 32.

المادة الثالثة: عمالة الساورة، مقرها كولومب بشار، وتضم قسما من منطقة عين الصفراء التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء وهي مقسمة إلى دائرتين:

- دائرة كولومب بشار التي تشمل على البلديات المختلطة كولومب بشار وهي بوزينة الأبيض الساورة وتندوف.

- دائرة أدرار التي تشمل بلديات توات، وقورارة.

المادة الرابعة: يمكن في هاتين العاملتين أن تخول وظيفة رئيس العمالة وبصفة استثنائية إلى ضباط برتبة لواء.

المادة الخامسة: ينصب على رأس كل دائرة إمّا ضباط الشؤون الصحراوية، وإما موظفين مدنيين من هيئة خاصة.

المادة السادسة: تحدد مراسيم مجلس الدولة تكوين وعدد المجالس العامة والتنظيم البلدي

¹ J.O.R.F. du 12 Janvier 1960, p 339

للعاملتين .

المادة السابعة: رغم أحكام الأمر الصادر بتاريخ 02 نوفمبر 1945م تحدد التعديلات التي يمكن إجراؤها في المستقبل بحدود تراب العاملتين المدروستين أعلاه، والتي سوف تتخذ طبقا لترتيبات المادة من المرسوم رقم 64-56 المؤرخ في 28 جوان 1956م والنصوص الملحقه به.

المادة الثامنة: تحدد قرارات وزير الصحراء، وكيفية تطبيق هذا المرسوم.

وبحكم دارستنا لمنطقة ورقلة في هذا البحث سنخص عمالة الواحات بشي من التفصيل على أساس أن ورقلة كانت مقر عمالة الواحات، وقد احتوت هذه الأخيرة على ثلاثة دوائر، وفي عام 1960م ارتفع عددها إلى تسعة وفقا لمرسوم 3 ديسمبر 1960م، كما تضمنت أيضا ثلاثة وخمسون بلدية.¹

وقد أجريت أول انتخابات لمجلس عمالة الواحات في 26 أبريل 1959م، وأسفرت عن انتخاب 24 عضو بالمجلس العام للعمالة، وقد تم توزيع هؤلاء الأعضاء على خمسة لجان أساسية كالآتي²:

- رئيس مجلس العمالة: السيد حمزة بوبكر
- رئيس لجنة المالية: احمد تجاني
- رئيس لجنة الإدارة العامة: السيد هاربيلان Harbillain
- رئيس لجنة النقل والأشغال العمومية: (لم يتم ذكر اسمه؟)
- رئيس لجنة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية: السيد بنور شارل Ch.Bonheur
- رئيس لجنة التعمير والسكنات الاجتماعية: السيد راجحي عبد القادر

¹ Décision 1958-1959, Code Officiel géographique des commune du Sahara , C.D.A.W.O, (Boit sans numéro)

² Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire 1961 C.D.A.W.O, B298

المبحث الثاني: موقف مجلس عمالة الواحات وسكان ورقلة من مشروع الانفصال

يبدوا أن إنشاء عماليتين صحراويتين كان ضمن المخطط العام لسياسة فصل المناطق الصحراوية عن الوطن الأم، وذلك من أجل تكوين لوبي محلي موالي للإدارة الاستعمارية يسهر على تسهيل مهمة الاحتفاظ بالصحراء، وعليه كان أول دور قام به اللوبي المحلي بعد مجيء الجنرال ديغول هو التعبئة الجماهيرية للتصويت على دستور 4 أكتوبر 1958م. وهذا ما سنتعرض إليه في العنصر التالي.

أولا/ موقف سكان ورقلة من استفتاء 28 سبتمبر 1958م بالصحراء¹:

في محاولة لجس النبض في أوساط سكان الصحراء وفي إطار التحضير للاستفتاء حول الدستور الجديد الذي جاءت به حكومة الجنرال ديغول، سخرت الإدارة الاستعمارية كل الوسائل المادية والمعنوية لإنجاح الاستفتاء المزمع إجراؤه في 28 سبتمبر 1958م، لكون أن نجاح هذا الاستفتاء في الصحراء سيكون طريقا معبدا ومسهلا لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وضربة قاضية لنشاط جبهة وجيش التحرير الوطني بالصحراء الجزائرية، وهو ما حرص عليه وزير الصحراء الفرنسي ماكس لوجون *Max lejeune* في مراسلة إلى والي عمالة الواحات قائلا: "يجب أن تثبت هذه النتائج بأنه وبالرغم من معارضة الثوار لهذا الاستفتاء، فقد حرصت الغالبية من السكان المسلمين على المشاركة في هذا الاستفتاء، وبأنهم قد عبروا من خلال تصويتهم بالأغلبية الساحقة على الدستور الجديد، وعلى ثقتهم في حكومة الجمهورية...".²

وفي هذا الإطار أنشأت الإدارة الاستعمارية ما يسمى بلجان "الإنقاذ العمومي" لإنجاح عملية الاستفتاء، ولبت الدعاية في أوساط سكان الصحراء عن طريق توزيع المناشير التوعوية وتعليق الشعارات مع ممارسة الدعاية المضادة ضد خلايا جبهة التحرير الوطني في الصحراء، فمن الأمثلة على الشعارات نجد: "الانتخاب بنعم معناه دوام

¹ Décision relative à la constitution de la commission administrative d'arrondissement pour la préparation du référendum, C.D.A.W.O,B134.

² Préparation du Référendum, 4aout 1958 C.D.A.W.O,b134,

الحضور الفرنسي بالجزائر والصحراء"، "الانتخاب بنعم معناه العمل والأجر للجميع"، وفيما يخص المناشير نذكر مثلا المنشور الذي يخاطب سكان الاغواط وورقلة للمشاركة بقوة في استفتاء 28 سبتمبر 1958م¹:

((ياسكان الاغواط وورقلة رجال ونساء إن لجنة الاقتاد العمومي تطلبكم يوم 13 ماي للاجتماع معها من اجل:

- لإظهار إرادتكم للاتحاد والعافية والخير والسعادة
- لتدعوا لجنة الإنقاذ العمومي تحت رئاسة الجنرال ديغول
- لإشراك طبقات الشعب كلها في تسيير الشؤون العمومية
- لتبرهنوا أن جميع الناس في هذه البلاد هم فرنسيين بصحة كاملة
- لتطلبوا إصلاحا دستوريا يسير في فائدة الديمقراطية، فبفضلكم وبفضل الجيش الفرنسي وبفضل الجنرال ديغول نجحنا.
- واليوم قدّما إلينا هذا الدستور الجديد.
- لجنة الإنقاذ العمومي بورقلة تطلب منكم أن تصححوا هذا الدستور يعني تصوتوا بنعم في تصويت يوم 28 من الشهر الجاري، لتبرهنوا هذه الإرادة للاتحاد والعافية والأخوة الفرنسية المسلمة، هذه الأخوة التي يكون فيها تحديد الجزائر والصحراء الفرنسية.
- ياسكان ورقلة صوّتوا بنعم يوم الأحد 28 سبتمبر، عني ضعوا التذكرة البيضاء المكتوب فيها بالحروف الفرنسية OUI
- تحيا فرنسا والجزائر والصحراء الفرنسية .. يحيي الجنرال ديغول))

وفي إطار التحضير دائما لعملية الاستفتاء شرعت الإدارة الاستعمارية في تحديد القوائم الانتخابية، وضبطها قبل الاستفتاء بثلاثة أشهر، حتى تضمن أكبر نسبة في المشاركة، وهذا ما جرى بورقلة في 15 سبتمبر 1958م أي قبل الاستفتاء بثلاثة عشرة يوم، والجدول التالي يبين ذلك:

¹ Comite de salut public de Laghouat et Ouargla 1958 , C.D.A.W.O,b134

الجدول رقم (27) التعداد الرقمي للمسجلين في القوائم الانتخابية لسنة 1958م بمنطقة ورقلة¹

فئات السكان						منطقة ورقلة
المستقرين		الرحل		العسكريين		
رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء	
1837	1926	5580	5178	2486	/	
3763		10758		2486		المجموع

وعليه فهذه الاستعدادات والإجراءات التنظيمية والدعائية استطاعت الإدارة الاستعمارية أن تحقق نجاحا كبيرا من خلال نسبة المشاركة التي بلغت 83,7%، والتصويت بنعم بنسبة بلغت 98,9%، وفيما يخص مشاركة سكان ورقلة، فالجدول التالي يبين ذلك:

الجدول رقم (28): النتائج النهائية لاستفتاء 28 سبتمبر 1958 بورقلة²

المنطقة	عدد المسجلين	عدد المصوتين	عدد الأصوات المعبر عنها	المصوتون بـ(نعم)	المصوتون بـ(لا)
ورقلة	20597	17507	17444	17103	341

طبعاً يبدو لنا من خلال نتائج هذا الاستفتاء أن فرنسا نجحت فعلاً في دفع سكان ورقلة للمشاركة بقوة، وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على قبول المجتمع الورقلي لبرنامج الحكومة الذي جاء به الجنرال ديغول، وهذا غير منطقي مقارنة بالتضحيات التي قدمها ثوار هذه المنطقة، وفي هذا السياق يمكننا التساؤل: ما هي الوسائل التي استخدمتها السلطة الاستعمارية لإنجاح العملية الانتخابية؟

¹ Etat numérique par commune des électeurs et électrices inscrite dans le département des oasis au 15 septembre 1958 ,C.D.A.W.O,B134

² Arrondissement d'Ouargla ;résultats définitifs du referendum 1958 , C.D.A.W.O,B134.

بقراءة تحليلية للأوضاع العامة للمنطقة آنذاك يمكن الاعتقاد والاحتمال بأن الإدارة الاستعمارية، استخدمت مجموعة من الأساليب لإنجاح الاستفتاء يمكن حصرها فيما يلي:

1- قد تكون الإدارة الاستعمارية قامت بعملية تزوير محاضر النتائج النهائية لعملية الاستفتاء، مع تضخيم نسبة المشاركة بهدف إعطاء مصداقية أكبر لعملية الاستفتاء، وهذا ما تأكد لنا من خلال الاطلاع على بعض محاضر نتائج الاستفتاء، حيث لاحظنا وجود اختلاف في عدد المسجلين في القوائم الانتخابية، فقد جاء في أحد المحاضر أن عدد المسجلين في القوائم الانتخابية على مستوى منطقة ورقلة هو 37979 شخص¹، بينما في محضر آخر نجد عدد مخالف وهو 20597 شخص²، حيث نجد هناك فارق عجيب بين العددين يصل إلى 17382 شخص، وعليه فالشيء المؤكد والأكد هنا هو وجود تضخيم وتزوير في الأرقام، ومما لاشك أن نية فرنسا كانت مبيتة لإنجاح الاستفتاء في الصحراء بالتزوير، بالإضافة إلى ما يؤكد هذا الطرح ما ذكرته جريدة المجاهد حول مهزلة استفتاء 1958م في قولها: "فقد اعترف ديغول نفسه بما يعرفه العالم اجمع عن طريقة الانتخاب في الجزائر، هذه الطريقة التي سنهها زميل ماكس لوجون *Max lejeune* في الاشتراكية الاستعمارية السيد نيجلان وبلغت أوج كمالها على يد الجيش الفرنسي منذ سنة 1958م"³، هذا بالإضافة إلى اعتراف أحد الضباط الفرنسيين في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت، ومما جاء فيها: "اقترح كثير من الضباط أن لا توضع في مكاتب التصويت إلا الأوراق التي تحمل عبارة "نعم"...واقترح بعضهم إحضار صناديق جاهزة، أي مملوءة ببطاقات "نعم" بنسبة 95 % وهذه الصناديق تعوض الصناديق الحقيقية عندما يحين وقت الإعلان عن النتائج"⁴.

2- قد تكون الإدارة الاستعمارية استخدمت وسائل مختلفة للضغط والتهديد والترهيب والمساومات المادية والمعنوية ضد الأعيان والسكان، وذلك في حالة عدم المشاركة في

¹ Etat Numérique par commune des électeurs et électrices..., Op.Cit

² Recensement Général des Votes, Referendum 1958 , C.D.A.W.O,B134

³ المجاهد، "الرد على مغالطات ماكس"، ع93، بتاريخ 10 أفريل 1961، (ج4)، طبعة خاصة 2007، ص10.

⁴ المجاهد، "ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت"، ع30، بتاريخ 10

أكتوبر 1958، (ج1)، طبعة خاصة 2007، ص4.

العملية الانتخابية ينجر عنها عقوبات مختلفة مثل دفع غرامة مالية أو السجن لعدة أشهر، أو التعرض لمتابعات قضائية. وما يؤكد هذا الطرح أيضا بلاغ الحكومة الجزائرية المؤقتة في بيانها القائل: "إن الأساليب التي استخدمها الجيش الفرنسي لتنظيم ومراقبة عمليات الاقتراع قد حكمت مسبقا بالبطلان على هذه النتائج وعدم شرعية العمليات نفسها"¹، هذا بالإضافة إلى اعتراف أحد الضباط الفرنسي السالف الذكر في قوله: "فقد جرى في بادئ الأمر حشد فاضح في القوائم الانتخابية، ولكن مع هذا لزم تأخير الآجال المحددة عدة مرات، بل ولزم أيضا التفتيش بالقوة على المنتخبين الذين أبوا تسجيل أسمائهم في قوائم الانتخابات... وقد بلغ الحق بضابط سام أن صار يريد إجبار العربي على الانتخابات تحت تهديد المسدس"².

3- قد تكون الإدارة الاستعمارية استخدمت أسلوب الإغراء، مستغلة في ذلك ضعف مستواهم المعيشي، وجهلهم بما يحاك ضدهم، فتم الإغراء بالحصول على العمل، أو تقديم منح مالية، وهذا يتضح من خلال الحملات الإعلامية التي كانت تقوم بها مصالح الدعاية الفرنسية للتأثير على السكان، مثل الشعار القائل (الانتخاب "بنعم" معناه العمل والأجر للجميع).

تلك إذن هي أهم الاحتمالات الفرنسية التي استتجتها، والتي كانت تهدف إلى إنجاح الاستفتاء وهي إن كانت تنقصها الدلائل والقرائن، إلا أنها تقطع بما لاشك فيه أن سكان ورقلة كانوا ضد الاستفتاء 100%.

ثانيا/ دور ممثلي المنطقة بمجلس عمالة الواحات في إحباط مؤامرة الانفصال:

عندما شرعت فرنسا في تطبيق سياستها لفصل الصحراء ولإنجاح هذه السياسة سعت هذه الأخيرة وبشتى الوسائل الإقناع والضغط إلى جرهم للسير في هذا المشروع، واعية في كل ذلك بضرورة وأهمية انخراطهم في سياستها كشرط لا بد منه لنجاح مشروعها

¹ المجاهد، "نتائج الاستفتاء الفرنسي مهزلة 98 في المائة لم يقتنع بها"، ع30، بتاريخ 10 أكتوبر

1958، (ج1، طبعة خاصة 2007)، ص4.

² المجاهد، "ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت"، المصدر السابق، ص4.

المعروف بالجمهورية الصحراوية، ونظرا لأهمية المشروع لدى الحكومة الفرنسية قام نائب وزير مجلس الوزراء جاك سوستال *Jacques Soustelle* بزيارة إلى الاغواط وغرداية وتقرت وورقلة ، حيث حط رحاله في هذه الأخيرة في أول فيفري 1959م قادما من تمنراست، وقد زار برج فلاترس حيث التقى بمجموعة من الأهالي ، ثم انتقل إلى إحدى الثكنات العسكرية وقام فيها بتكريم بعض الضباط العسكريين بتسليمهم أوسمة شرف، مع إلقاء كلمة مقتضبة أكد من خلالها على استمرارية تواجد الفرنسيين بالصحراء، وبعد وجبة الغداء اجتمع في فندق المدينة بمختلف رؤساء المصالح الإدارية لمناقشة موضوع الجمهورية الصحراوية¹، هذا بالإضافة إلى الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة الفرنسية ميشال دوبري *Michel Debré* ، وألفي قيشار *O. Guichard* المندوب العام للمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية بزيارات متعددة إلى المناطق الصحراوية من اجل إعطاء المشروع دفعا جديدا، حيث اتصل بمجموعة من الشخصيات المحلية التي تتمتع بمكانة سلطوية واجتماعية في الواحات الصحراوية ومن بينهم السيد حمزة بوبكر، والشيخ ابراهيم بيوض وغيرهم، غير أن هذا الأخير رفض الاقتراحات الفرنسية المتعلقة بمشروع الفصل، بينما استطاعت السلطة الاستعمارية أن تستميل السيد حمزة بوبكر إلى صفها، وكلفته للقيام بهذا الدور، حيث تمكن حمزة بوبكر من جمع عدد من الشخصيات الصحراوية في لقاءات بالاغواط وورقلة سنة 1960م، من اجل إدخال مشروع الفصل حيز التنفيذ، والواقع ان نشاط حمزة بوبكر في خدمة هذا المشروع يرجع الى سنة 1959م عندما وضعت بعض الاوساط الفرنسية مشروعها لبترا الجنوب تحت – الجمهورية الصحراوية المستقلة- وهو مشروع اقيم على نفس الاساس الذي اقام عليه الاستعمار البلجيكي مشروعه الذي ادى الى انفصال كاتنغا.²

بل وصل الأمر بحزر بوبكر الى تعيين نفسه ممثلا لسكان الصحراء في زيارة إلى النيجر يوم 4 ديسمبر 1961م رفقة وزير الصحراء ماكس لوجان *Max lejeune* ، ووالي البوليس بايلو، والمحامي بياجي، بهدف تأسيس الجمهورية الصحراوية المستقلة، وحاول

¹ Voyage au Sahara de M. le Ministre délégué de M. le premier Ministre du 3 Février 1959, C.D.A.W.O, B62

² المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص3

التحدث مع رئيس النيجر السيد حماني ديوري واستمالته لتأييد المشروع، لكن الرئيس النيجري واجهه برفض صارم، وقال فيما قال له "لناعين ابدا على خلق كاطنغا صحراوية".¹

لكن الشيخ ابراهيم بيوض عضو مجلس عمالة الواحات حاول إجهاض العملية، واتصل بالحكومة المؤقتة الجزائرية يحيطها علما بتفاصيل المشروع، ويستصدر الأوامر اللازمة لإفشال مساعي التقسيم، وبالفعل فإن جبهة التحرير الوطني قد وجهت إنذارا لجميع الشخصيات المعنية وجعلتها تبدي رفضها ومعارضتها لمحاولة التجزئة وذلك عندما انعقد الاجتماع الثاني في حي سانتوجان بالجزائر العاصمة سنة 1960م². وهو ما يؤكد المجاهد محمد شنوفي في قوله: "مند مجي ديغول إلى الحكم كثفت الثورة وقيادة الولاية الثالثة من جهود خاصة ومعتبرة لتعبئة الشعب وتوعيته، خاصة توعية الشباب المغرر بهم في الإدارات المحلية، حيث استغلتهم فرنسا في إطار المخطط الذي يعرفه الإخوان (المجاهدين)، وهذا حتى يحتاطوا من التوجيه الجهنمي الاستعماري الذي قامت به فرنسا من أجل فصل الصحراء عن الجزائر"³، زيادة على ذلك عملت قيادة الولاية السادسة على توزيع مجموعة من المناشير دعائية لإفشال مؤامرة الفصل، بل تعدى الأمر إلى القيام بعمليات سياسية تمثلت في الاتصال بالجماهير وتوعيتهم بضرورة مقاطعة ونبد أولئك الذين أرادت فرنسا أن تجعلهم إما قوة ثالثة، أو هيئة تتكفل بالصحراء.⁴

غير أن حمزة بوبكر لم تخيفه إنذارات ولا تعليمات جبهة التحرير الوطني، حيث تحرك مرة أخرى من أجل جمع 24 شخصية ذات أصول صحراوية ببيت والي عمالة الواحات

¹ المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962، (ج 4، طبعة خاصة 2007)، ص 5

² محمد العربي الزبيري، «ديغول والصحراء»، ملتقى فصل الصحراء...، ص 202

³ شهادة المجاهد محمد شنوفي (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1998، ص 327.

⁴ شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص 328

على هامش أشغال المجلس العام لعمالة الواحات في افريل 1961م، مع فارق واحد هذه المرة وهو ان حمزة بوبكر اضطر لجمع هذه الشخصيات مستعينا بالبوليس الفرنسي لإلزامها على الحضور، فلقد كان يعلم انهما لن تعود الى تلبية ندائه بعدما عرفت نواياه، لكن هذا اللقاء انتهى بالفشل مثل سابقه.¹

إذا كان حمزة بوبكر كان قد بين موقفه من مشروع فصل الصحراء عن الجزائر، فإن الكثيرين من أعضاء مجلس عمالة الواحات رفضوا جملة وتفصيلا هذا المشروع، ولعبوا دورا كبيرا في إحباط مؤامرة الفصل، إذ لا يمكننا أن ننسى الموقف التاريخي للحلف الثلاثي الذي ضمّ كلاً من: الشيخ أحمد التجاني كممثل عن وادي ريغ، والشيخ ابراهيم بيوض ممثلاً عن وادي ميزاب والقايد العيد بوسعيد ممثلاً عن ورقلة، في الاجتماع الذي عقده حمزة بوبكر بخصوص "قضية فصل الصحراء" في خريف 1960م ضمن أعمال دورة مجلس عمالة الواحات في ورقلة، حيث تم الرد عليه وبكل جرأة على لسان الشيخ ابراهيم بيوض قائلاً: " سيدي الرئيس إن مجلسنا مجلس اقتصادي بحث ينظر في ميزانية العمالة فاختصاصنا لا يخرج عن دائرة المكاتب والمياه والطرق والمواصلات وما أشبهها، ولا حق لنا مطلقاً في التكلم باسم الأمة في أمر سياسي هام خطير، الحق فيه للأمة بأسرها، ثم من جهة أخرى سيدي الرئيس: إن فرنسا لم تستشرنا في سياستها في هذه البلاد، فلم تستشرنا يوم قطعت الصحراء وجعلت لها نظام التراب الجنوبي، ولم تستشرنا يوم فصلت اجزاء من الشمال سمّتها احوازا ممتزجة ، فهي تصل وتفصل وتحكم كما تريد بل اكثر من هذا كنا نطلب اشياء من حقنا ونرفع اصواتنا بها ، فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي، ولا يخفاكم مواقفنا في المجلس الجزائري في المطالبة بتطبيق دستوره... الخ، فإذا أرادت فرنسا اليوم أن تستشير فلتستشر صاحب الحق وهو الشعب الجزائري كله..."²، وعليه كانت هذه الضربة قاضية للفصل والانفصاليين.³

¹ المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص3

² ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق ، ص ص 35-36.

³ المصدر نفسه، ص ص 34-35.

هذا بالإضافة إلى أن أعضاء المجلس العام لعمالة الواحات وفي إطار المفاوضات الجزائرية الفرنسية كانوا يتابعون مجريات التفاوض بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي، وكانوا في حالة من الترقب والانتظار القلق لما ستسفر عنه هذه مفاوضات لوسارن التي جرت بسويسرا ما بين 20 فيفري إلى غاية مارس 1961م، والتي انتهت بالفشل نظرا لتشبث الوفد الجزائري بمبدأ السيادة الجزائرية على كامل التراب الوطني، حيث مباشرة بعد انتهاء هذه المفاوضات عقد أعضاء المجلس العام لعمالة الواحات جلسة استثنائية خلال يومي 16 و17 جوان 1961م، وقد خلص المجتمعون فيها إلى الالتزام بعدم إبداء أي موقف طالما بقيت الحكومة الفرنسية متمسكة بموقفها في الموضوع.¹

وفي هذا الصدد يمكننا الإشادة بالدور الذي قام به الشيخ ابراهيم بيوض لإحباط مؤامرة الفصل، ويفوت بذلك الفرصة على المستعمر، فمن جملة ما قام به الشيخ هو القيام بجولة بين ورقلة وتقرت انطلاقا من وادي ميزاب، وفي ذلك يقول: " في ربيع وصيف 1960 كثرت الاجتماعات والحديث والتناجي عن فصل الصحراء بين الحكام الإداريين عسكريين ومدنيين وبين النواب والاعيان لكنها سرية متكتمة، فاشتد خوفي من جعلنا امام امر الواقع، فاكترت سيارة من القرارة... وذهبت الى ورقلة ثم الى دار القائد العيد الاذي اثق بوطنيته فوصلت الدار الثانية بعد الزوال، فقليل لي انه نائم، فقلت ايقضوه فالامر مستعجل، فقام الي فحدثته عن خطورة الوضع في قضية فصل الصحراء فعاهدني على انه معي وبجاني ضد الفصل وقال: قل ما شئت واكتب ما شئت فاني امضيه بدون تردد...فلويت عنان السيارة من ورقلة الى زاوية تماسين فكلمت الشيخ(حفظه الله)فاجاب بما اجابه القائد العيد وتعاهدنا ثلاثتنا على التصلب في موقفنا ولو كلفنا حياتنا وعلى افساد مناورات الانفصاليين...".²

¹ Conseil Général des Oasis , procès verbal de la session extraordinaire 1961,seance des 16 et 17 Juin 1961, pp 5- 6, C.D.A.W.O , B298

² ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 34

أمام هذه المواقف الوطنية الراضة للسياسة الفرنسية الداعية إلى تمزيق التراب الوطني وتشيت وحدة الصف الوطني، وبرهنة سكان الصحراء على ولائهم وتأيدهم لجهة التحرير الوطني عمدت السلطة الفرنسية إلى بث روح الفتنة والفرقة وإحياء النعرات الطائفية بين أبناء الشعب لتكريس وجودها الاستعماري، فمثلا في سبتمبر 1960م حرضت السلطة الاستعمارية بعض الاشخاص بورقلة بالسطو على دكاكين الميزابين وومتلاكهم وبساتينهم، فاثاروا غوغاء العامة ممن لاخلق لهم، فقتلوا وجرحوا ونهبوا واشعلوا النار، وافسدوا محاصيل النخيل، مما دفع بالسلطة الاستعمارية للظهور. بمظهر النصح والتعاطف مع المزابين وذلك بتذكيرهم ان هذا ما سيفعله بهم العرب بعد حصولهم على استقلالهم في حالة اذا تخلوا عنهم.¹

وفي 5 سبتمبر 1961م وجهت نفرا من جنود الحركة إلى مسجد من مساجد ورقلة، فداسوا حرمة ومزقوا المصاحف القرآنية والكتب الموجودة في مكتبته، ثم روجوا لكون العملية من تدبير جمع من الميزابين الاباضين، غير أن بعض العقلاء تفتنوا للمكيدة وأطفأوا الفتنة في مهدها بعد أن كادت تأخذ حجما خطيرا، خصوصا وان الأمر يمس مقدسات الشعب الجزائري وحرمة دينه.²

كما لجأت السلطة الاستعمارية إلى القمع المباشر والتهديد عندما قامت بمحاولة للقبض على أحد رؤساء الزاوية التجانية³. بالإضافة إلى نقل ما لا يقل عن 1500 عامل من العمال في قطاع البترول في منطقة ورقلة للمحتشدات بالشمال الجزائري، هذا بالإضافة إلى أن رئيس بلدية ورقلة عمل على سجن كل الشخصيات الصحراوية وانتزع منها أملاكها.⁴

¹ المصدر نفسه، ص 45.

² المجاهد، "مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962، (ج 4، طبعة خاصة 2007)، ص 3.

³ مسعود كواقي، «محاولات فرنسا لفصل الصحراء عن الجزائر مناور أم حقيقة؟» ؛ ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1998، 1954، ص 149.

⁴ الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية في الجزائر 1952-1962، جمعية التراث، ط 1، غرداية، 2004،

ثالثا/ مظاهرات 27 فيفري 1962 بورقلة تنسف أحلام الجنرال ديغول :

لقد لعبت الثورة الجزائرية دورا كبيرا في الإطاحة بعدة حكومات فرنسية¹، واستطاعت أن تفلس الاقتصاد الفرنسي ، مما جعل فرنسا في حالة حرجة تطلبت منها البحث عن حلول للخروج من هذا المأزق السياسي والاقتصادي والعسكري، فكان التمرد والعصيان العسكري من طرف بعض جنرالات فرنسا على الحكومة العامة في 13 ماي 1958م، وإسقاط الجمهورية الفرنسية الرابعة، والنجيء بالجنرال ديغول إلى الحكم بهدف إنقاذ فرنسا من الأزمة الناتجة عن الضربات الموجعة للثورة التحريرية قبل فوات الأوان، ولقد انتهج الجنرال ديغول في برنامجه الحكومي للقضاء على الثورة الجزائرية على سياسة عسكرية واقتصادية واجتماعية ارتكزت على ثلاثة مشاريع أساسية تمثلت في:

- 1- مشروع قسنطينة: جاء بناء على تصريح من ديغول في 03 أكتوبر 1958م، حيث حاول من خلال هذا المشروع أن يبعد الجزائريين عن الثورة على أساس اعتقاده أن هذه المشاريع والإصلاحات ستمكنه من دفع جيش و جبهة التحرير إلى الاستسلام.
- 2- مشروع سلم الشجعان: حيث دعا الجنرال ديغول في 23 أكتوبر 1958م الثوار إلى وضع السلاح دون شرط، و بهذه العملية أراد أن يحدث الشقاق بين افراد جيش التحرير الوطني، وزرع الشك بينهم وعزل الداخل عن الخارج، وإرغام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) على التفاوض مع فرنسا من موقع ضعف.
- 3- مشروع شال Challe العسكري: الذي بدأ تنفيذه منذ فيفري 1959م للقضاء على الثورة عن طريق العمليات العسكرية، فضلا عن محاولة فصل الثورة عن محيطها في الداخل بفرض المناطق المحرمة، والمعتقلات الجماعية، والسجون، ومحاولة فصلها عن الخارج بهدف عزل الوطن عن محيطه، وعزل الولايات التاريخية عن بعضها البعض.

¹ مندريس فرانس 1954م، إيدغار فور 1955م، غي موليه 1956م، بورجيس مونوري 1957م، فيليكس غايار 1958م، كما أسقطت سبع حكام عامين ومندوبين حكوميين وهم: روجي ليونار من 4 إلى 6 فيفري 1954م، وحاك سوستال في 25 جانفي 1955م، وجورج كاترو من 4 إلى 6 فيفري 1956م، وروبير لاكوست 1956م، ورؤول سالان كمندوب نوفمبر 1958م، وبول دي لوفريي 1958م، وجون موران 1960م.

غير أن جبهة التحرير الوطني حاربت هذه المشاريع وأصدرت تعليمات صارمة ضد كل من يقبل هذه المشاريع، أما فيما يخص العمليات العسكرية فقد حاولت قيادة جيش التحرير التصدي لهذه العمليات العسكرية، الأمر الذي دفع بالجنرال ديغول إلى البحث عن وسيلة أخرى لمراوغة جبهة التحرير الوطني، فسارع في خطابه بتاريخ 16 سبتمبر 1959م إلى الإعلان عن منح الجزائريين الحق في تقرير مصيرهم، مستثنيا العمالتين الصحراويتين الواحات والساورة لما فيهما من ثروات طبيعية وطاقوية، التي ستسغل من طرف فرنسا. وهذا الاستثناء نابع من قناعة الجنرال ديغول بالمحافظة على الصحراء خاصة بعد زيارته السرية إلى منطقة حاسي مسعود وبعض المدن الصحراوية سنة 1958م.¹

بطبيعة الحال منح حق تقرير المصير للجزائريين هو خطوة مهمة نحو تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، إلا أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قبلت به كمبدأ، غير أنها رفضت شروط تطبيقه²، مطالبة في ذلك بوحدة التراب الوطني. وكان الموقف الجزائري من الصحراء واضحا وصريحا قويا وهو أن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر ولا يمكن بحال من الأحوال أن ينفصل عنها سواء في المفاوضات أو في الواقع.³

¹ شهادة المجاهد عمر صخري (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1998، ص346.

² حق تقرير المصير الذي تكلم عنه ديغول ضمنه الشروط التالية وهي:

1- أن فرنسا هي التي تمنحه وفقا لمصالحها، و لن يفرض عليها من أحد على اعتبارها منهزمة (يقصد أمام الثورة) و لن تخضع لأي ضغط خارجي أو مساع حميدة أو غير ذلك و حتى من الأمم المتحدة.

2- إن على الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائري أن يقرروا ذلك و أن الجيش الفرنسي هو الذي يتكفل بأمنهم و سلامتهم.

3- وقف العمليات العسكرية من جانب الثورة

4- عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل للشعب الجزائري

5- إنشاء معاهدات بين الطرفين تمنحها امتيازات متبادلة في مختلف الميادين الإستراتيجية.

6- بقاء الجزائر فرنسية من عدة أوجه بالحفاظ على الطابع الذي اكتسبه.

³ المجاهد، "اهداف الاستعمار في الصحراء" ع98، 19، جوان 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007)، ص4.

وفي هذه الأثناء بقي الجنرال ديغول مثبتا بمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، حيث أرسل العديد من المسؤولين الحكوميين والبرلمانيين في زيارات رسمية استطلاعية، من بينها الزيارة التي قام بها وزير الصحراء آنذاك إلى ورقلة وحاسي مسعود ما بين 7-9 نوفمبر 1961م، رفقة الجنرال ميرامبو *Mirambu*، والعقيد باب *le colonel Babe*، ومنذوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية هنري فور *Henry Forou*، والمدير العام للاتصالات كروز *Krouz*، ومدير القضايا الإدارية والاجتماعية كاست *kast*، ومن أعضاء مجلس عمالة الواحات حمزة بوبكر، ودوفيك *Dufek*، وبودي *Boudy*، بالإضافة إلى 10 صحافيين من الجزائر وباريس¹، كما قام رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك ميشال دوبري *Michel Debré* بزيارة إلى هذه المناطق ما بين 23-25 فيفري 1961م رفقة كل من وزير الصحراء روبرت لوكور *Robert Locour*، ومنذوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية أوليفي قيشار *O.Guichar* زاروا خلالها كل من مدينة ورقلة وغرداية وتمنراست وبشار، تم خلالها تقديم سلسلة من الخطب والتصريحات أمام السكان وفي إطار هذه الزيارات الحكومية الرامية إلى الترويج والدعاية لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، أرسل الجنرال ديغول مرة أخرى وفد فرنسيا إلى مدينة ورقلة، بهدف جس نبض الأهالي وتهيئتهم على قبول فكرة تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة²، وفي هذا

¹ Programme de la visite Ministérielle 7-9 Novembre 1960, C.D.A.W.O, B65

² حسب شهادة المجاهد مسعودي قويدر بن لخضر يذكر: " انه كان عاملا في مقر عمالة الواحات، بمصلحة البريد والاتصالات، حيث وصلهم تلغرام *Télégramme* يخبرهم بزيارة الحاكم إلى ورقلة في 27 فيفري على الساعة الثامنة صباحا ليجتمع بوالي العمالة حمزة بوبكر، قادمًا من النيجر بعد أن يزور منطقة جانت، ثم يأتي إلى ورقلة، فسالت احد الزملاء عن محتوى التلغرام، فاخبرني: إن فرنسا تريد أن تجعل من الجزائر دولة وحدها والصحراء دولة لوحدها، فقلت له: إن هذا الأمر لا يليق بالشعب الجزائري، نحن على مقربة من تحقيق الاستقلال، وبالتالي لا يمكننا أن نقبل بهذا الأمر، فطلبت من المرحوم الحاج عمر بن لخضر نسخة من التلغرام (كان يعمل على جهاز النسخ ستانسيل) وأخذها إلى محمد شتّوفي في الرويسات وأخبرته بأمر الزيارة". شهادة حية مصورة للمجاهد مسعودي قويدر بن لخضر، متحف المجاهد بتقوت، 2005/12/10.

الصدد يقول المجاهد محمد شنوفي: "إن الاستعمار الفرنسي أراد بهذه العملية كآخر ورقة يلعبها للضغط على المفاوضات التي جرت في 7 مارس حتى يضمن الصحراء".¹

غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني أرسلت إلى مسؤولي الولاية السادسة لاتخاذ التدابير اللازمة لإفشال اجتماع الوفد الفرنسي بحمزة بوبكر والي عمالة الواحات آنذاك، وعلية تم توجيه رسالة ثورية إلى من قيادة الناحية الرابعة - المنطقة الرابعة للولاية السادسة إلى مسؤولي منطقة ورقلة من أجل مقاطعة هذه الزيارة والخروج في مظاهرات شعبية تعبر عن رفض سكان الصحراء لسياسة الفصل، والتأكيد على وحدة التراب الوطني، فما كان من سكان ورقلة إلا تلبية نداء جبهة التحرير الوطني وخرجوا يوم 27 فيفري 1962م في مظاهرات شعبية عارمة، يعبرون فيها عن دعمهم المطلق للحكومة المؤقتة الجزائرية وجبهة التحرير الوطني الراضية لمؤامرة الفصل، ويبقى السبب المباشر لهذه المظاهرات هو مقاطعة زيارة الوفد الفرنسي للمنطقة بهدف جمع إمضاءات تؤكد على تمسك سكان الصحراء بفكرة الانفصال تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني.²

- مجريات سير المظاهرات:

كانت هذه المظاهرات امتثالا لأوامر وتوجيهات قيادة الثورة بالولاية السادسة حيث وصلت التعليمات في رسالة ممضاة من طرف الملازم الثاني محمد شنوفي بيوم واحد قبل المظاهرات، أي في 26 فيفري 1962م، ولأهمية الرسالة يمكن عرضها كالاتي:

« إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بعد السلام الوطني ابعث إليكم هذه التعليمات يجب أن تعيروها اهتمامكم البالغ وهي أن تأمروا كافة المواطنين بان يقوموا بمظاهرات يوم 1962/2/27م عند الساعة 8 صباحا ليعبروا فيها على أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري، ويهتفوا بان الصحراء جزائرية ويرفعوا العلم

¹ شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص 328

² شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص 328

الجزائري، إن هذا الوقت هو الوقت المناسب والكيفية تكون كما يلي: تجنيد الشبان وتأمرهم بان يقوموا بالمبادرة ويأتي من وراء كافة المواطنين نساء ورجالا، لأن الأمة كلها تنتظر مبادرتكم بتضحياتكم ترفعون رأس بلادكم عاليا، وتزيلون عنها غبار جميع الشكوك وتفضحون المناورات الاستعمارية، وترحزون أركانهم. التنفيذ واجب وأكيد والسلام الملازم الثاني محمد»¹

وحسب بعض الشهادات الحية لبعض المجاهدين فيما يخص التحضير للمظاهرات، فقد تكفل المناضل صديقي احمد بتوزيع نسخ من الرسائل إلى كافة شيوخ الخلايا الثورية الأربعة عشرة المتواجدة بالمنطقة، وهم كالتالي:

- خلية بني ثور: بشكي احمد وعاصم عامر
- خلية القصر العتيق: بابا حمو الحاج ابراهيم عزام، عانو ابراهيم
- خلية بوعامر احميني احميني
- خلية الرويسات: عباسي العيد
- خلية عين البيضاء: مسعود علي رفيق
- خلية لعجاجة: خذران الطالب حمزة
- خلية سيدي خويلد : جلول فقال
- خلية الرويسات الشعانية: بوجمعة بالفردية
- خلية المخادمة: حمدات احمد
- خلية سعيد عتبة، بن خديجة مسعود
- خلية انقوسة: قريشي الحاج لاسمر
- خلية افران: عمال السعيد
- خلية البور: بن زيد لخضر بن زيد

ثم اتخذت التدابير اللازمة لضمان وتكثيف المشاركة الشعبية، وعمل المناضلون الورقليون بكل سرية على عقد اجتماعات للتنسيق وتوحيد خطة، واتفقوا على كتابة

¹ انظر النسخة الأصلية في الملحق رقم:

اللافتات وخياطة الأعلام، وتوزيعها على المواطنين في الليل، كما تم الاتفاق على انطلاق المظاهرات بوسط المدينة بسوق الأحد.

وفي صبيحة 27 فيفري 1962م وكما هو متفق عليه، بدأت الوفود تتجمع من مختلف الفئات في انتظار ساعة الانطلاق، وفي نفس الوقت ترقب وصول الوفد الفرنسي إلى مقر عمالة الواحات للانطلاق في المظاهرة، غير انه تم تأخير زيارة الوفد الفرنسي خوفا من حدوث إنزلاقات قد تؤدي إلى فقدان السيطرة على الوضع، وعليه تم تأخيرها إلى الساعة الواحدة زوالا وهي مناورة فرنسية كان الهدف منها إرهاب الأهالي بطول الانتظار خصوصا وأنهم في شهر الصيام، وهو ما يؤكد المجاهد محمد عبد القادر طوهر قائلا: "قبل بدا المظاهرات اتصلنا بمقر العمالة لتجسس على ما يدور هناك، فبلغنا أن الوفد لن يأتي إلى ورقلة صباحا، بل سيأتي بعد الزوال وذلك بغية إفشال المظاهرات، غير أن الحشود أخذت في تزايد مما جعل المكان مكتظا عن آخره، فطلبنا من الجماهير الانسحاب من المدينة خشية حدوث شيء من طرف الفرنسيين".¹

ونظرا لتفطن المسؤولين الثوريين لحيلة التأخير، ولتمويه السلطات الفرنسية طلبوا من الشعب التزام الهدوء، ومن التجار فتح محلاتهم ودكاكينهم والعمل على إبقاء الحركة في السوق عادية حتى لا يشعر العدو بأمرهم، وبالفعل تم ذلك في سرية تامة واستمرت الحركة عادية إلى غاية الواحدة زوالا، وما إن دقت الساعة الواحدة قهيا للجميع بعدما راو تخليق طائرة الوفد الفرنسي تتجه نحو المطار، لتعطي بعدها إشارة انطلاق المظاهرات من نقطة الارتكاز بسوق الأحد، حيث رفعت الأعلام الوطنية، وانطلق عنان الهتافات والأناشيد الوطنية مثل "الله أكبر، تحيا الجزائر، تحيا جبهة وجيش التحرير الوطني"، ورفعت بعض الشعارات المنددة للسياسة الاستعمارية منها: "لا للفرقة"، "نعم

¹ شهادة حية مصورة للمجاهد طواهر محمد عبد القادر، متحف المجاهد بتقوت، 2005

للوحدة"، "الصحراء جزائرية"، "الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المثل الوحيد للشعب الجزائري" لا لفصل الصحراء عن الجزائر".¹

بعد لحظات من انطلاق المظاهرات حاصرت القوات الفرنسية من بوليس ورجال الدرك مختلف مداخل ومخارج وسط المدينة والمؤدية إلى مقر عمالة الواحات بالدبابات والأسلحة بأنواعها، ثم تدخلوا بعدها لتفريق المتظاهرين بالعصي والقنابل المسيلة للدموع، وبوصول المتظاهرين إلى سوق المدينة القديم (سوق القصر) اشتد الاشتباك مع القوات الفرنسية، حيث استعمل المتظاهرون ما عندهم من وسائل الدفاع الذاتي كالحجارة والعصي، مما أدى هذا الاشتباك إلى تشتت المتظاهرين بين مختلف الشوارع، وسقوط الشهيد الشطي الوكال في وسط السوق، حيث نقل جثمانه إلى المسجد العتيق، بالإضافة إلى شخص آخر مجهول، وعدد من الجرحى² الذين تم نقلهم إلى المنازل المجاورة لمكان المظاهرات وتمت هناك معالجتهم.³

أمام هذه المظاهرات ما كان على الوفد الفرنسي إلا التأكد من أن مشروع فصل الصحراء أصبح ضربا من الخيال، والرجوع من حيث أتى يجر أذيال الهزيمة، بعد أن كان يحلم بالعودة إلى المفاوضات حاملا ورقة ضغط⁴. وعليه فإن هذه المظاهرات كانت منعرجا حاسما من خلال ثلاث نواح وهي:

¹ شهادة حية مصورة للمجاهد طواهر محمد عبد القادر، المصدر السابق.

² من الجرحى: فرحات بن احمد دقيش، بن هلال خميس بن طاهر، طواهر محمد عبد القادر، مزوار محمد، حجاج الطاهر بن الحاج صالح.

³ شهادة المجاهد طواهر محمد عبد القادر، المصدر السابق.

ويروي المجاهد عن نفسه قائلا كما يلي: "عندما خرجنا دفعة واحدة أطلقوا علينا وابلا من الرصاص، فأصيبت برصاصة في أصبعي واخترقت صدري فلفت العلم علي يدي ودخلت تحت سيارة ثم اختبأت في القصر، بعدها تم نقلي إلى المستشفى، ولم استفق إلا في الصباح حيث قابلي المجاهد سي بلمير مبروك يقول لي إن العملية ناجحة = وقد تكلمت عنها جميع وسائل الإعلام منها إذاعة صوت العرب حيث حيّ عيسى مسعودي مدينة ورقلة على هذا العمل الثوري".

⁴ شهادة المجاهد محمد شنوفي، المصدر السابق، ص 329

- الناحية الأولى: سرعت من وتيرة التسوية للقضية الجزائرية، وجعلت الجنرال ديغول يعجل لإنهاء المفاوضات مع الجزائريين، وإنهاء الحرب مع جيش التحرير الوطني، لان هذه المظاهرات كانت قد صدمت السلطات الفرنسية التي كانت لا تزال متشبثة بالأوهام الاستعمارية في الجزائر، حيث اصدر الجنرال ديغول تعليمات صارمة لمفاوضيه، وعدم تعقيد الأمور المتعلقة بملف الصحراء، وعدم إطالة عمر المفاوضات مع المفاوضين الجزائريين.

- الناحية الثانية: إرغام الحكومة الفرنسية على التخلي عن حلم مشروع الانفصال، والمطالبة بالاستقلال في إطار وحدة الشعب والتراب الجزائريين، مع التأكيد على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري.

- الناحية الثالثة: تركت هذه المظاهرات صدى إعلامي كبير على الساحة الوطنية، وهذا ما عبّرت عنه جريدة المجاهد في عدد المنشور 116 والمؤرخ في 9 مارس 1962، قائلة: " نظم سكان ورقلة في قلب صحرائنا المجاهدة مظاهرة صاحبة بعد حركة الإضراب الذي انتظم ونجح مائة بالمائة، و أثناء هذه المظاهرة الجبارة التي جرت في ساحة البلدية هتف الرجال والنساء والأطفال - وراء العلم الجزائري- بحياة الجبهة والجيش الوطني الجزائري".¹

ونظرا لما حققته هذه المظاهرات من صدى كبير في الأوساط الشعبية المحلية والوطنية ، فقد خلدها الكثير من الشعراء ومنهم الشاعر الشعبي مسعوي لاختصر في قصيدة بعنوان " عشاق الوطن" يقول في أبيات منها:

بدات المظاهرة من فضل الجال	وتحزم كل شاب من طاح يهزوه
نذكر لك واش مات الشهيد الوكال	اخر للقيامة ياسر من جرحوه
معظم هاذاك النهار ما عندو مثال	وشكر سكان ورقلة واجب داروه
فتحو بييهم نحو كل قفال	لي هارب عيطو ليه ودسوه

¹ المجاهد، "نصف الشهر السياسي"، ع 116، بتاريخ 9 مارس 1962، ص2.

وفي قصيدة أخرى للشاعر احمد الأمين بعنوان "يوم الرهان"، يقول في أبيات منها:

إن حل وفد الزائرين بأرضنا	ظنوا بان	يستقبلوا	ويكرموا
ظنوا بان الشعب سوف يروقههم	ظنوا	كما ظنوا	به وتوهموا
للّهِ وقت هزّ فيه كيانهم	الشعب	ثار مغاضبا	يتهمهم
ياروعة لو نطقت سوق الأحد	أو ساحة الشهداء	لو تتكلم	
قد ثار شعب ورقلة المغوار لم	يرهبه	إن قتل الطغاة	

أمام هذه الانتصارات الشعبية وجد المفاوضون الفرنسيون أنفسهم محبرين على إيجاد حل سريع لمؤامرة الفصل، كما وجدوا أنفسهم في وضع حرج، فإما أن يسلموا بالنتيجة الحتمية وهي الاعتراف بوحدة الجزائر ترايبا وبسيادة الدولة الجزائرية على الصحراء، وإما أن يكشفوا عن نواياهم الحقيقية ويعترفوا أن موقفهم يعني تمسكهم بخيار الحرب، وعليه فقد اختار الفرنسيون عن مضض الخيار الأول خلال مفاوضات ايفيان الثانية والتي انطلقت من 7 إلى 18 مارس 1962م، وانتهت باتفاق نهائي على وقف إطلاق النار بين الطرفين وتسوية كل القضايا التي عطلت سير المفاوضات.

وفيما يخص فرحة الاستقلال¹ بورقلة فقد لخص لنا العلامة الحاج محمد بن الحاج عيسى الشطي الورقلي² هذه الفرحة في قصيدة شعرية كتبها عشية الإعلان عن الاستقلال:

¹ انظر الملاحق (صورة لفرحة سكان ورقلة بالاستقلال)

² هو الحاج محمد بن الحاج عيسى بن علال مسروق، مفتي المالكية بمدينة ورقلة ، ولد من ابوين صالحين عام 1892م بقرية الشط في مدينة ورقلة، فحفظ القرآن على شيخ القرية انذاك ، الشيخ بلخير بن عمر وفي عمره تسع سنوات واخذ الفقه عنه أيضا، وقد تتلمذ على عبد القادر بن الحاج النعيمي في الرويسات ، وسي محمد السكوتي، والشيخ التولي والزلوقي، فاخذ منهم متن ابن عاشر والرسالة وخليل والاجرومية وقطر الندى وغير ذلك.....، وقد اخذ العلم أيضا من علماء يمينيين وفلسطينيين ومصريين كان يلتقي بهم أثناء رحلاته للحج وهي ثمانية، وكان أولها عام 1928م، كما يلتقي بعلماء الزيتونة بتونس، ولم يكن رحمه الله يتعلم فحسب، بل كان يتعلم ويعلم في سبيل الله، وكانت حرفته الفلاحة وخدمة النخيل، وقد عُرف بالزهد والتصوف، ومن شدة شغفه بالعلم

يا زهرة برزت أنوارها وزهت	إذ لاحت أعلامها في الكون وانتشرت
يا جبهة الأسد مدي الذراع إلى	نيل المواهب من مولاك إذ بسطت
يا جبهة الأسد يا جيش تحريرنا	ابشر ببشرى الرحمان قد ظهرت
تحقيق إيماننا بنصر خالقنا	يا حبذا بحزيل نعمة عظمت
إذ هي في الروم بعد العنكبوت	أنوارها في جميع الأفق قد سطعت
حق على الله نصر المؤمنين ظهر	بشرى لنا بعظيم نعمة كملت
فطالع السعد في الآفاق قد ظهر	ونادى بالنصر والفتح المبين ثبت
جمعت شملا لأمة بما لعبت	عراقيل الكفر والأنزال اذ جمعت
فخيب الله سعي الكافرين وكم	من امة هلكت اذ للشرور سعت
نحمد الله جل قدره وعلا	فنحن من امة المختار اذ نصرت
إذ حقق الله نصر المؤمنين كما	قد جاء في الذكر والآيات قد ظهرت
يا جيشنا حمدت مسعاك أقطارنا	فاعشوشبت أرضنا من بعدما جذبت
فته دلالا على الأكوان جيش رضا	واشكر لنعمة مولانا التي عظمت
وذلك فضلا من الرحمن يتبعه	رضوان ربي وبالإسلام قد ختمت
وصل رب على المختار سيدنا	محمدًا لهادي من أنواره سطعت
والآل والصحب قاطبة	ما نصره الله للأعداء قد بهرت
فنحمد الله نصر الله جاء لنا	فقل لأعدائنا من شاء غيظا يمت

كان لا ينام من الليل إلا ساعتين، حيث كان يكتب في كل ليلة ثلاثمائة سطرا سواء كان نثرا أو نظما، وله في النظم ثلاثمائة قصيدة جمعت له في ديوان، وفي ليلة الجمعة الموافق لـ 29 جويلية 1976م انتقلت روح الشيخ إلى جوار ربها.

خلاصة الفصل:

مما سبق ذكره يمكن القول إن عودة الاهتمام الفرنسي بقوة بعد الحرب العالمية الثانية، وحرص السلطة الاستعمارية على إنشاء قواعد عسكرية واقتصادية في الصحراء الجزائرية كان بهدف وضع أسس ثابتة لصناعات حربية حديثة تكون الثروات الطبيعية الصحراوية هي حجرها الأساسي، مثل التجارب النووية والصاروخية، وكل ما يحتاجه جيش عصري يريد أن يجمع كل الإمكانيات التي تضمن له الوقوف أمام الأخطار العسكرية والاقتصادية.

كما يجب الانتباه إلى أن العلاقة بين اكتشاف البترول والغاز في سنة 1956م، وبين إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتأسيس المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية، ومشروع تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة، وفصل الصحراء إداريا عن الجزائر بإنشاء عماليتين وهما الواحات والساورة وربطهما مباشرة بوزارة الصحراء في سنة 1957م، كان القصد من هذه التعزيزات السياسية والإدارية هو الاحتياط للمستقبل والتمهيد لفصل الصحراء نهائيا عن الشمال في حالة اضطرار الاستعمار الفرنسي الاعتراف باستقلال الجزائر.

زيادة على ذلك نلاحظ أيضا أن الإدارة الاستعمارية حاولت بكل طاقتها أن تشرك السكان في المؤامرة مع استعمال التهديد والرشوة والوعود، ويكفي أن نذكر هنا أن أغلب الشخصيات المعروفة في الصحراء وضعت في المعتقلات والسجون وأن النواب الذين عينتهم فرنسا نفسها وفرضتهم في انتخاباتها المزيفة قد صرحوا في الكثير من الجلسات والمناسبات: "بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر وأن أية محاولة لفصلها عن الجزائر ستبوء بالفشل الذريع، وذلك بالرغم من ضغط الإدارة الاستعمارية عليهم.

كما يمكن القول إن المواقف البطولية التي أبدتها سكان ورقلة ضد مؤامرة الفصل كانت بسبب نضجهم ووعيهم السياسي طيلة سبع سنوات من النضال ضد الاستعمار الفرنسي، حيث أكسبتهم عدم الشعور بالخوف وعدم التأثر بما ينتج عن السياسة

الاستعمارية من قمع واعتقالات، لأنها أصبحت شيئاً مألوفاً في السياسة الفرنسية، ولأنهم آمنوا بأن قوة الشعوب المؤمنة بحقوقها هي التي تكتب لها الغلبة في النهاية.

الختامة

من خلال هذه الدراسة العلمية التي تمحورت حول الاستعمار الفرنسي في منطقة ورقلة منذ سنة 1844م وإلى غاية استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962م، مع استعراض أهم مظاهر المقاومة الشعبية لأهالي المنطقة، ومساهماتهم في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، مع استعراض أيضا لجوانب من السياسة الفرنسية المطبقة على سكان المنطقة في المجال العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي، وأهم المشاريع الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، خلصنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- إن عدم الاستقرار السياسي بورقلة قبل سنة 1854م كان من أكبر العوامل التي سهلت عملية احتلال المنطقة من طرف الفرنسيين، وذلك بسبب الحروب والصراعات المحلية حول السلطة بين مختلف القبائل البدوية، خاصة بين تكتل قبائل الشعانبة والمخادمة وبني تور وبني سيسين، وتكتل قبائل سعيد عتبة وبني وقين، وفيما يخص الصراع بين الأسر الحاكمة، فقد كان بين أسرة علاهم التي كانت تحكم سلطنة ورقلة، وأسرة بن بابية التي كانت تحكم مشيخة نقوسة، وما هو مؤكد أن طبيعة هذه الصراعات لا تخرج عن السؤال التالي: الولاء والطاعة لمن؟ هذا دون أن نغفل السلطة الاستعمارية التي كانت تراقب هذا الوضع عن كثب، بل بشهادة الكتابات الفرنسية تقرر أن السلطة الاستعمارية استغلت هذه الصراعات لصالحها، وعملت على تأجيحها، حتى تضعف القوة المحلية التي ربما قد تواجهها مستقبلا في عملية احتلالها لمنطقة ورقلة وما جاورها.

- إن الرحلات الاستكشافية الأوروبية والفرنسية خصوصا إلى منطقة ورقلة كانت رحلات استخباراتية تجسسية، حيث استفاد الضباط الفرنسيون من كتابات هؤلاء الرحالة في معرفة المجتمع الورقلي من خلال التعداد السكاني، ومدى قدرة الأهالي على حمل السلاح للتصدي للقوات الفرنسية هذا من جهة، والاستفادة أيضا من

بعض الدراسات الطبوغرافية والجيولوجية في معرفة تضاريس المنطقة، وطرق المواصلات من جهة أخرى، وعليه فأغلب هذه الرحلات كانت عبارة عن دراسات عسكرية أكثر منها اجتماعية أو جغرافية أو اقتصادية، كان الهدف منها توظيفها في الخطط العسكرية والتي بدورها مهدت لاحتلال منطقة ورقلة.

- على الرغم من الرحلات الاستكشافية والأبحاث العلمية التي قام بها الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، والاعتقاد الخاطئ لديهم بأن الصحراء الجزائرية خالية من البشر ولا تشكل خطرا على تواجد الفرنسيين بهذه المناطق، وسيتم احتلالها في ظرف وجيز، إلا أن هذا التصور الفرنسي قوبل بمقاومة شرسة من طرف سكان الصحراء، وخصوصا في منطقة ورقلة، هذه الأخيرة التي تم احتلالها في 27 جانفي 1854م، غير أن الفرنسيون لم يستقروا فيها ولم يذوقوا فيها طعم الأمان، وهذا بفضل مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، والشريف بوشوشة، وناصر بن شهرة بورقلة، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ، حيث يمكننا القول إن هذه المقاومات تعتبر من أقوى أسباب تأخر استقرار الفرنسيين بالمنطقة إلى غاية 1882م، هذا بالإضافة إلى أن فشل القيادة والباشاغوات الذين عينتهم فرنسا في ورقلة في تأدية مهامهم لبسط الأمن، وفرض السيطرة الاستعمارية، يعتبر من الدوافع الأساسية التي كانت وراء استقرار الفرنسيين بالمنطقة، وتنصيب أول حامية عسكرية فيها، وهذا بهدف وضع حد لهجمات الشعابنة والتوارق على كتائب الجيش الفرنسي المتواجدة على مستوى الجنوب الشرقي الجزائري.

- لقد تضاربت و اختلفت الآراء حول موقف الطرق الصوفية من الاستعمار بين العمالة والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، غير انه يبدو لنا أن الطرق الصوفية التي كان لها تأثير كبير على مستوى منطقة ورقلة من خلال عدد أتباعها، وبناء على الوثائق الأرشيفية أن هذه الطرق كانت تنشط بين الولاء حينا وبين المعارضة أحيانا

أخرى، بسبب المصالح والمتغيرات العسكرية والسياسية والاجتماعية التي كانت تحدث من حين إلى حين آخر، فمثلا الطريقة القادرية بورقلة أكدت بعض المراجع أنها احتضنت مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا قبل احتلال ورقلة سنة 1854م، بينما بعد احتلال هذه الأخيرة تغير موقفها مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك من خلال مساعدة شيخ الطريقة القادرية محمد الطيب للفرنسيين، وتسهيل لهم مهمة الاستكشافات الاستعلاماتية في عمق الصحراء الجزائرية، إلى أن قتل الشيخ محمد الطيب رفقة بعض الجنود الفرنسيين في معركة شروين في اشتباك مع المقاومين الجزائريين، وهو نفس الشيء نجده عند بعض الطرق التي سبقت الإشارة إليها في متن الدراسة.

- المتتبع للمسار العام للسياسة الفرنسية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية بورقلة منذ احتلالها سنة 1854م سيلاحظ ظاهريا إيجابياتها الخداعة الهادفة إلى تطوير الاقتصاد المحلي وترقية الحياة الاجتماعية، بينما المتأمل في الواقع المعاش بالمنطقة سيكتشف فضاة واستبداد السياسة الاستعمارية تجاه السكان من خلال التفجير والتفجير القسري، والاضطهاد من الجيش الفرنسي، والحيف في كل ما يتعلق بهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهذا بسبب مقاومتهم الشعبية ضد القوات الفرنسية، وما تجدر الإشارة إليه أيضا أن أهم ما ميز السياسة الفرنسية في ورقلة خلال طول مدة الاحتلال هو الاهتمام الكبير للفرنسيين بالجانب العسكري والاقتصادي لصالحهم أكثر من الجوانب الأخرى، حيث عملوا على تطويرهما وتحسينهما من أجل تسهيل عمليات تنقل القوات الاستعمارية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشأوها، وكذا ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، زيادة على خدمة التجارة الفرنسية وفتح أبواب السبل لها في كل أسواق إفريقيا.

- على الرغم من وجود منطقة ورقلة تحت الحكم العسكري منذ 1902م، ورغم موقعها الجغرافي البعيد، ومناخها الصحراوي القاسي، وعلى الرغم من تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة نتيجة السياسة الفرنسية التعسفية، إلا أنها لم تكن منعزلة عن تطور الأحداث السياسية في الجزائر، وقد كانت حاضرة بقوة في المعترك السياسي في العقد الثاني من القرن العشرين، فقد استغل شبان ورقلة سنة 1916م التجنيد الإجباري في صفوف الفرنسيين إلى أبعد الحدود، حيث مكثهم من اكتساب خبرة عسكرية في استخدام السلاح، وإستراتيجية الدفاع والمواجهة، هؤلاء الشبان كان لهم الفضل الكبير في بعث الفكر السياسي والثوري بين الأهالي، هذا فضلا عن هجرة بعض الورقليين خلال العشرينات من القرن العشرين إلى تونس، وليبيا والمشرق العربي، حيث تعرفوا على بعض رجال السياسة والفكر والإصلاح، وعاشوا بعض التطورات السياسية التي شهدتها العالم الإسلامي آنذاك، ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى تطور الوعي السياسي أكثر مما كان عليه في السابق، وذلك بسبب النشاط القوي الذي فرضته خلايا شبانية تابعة لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والتي كانت تنشط تحت ستار تقديم دروس دعم ليلية للطلبة والشباب، وممارسة النشاطات الثقافية والرياضية.

- فيما يخص تبني سكان ورقلة لثورة نوفمبر 1954م، ومدى تفاعلهم معها يمكننا القول إن مشاركة أهالي ورقلة في الثورة التحريرية، وتكوين خلايا مدنية شعبية تابعة لجبهة التحرير الوطني لدليل قاطع على مشاركتهم الفعالة في الثورة، سواء من ناحية مجابهة وحدات الجيش الفرنسي في هذه المناطق، وإرغامه في كل مرة على التراجع والتقهقر، والاستنجد بقوات عسكرية من الشمال لحماية المنشآت العسكرية والاقتصادية الموجودة بالصحراء، أو من ناحية اتخاذ هذه المنطقة كمحطة للتزود والتموّن بالألبسة أو الأسلحة أو جمع الاشتراكات المالية، زيادة على دور المناضلين الورقليين الذي كانوا متواجدين على الحدود الجزائرية الليبية أو الحدود الجزائرية التونسية، حيث كان لهم

فضل كبير في دعم وتقوية جيش التحرير الوطني في هذه المناطق، والمساهمة معه في عدة عمليات عسكرية استهدفت بعض الأهداف العسكرية للجيش الفرنسي المتواجدة على الحدود، بل الشيء الأكيد والمؤكد هو أن هذه المواقف النضالية كانت وراء فشل معظم المشاريع الفرنسية والخطط العسكرية، مما كان يدفع في كل مرة السلطة الاستعمارية إلى البحث عن حلول عملية لتفادي هجمات الخلايا الثورية التابعة لجيش التحرير الوطني، كما يمكننا القول إن الخلايا الثورية على مستوى منطقة ورقلة كانت قنعة لدى الإدارة الاستعمارية باستحالة استغلال ثروات الصحراء، حيث خلقت جوا من الخوف والرعب في أوساط المعمرين والعاملين في الحقول النفطية، وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم، حيث أصبحت مساكنهم ومؤسساتهم عبارة عن ثكنات لا تخلوا من حراسة أمنية.

- إن موقف سكان منطقة ورقلة من المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية وخصوصا مشروع فصل الصحراء عن الشمال، ومشروع تأسيس جمهورية صحراوية، كان قد تأكد من خلال خروجهم إلى الشارع في مظاهرات شعبية يوم 27 فيفري 1962م، وبرهنوا من خلال هذه المظاهرات الشعبية على أنهم واعون بما كان يحاك من مؤامرات دسيسة ضد الجزائر، كما أكدوا أنهم لن تغريهم المغريات، ولن تنطلي عليهم حيل الإدارة الاستعمارية، ولن ينساقوا وراء أي مشروع استعماري يسعى إلى سلبهم عن هويتهم الوطنية وحضارتهم الإسلامية، ويقضي على خصوصيتهم الاجتماعية والثقافية، وأنهم مع الثورة التحريرية التي شرفتهم ورفعت رؤوسهم أمام الأمم.

تلكم هي النتائج التي خلصت بها في دراستي، وإنني على يقين بأنه هناك جوانب لازالت لم تستوفي حقها من الدراسة والبحث خاصة ما يتعلق بفترة الحركة الوطنية والثورة التحريرية التي تبقى تطرح العديد من التساؤلات تحتاج إلى إجابات علمية موثقة مثل: لماذا اقتصر نشاط الحركة الوطنية في منطقة ورقلة على حزب حركة انتصار الحريات

الديمقراطية فقط دون التشكيلات السياسية الأخرى؟ ولماذا لم تكن هناك مدارس للتربية والتعليم تابعة لجمعية العلماء المسلمين على رغم من وجود رجال تبنوا الفكر الإصلاحى من خلال معهد الحياة بالقرارة أو جامع الزيتونة بتونس؟ ولماذا لم تكن هناك عمليات عسكرية بمنطقة ورقلة على غرار المناطق المجاورة كغرداية وتقرت؟ وما هي أهم الشخصيات التي كان لها دور في الترويج للمشاريع الاستعمارية بالمنطقة على غرار السيد حمزة بوبكر؟... إلى غير ذلك من الأسئلة والتي بدورها تفتح آفاقا للبحث فيها من خلال دراسات علمية أكاديمية مستقبلا.

وفي نهاية هذه الدراسة، وبعدما لاحظت الزخم الكبير من الوثائق الأرشيفية على مستوى مركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة، واعتقد أنه نفس الشيء موجود من وثائق على مستوى أرشيف ولاية قسنطينة، وولاية بشار، ودائرة تقرت، وعليه آن الأوان لتجميع كل هذه الوثائق الأرشيفية في مركز واحد للوثائق والمحفوظات متخصص في الشؤون الصحراوية، وبالتنسيق مع مخابر البحث على مستوى جامعتنا التي لها اهتمامات بهذه المناطق، يمكننا تطوير الدراسات الصحراوية، بل وتنمية هذه المناطق في جميع المجالات مستقبلا.

الملاحق

الوثائق

الملحق رقم (1): شكوى من قبيلة سعيد عتبة ضد سياسة علي باي 1867م.
(A.O.M 8H6)

Algérie
Provinces de Constantine
Subd^e de Batna
Cercle de Biskra
Affaires Arabes
N^o 639

Biskra, le 27 8^{me} 1867

Mon Colonel,

Objet
Au sujet d'une réclamation
des Saïd-Ateba contre
Si Ali Bey.

Copie
N^o 974

J'ai l'honneur de répondre
à votre lettre du 19 8^{me} N^o 639 au
sujet des faits imputés à Si Ali Bey
par des gens des Saïd-Ateba.
Les Saïd-Ateba, comme les autres
tribus d'Euargla, ont été rattachés
au Commandement de Si Ali Bey
par décision de S. E. le maréchal
Gouverneur général de l'Algérie en
date du 27 février 1865.
Depuis cette époque, sauf
quelques mois passés dans le Fell
de Batna, ils ont presque constam-
ment habité le cercle ou le cercle
de Laghouat.

A Monsieur le Général de S^{te} Commandant la S^{te} de Constantine

Laghocat. Toutes leurs affaires pendant
leur séjour en dehors du Cercle de Bisséba
ont été traitées entre mes prédécesseurs et l'autorité
supérieure, Si Ali Bey ne s'est
trouvé en rapports directs avec eux, qu'en
hiver, au moment de la récolte des Dattes
et de la perception des impôts.

En 1865. Les Saïd Attha ont versé le
montant de leurs contributions, au mois
de février, pendant que la Colonne de
M^r. le Colonel Serroha se trouvait à
Quangla.

Leurs redevances de 1866, ont été
payées pendant le séjour de la Colonne de
M^r. le Colonel Arnaudreau. Ce n'est certes
pas sous les yeux de ces Colonels, que
Si Ali Bey a pu rançonner les Saïd Attha.

L'impôt de 1867, a été versé au mois de
février dernier. Le recouvrement en était
terminé lorsque Si Ali Bey est arrivé
à Quangla. Ce dernier n'est intervenu que
pour recevoir l'argent des mains du Châtelain.

Le lendemain de l'arrivée du Caïd toute
la tribu commençait son mouvement vers le
Mab.

Depuis cette époque Si Al. Bey n'a
pas reçu les saïd atkha; car ils ont parti
le printemps et s'éti dans le cercle de
Saghout.

Il lui a été donc, matériellement impos-
sible de commettre toutes les injustices et
les exactions qu'on lui reproche.

Les signataires de la plainte adressée à
S. E. le Gouverneur Général prétendent
que Si Al. Bey, les oblige à rester sur
son territoire. Est-il nécessaire encore
de vous démontrer la fausseté de cette
allégation?

Au printemps de 1865 les saïd atkha
avaient été autorisés à émigrer dans le
Belgma (Cercle de Batna). Mais une Concentration
de tribus sur l'Oued Jél ayant été jugée nécessaire
pour la défense du Sahara, les saïd atkha
devaient rester avec elle.

En 1865, ils partirent l'été dans le
cerle de Batna, chez les scheichs, puis chez
les amasura.

En 1867, ils devaient revenir dans le
cerle de Batna, mais obéissant aux sug-
gestions des arla et surtout du Caïd de cette
tribu, El Absot, ils refusèrent de suivre
leur cheikh et restèrent dans le cerle de
Laghouat.

Comment donc l'intolérance du pays de
Si Ali Bey, a-t-elle pu fuir tant d'hommes
et de troupeaux.

Pendant les années 1864, 1865, et 1866 les colon-
nes sont restées plusieurs mois dans le comman-
dement de Si Ali Bey. Les Colonels qui
se trouvaient à leur tête n'ont-ils pas constaté
que ce chef indigène dirigeait d'une manière
équitable et bienveillante. Les populations
placées sous ses ordres, que le pouvoir en ses mains
n'était pas une source d'abus et que par un
grand chef ne méritait plus que leur pleine
confiance et notre estime.

Mais la lettre adressée à S. E. est loin d'être

l'auteur de toute la tribu.

Il est à remarquer qu'elle n'est signée
que de ceux dont je vous ai demandé l'intenti-
ment. Ils sont venus ainsi affirmer leur
culpabilité et la rendre plus évidente
encore.

De plus ils ont été dénoncés
par leurs frères, arrivés dernièrement à
Ouarzla, comme les promoteurs de tous
les actes de rébellion dont leur tribu
s'est rendue coupable.

Quelques seuls sont restés dans le cercle de
Laghout où ils continuent à subir
l'influence et à suivre les mauvais conseils
des arabs et de leur caïd.

Comme de pareilles intrigues ont pour
résultat inévitable d'entretenir le trouble
et l'anarchie chez les said-arkas et d'y
mettre en doute le principe d'autorité,
J'ai l'honneur de vous renouveler
ma demande tendant à ce que les indigènes
signalés dans ma lettre du 16 Mars 1887
soient internés le plus tôt possible en

Nord
en France ou dans le Sud-Est de
la province de Constantine.

Je suis avec respect
Mon Colonel
votre très obéissant serviteur.

Le Commandant Supérieur
Signé: De Wulf.

Tout Copie conforme.
Le Colonel Commandant la Subdivision par intérim.
Signé

uite contre lui. S'il est recommandé, en conséquence,
que son remplacement par El Aid Ben Chaitk
n'ait lieu qu'une fois son arrestation faite, que
celle-ci soit opérée sûrement et qu'ensuite il soit
l'objet d'une surveillance sérieusement exercée.

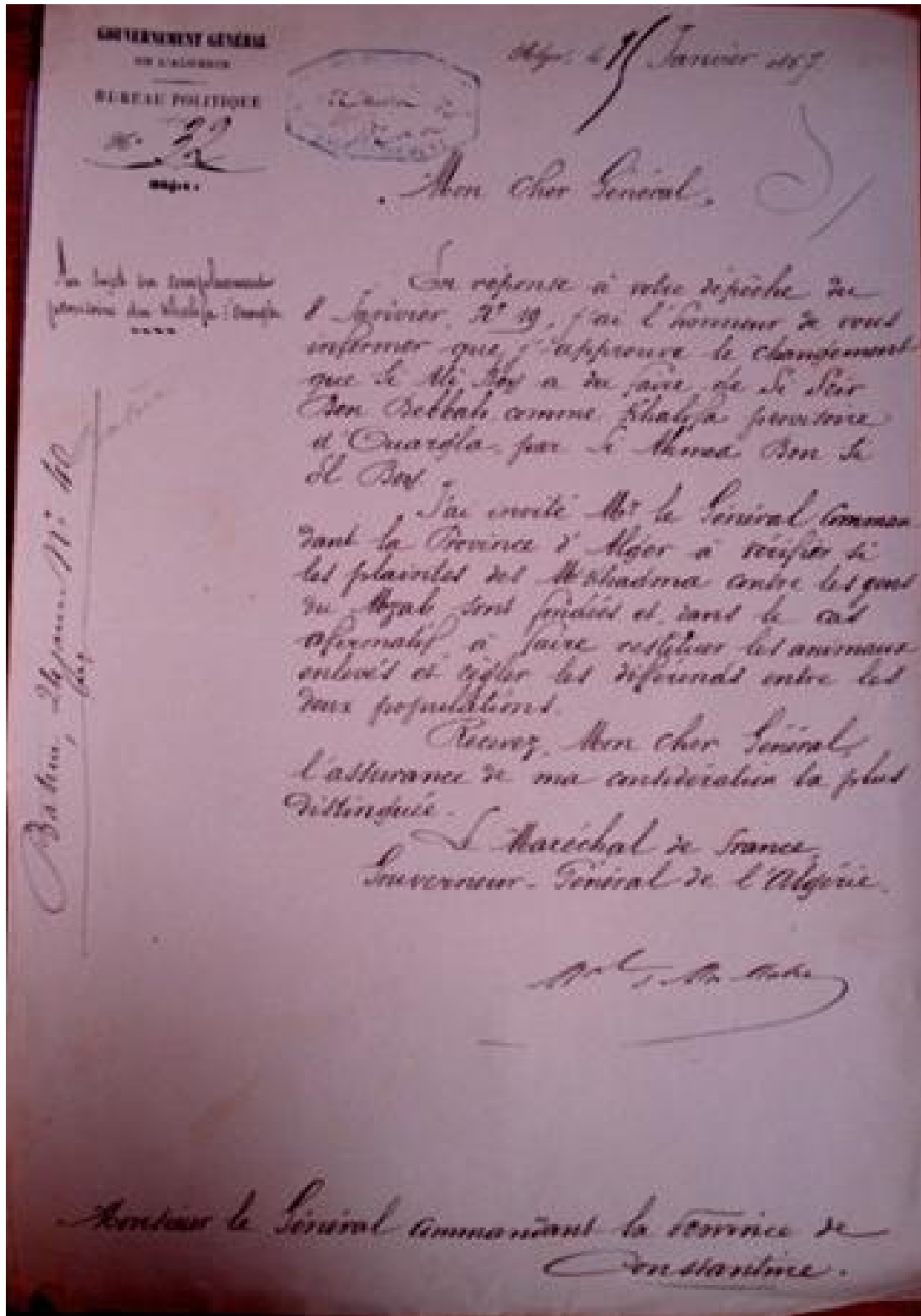
J'écris à M^r le Général Commandant
la Tonnice d'Alger de faire arrêter, si cela
est possible, le N^o Si Kaddour ben Smack,
ou Chaitk des Saïd. Mba, actuellement au
M'zab, dont vous me signalez les intrigues.
Dès que cette arrestation aura été opérée, Si
Kaddour sera dirigé sur Alger et de là mis
à votre disposition pour être interné dans les
mêmes conditions que Si Ahmed ben Beggaz.

Faites recommander à Si Ali Bey
de ne pas s'immiscer dans les questions intérieures
du M'zab, qu'il soit en bonnes relations avec
les divers partis, qu'il en profite pour
avoir des renseignements utiles; mais qu'il
ne promette vis-à-vis d'aucun d'eux une attitude
qui pourrait nous engager, plus tard et nous
obliger à intervenir dans les affaires de cette
considération sur laquelle nous devons continuer
à n'exercer qu'un protectorat.

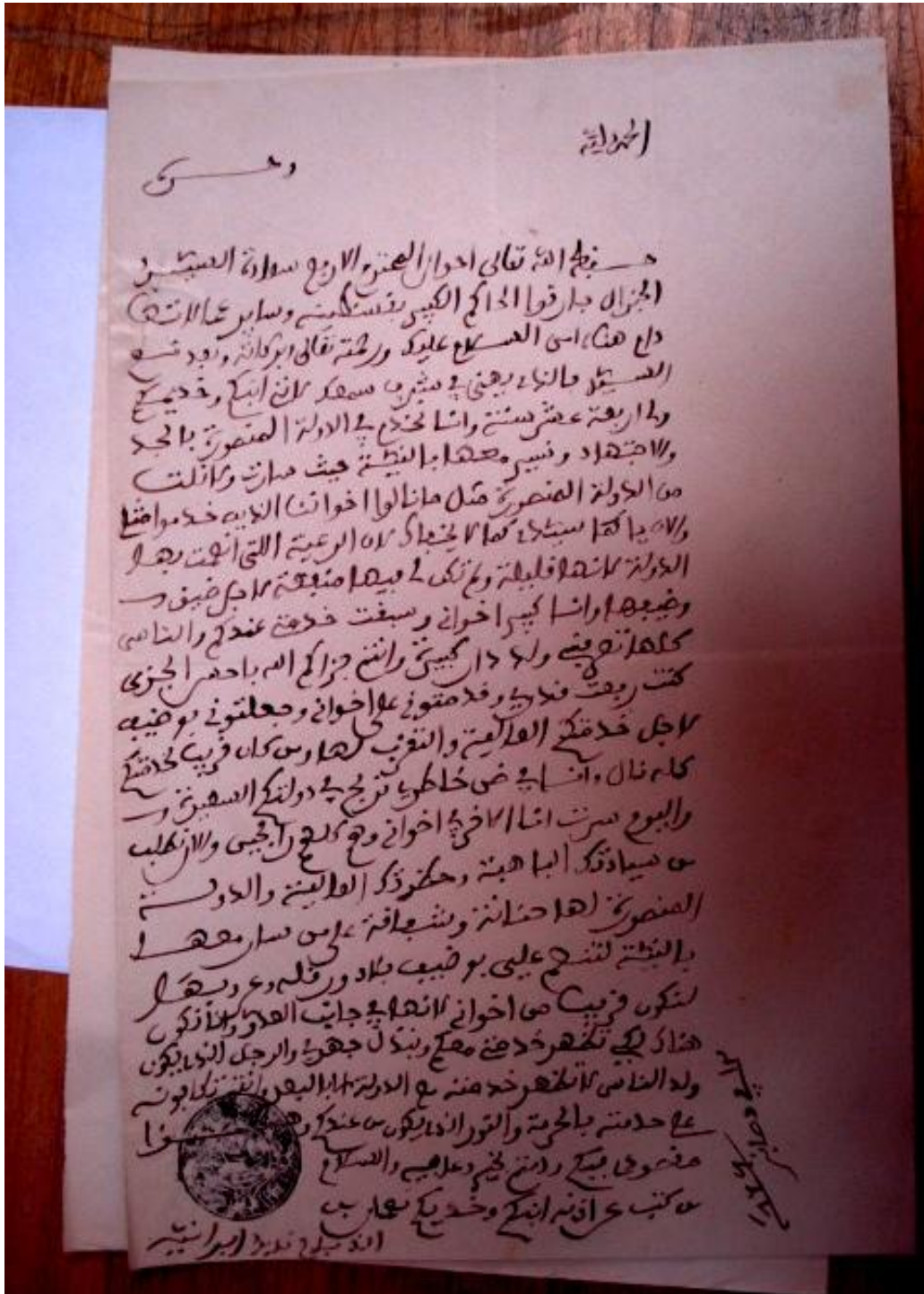
Recevez, Mon cher Général,
l'assurance de ma considération la plus distinguée.
Le Maréchal de France,
Gouverneur Général de l'Algérie.

M^r le Général

الملحق رقم (3): رسالة الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة تتعلق بتغير مؤقت لخليفة ورقلة 1867.
(A.O.M 8H6)



الملحق رقم (4): رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا Barveau حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعيينه حاكما على ورقلة وعروشها. (A.O.M 8H6).



تعفون لكم ان تكونوا راسخين مثل اهل خيبر يا اهل خيبر
 لا تتبطلوا بالامور اجمالا انما افرجوا الى عمالة الغنم ايم من العمالة الاخرى وكثيرا تتسولون
 جارات ان تلك العمالة المذكورة وتنايبا ان النخيل في موعده لكم من واد قله حتى
 الى فلسطين خيبر يولدوا اصعب لتكيلون انهم في كل تبعي في كل احد من الغنم
 فمن لم يفسد عليكم مثل ما تحسب على نفسه ان يفعلون هذه النصيحة في بالكم وبال
 انما اشيء اعلموا اولادنا ايها الاضياد والشايع والاكابر قناع الاعمال والكمال
 انما شورا اني تعفونكم ان تهونوا وتهلوا بامورنا وتقلوا نصيحتنا وتقلوا
 ديارنا هذه في بالكم على جميع ما امرتكم به واوصيتكم عليه هذه وجوهنا
 عنكم ثم باركت عامل عليكم كثير او اسكلم صرحت بآذنه في ميثاق الغنم اليكم ودوام
 الاعامية فنواحيكم محمد بن الحاج برادر ريس البيضا في جهه السبل يسير
 في اخرة بتغرت وواد ريف وواد سوبك الله الله اسير في اوت

سنة ٨٧٤ هـ

Constantinople 3 Dec 1874

Messieurs Messieurs

Digne

الملحق رقم (6): رسالة موجهة من مبعوثي غدامس الى عبد القادر بن عمر اغا ورقلة 1881م
(C.D.A.W.O,B320)

Le 14 Décembre 1881

Votre adresse par les Missionnaires de
Ladames à M^r l'Agba Abdellhader ben amar
Commandant le cercle de Ouargla.

Copie

Après vous avoir salué et avoir pris de
nombreuses informations au sujet de votre santé,
nous vous prions de faire parvenir à Alger la
lettre que vous trouverez ci-jointe.

Que Dieu vous récompense pour le
service que vous nous rendez et salut.

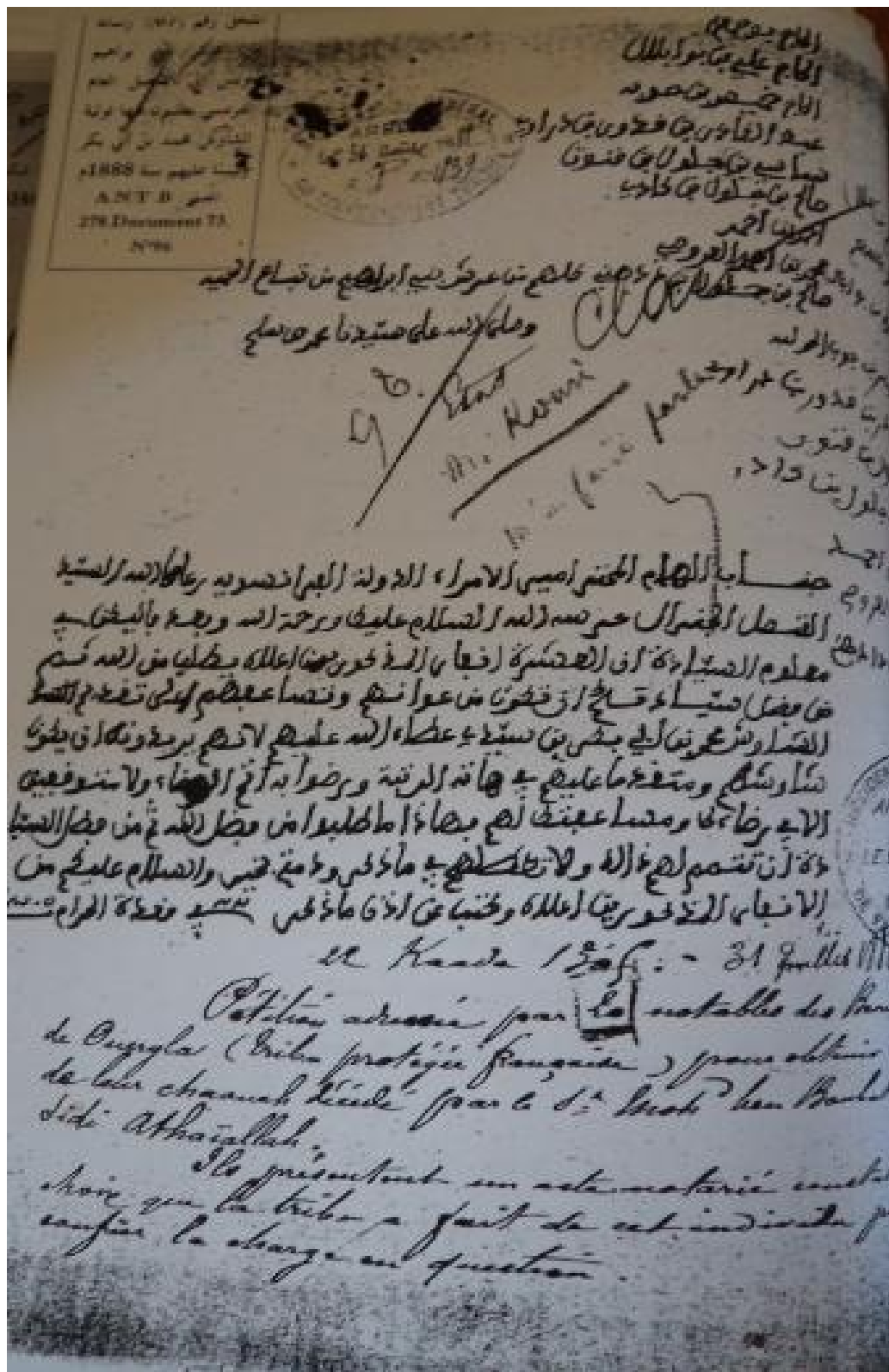
Signé : Kermabon

Pour traduction conforme:

P. Interprète Arabe

Signé: P. Cheneval

الملحق رقم (7): رسالة من عرش بني براهيم بتونس الى القنصل العام الفرنسي يطلبون فيه تولية الشاوش محمد بن ابي بكر رئيسا عليهم سنة 1888 م. (A.N.T,B278,D73,N96).



الملحق رقم (8): رسالة من كارمبون *Kermabon* إلى أعيان شعانية ورقلة حول مقتل الأب رتشارد
Richard من طرف التوارق 1881م. (C.D.A.W.O,B320)

Copie

Votre adresse pour un message de Kermabon
 Kermabon, au laid Ben Bissah, a ben Ahmed ben
 a Mohammed ben Hassan, a Kermabon ben El Kain
 une entente des Kermabon et a Ali ben Ahmed.

J'ai l'honneur de vous informer que le
 Khalifa ben Said a rencontré Saini, ses compagnons
 et ceux de M. Richard trois jours après ce qui s'est
 passé. Au moment de la rencontre les gens de
 Kermabon et les Bouanergs ont interrogé le Khalifa
 pour savoir si Saini faisait partie de la naggia
 venue pour les ordres de Sultan Younis.

Ils voulaient le savoir de sa personne.

Malgré l'affirmation du Khalifa sur l'absence
 de Saini parmi les auteurs de cette naggia, les
 Bouanergs ne le croyant point et le mirent à la
 poursuite de Saini et de ses compagnons.

Une discussion survint entre les Bouanergs et les
 gens de Kermabon sur le sort de ces indigènes; grâce
 à la présence du Khalifa, ils s'arrêtèrent à la mort
 et sont aujourd'hui en pleine sécurité.

Quant à vous, Kermabon, vous ne devez jamais
 la sécurité et la paix aux Bouanergs et les gens
 de Kermabon.

Le Khalifa est toujours disposé à vous faire du
 bien; vous ne devez pas reconnaître les
 services qu'il vous a rendus, mais s'il n'avait pas

été présent dans cette affaire, sans s'en être jamais
plus soucié ni lui-même, ni les autres.

Eni est une déclaration faite aux Chambres
par les Pères domiciliés à Radamir.

Radamir, 11 Décembre 1881

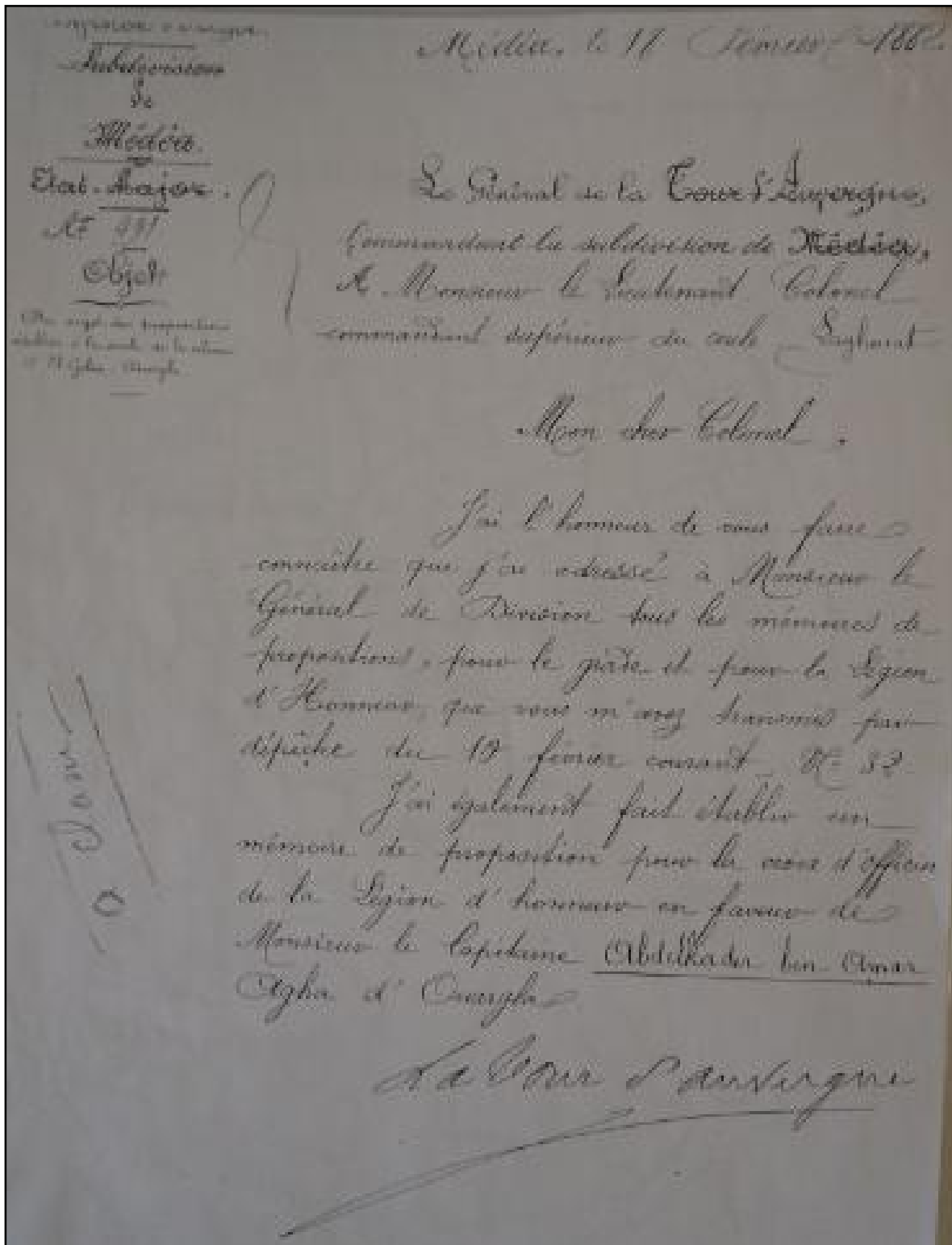
Signé : Kermabon.

Pour transcription conforme :

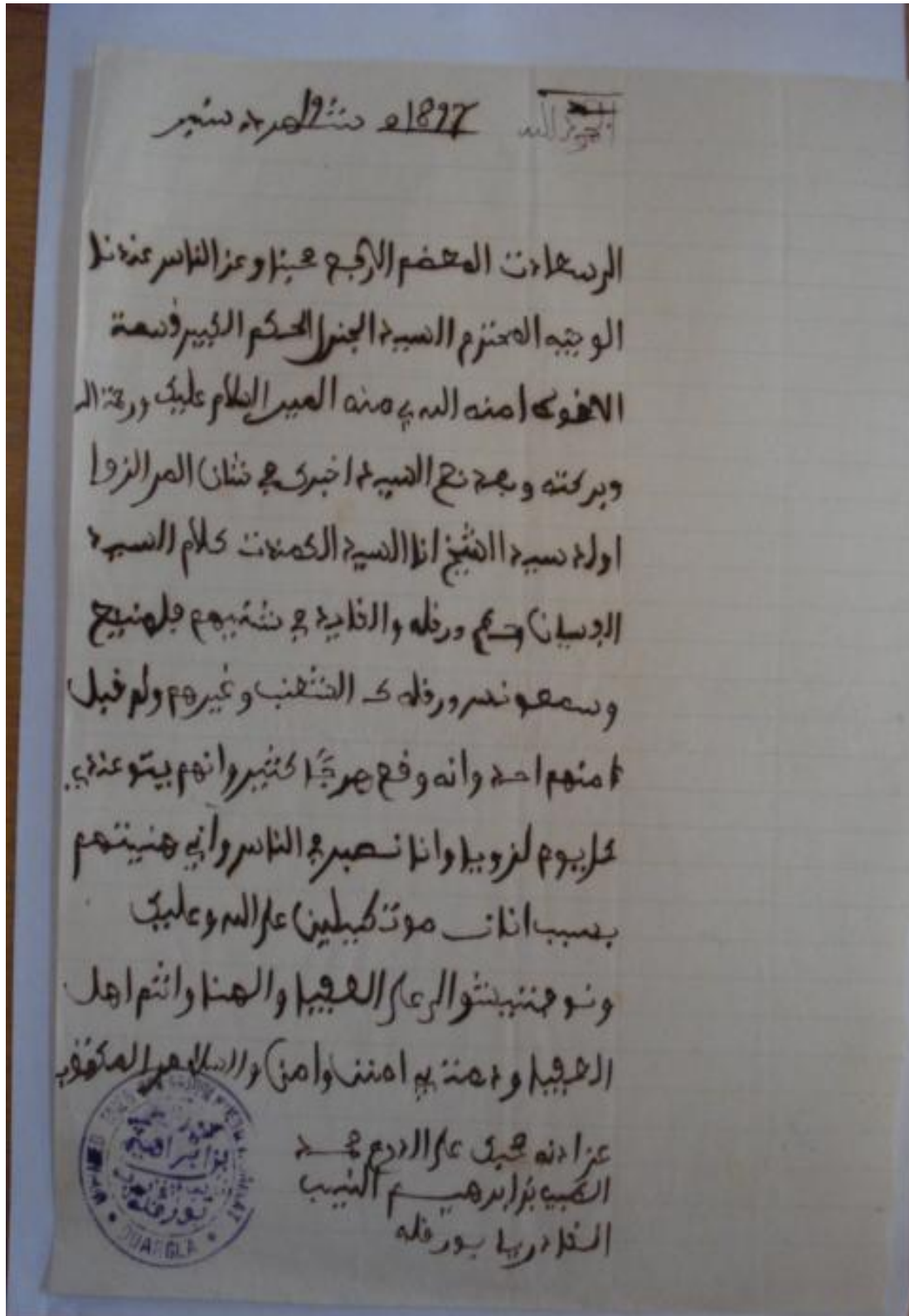
L'Interprète Malgache

Signé : S. Chassard

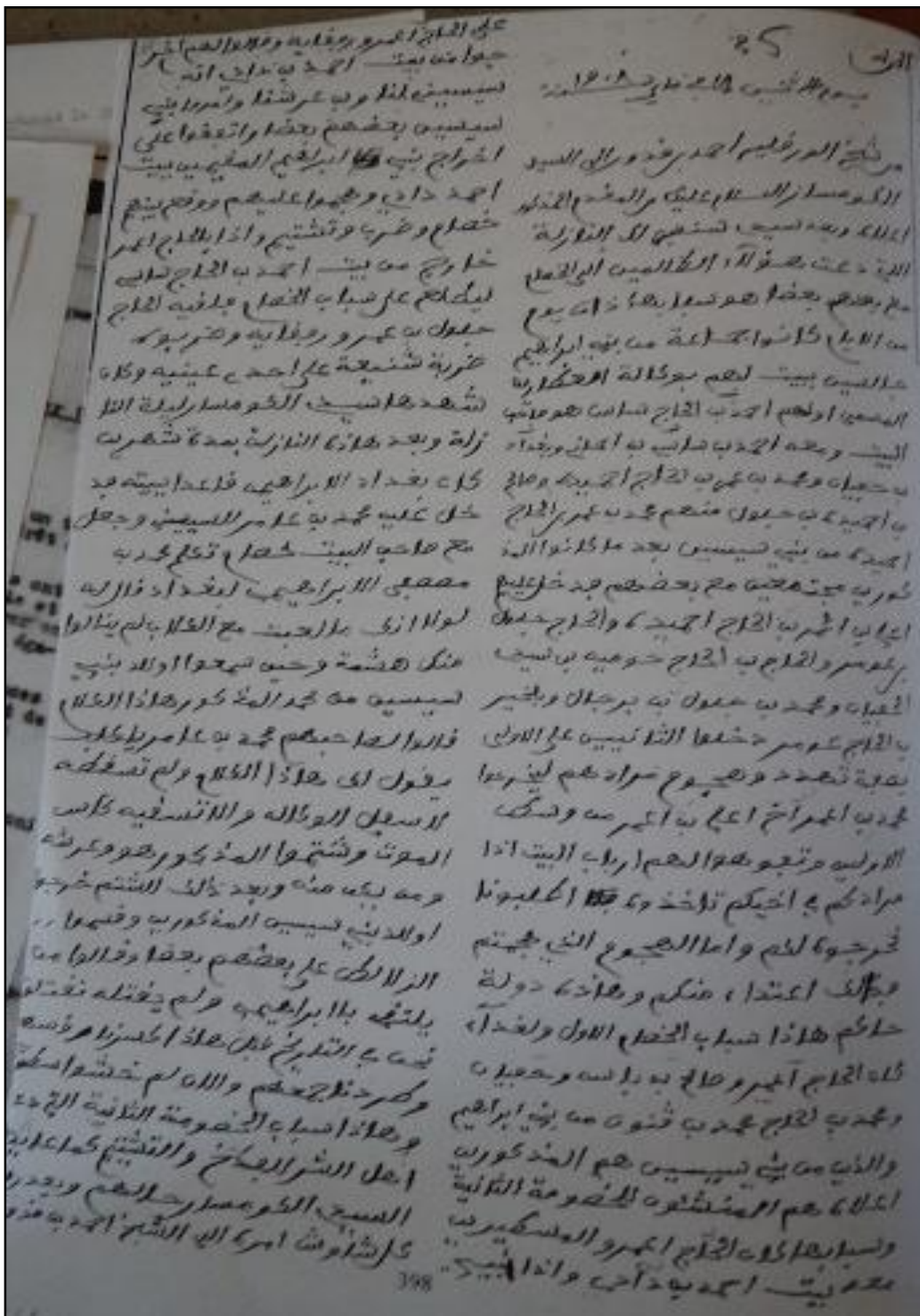
الملحق رقم (9): رسالة حاكم مقاطعة المدية إلى حاكم دائرة الاغواط بخصوص آغا ورقلة سي عبد
القادر بن عمر 1882م. (C.D.A.W.O,B320)



الملحق رقم (10): رسالة من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري
بالاغواط 1897م. (A.O.M 8H25)

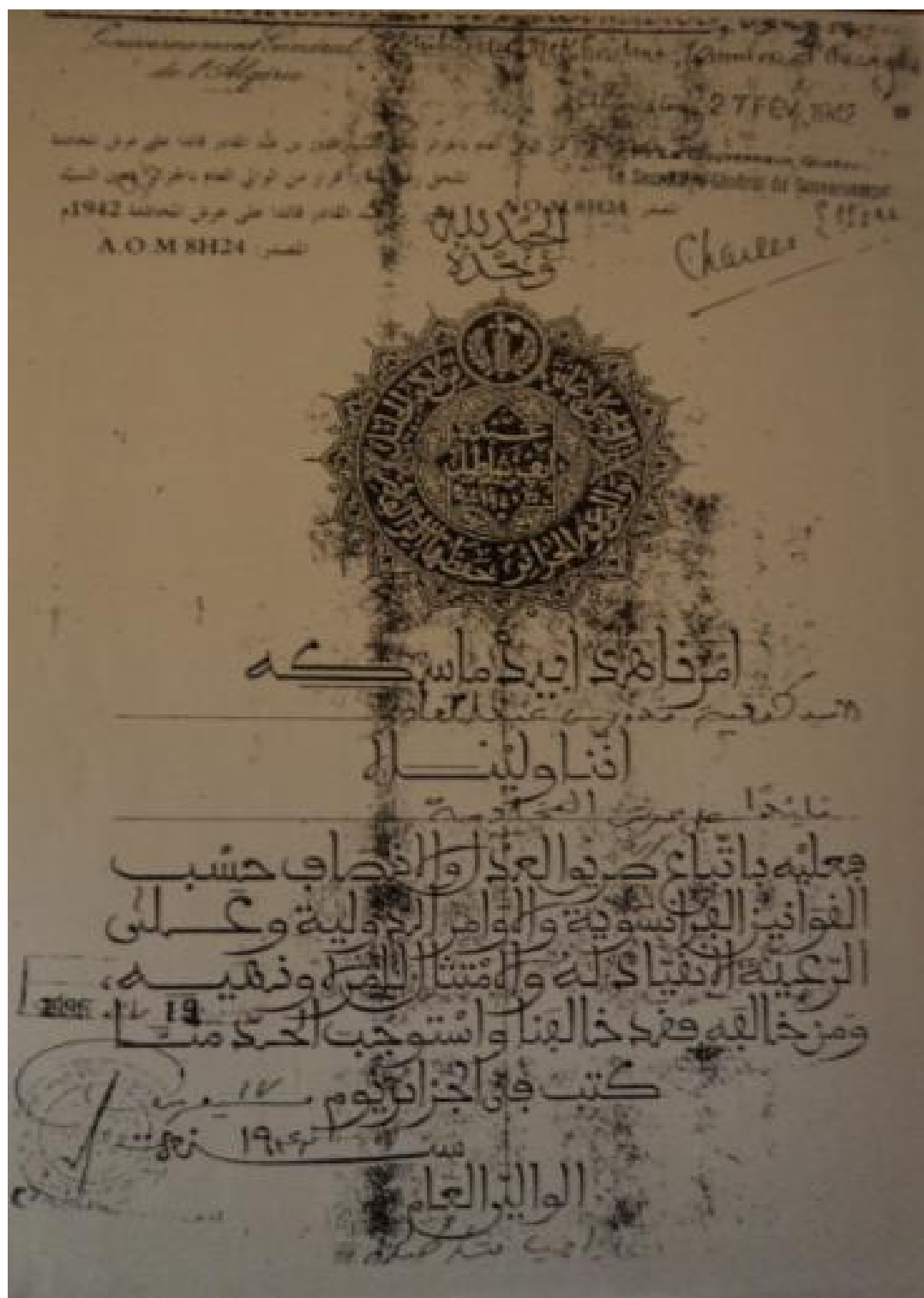


الملحق رقم (11): رسالة من شيخ الورقلية إلى محافظ الشرطة بتونس لشرح معركة وقعت بين عرش بني
 سيسين وبني براهيم 1908م. (A.N.T,B278,D73,N35)



واثبتوا مع بعضهم ليجعل كل شاة او ثاة او لامة وياضهم
 وينفاهم عن الضلع واثبتوا الامم كذا لك بلادا بلادا كبريا بني
~~ابن ابراهيم~~ المسمى فذوره الخراج غير القادر جمع ابناء
 دارهم واثبتوا يامزهم بالصلح وثرى ما لا يعنيههم ويخذلهم بذا
 حاكم واذا حكمهم احد يستخير واعنه السيد القوم صار
 هو يخذلهم واذا بالنفر المسمى الحمر بن عبد القادر بن
 بني ابراهيم رجل صاحب حكمة خرج من الدار ليخبر الملك
 بكونه موجودا جملة بني لبيسيين بنزلا لهم وعرضه مثل
 ثلث للاء فلان لهم يا اخواني هذا اعيب عليكم ارجعوا عما اقمتم
 وفتح ابناء بلد واحدة ولا يفتح هذا الامر بيننا وكانا كبرنا
 ونفاننا عن هذا الامر واللاء ينهاني الاولاد بالدار فوالله حرق
 في وادي الشواث وصح حضره الصالح ثمة لا يقبل معكم علما
 ما تتركوا معكم بالمقابر وهذا اتعبا بهم وسببا في قتالهم
 من النكر للسيد القوم صار هو صاحب العدل والصلح
 ما ضرهوا بني سبيبي اعمر بن القادر بن ابراهيم بن جهماعة
 من لواء ووقع الضرب بينهم الاربعة منهم السيد الوزير
 بنهم اخاهم والسلا

الملحق رقم (12): قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش
المخادمة 1942م. (A.O.M 8H24)



الملحق رقم (13): بيان من مشيخة جامع الأعظم يدعو فيه إلى التعقل ونبد الفرقة بين مختلف جمعيات الطلبة الجزائريين الزيتونيين بما فيهم طلبة الصحراء سنة 1949م. (A.N.T, Série E, B35, D28)

الجامع الأعظم

ونفوسه

فسيحة الجامع الأعظم وجموعه

بلاغ

ان فسيحة الجامع الأعظم وجموعه لم تهمل ساهمة على مصلحة الطلبة
 الجاهل بين بقاية ورعاية ولم تهمل تعقب الطالب الجاهل في فصل
 معاملة خاصة ولذلك امتصت تحت الشرايط الجمعيات الطلاب المسئلة
 للكلية الجاهل بين وهي جمعية الكلية الجاهل بين الزيتونيين وجمعية
 البعثة الجاهل بين الزيتونية لجمعية العلماء وجمعية تلامذة صحراء
 الجاهل بين الزيتونيين واهتمت بوضع مفاصلها العلمية على احوال
 الرفيعة من حياة هذه الجمعيات
 ووفقا لماجيى الى ان بين الكلية الجاهل بين قد سغا ونماذج وصادح
 ليس من شأنه ان يحل من نظريتي الجامع الأعظم وجموعه محل الاضحية
 لانهم يحولون بذلك دون تحقيق الامال اسلامية المتعلقة عليهم ويحبون
 سوء السمعة لهم ولا يقدم للمعهد الذي يتسبون اليه وربما تسبوا
 بحمل تلك الامال في حروف فالله في المخلصين ولا يلائم مع
 المصالح العليا في الدنيا والآخرة

وبناء عليه فان شيخ الجامع الأعظم وجموعه بما له من البعوض البسوي
 على الكلية الجاهل بين وعاله في تغليب من التفت بدعوهم الى
 ملازمة الصلوة والقيام على دروسهم والتمسك عن دواعي البغز
 والتشويش وتغذي روابط الاخوة الوليعة بين جميعهم وبذلك هم بان
 الجمعيات التي يتسبون اليها انما انشئت لتكون وسائل لخير علاج
 وتناهي وتعاقد وعونا على توحيد الضعوف فلا يجوز ان تغلب على
 عكس المقصود فندرك في ان فسيحة الجامع الأعظم وجموعه في هذه
 ١٩٤٩
 ١٩٤٩

شيخ الجامع الأعظم وجموعه

محمد الهادي ابن عاسور

مثال عدد ١ - ٥٠٠٠ - ٥٨١٨٠

الملحق رقم (14): تقرير شهري حول أوضاع ملحقة ورقلة خلال الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1955م إلى 16 جانفي 1956م. (C.D.A.W.O, B410).

GOVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE
TERRITOIRES DU SUD
TERRITOIRE MILITAIRE DES OASIS
ANNEXE D'OUARGLA

P.P. N° 8/PM
au registre des pièces périodiques du
Territoire des Oasis.

RAPPORT MENSUEL
N° _____ / Période du 16 Décembre 1955 au 15 Janvier 1956
PREMIERE PARTIE

SITUATION POLITIQUE ET ADMINISTRATIVE
I- SITUATION POLITIQUE GENERALE

La Population de l'Annexe qui conserve le meilleur moral et un très bon état d'esprit, continue cependant à porter le plus grand intérêt aux événements d'Afrique du Nord et notamment à ceux d'Algérie.

La campagne électorale, puis les élections et leurs résultats ont été suivis avec attention. L'impression laissée n'est pas favorable et chacun attend avec impatience de voir le nouveau Gouvernement entrer en action. Les décisions qui seront prises au sujet de l'Algérie sont également très attendues.

Les fêtes de Noël et du Nouvel An ont donné lieu aux réjouissances coutumières. Les fonctionnaires, les Chefs Musulmans, les Notables et de nombreuses délégations ont tenu à présenter leurs vœux aux Autorités locales.

II - SITUATION ADMINISTRATIVE GENERALE

A/ PERSONNEL (Affectations, mutations, promotions, décorations, indisponibilité, discipline).

a) Personnel de Commandement

1°/ Officier des A.S
- Par D.G N° 4/SUD/2 du 2 Janvier 1956 le Capitaine FAVERGNAT Chef d'Annexe est nommé Chef de Bureau de classe exceptionnelle dans la hiérarchie spéciale des Affaires Sahariennes.

2°/ Sous-Officiers des A.S
Rien à signaler au cours du mois.

3°/ Chefs Musulmans
Rien à signaler au cours du mois.

b) Personnel Administratif

1°/ Secrétaires et secrétaires interprètes des Services civils
Monsieur YAHIAOUI Secrétaire principal fait parvenir des certificats de maladie.

2°/ Fonctionnaire de l'enseignement
Rien à signaler au cours du mois

3°/ Autres fonctionnaires
Rien à signaler au cours du mois.

B/ EVENEMENTS ADMINISTRATIFS DIVERS
Rien à signaler au cours du mois

.... /

III - TOURNÉES ADMINISTRATIVES ET MÉDICALES

A/ INSPECTIONS

Rien à signaler au cours du mois.

B/ TOURNÉES ADMINISTRATIVES

Le 5 Janvier 1956 - Le Chef d'Annexe accompagné du Capitaine Adjoint, de l'Ingénieur agricole, font une tournée dans la tribu des Mekhadma pour l'étude des périmètres irrigables pour le puits de l'Albien.

Le 16 Janvier - Le Commandant Chef du Bureau des A.S du Territoire, le Chef d'Annexe et le Capitaine Adjoint se rendent à Hassi Abd et Menihi où sont rassemblées les troupes des tribus nomades pour le Chauffage. Le Commandant distribue 60.000 Frs de prix aux éleveurs.

Les Officiers inspectent journalièrement les chantiers dont ils sont responsables.

C/ TOURNÉES MÉDICALES

- Tournées hebdomadaires à Chott, Adjadja et Rouissat
- Tournées bi mensuelles à N' Gouga

IV - TOURNÉES DE POLICE

Le contrôleur GANTER et une partie du Magazen rentrent à Ouargla le 4 Janvier après une tournée de 1.500 Kms.

V - ACTIVITÉ MILITAIRE

Sans objet.

VI - MISSIONS ET PASSAGE DE PERSONNALITÉS

- Le 22 Décembre 1955

Arrivée de Monsieur de BEAUCHENE, du Musée de l'Homme, venu à Ouargla pour aménager le Musée.

- Le 11 Janvier 1956

Monsieur MONCIER Ingénieur Agricole à El Arfiame est de passage à Ouargla. Il s'entretient avec le Chef d'Annexe au sujet de la réparation de l'eau du puits qui sera foré à l'Albien.

VII - EMPLACEMENT ET MIGRATION DES TRIBUS

Les tribus nomades ont quitté les environs de Ouargla, elles sont en nomadisation.

Tribu des Chamba Boussaïd -

40 tentes campent à Ain Kech
60 tentes campent à Hassi Ahmed ben Bouhafa
30 tentes campent à Hassi Bajar.

Tribu des Mekhadma

7 tentes campent à Ayad
7 tentes campent à Lourag (Goryville)
4 tentes campent à Nachachou (Ghardala)
1 tente campe à Nisiel (Ghardala)
1 tente campe à Djellal (Guerrara)
2 tentes campent à Djeder Labied

.... /

- 1 Tente campé à Kkrabih (Ghariala)
- 7 tentes campent à BOURASSA
- 6 tentes campent à Belfana.

Tribu des Béni-Thour

- 2 tentes campent à Sidi- Abdelhakem
- 3 tentes campent à Belfana.

VIII - POLICE JUDICIAIRE

A/ Affaires nouvelles survenues au cours du mois :

Poursuite du Chef abus de confiance contre **BOMAA Ahmed** fraction des Béni- Ouagguine à Ouargla

B/ Etat des détenus à la Gdele Municipale

Mont

IX - DECLARATION D'ETAT-CIVIL

	Mariages	Divorces	Naissances	Décès	Excédent des naissances sur les décès
Européens	1		3		3
Musulmans	37	5	117	35	82

X - DIVERS

Rien à signaler au cours du mois.

C.D.A.W.O, B134:المصدر

394

الملحق رقم (16): تعليمات حول إطلاق النار بالمناطق المحرمة.

المصدر: C.D.A.W.O, B134

Le Colonel FRINAILLE
Commandant le Secteur de LAGHOUAT

Monsieur le Commandant
du C.A., 26 / 540

- LAGHOUAT -

Q. L'ANDEMENT LITÉRARIEN du SAHARA
ZONE EST SAHARIEN
Secteur de LAGHOUAT
N° 134 / SL/3-OPE

PREST: 12 OCT 1959
N° 13503

CONDITIONS d'ouverture du feu sérieux en
Zones interdites.
REFERENCE: Arrêté N° 13 du 7 Octobre 1959.
---0000---

L'Arrêté cité en référence définit les
Zones interdites ROUGES du Secteur de LAGHOUAT et fixe
au 20 Octobre la date à laquelle, dans ces Zones:

- Tout être vivant doit être arrêté et
abattu.
- Tout aéronef peut agir par ses feux à
initiative et sans préavis.
- Les troupes au sol sont autorisées à
ouvrir le feu sans sommation.

Dans le but d'éviter des actions contre
les nomades qui n'auraient pu à temps gagner les régions
non interdites, j'ai l'honneur de vous demander de
valoir, pour la semaine du 20 au 27 Octobre 1959, de
faire effectuer par vos équipages que des patrouilles
des tirs d'intimidation à l'exclusion de toutes autres
actions.

A l'issue de cette période transitoire
cours de laquelle tout être vivant non suspect devra
avoir quitté les zones interdites et à partir du 28
octobre à 06h00, vous devrez l'ouverture du feu
libre sans qu'elle est prévue par l'Arrêté 13.

SECTEUR DE LAGHOUAT
LE COLONEL

الملحق رقم (17): تعليمات للجنة الإدارية المكلفة بالتحضير للاستفتاء 28 سبتمبر 1958م بمنطقة ورقلة.

المصدر: C.D.A.W.O, B134

MINISTRE DU SAHARA
PREFECTURE DES OASIS
SOUS PREFECTURE DE OUARGLA
N° 4.007/AS/K.I

SECTEUR DE OUARGLA
ETAT - MAJOR
N° 7.7.51

OUARGLA, le 2 Septembre 1958

D E C I S I O N

Relative à la constitution de la Commission Administrative d'Arrondissement pour la préparation du référendum

Le Colonel d'ARCIMOLES, Commandant le Secteur de OUARGLA, délégué dans les fonctions de Sous-Préfet,

Vu la loi Constitutionnelle du 3 Juin 1958 portant dérogation transitoire aux dispositions de l'Article 90 de la Constitution,

Vu la dépêche Ministérielle n° 64/DAS/A4, en date du 4 Aout 1958 de Monsieur Max LEJEUNE, Ministre du Sahara, relative à la préparation du Référendum.

Vu la Note n° 84/REL.10/5/OPS, du 9 Aout 1958, de Monsieur le Général Délégué Général du Gouvernement et Commandant en Chef des Forces en Algérie,

Vu la décision n° 2538/CAB et 12/ZES.CAB du 17 Aout 1958 de Monsieur le Préfet des Oasies et de Monsieur le Général Commandant la Zone de l'Etat Saharien,

D E C I D E

ARTICLE 1er - Il est institué une Commission Administrative pour la préparation au Référendum d'Arrondissement qui siègera à la Sous-Prefecture des Oasies.

ARTICLE 2 - Cette Commission, placée sous la Présidence du Colonel, Commandant le Secteur de Ouargla, Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet, est constituée comme suit :

- Mr. Le Lieutenant-Colonel BURGER, Chef d'Etat-Major au Secteur de OUARGLA
- Mr. Le Commandant LE LIEPVRE, Chef du Bureau des Affaires Sahariennes du Territoire des Oasies.
- Mr. Le Commandant COTI, Chef du 5° Bureau du Secteur de OUARGLA

ARTICLE 3 - Elle a pour mission d'étudier et de proposer toutes décisions utiles tendant à permettre la participation au scrutin du Référendum de tous les Citoyens et Citoyennes du Territoire des Oasies.

Le Colonel d'ARCIMOLES, Cdt l. Secteur de OUARGLA, Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet,

الملحق رقم (18): وصف حالة المجتمع الورقلي بعد الانتخابات البلدية سنة 1959م.

المصدر: C.D.A.W.O, B62

MINISTRE DU SAHARA
PRÉFECTURE DES OASIS
BRIGADE DÉPARTEMENTALE DES
RENSEIGNEMENTS GÉNÉRAUX
POLICE DE L'AIR ET DES FRONTIÈRES
216 R.G.

Agadez le 20 mars 1959.

NOTE D'INFORMATION N° 60.

S U J E T : Elections municipales à OUARGLA -
Etat d'esprit post-electoral.

La faible proportion de votants européens -environ 1% sur %
a vivement impressionné les électeurs et les élus musulmans qui ont trouvé
anormal que des Français métropolitains soient si peu intéressés par les
affaires publiques du plus haut intérêt pour la Nation. Ils estiment que
leur pourcentage aux urnes (95 % environ) leur confère des droits, et, en
autre, celui d'obtenir tous les postes d'adjoints. Il a fallu beaucoup de
plématis pour qu'ils acceptent un européen à l'un de ces postes.

Plusieurs conseillers municipaux ont déclaré :
"Nous avons prouvé que nous sommes les plus "forts" dans l'esprit du 13 mai, derrière le Général de Gaulle. Ce dernier a raison de vouloir
rechercher une solution du problème Nord-Africain avec nous, qui lui
prévoient tout l'intérêt que nous portons à la chose publique. Les métropoli-
tains ne s'intéressent pas aux affaires de l'Etat, leur abstention lors
des élections dans notre région en est une preuve."

De même l'abstention des militaires a été remarquée et même
le corps électoral comprend mal que des gens qui ont approuvé des affiches
d'appel aux urnes soient les premiers à les fuir.

Il est évident que cela apparaît en opposition avec l'attitude
psychologique actuellement à l'ordre du jour./.

-0-0-0-0-0-0-0-0-

DESTINATAIRE :
M.le COMMISSAIRE PRINCIPAL Chef du Service Départemental des Services de Police 1 EX.

AMPLIATIONS :
M.le PRÉFET du Département des Oasies..... 1 EX.
M.le MINISTRE DÉLÉGUÉ auprès de M.le PREMIER MINISTRE -Sahara- :
Cabinet..... 1 EX.
Direction des Affaires administratives et sociales..... 1 EX.
Services S.N. 1 EX.

Chrono..... 1 EX.
Archives..... 1 EX.

الملحق رقم (19): زيارة جاك سوستال إلى ورقلة وتقرت سنة 1959م في إطار مشروع فصل

الصحراء عن الجزائر. المصدر: المصدر: B62, C.D.A.W.O.

G.J./G.R.
Ministère du Sahara
PRÉFECTURE DES OASIS
SÛRETÉ NATIONALE
SERVICE DÉPARTEMENTAL
DES SERVICES DE POLICE
N° 568/2

cab
2 2

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE
LAGHOUAT, le 3 FEVRIER 1959

LE COMMISSAIRE PRINCIPAL,
CHIEF DU SERVICE DÉPARTEMENTAL DES SERVICES DE POLICE
à LAGHOUAT

MONSIEUR LE PREFET DU
DÉPARTEMENT DES OASIS
à LAGHOUAT

O B J E T : Voyage au Sahara de M. le Ministre Délégué auprès de M. le
Premier Ministre.-

REFERENCE : Mon rapport n° 529/1 du 31 Janvier 1959.-

—o0\$0o—

Revenant de TAMANRASSET, Monsieur Jacques SOUSTELLE et sa
suite sont arrivés à l'Aérodrome de OUARGLA le 1er Février 1959 à 11 h.15.
Le cortège s'est aussitôt rendu Place Flatters où étaient massées les Délé-
gations des divers Groupements, les Corps Constitués et une fraction impor-
tante de la population autochtone de cette ville. Après avoir passé en
revue les Détachements Militaires qui rendaient les honneurs, le Ministre
a prononcé une courte allocution au cours de laquelle il a réaffirmé la
perennité de la présence française au Sahara. Un déjeuner a ensuite été
servi à l'Hôtel du Territoire et une séance de travail a réuni, à l'issue
de celui-ci, les différents Chefs de Service de la Région. Monsieur
SOUSTELLE et sa suite ont aussitôt après rejoint l'aérodrome qu'ils
quittèrent à 15 h.30 à destination de TOUGGOURT.

.../...

472

RECEVU DES OASIS
LE 12 FEB 1959

A. MAGUIN - ALGER

Le Ministre a été reçu dans cette dernière Ville par M. le Colonel Commandant le Territoire Militaire de TOUGGOURT, Délégué dans les fonctions de Sous-Prefet et par les Chefs d'Annexe de la Région.

Après avoir passé en revue la Garde d'Honneur constituée par des éléments de l'Armée de l'Air, Monsieur SOUSTELLE et les personnes l'accompagnant, ont regagné les bureaux de l'Annexe devant lesquels se pressait une nombreuse population maintenue par un important Service d'Ordre.

Du haut de la terrasse surplombant la Place, le Cheikh SI AHMED TIDJANI prononça une allocution dont la traduction est jointe au présent. Monsieur SOUSTELLE prit alors la parole pour remercier le Cheikh de ses sentiments. Il déclara qu'il était heureux de revenir à TOUGGOURT qu'il connaissait depuis 1955. Il exprima la compréhension de la France à l'égard des problèmes ruraux qui se posent au Sahara, notamment celui de l'eau et, par voie de conséquence, celui de la datte. Il poursuivit en déclarant que, malgré les fauteurs de troubles, la France entendait poursuivre au Sahara une politique généreuse pour le bien de tous ses habitants à quelque confession qu'ils appartiennent. Il a insisté sur le fait qu'aucun pays au monde n'était capable de faire au Sahara un effort financier aussi considérable que celui fait par la France. Il a terminé en déclarant que, pour sa part et grâce à l'aide de Dieu qui avait permis son accession au Poste qu'il occupe actuellement malgré les manœuvres politiques de certains, il entendait se consacrer entièrement à l'essor du Sahara.

Après avoir prononcé son allocution, Monsieur SOUSTELLE a été conduit à l'Hôtel du Territoire où s'est déroulée une séance de travail.

A l'issue de celle-ci, un dîner a été offert par le Chef du Territoire aux personnalités présentes.

Le 2 Février 1959 à 8 heures, Monsieur SOUSTELLE a rendu visite à TAMELHATE, à proximité de TOUGGOURT, au Cheikh SI AHMED TIDJANI.

.../...

Il gagna ensuite directement l'aérodrome de TOUGGOURT d'où l'avion ministériel s'envola à 10 heures à destination de PARIS.

Un accueil particulièrement chaleureux a accueilli Monsieur SOUSTELLE tout au long de son périple Saharien. Grâce à un important dispositif de sécurité et à un service d'ordre discret mais vigilant aucun incident n'a marqué ce voyage./.

AMPLIATION à :

-M. le MINISTRE DELEGUE auprès de M. le
PREMIER MINISTRE - SAHARA -

- Cabinet Ex. N° 2
- Direction des Affaires Administratives
et Sociales Ex. N° 3
- Services S.N. Ex. N° 4

-M. le GENERAL, Adjoint au Délégué Général
à l'O.C.R.S., Commandant Interarmées
au SAHARA Ex. N° 5

Archives Ex. N° 6

Chrono Ex. N° 7

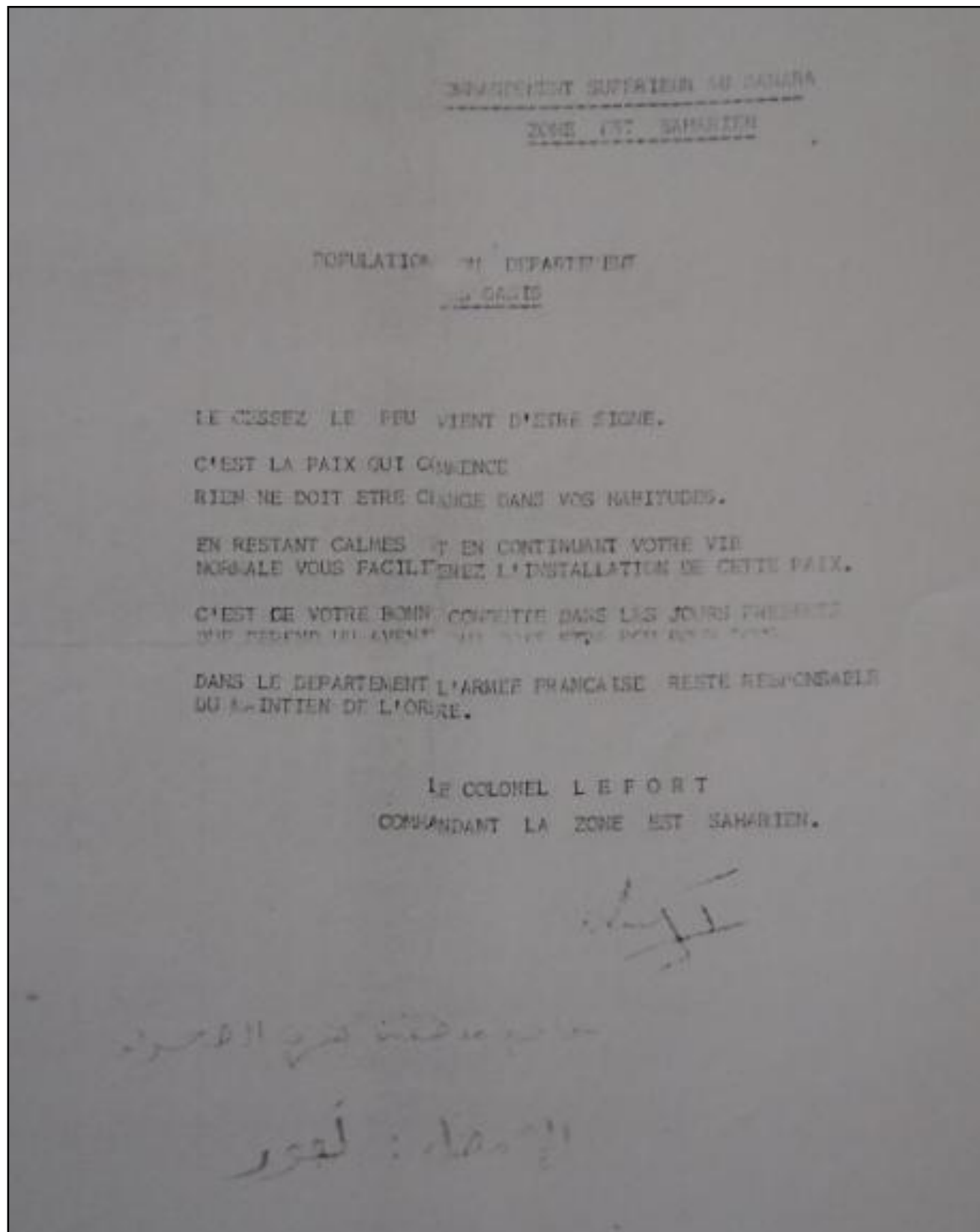


Commissaire Principal,
Service Régional

R. BONNEL

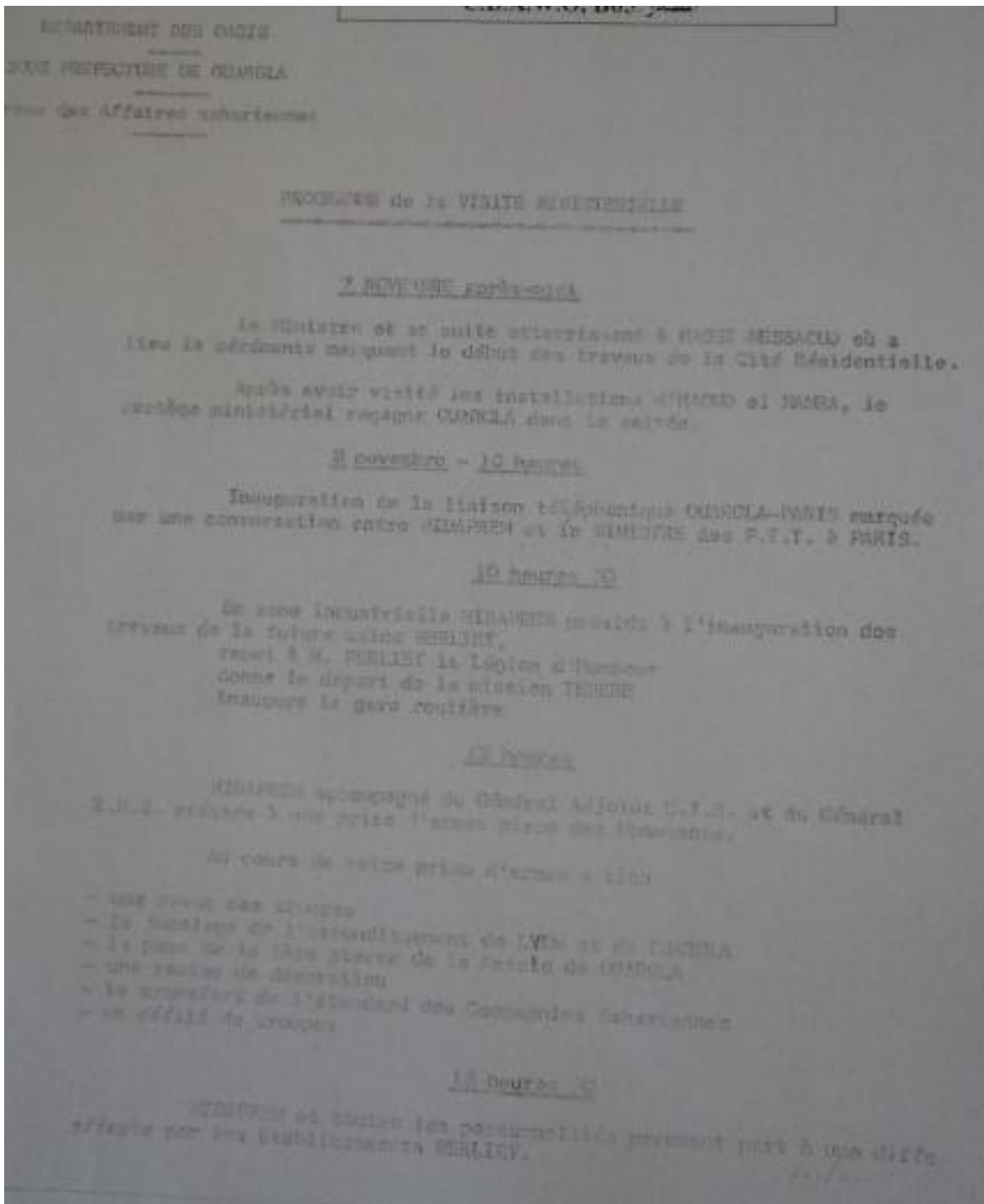
الملحق رقم (20): منشور موجه إلى سكان عمالة الواحات لوقف إطلاق النار في إطار مشروع سلم

الشجعان. المصدر: C.D.A.W.O, B65



الملحق رقم (21): برنامج زيارة وزارية إلى ورقلة سنة 1960.

المصدر: C.D.A.W.O, B65.



- 2 -

2 NOVEMBRE

MOGAPRO et sa suite visitent les installations d'EL GUENI
avant de regagner ALGER.

PERSONNALITES ACCOMPAGNANT LE MINISTRE

GENERAL MIRAMBEAU - C.I.S.
COLONEL PAPE - AVIATION
M. Henri FAURE - Délégué Général Adjoint de l'O.C.N.S.
M. CASSET - Directeur des Affaires administratives et sociales
M. CROUE - Directeur Général des Télécommunications
M. LAMASSOUE - Directeur du Cabinet du Ministre Délégué
M. EYDOUX - Conseiller technique du Cabinet du Ministre Délégué
M. BAZIN - O.C.N.S.
M. HAMZA BOUMAKOUR - Député des Oasis
M. DEVIO - Député des Oasis
M. BOUDI - Député des Oasis
8 journalistes de PARIS et d'ALGER

PERSONNALITES VENUES DE LYON

PREFET Igasse du Rhône
Président Conseil Général
Maire de Lyon

Assistaient également aux cérémonies du 2 NOVEMBRE, 30 journa-
listes représentant la presse de Provence, qui effectuaient un voyage
d'information de 10 jours au Sahara.

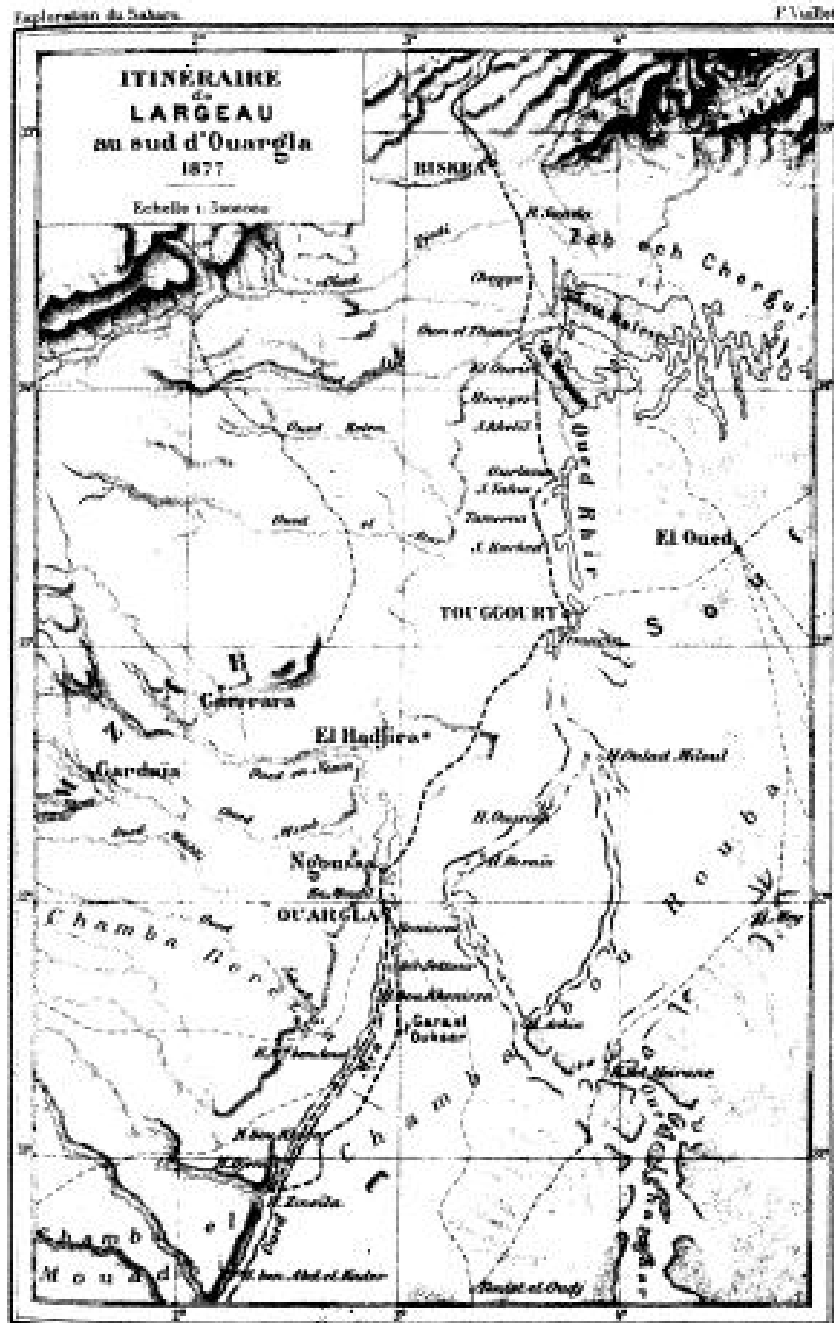
الملحق رقم (22): رسالة من الملازم الثاني محمد شنوف إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بخصوص
تنظيم مظاهرات بورقلة بتاريخ 27 فيفري 1962م (المصدر: متحف الجاهد بتقوت)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جيش التحرير الوطني
الوطني الجزائري
رئاسة ٦ منسقة ع. ناعية
إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بعد السلام الوطني أبعث
بخطبة مسعود اليكم هذه التعليمات يجب أن تعبروها أمامكم البالغ من
أنتنا مسيروا بحاقة المواثيق يا أن يقوموا بمظاهرات يوم ٢٧/٢/٦٢
عند الساعة ١١ صباحا ليحضر فيها من الحكومة
لمؤقتة للجمهورية الجزائرية في الممثل الرسمي للشعب
الجزائري ويحققوا بأن الشعب الجزائري ويرفعوا العلم الجزائري
إنما الوقت هو الوقت المناسب والقيمة تكون كما يلي تجعلوا الشبان
فنا مسيرهم بأن يقوموا بالمبادرة ويأمن من وراءهم كافة المواطنين
تتساءل مرجعنا أن الثامنة كلها منتظر مبادركم بتضحياتكم ترفعون
رأس بلالكم عاليًا وتزفون عنها غبار جميع الشكوك وتغضون
المنافرات وتأسست ببارية بترجوحون أركانهم التنفيذ واجب
والسيد والسيد الملازم الثاني محمد
A.L.N. REG. ٥٥
الوطني الجزائري

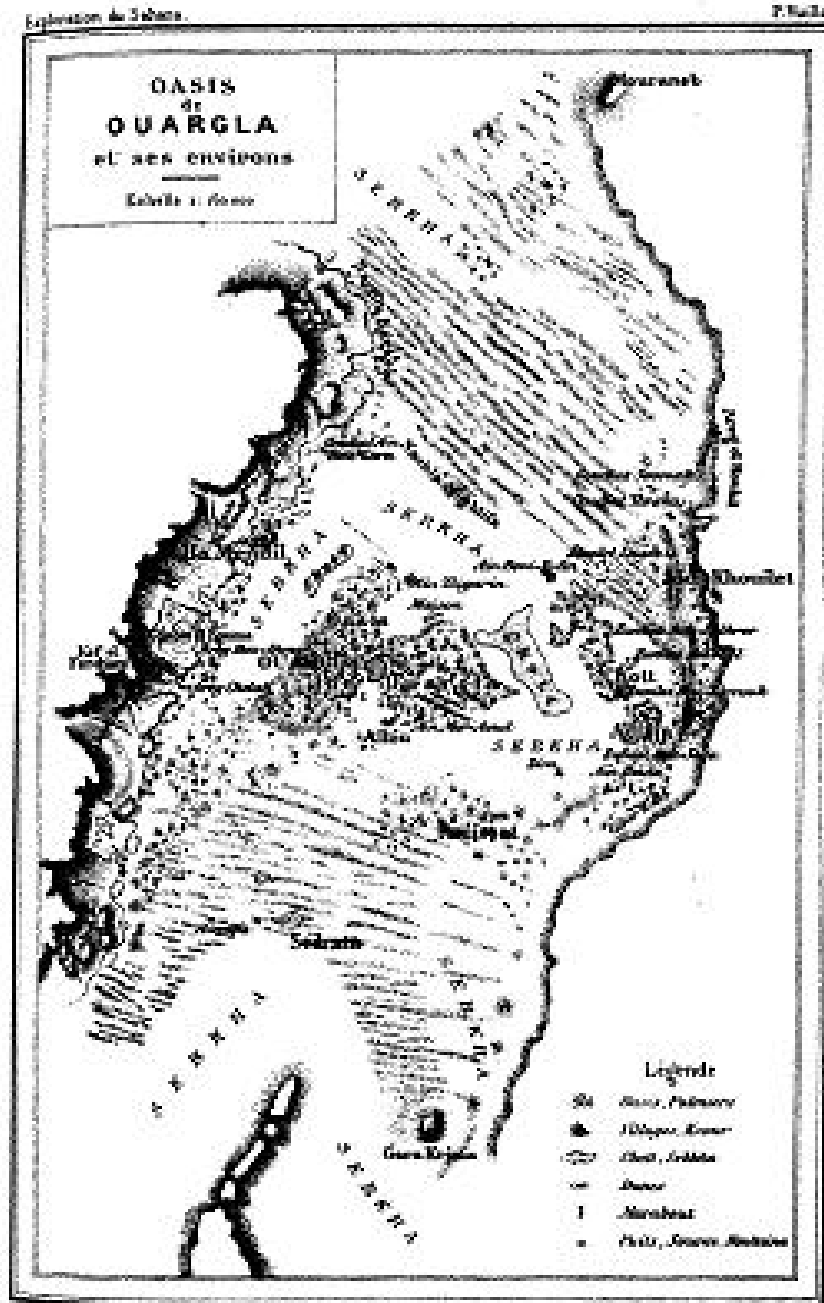
الخرائط

الملحق رقم (23): مسار رحلة لارجو V.Largeau إلى جنوب ورقلة سنة 1877م.

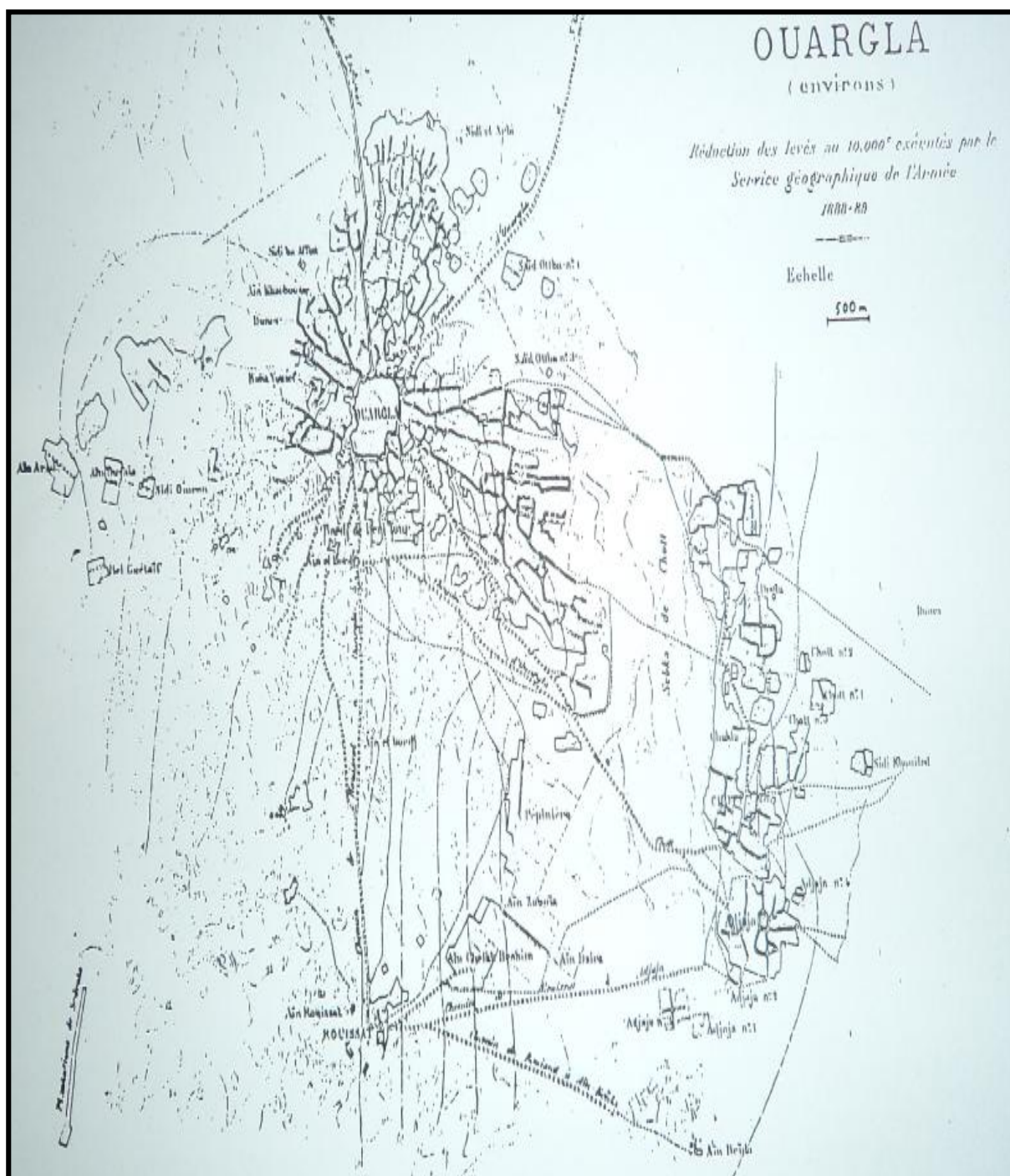
المصدر: Vuilot (P) , L'Exploration du Sahara ,Op.Cit, p144



الملحق رقم (24) :واحة ورقلة وضواحيها سنة 1880م..
 المصدر: Vuilot (P) , L'Exploration du Sahara ,Op.Cit, p190

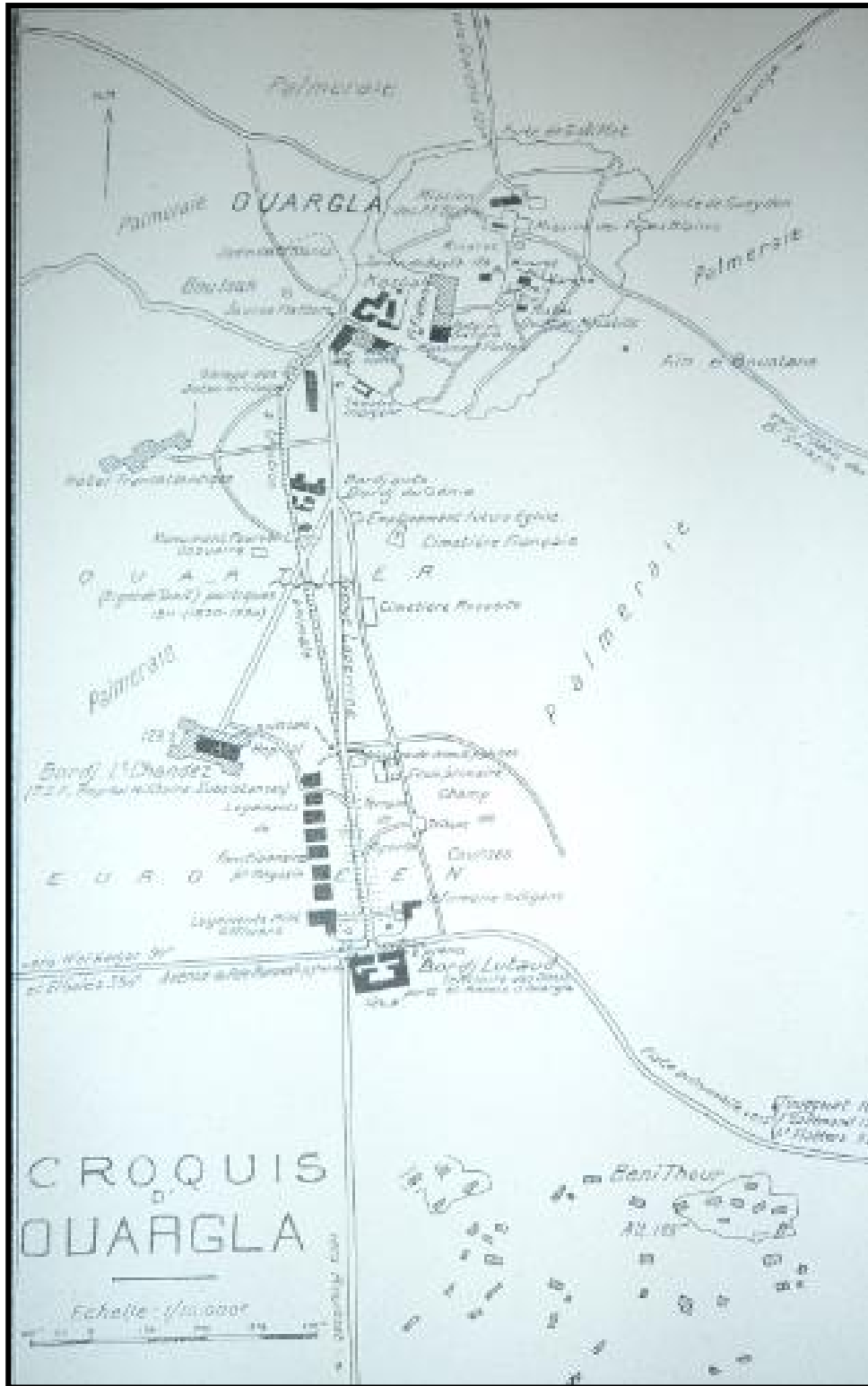


M.R.Brigol ,Op.Cit. p 35:المصدر



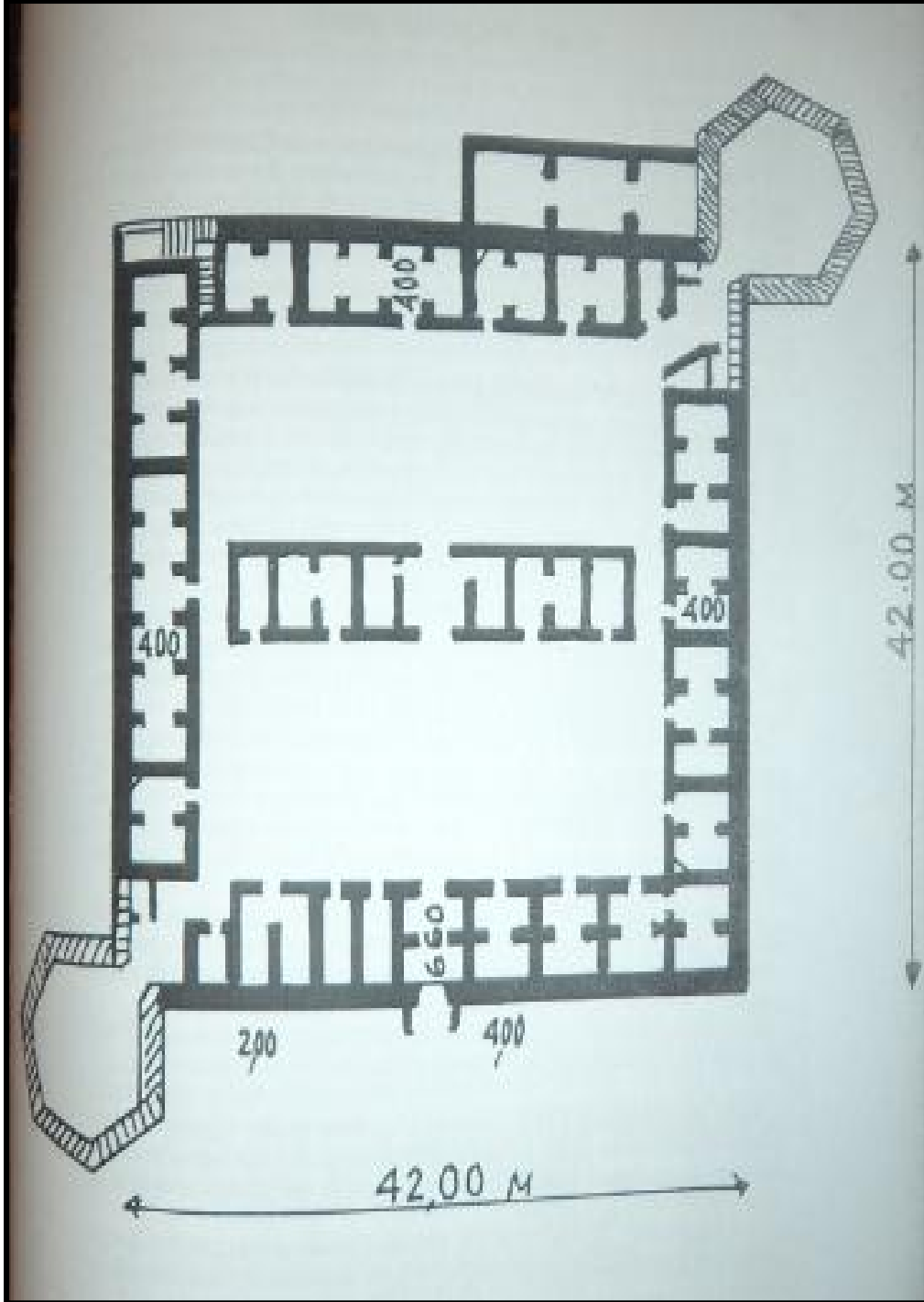
الملحق رقم (26): رسم تخطيطي يوضح بعض البروج العسكرية بورقلة سنة 1931م.

المصدر: R.Delerve ,Op.Cit. p 34



الملحق رقم (27): مخطط لبرج بوليناك

المصدر: R.Delerve ,Op.Cit. p 182



الصور

الملحق رقم (28): صورة للعقيد ألفريد لوشاتلي أول حاكم عسكري ورقلة 1882م.

المصدر: Flatters, Op.Cit,p281



الملحق رقم (29): صورة للعقيد كارييلات Carbillet حاكم ورقلة (1927-1940)

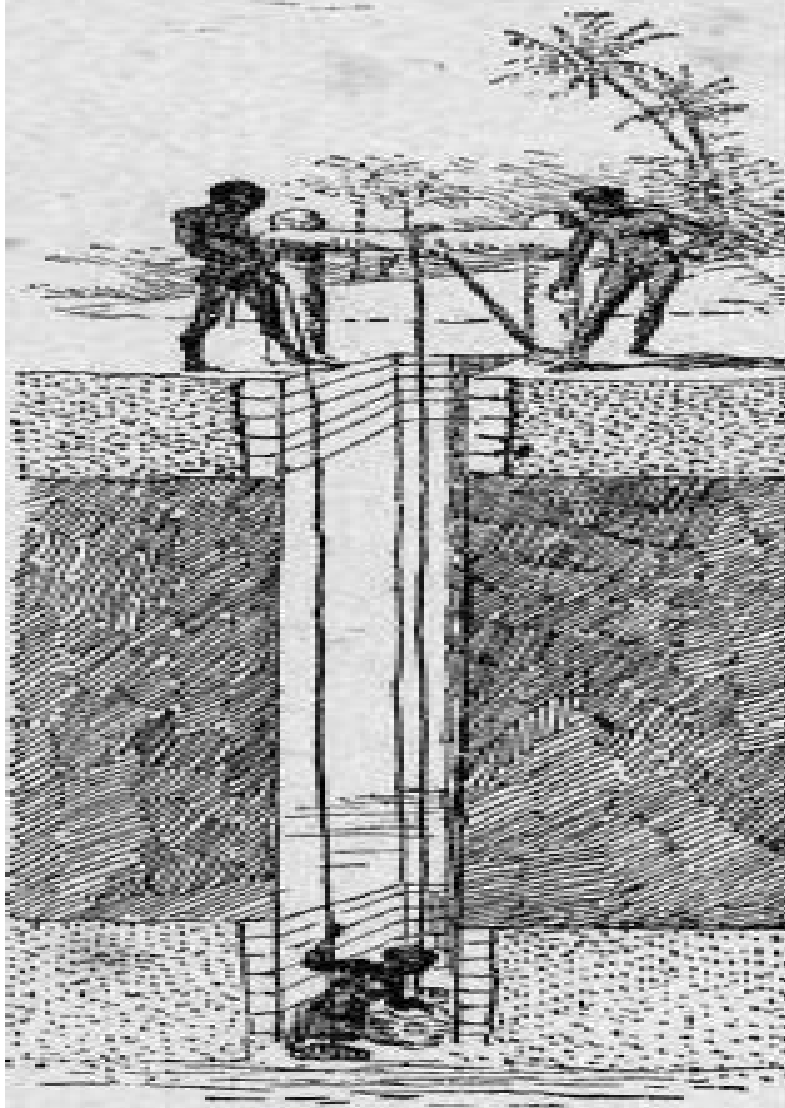
المصدر: J.C.Humbert , L'œuvre..., Op.Cit,p49



الملحق رقم (30): صورة للعقيد لابرين Laperrine حاكم ورقلة ما بين 1901 – 1910م



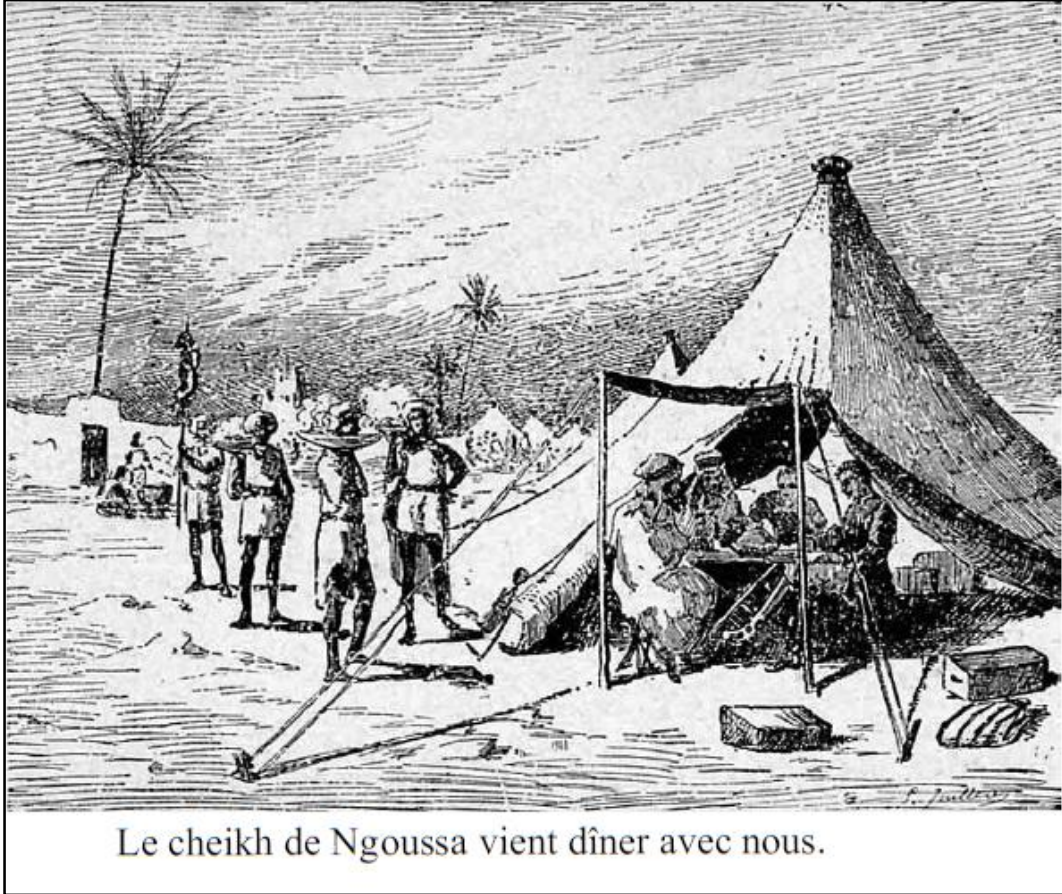
الملحق رقم (31): صورة نموذجية لرجال الغطاسة بورقلة لاستخراج المياه الجوفية
المصدر: Flatters, Op.Cit,p45



Curage d'un puits par les Rhetassa

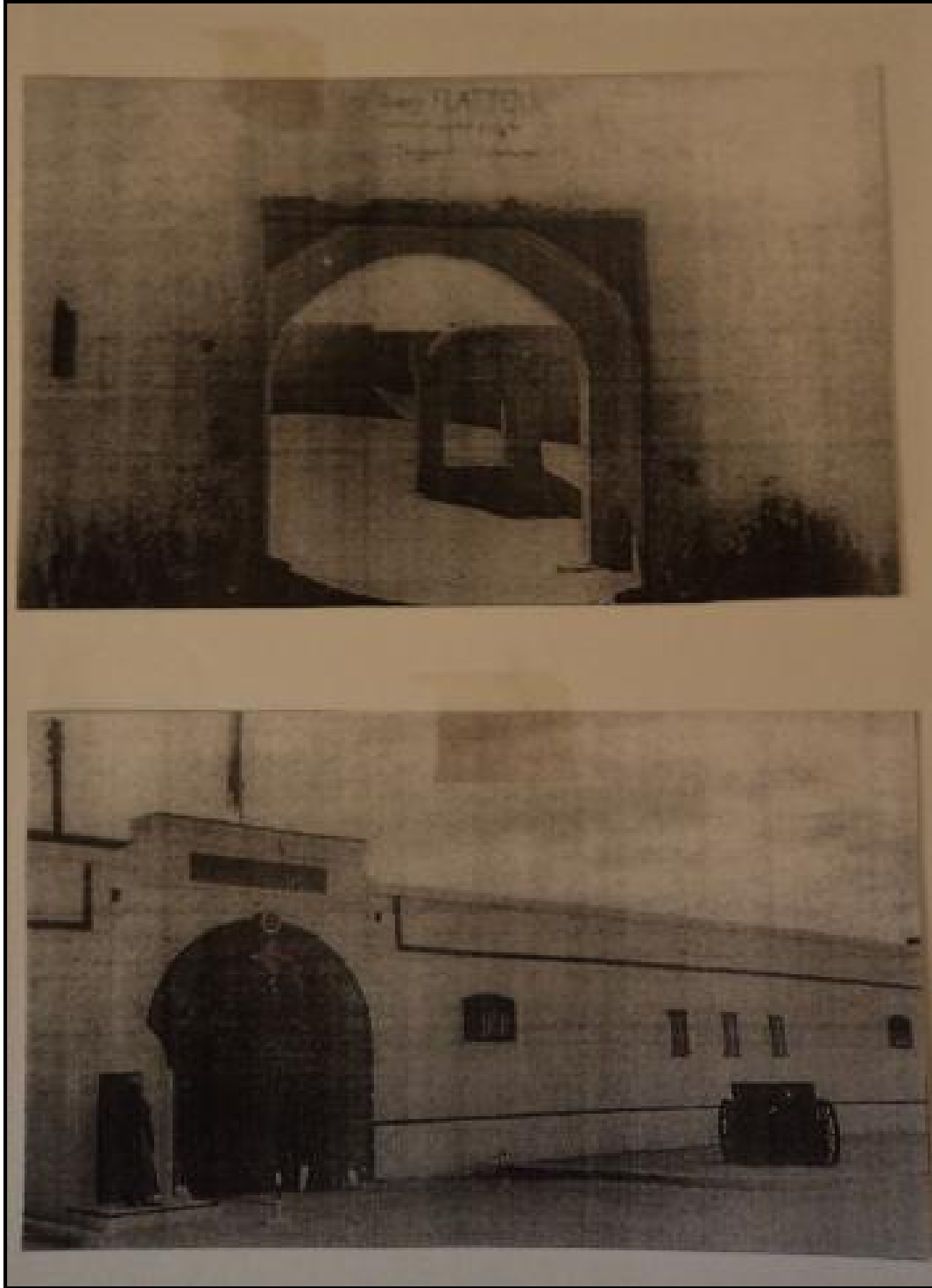
الملحق رقم (32): صورة لشيخ نقوسة بورقلة رفقة بعثة فلاترس.

المصدر: Flatters, Op.Cit,p38



الملحق رقم (33): صورتين لبرجي فلاترس وشانديز

المصدر: J.C.Humbert , L'œuvre..., Op.Cit, pp61,102.



الملحق رقم (34): صورتين لبرجي بوليناك ولوطو

المصدر: J.C.Humbert , L'œuvre..., Op.Cit, pp58,108



الملحق رقم (35): صورة لفرحة الاستقلال بورقلة.

المصدر: متحف المجاهد بتقريت



قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
أولاً/الأرشيف:

1- Archives d'Outre Mer (Aix-En Provence)

- Boit n° F80-501: Rapport du mois Septembre 1853.Cercle de Biskra.
- Boit n° F80/903: Budget 1868
- Boit n° F80-1762 : Note du général Martimrey sur l'usure. juillet 1860
- Boit n° F88-493 : Rapport du 1 au 15 mai 1845
- Boit n° 1H11: Rapport et situation politique en Algérie, Division d'Alger
- Boit n° 8H3: Historique des tribus du cercle de Constantine 1854
- **Boit n° 8H6 :**

- رسالة من قائد مقاطعة باتنة إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص شكوى تقدم بها سي سليمان بن رابح قايد بني سيسين بورقلة ضد علي باي 1865.
- شكوى من قبيلة سعيد عتبة ضد سياسة علي باي سنة 1867م.
- رسالة من الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص عزل سي احمد بن بقرار كشيخ على قبيلة سعيد عتبة سنة 1867م.
- رسالة من الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة تتعلق بتغير مؤقت لخليفة ورقلة سنة 1867م.
- رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعيينه حاكما على ورقلة وعروشها 1867.
- رسالة من محمد بن الحاج بن ادريس إلى كافة أعراش ورقلة سنة 1874م.

- Boit n° 8H24:

- قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة 1942.

-Boit n° 10H17:

- Notices sur Batna, par le capitaine de Neveu, 17/12/1847
- Historique des tribus du cercle de Batna de l'année 1854 et 1855.

- **Boit n°10H18** : Renseignements statistiques sur Ouargla
- **Boit n° 10H28** : Etude Géologique et Hydrologique sur la Région Comprise entre Touggourt et Ouargla 1898.
- **Boit n° 10H86** : Renseignements sur Ouargla 1865.
- **Boit n°11H37** : rapport à l'empereur, le 10/10/1868
- **Boit n°21H355** : Pistes de Ouargla 1914-1916.
- **Boit n° OA4** : Rapport mensuel , , les territoires du sud 1957
- **Boit n° OA19** : Rapport mensuel sur la situation des territoires Militaire de Touggourt ,mois de septembre 1952
- **Boit n° 10KK32**:
- Rapport du 27 janvier 1855.
- Personnel des commandements indigènes

2- Archives du Ministère de Guerre (Château de Vincennes)

- **Boit n° H 214** : Colonne expéditionnaire du Sud, Registre journal des Opérations, commence le 17 février 1852, Le Général de Brigarde Ladmirault.
- **Boit n° H 226**
- **Boit n° H 227** : Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne.

3- Archives Nationales Algérienne :

- **Boit n° 30** :
- G.P.R.A , Perspectives de l'Activité Pétrolière en 1961.
- G.P.R.A , Pipe-line Haoud EL-Hamra-Boujie.
- G.P.R.A , Etude Concernant le Sahara.
- G.P.R.A , Le Code Pétrolier.
- **Boit n° 51** : contribution direct imports , Impôts Arabe (1906-1945) mémoire du conseil du G.Gé .d'Alger

4- Archives Nationales de Tunisie :

- **Boit n° 88** :
- Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de mars 1942
- **Boit n° 212**:
- Document 239,N°5

- Document 239,N°11
- **Boit n°219:**
- Document 237,N°11
- Document 237,N°4
- **Boit n°278 :**
- Document73, N° 5
- Document 73, N°14
- Document 73; N°15
- Document 73; N°26
- Document 73, N°35
- Document 73 N°42
- Document 73, N°96
- **Sérier E :**
- **Boit n°35:**
- dossier 28,doc n°19,(30/12/1942)
- dossier28,(19/04/1949)
- dossier28,doc n°(106.107.108)
- dossier 49 :Rapport mensuel du sud Algérien , mois de Décembre1932
- dossier 63 :Rapport mensuel du sud Algérien , mois de juin1929
- dossier 80 : Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de avril 1938
- **Sérier historial :**
- Boit n° 63, dossier758

5– Centre de Documentation et d’Archives de la Wilaya d’Ouargla

- **Boit n°21 :**
- Bulletin mensuel du sahara1941-1942.
- Rapport mensuel sur la situation des territoires du sud 1942.
- **Boit n°22 :**
- Liste nominative des habitants de la commune d’Ouargla 1949.
- Rapport mensuel, les territoires du sud 1948

- Boit n°62 :

- Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11.
- Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes 1958, N°2.
- Voyage au Sahara de M. le Ministre délégué de M. le premier Ministre du 3 Février 1959.

- Boit n°65 :

- Programme de la visite Ministérielle 7-9 Novembre 1960.

- Boit n° 134 :

- Arrondissement d'Ouargla ; résultats définitifs du referendum 1958.
- Conditions d'ouverture du feu aérien en Zones interdites, arrêté N° 13 du 7 Octobre 1958
- Comité de salut public de Laghouat et Ouargla 1958
- Décision relative à la constitution de la commission administrative d'arrondissement pour la préparation du référendum.
- Etat numérique par commune des électeurs et électrices inscrite dans le département des oasis au 15 septembre 1958.
- Mouvement de grève ,8 février 1957
- Mouvement de grève ,24 Janvier 1957
- Mouvement de grève , 30 Janvier 1957
- Orientation de L'activité opérationnelle des Unités à partir du 1^{er} Juillet 1957.
- Préparation du Référendum, 4 août 1958.
- Protection des points sensibles ,1957
- Recensement Général des Votes, Referendum 1958.

- Boit n°176 :

Circulation des personnes et véhicules.

- Boit n°294 :

Tribunal permanent des forces armées de la zone Nord-Algéroise, Ordonnance de Renvoi.

- Boit n°298 :

- Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire 1961.
- Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire du 23 mai 1960.

- Boit n°320 :

- lettre adressée par M kermabon à notables des chambaa de Ouargla 1881.

- Ou sujet de la assassinat du père Richard, N°14

- Boit n°410 :

- Rapport mensuel , Températures

- Rapport mensuel , Tournées Administratives.

- Rapport mensuel , Tournées Médicales

- Rapport mensuel , Impôts.

- Rapport mensuel , Dossiers de P.J. transmis au procureur de Batna

- Rapport mensuel , Etat des musulmans détenus à la geôle municipale

- Rapport mensuel, les territoires du sud 1949

- Rapport mensuel sur la situation des territoires Militaire des oasis ,période du 5juin au 5 juillet 1949.

- Boit n°574 :

- Rapport sur la politique du crédit de la Caisse Saharienne de Solidarité 1959.

- (Boit sans numéro) :

- Décision 1958-1959, Code Officiel Géographique des Commune du Sahara.

ثانيا/ المصادر:

أ- باللغة العربية :

- 1- ابن حوقل أبو القاسم ،صورة الأرض، لبنان، مكتبة دار الحياة، 1992.
- 2- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، لبنان، دار الكتب العلمية، ج1 ،، ط1، (د،ت).
- 3- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ،كتاب الجغرافيا، تح :إسماعيل العربي، الجزائر، د.م.ج، ط2، 1982،
- 4- ابن عبد الحليم ، كتاب الأنساب، تح : محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، (د،ط).
- 5- ابن عذارى المراكشي،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تح: كولان، ليفي برونفسال، دار الثقافة، لبنان، ج1، 1980.

- 6- أبو زكرياء يحيى بن بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1979.
- 7- أعزام الحاج إبراهيم بن صالح ، غصن البان في تاريخ وارجلان، مخطوط، د.ت.
- 8- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: ربينا تشي و آخرون، مصر ، مكتبة الثقافة الدينية ، مج1، 1994.
- 9- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، المسالك و الممالك، تح: جمال طلبة، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2003.
- 10- البلاذري، البلدان فتوحها وأحكامها، تح: سهيل زكار، لبنان، دار الفكر ، ط1، 1992.
- 11- الشميني عبد العزيز بن إبراهيم، التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل، نشر: محمد بن صالح الشميني، تونس، مطبعة العرب، 1944.
- 12- الحموي ياقوت الحموي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، لبنان، دار الكتب العلمية، ج5، ط1، 1990.
- 13- الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.
- 14- الدرجيني أبو العباس أحمد، طبقات مشائخ المغرب، تح : إبراهيم طلاي، الجزائر، مطبعة البعث (قسنطينة)، (د،ط)، 1985.
- 15- الزركشي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: الحسين يعقوبي، تونس، المكتبة العتيقة،
- 16- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، كتاب السير، تح: أحمد بن سعود ، عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة، ج2، ط2، 1992.
- 17- العوامر إبراهيم محمد الساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع: الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الجزائر، منشورات ثالة ، 2007.
- 18- العياشي أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، ماء الموائد، فاس، المطبعة الحجرية، ج1، 1898.
- 19- الفرستائي أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر، القسمة وأصول الأرضين، تح : محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، عمان، مكتبة الضاري، ط1، 1992.

20- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، المغرب الأقصى، دار النشر المغربية، 1952.

21- الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1983.

22- الوسياني أبو الربيع، سير مشائخ المغرب، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، د.م.ج، مج3، 1984.

ب- باللغة الأجنبية:

I- les Ouvrages :

1- Augustin Bernard et N.Lacroix , **La Pénétration saharienne (1830-1906)**, Impr. Algérien, 1906.

2- Auguste Choisy, **Le Sahara. Souvenir d'une mission à Goléa.** paris. 1881.

3- Bajolle (le Capitaine), **Le Sahara d'Ouargla ,de Oued Mia, à l'Oued Igharghar**, Alger, 1887.

4- Berbrugger (A) , **Projet D'exploration des Oasis Algérienne , par Gabès Souf , Ouargla ,Touat, et Retour par Metlil et les Oued Mzab** ,Alger , s.d

5- Cabanis (F), **Grand chemin de fer d'Afrique**, paris , 1853.

6- Cosson (E) , **Considération Général sur le Sahara Algérien et ses Cultures** , Paris , 1859.

7- Couvet (Commandant), **Notes sur le Souf et Les Souafa** , B.S.G.A, 1934.

8- Daumas (E), **Le Sahara Algérien**, paris, 1845.

9- Dubief (J) , **le Climat du Sahara**, Alger, T1, 1959.

10- Debré (Dournoux), **Voyage au Sahara** (E.B.S.G - aout 1874), impr: de E.martine, paris, 1874.

11- Edmond (Sergent), **le Peuplement Humain du Sahara** ,Institut Pasteur d'Alger, Alger, T31 , 1953.

12- Estoublon (R) et Lefebure (A), **Code de L'Algérie annoté**, Alger ,Adolphe Jordan, 1907, 1902.

13- Flatters (L.Colonel) , **Les deux Mission du Colonel Flatters**, paris, 1884.

- 14-German(J) et Faye(S), **Le Général Laperrine; Grand Saharien**, Librairie Plon, paris,1922
- 15- Gouvernement Général de L'Algérie, Commissariat Général du Centenaire, **Les Territoire du Sud de L'Algérie** ,p1,Alger, imp. Algérienne,1929.
- 16- Gouverneur général de l'Algérie, Direction du Territoire du sud, **Historique des Compagnies Méharistes 1902-1952**, Alger, impr.Officielle,1955.
- 17-Largeau (V), **Le Pays de Rirha,Ouargla,Voyage à Rhadamès**, Hachette,paris,1879.
- 18- (-----), **le Sahara Algérienne , les déserts de lèrg**,2ém édition,paris,1881.
- 19- Le Ministre D'état Chargé du Sahara, Annuaire des Représentants Elus des Populations des Départements des Oasis et de la Saoura. Paris, s.d
- 20- Paul (Azzan) ,**Conquête et pacification de l'Algérie** , paris, libre de France, s.d.
- 21- Paul (Soleillet) , **Voyage de paul soleillet d'Alger à l'oasis d'in- salah**, Alger,1875
- 22- Passager (P), **Ouargla (Sahara Constantinois)**,Institut pasteur d'Algérie,1957.
- 23- Rapport :**Comment Bou Choucha Raconta un jour son histoire**
- 24- Rinn (L) , **Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie** ,Alger, 1891
- 25- (-----), **Marabouts et Khouans**, étude sur l'Islam en Algérie, Alger, 1884
- 26- Rolland (G), **Rapport: états statistiques des oasis du Sahara Algérien** , Imprimerie Nationale, Paris,1895.
- 27- Rouède (M), **Rapport sur la situation de l'enseignement primaire dans le département de Constantine**, imprimeur-Libraire-Editeur, Constantine, 1922.
- 28- S.E.L.I.S, Etude Générale d'aménagement de Ouargla ,Rapport préliminaire, paris,1960.
- 29- Steeg (M) ,**Rapport d'ensemble, Situation Générale des Territoires du sud pendant 1903-1921.**

- 30- Trumelet (colonel C) , **Les Français dans le Désert** , Daizieme Edition , Paris , 1885.
- 31- Valet René , **Le Sahara Algérien** , étude de l'Organisation Administrative, financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927.
- 32- Van Berchem (M), **Sedrata et les Anciennes Villes Berberes du Sahara dans les Recits des Explorateurs de XIX Siècle** , paris, 1960.
- 33- Vuilot (P) , **L'exploration du Sahara (Etude Historique et Géographique)** , librairie coloniale, paris, 1895, p64.
- 34- weisêrber (H), **Rapport sur Faite Anthrpologique.Observés pendant la mission.**

II- Publications Officielles :

- J.O.A ,du 12mars1957,(Arrêté du 28 Février 1957),Réglementant la Circulation dans la commune d'EL Oued, Touggourt et Ouargla).
- J.O.R.F, du 11 Janvier 1957
- J.O.R.F. du 14 Juin 1957 ,
- J.O.R.F, séance de 28 novembre 1957.(Annexe N° 58).
- J.O.R.F, du 23 Septembre 1958.
- J.O.R.F, du 12 Janvier 1960,(Décret n° 57-903. du 31 décembre 1959).
- J.O.R.F, du 28 mai 1961,(Loi de programme N° 61-515 du 27mai 1961).

ثانيا/ المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- أحمد موسى عز الدين ،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ،دار الشروق ط،1983،1.
- 2- بالحاج عبد الرحمان، الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر و بن عزوز ، مطبعة النجاح ، قسنطينة،1950.
- 3- بزيان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، الجزائر،دار هومة،2002.

- 4- بروفنسال ليفي، الإسلام في المغرب والأندلس، تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين صليحي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1990.
- 5- بن معمر محمد، علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله، مدونة اشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة، 25-27 فبراير 1998.
- 6- بن عمر الحاج موسى، بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا ورهانات الثورة في الجزائر، الجزائر، وزارة الثقافة، 2008.
- 7- بن عمر الحاج موسى، السياسة النفطية في الجزائر 1952-1962، جمعية التراث، ط1، غرداية، 2004.
- 8- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997.
- 9- بورنان قويدر بن احمد، كراسة مخطوطة حول تاريخ تقرت، 1982.
- 10- بوشامة ليديا، وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي، مطبوعة لمجموعة المحاضرات الواردة في مقرر مقياس جغرافية الجزائر والمغرب العربي.
- 11- بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ج1.
- 12- الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، 1983.
- 13- جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعر: محمد مزالي، الجزائر، ش.و.ن.ت، تونس، الدار التونسية للنشر، ج2، 1978.
- 14- حباسي شاوش، الحركة التبشيرية في الجزائر، الجزائر،
- 15- الحاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)، غرداية، المطبعة العربية، 1992.
- 16- حشية عمار، (أمين سر بالقيادة في الولاية السادسة)، في الأطلس الصحراوي، الجزائر، دار إفريقيا للنشر، 2001.

- 17- الحفناوي أبو القاسم ،تعريف الخلف برجال السلف،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،ج2، 1991.
- 18- حكوم سليمان ،وادي مية والقصور السبعة ،(مخطوط).
- 19- حكوم سليمان،حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان،(مخطوط)، ورقلة،2001.
- 20- خضير نايف هاشم ،المدينة الإسلامية وخصائصها (بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول)،المملكة العربية السعودية،مج3،1984.
- 21- خوجة حمدان بن عثمان،المرآة ،تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر،ش.و.ن.ت،1975.
- 22- خير الدين محمد ، مذكرات، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، (د.ت)
- 23- درواز الهادي،الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954- 1962،الجزائر، دار هومة، 2002.
- 24- الدليل الإحصائي ، عروش ودواوير جماعات الجزائر، 1900.
- 25- دوني بيلي،معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992، تر: علي ايدر،ط2، 1995.
- 26- الزبيري محمد العربي،مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الجزائر،ش.و.ن.ت،1972.
- 27- زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي،مصر، دار المعارف،ج4.
- 28- زوزو عبد الحميد ،محطات في تاريخ الجزائر(دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)،الجزائر، دار هومة،2004.
- 29- زوزو عبد الحميد ،الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919- 1939)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1985،2.
- 30- سعد الله أبو القاسم،الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900م،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط1،ج1،1992.
- 31- (—————)،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ج2،ط3، 2005.

- 32- (—————)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج5، 2005.
- 33- (—————)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج6، 1998.
- 34- شافو رضوان، بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ، باتنة، دار قانة للطبع والتجليد، 2008.
- 35- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر، م.و.ك، 1983.
- 36- العدواني محمد الطاهر، الجزائر منذ نشأة الحضارة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
- 37- علي يحيى معمر، الإباضية في الجزائر، الجزائر، المطبعة العربية (غرداية)، 1986.
- 38- عميراي حميدة وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ا، 1954، الجزائر، 2007.
- 39- عوادي عمار، كشو محمد، مذكرات الحاج احفوظة، الوادي، مطبعة مزوار، 2008.
- 40- غيرستير جورج، الصحراء الكبرى، تر: خيرى حماد، لبنان، منشورات المكتب التجاري، ط1، 1961.
- 41- الفاسي حرازم، جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ج1، دار الجيل، بيروت، 1988.
- 42- فخار حمو بن عمر، ابراهيم بن بابا بوعروة: حياته وآثاره، إعداد وتقديم : مصطفى باجو، غرداية، منشورات جمعية التراث، 2003.
- 43- قليل عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزائر، ج2، 1993.
- 44- قنان جمال، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.

- 45- لومبارد موريس، الإسلام في مجده الأول، تح: إسماعيل العربي، الجزائر، م.و.ك، ط1، 1975.
- 46- مالتسان، ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا، الجزائر، ش.و.ن.ت، ج3، 1980.
- 47- المالكي ابن الصغير، تاريخ ابن الصغير، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1987.
- 48- المتحف الوطني للمجاهد، الشهيد محمد العربي بن مهيدي، الجزائر، دار هومة، 2002.
- 49- محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، المغرب الأقصى، دار الثقافة، ط2، 1985.
- 50- المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1962.
- 51- مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، الجزائر، جمعية التراث (غرداية)، 1996.
- 52- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، د.م.ج، 1982.
- 53- مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، الجزائر، دار هومة، 2005.
- 54- الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1976.
- 55- الملي محمد، المغرب العربي بين حسابات الدول ومصالح الشعوب، بيروت، دار الثورة للنشر، 1983.
- 56- نجاح عبد الحميد، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، الوادي، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، الآمال للطباعة، 2003.
- 57- النوري عيسى، دور الميزابيين في تاريخ الجزائر، باريس، ج1، 1984.
- 58- هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلا الشام (1847-1918)، الجزائر، دار هومة، 2007.

- 1- Aumassip (G), **Néolithique sans Poterie de la Région de L'Oued Mya (Bas-Sahara)**, Alger, 1973
- 2- Azzan (P), **Conquête et Pacification de L'Algérie**, paris.
- 3- Ben Youcef Ben Khadda, **Les Accords d'Evian**, Alger, O.P.U, 1991.
- 4- Benjamin Stora , **Messali Hadj (1898-1974)**, L'Harmattan, Paris, 1986.
- 5- Brigol (M.R). ,**Le Pays de Ouargla**, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris, 1975.
- 6- Camps (G), **Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara** ,éd doin , paris, 1974
- 7-.Delerive (R), **Forts Sahariens des Territoires du Sud**, Centre D'études sur L'histoire du Sahara ,paris, 1990
- 8- Emerit (M) , Une Source pour l'histoire du second empire: « les Souvenirs du Général Desveaux ».
- 9- Faucon Narcisse, **Le livre d'or de l'Algérie**, paris , 1989
- 10- Garrot (H), **Histoire Général de l'Algérie** , Alger , 1910
- 11- Humbert (J.C), **Sahara, les Traces de L'homme** , éditions Chabaud, 1989.
- 12- (-----), **L'œuvre du Colonel Carbillet au Sahara 1927-1940**, éditions jacques Gandini, france, 1997
- 13- Le Chatelier (A), **la Sanglante Epopée des Medagant 1860-1885**, éditions Grand-Alger livres. Alger, 2007.
- 14- Lethiellux Jean, **Ouaregla Cité Saharienne**, libraire orientaliste, Paul Geuthner ,Paris, 1983.
- 15- Malek Redha, **L'Algérie à Evian**, Histoire des Négociations Secrétés 1956-1962, Alger, 1995
- 16- Moulleseaux Louis. Pierre Boyer, **Histoire de L'Algérie**, paris, 1962.
- 17- Nadjah Ahmed , **Le Souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971.
- 18- Perennes (J.J), **Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l'Oued Righ (Algérie)**, Alger , O.P.U, 1979.

19- Pierre Jean , **Ne Regrette Rien, La Foignat Histoire des Légionnaires**^{-parachutistes du 1er R.E.P} , paris,1972.

20- PROHUZA, **Les Mekhadma** :(Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara Moderne).ouvrage publié sous les auspices de l'OCRS,paris,1960.

21-Romey Alain, **Histoire, Mémoire et Sociétés, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan , Paris,1992.

22- Voisin (A),**Le Souf, Monographie, Manuscrit**, El-Oued,1965

ثالثا/ الصحف والدوريات:

أ- باللغة العربية :

- 1- البصائر(جريدة)، ع 167، س4، 26 ماي 1939.
- 2- بوعزيز يحيى، «كفاح الشريف محمد بن عبد الله»، **مجلة الثقافة**، ع33، س6، 1976م.
- 3- تلمساني بن يوسف، «الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842م»، **حولية المؤرخ**، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع2002، 1.
- 4- التليلى محمد الطاهر، « فدلكة تاريخية عن منطقة سوف (بالجزائر) »، تح : أبو القاسم سعد الله ، **مجلة العرب**، 2004.
- 5- حمادي عبد الله، «جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان»، **مجلة المصادر**، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن 1954. ع 6، مارس 2002.
- 6- سعيدوني ناصر الدين، « ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني»، **مجلة الأصالة**، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 41، 1977.
- 7- شرف الدين احمد رضوان، « التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد 1957-1962م»، **مجلة المصادر**، ع8، ماي2003.
- 8- شعباني محمد (العقيد)، « مهزلة المهازل»، **صدى الجبال**، ع2، 1961.
- 9- شنيقي محمد البشير، « التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية »، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ع 41، 1977.
- 10- صدى الصحراء(جريدة) ، 15 مارس 1926، ع8، س1.

- 11- صدى الصحراء(جريدة)، 23 نوفمبر 1925، ع1، س1.
- 12- صدى الصحراء(جريدة)، 25 جانفي 1925، ع7، س1.
- 13- صيد عبد الحليم ، «محمد بن عزوز شيخ العلماء و المجاهدين » ، مجلة الثقافة ، ع 115، الجزائر، 1997.
- 14- عزي حكيم ، «الفقيه محمد بن إبراهيم الشريف " شيخ الطريقة القادرية بالجزائر وعموم إفريقيا»، الشروق اليومي، ع 2273، 12 افريل 2008.
- 15- عقيب محمد السعيد ، « جمعية الشباب السوفي الزيتوني » ، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، ع3، س3، جوان 2006.
- 16- قمعون عاشوري، « دور عائلة الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية»، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي بالوادي، ع3، س3، جوان 2006.
- 17- المبشر(جريدة) ، ع 245، 15 نوفمبر 1857.
- 18- المجاهد(جريدة)، « ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت » ، ع30، بتاريخ 10 أكتوبر 1958، (ج1، طبعة خاصة 2007).
- 19- المجاهد(جريدة)، «نتائج الاستفتاء الفرنسي مهزلة 98 في المائة لم يقتنع بها»، ع30، بتاريخ 10 أكتوبر 1958، (ج1، طبعة خاصة 2007).
- 20- المجاهد(جريدة)، «الرد على مغالطات ماكس »، ع93، بتاريخ 10 أفريل 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007).
- 21- المجاهد(جريدة)، «الصحراء الجزائرية من ماكس لوجون إلى دي غول »، ع93، بتاريخ 10 أفريل 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007).
- 22- المجاهد(جريدة)، « أهداف الاستعمار في الصحراء »، ع19، 98 جوان 1961، (ج4، طبعة خاصة 2007).
- 23- المجاهد(جريدة)، « الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء اخطر من البترول »، ع 102، 14 أوت 1961 (ج4، طبعة خاصة 2007).
- 24- المجاهد(جريدة)، «مناورات في الصحراء »، ع 113، 22 جانفي 1962، (ج4، طبعة خاصة 2007).
- 25- المجاهد(جريدة)، «نصف الشهر السياسي »، ع 116، بتاريخ 9 مارس 1962.

- 26- المجاهد، « لا تساهل في المبادئ ». ع 97، بتاريخ 5 جوان 1962
- 27- (مجهول)، « المفزة العملية للوقاية DOP »، **الخبر اليومي**، 1 نوفمبر 2004
- 28- مناصرة يوسف، « بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري »، **مجلة المصادر**، م.و.د.ب.ح.ث.أ 1954، 5، 2006.
- 29- هلال عمار، « أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية »، **مجلة الثقافة**، ع 88، الجزائر، يوليو - أغسطس 1985.
- 30- وادي ميزاب (جريدة)، ع 33، س 1، 27 ماي 1927م.
- 31- وادي ميزاب (جريدة)، ع 57، س 2، 17 نوفمبر 1927م.
- 32- الوفاق (جريدة)، ع 3، س 1، وهران يوم الثلاثاء 5 أفريل 1938م

ب- باللغة الأجنبية:

- 1- Blanchet.p, **L'Oasis et pays de Ouargla**, A.G,n° 9, 1900
- 2- Bulletin de la Communication du Sahariennes, N°42, juin 1961.
- 3- Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 8 Octobre 1959.
- 4- Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 01Janvier1960.
- 5- Colomieu (v), « **Voyage dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla** », Tour du monde , T2,n° 193 ,1863.
- 6- E-Moudjahid(quotidien) ,n° 40, 24 avril 1959, vol 2.
- 7- EL-Moujahid, « L'O.C.R.S , Dernière Base de Manœuvre du Colonialisme Français » , n° 66, 20 Juin 1960, vol 3
- 8- EL-Moujahid, (quotidien), n° 86, 1 November 1961, vol 3
- 9- Féraud (CH), « **Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab deTouggourt** » ,in R.A , n°23, 1880.
- 10- Féraud (CH) ,« **Les Ben Djallab Sultans de Touggourt** », in R.A, N° 25, 1881.
- 11- Gouvernement Général de L'Agérie , « **Notes pour servir a l'historique d'ouargla 1885** » , R.A, n° 64,1923.
- 12- La Croix (quotidien) , « La tournée du général Noguès en Algérie », 22 jeudi 1934 ,55 année , N° 15646.

- 13- La Croix(quotidien) « La grande médaille de la L.M.C. est attribuée à la ville nouvelle de Ouargla», , 24 octobre 1938 ,59 année , N° 17091.
- 14- La Croix (quotidien) «Le gouverneur général Châtel visite le sud algérien», 12 janvier 1942, 63 année , N° 18089.
- 15- Le chatelier (A) ,« **Les Medaganat** », R.A, N° 30 , 1886.
- 16- Mangin (E) , « **Notes sur l’histoire de Laghouat** » , R.A, n°37, 1893.
- 17- Mangin (E) , **Notes sur L’histoire de Lagouat** , R.A, N° 39 , 1895
- 18- Marmier (F) et Trecolle (G), « **Etude de l’industrie du Gisement d’hassi-Mouillah** », Libyca,t XIX,1971.
- 19- Nouvelles du Sahara , bulletin périodique d’information économique et financiers ;N°48, 26 Aout 1961.
- 20- Nouvelles du Sahara, N°39, 26 Décembre 1960
- 21- Nouvelles du Sahara, N°6, Décembre1963-Janvier 1964
- 22- Rapport sur le Combat de Meggarine , livré le 29 novembre 1854 , aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed ben Abdallâh ,R.A, n 39 ,1895.
- 23- Seroka (Le commandant) , « **le Sud Constantions de 1830- 1855** » , R.A , n° 56, 1912.

رابعاً/الرسائل الجامعية:

أ- باللغة العربية:

- 1- بن دارة محمد ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952 – 1962 ، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة(مخ)، جامعة الجزائر، 1998/1999.
- 2- بلفردي جمال ، هيكلة وتنظيم جيش التحرير الجزائري على الحدود الشرقية والغربية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(مخ)، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم، بوزريعة، 2004/2005.
- 3- بوعصبانة عمر سليمان، معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخ)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1992.
- 4- جفالي يوسف، الجالية الجزائرية بجهة الكاف (1881-1929) رسالة الكفاءة في البحث (مخ)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، (1992-1993)

- 5- دكار احمد، حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1301هـ/1591-1883م، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية بأدرار(مخ)، 2010/2009.
- 6- شافو رضوان، مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854-1875، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر(مخ)، جامعة الجزائر، 2007.
- 7- غرايسة عمار، المدينة والدولة (ورجلان أنموذجا)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخ)، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة، 2007.

ب - باللغة الأجنبية:

1- Haggui Jamel : les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale (1881-1956),(mozabite, Soufis, Ouarglias), mémoire de DEA Université de Monouba, Tunis, 2003-2004.

خامساً/ اللقاءات والشهادات الشخصية:

- 1- شهادة المجاهد احمد بوشمال،(مخطوطة)، ب.ت.
- 2- شهادة المجاهد بن قويدر مولاي محمد، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت.
- 3- شهادة لمجاهد البشير البشير، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/06/06، متحف المجاهد بتقرت.
- 4- شهادة لمجاهد بوخطة بلقاسم ، مصورة ومسجلة بتاريخ 2008، متحف المجاهد بتقرت.
- 5- شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت.
- 6- شهادة المجاهد حجاج عبد القادر، مصورة ومسجلة في جويلية 2005.
- 7- شهادة المجاهد حقيقة الحاج احمد ، مخطوطة بتاريخ 2002/02/16، الرويسات.
- 8- شهادة شنين الحاج (شقيق الشهيد شنين قدور)، مخطوطة، دون تاريخ.
- 9- شهادة المجاهد شنين الشيخ، مصورة ومسجلة بتاريخ 2006/05/01، متحف المجاهد بتقرت.

- 10- شهادة المجاهد شنوفي محمد، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، 1998.
- 11- شهادة المجاهد صخري عمر، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، 1998
- 12- شهادة المجاهد طواهير محمد عبد القادر، متحف المجاهد بتقرت، 2005
- 13- شهادة المجاهد طواهير عمر، بتاريخ 17 فيفري 2002 بالرويسات، (مخطوطة)
- 14- شهادة المجاهد فراحي سلمان، بتاريخ 200/04/09، متحف المجاهد بتقرت
- 15- شهادة المجاهد كافي علي، ديسمبر 2004، بمتحف المجاهد بتقرت
- 16- شهادة لمجاهد كنوش احمد، مصورة ومسجلة بتاريخ 2006/05/01، متحف المجاهد بتقرت
- 17- شهادة المجاهد مسعودي قويدر بن لخضر، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/12/10، متحف المجاهد بتقرت
- 18- شهادة المجاهد عبادو السعيد، بتاريخ 27 فيفري 2012، دار الثقافة مفدي زكرياء بورقلة.
- 19- لقاء مع السيد قويدر أولاد مسعود قومار بمقر الزاوية القادرية بورقلة، بتاريخ 2011/09/09

سادساً/ تقارير الملتقيات:

- 1- أشغال الملتقى الوطني حول فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، أيام 15-16-17 أبريل 1998.
- 2- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة، المنعقد يومي 5-6 فيفري 1985
- 3- المنظمة الولائية للمجاهدين بغرداية، وقائع ثورة التحرير بولاية غرداية للفترة ما بين 1959-1962. (غير مرقم)،

الفهارس العامة

فهرس الأعلام والأسماء

(أ)

- الأمين أحمد : 366.
- الإبراهيمي بن قامة : 165.
- ابرهات إيزابيل : 185.
- ابن سعيد المغربي : 31، 36، 49.
- ابن حوقل : 31.
- ابن خلدون : 31، 41، 42، 43، 45، 56، 57، 71، 75، 83، 181.
- ابن غانية : 74، 75، 76.
- ابن الصغير : 48.
- أبو عمرو عثمان بن محمد بن عزوز الحفصي : 76.
- أبو زكرياء : 60، 71، 72، 75، 76.
- أبو حنيفة مالك : 70.
- أبو يزيد مخلد بن كداد : 70، 71.
- أبو بكر بن موسى بن سليمان : 84.
- أبي سهل : 107.
- أبي مدين شعيب بن الحسين : 182.
- أبوربن بيك (النقيب): 220.
- أحمد (باي) : 20، 21، 22، 269.
- أحمد باشا (باي تونس): 148، 149.
- الحاج أحمد بن محمد بن الشيخ : 125.
- الحاج الأسمر : 320.
- الحاج محمد الغربي : 153، 154.
- أدريس عمر : 212، 291.

الأزهري محمد بن عبد الرحمان : 192.
الأفغاني جمال الدين: 270.
البريتيني (الملازم): 244.
الله (لفظ الجلالة) : 18، 106، 148، 149، 160، 181، 188، 253، 254،
255، 363، 367، 370، 320.
ايدير علي : 15.
أكسي: 281.
آمود: 7، 269.
اوريجع احمد : 292.
اوماسيب جينات : 64.
اونيسي المسعود : 292.

(ب)

باب (العقيد): 359.
بابا عروج: 77.
باجول: 116.
بارال: 123، 127.
بارفو (الجنرال): 389.
بارو: 121.
باسة : 107.
باسكال جوردن: 121.
باش: 121.
بان (الرائد) : 26.
بايلو: 353.
بحميان جلول: 159.
بخديجة مسعود: 311، 361، 415.

براكس : 77.
 برجال الصيد: 273. 278. 279. 281. 296.
 البرجي بن عزوز محمد : 192.
 ببروس خير الدين: 77.
 برنارد اوقيستان : 27، 324.
 بريقول روفيلواز مادلين : 15، 32، 33، 43، 44، 52، 53، 67، 76، 135.
 برين جون جاك: 230.
 بن أبي بكر محمد: 393.
 بن احمد أحمد: 249.
 بن أحميدة عبد القادر: 189.
 بن ادريس السعيد (الآغا): 118، 170، 171، 200.
 بن ادريس محمد (الآغا) : 118، 119، 122، 126، 128، 129، 167، 170،
 173، 200، 390.
 بن إسماعيل بوزيان: 23.
 بن افلح يعقوب: 71.
 بن بايية ابو حفص : 88، 89، 111، 146، 153، 177.
 بن بايية الحاج احمد الثاني: 83، 88، 89، 111.
 بن بايية صيحة: 154.
 بن بايية الطيب: 89، 146، 176.
 بن بايية الغالي: 83، 91، 95.
 بن باديس عبد الحميد: 185، 253، 271.
 بن براهيم الحاج حمي علي: 159.
 بن براهيم بن صالح أعزام: 14.
 بن براهيم محمد الطيب: 134، 135، 183، 184، 185، 374، 397.
 بن بقار احمد، 202.
 بن بودغاس حمو: 172.

- بن بيتور محمد: 300.
- بن تافنة علي: 303.
- بن تسليب ابراهيم: 265.
- بن تيمة سالم: 287.
- بن ثابت محمد: 282.
- بن جدية محمد: 152.
- بن جلول جلول بن مبارك: 275.
- بن الجندي حرز الله: 134.
- بن خواجه الحاج أبو عزيز: 159.
- بن حمادو محمد: 118.
- بن حرز الله الطيب: 178.
- بن حمزة سليمان: 177، 200.
- بن حمزة قدور: 156، 200.
- بن حمودة محمد: 170.
- بن خالد عبد الله: 135، 136، 137.
- بن دارة محمد: 309.
- بن دباخ نعمان: 202، 389.
- بن رابح سليمان: 202.
- بن البساطي (قايد): 249.
- بن ساعد عدة: 88.
- بن سالم احمد: 25.
- بن سعد: 249.
- بن سعيد فرحات: 21.
- بن سيسين علي: 159.
- بن شنوف الموهوب: 178.

بن شهرة ناصر: 7، 25، 66، 111، 128، 147، 148، 149، 152، 153،
 155، 161، 166، 167، 169، 177، 179، 180، 200، 210، 269،
 373، 324، 187.
 بن شولية داود: 172.
 بن الشيخ ايغير : 211.
 بن الشيخ بوجمعة: 172.
 بن الصغير احمد: 295.
 بن الصغير علي: 311.
 بن عبد الباقي حسن: 292.
 بن عبد الجليل محمد: 142.
 بن عبد الرزاق احمد (سي الحواس): 292.
 بن عبد القادر ابراهيم: 179، 180.
 بن عبد القادر قدور: 202، 389.
 بن عبد الله محمد (الشريف): 7، 14، 16، 17، 25، 27، 28، 29، 66، 110،
 111، 115، 117، 123، 124، 126، 134، 135، 136، 137، 138،
 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149،
 150، 151، 152، 153، 155، 156، 175، 176، 177، 183، 187،
 189، 190، 192، 193، 194، 195، 196، 210، 269، 287، 324،
 373، 374.
 بن عزوز مصطفى: 193.
 بن عصمة محمد: 70.
 بن علناس الناصر: 72.
 بن عمارة محمد: 319.
 بن عمر عبد القادر (الآغا): 119، 122، 129، 173، 201، 210، 392،
 396.
 بن عيسى محمد : 85.

- بن قانة :99.
- بن قانة بوعزيز: 21، 22.
- بن قانة بولخراس: 166، 178.
- بن قانة الحاج: 20.
- بن قبي بوشمال: 164، 165.
- بن قدور احمد: 239.
- بلحشر الشريف: 25، 147.
- بن بلخير أحميدة: 249.
- بن كريميا عبد القادر: 128.
- بن لخضر: 172.
- بن مالك محمد الحسان: 320.
- بن المبارك بعج بن قدور: 171.
- بن محسن محمد: 275.
- بن محمد سيدي الشيخ عبد القادر: 173، 174.
- بن محمد عبد العزيز: 170.
- بن محمد علي : 91.
- بن محمد لخضر: 172.
- بن مراد فرحات : 78.
- بن مرزوق بوبكر: 290.
- بن معمر بن سالم يحي: 147.
- بن معمر علي: 172، 249.
- بن معمر محمد: 300.
- بن معمر يحي: 25.
- بن منصور احمد: 265.
- بن المنصور محمد: 249.
- بن موسى قدور: 119.

- بن موسى الحضر: 288.
- بن مهدي محمد العربي: 286.
- بن نافع عقبة: 68، 123.
- بن الناصر الناصر: 160، 179.
- بن هشام عبد الرحمان: 154.
- بن يحيى احمد: 302.
- بن اليزيد إسماعيل: 178.
- بساجي : 15، 36، 135، 169، 183، 192، 194.
- البشيري البشير: 275.
- بكرة ابراهيم: 253.
- بكدة ابراهيم: 215.
- البكري : 31.
- البلادري : 45.
- بكير بن الحاج عيسى بن بكير بن يعقوب: 279.
- بلحاج احمدادو: 299.
- بلحاج احمد محمد: 239.
- بلحاج محمد الصغير بن احمد: 22.
- بلخادم مصطفى : 299.
- بلعالم احمد: 320.
- بلعالم محمد: 320.
- بلعلمي القاضي 273.
- بليسيه (الجنرال): 26، 28، 123، 147.
- بواسدون: 334.
- بواسيو (العقيد): 307.
- بواني هافوي: 333.
- بو بغلة (الشريف): 137، 269.

بوبكر حمزة: 346، 352، 353، 354، 355، 359، 360، 377.
 بوبكر صالح: 254
 بونال (الجنرال): 220.
 بودي: 359.
 بوردس: 260.
 بورقة الطاهر: 302.
 بوسعيد العيد (القايد): 354، 356.
 بوسماحة عبد القادر: 193.
 بوشوشة (الشريف): 7، 14، 17، 66، 86، 118، 127، 128، 155، 156،
 157، 158، 159، 160، 161، 163، 164، 165، 166، 167، 168،
 169، 170، 171، 172، 180، 194، 195، 200، 201، 210، 232،
 269، 287، 373.
 بوضياف: 145.
 بوطين معطى الله: 156.
 بوعزة بوعزة: 180.
 بوعكة الشيخ: 302.
 بوعكاز: 99.
 بوعصابة : 48.
 بوعمامة : 129، 248، 269.
 بول سولاي : 32، 118، 184.
 بوليناك : 215، 216، 220، 421، 429.
 بومادة محمد بن محمد: 289.
 بونور شارل: 346.
 بياجي: 353.
 بيار جان (العقيد): 307، 308.
 بيار جولي: 334.

بيار كورني: 333.
بيجات (الضابط): 213.
بيجو (المارشال): 109.
بيتان (المارشال): 219.
بيرج: 239.
بيلي دوبي : 15، 50، 62، 76، 100، 122، 184، 248، 280.
بين (الرائد): 208، 214.
بيوض ابراهيم: 277، 352، 353، 354، 355، 356.

(ت)

التجاني احمد : 186، 280، 281، 346، 354، 355.
التجاني محمد العيد: 138، 163، 188.
التليلي محمد الطاهر: 162، 171.
التركي عبد الحميد: 140.
تروملي : 16، 32، 103، 114، 135.
تريمان لويس : 126، 210، 241.
تواتي الحاج احمد: 155.
التونسي لزهاري: 289.
توماس (الرائد): 22.

(ث)

الثعالي عبد العزيز : 270.

(ج)

جان: 45.
الجابري محمد الصالح: 283.
جغابة محمد: 296.

الجلابي سليمان بن علي: 90، 137، 138، 139، 141، 142، 143، 144،
149.

الجلابي عبد الرحمان: 138، 139.

الجيلاني عبد القادر : 106.

الجلابي عبد القادر : 139، 182.

جهانوَ(الملازم الأول): 145.

جوكس لويس: 367.

جونار شارل: 259.

جونسون فرانسيس: 315.

(ح)

حادر: 34، 63.

الحاج احمد: 107.

الحاج بن الحاج معيزة: 126.

الحاج بوحفص : 174.

الحاج بوقلة : 126.

الحاجة الزهرة (لآلا الزهرة): 136، 137.

الحاج معيزة: 159.

الحاج محمد : 126، 239.

حامدي عثمان: 302.

حبيرش محمد: 296.

حجاج الحاج الخير: 289.

حجاج عبد القادر: 278، 279.

الحداد : 20، 130، 155، 167.

حساني محمد (حمّ باهي): 302.

حساني لحسن بن محمد: 134.

- حسين (الداي): 269.
 حسين محمد: 311.
 حسين محمد: 299.
 حسين السعيد: 298.
 حسيني محمد بن الحسن: 301، 302.
 حفيان مصطفى: 320.
 حقيقة احمد: 305.
 حكوم سليمان: 320.
 حمدات احمد بن حامد: 311.
 حمدات احمد: 296.
 الحموي ياقوت: 31، 36.
 الحميري: 57.

(خ)

- الخازن: 156.
 خالد (الأمير): 271.
 خالد الطاهر: 298.
 خليل احمد: 278، 301.
 الخمقاني عثمان: 180.
 خير الدين محمد: 253.
 خيراني عمار: 240، 273، 275.

(د)

- الداوي احمد: 301.
 الإدريسي : 31، 46.
 الإدريسي الحاج محمد: 142، 191.
 دباغين ناجي: 298.

الدرجيني :31، 69.
دغموش علي : 301.
دكار احمد: 15، 61.
دكار بلخير: 311.
دوباري (الرائد):27.
دوبري ميشال: 352، 359.
دوصال (الجنرال): 139.
دوفريسي هنري: 32، 65، 116، 121، 188.
دوفوكو شارل (الأب): 252، 253.
دوفيك أرمان : 223، 299، 359.
دولاكروا (الجنرال): 128، 165، 167، 168، 169، 170، 171.
دوماس (الجنرال) : 16، 32، 36، 49، 52، 77، 83، 103، 109، 113،
115، 225.
دومال (الدوق): 22.
دونوفو (النقيب): 21.
دي برمون (الكونت): 246.
دي بوسكيه : 23.
دي موريس (الماركيز): 184.
ديريو: 123، 124، 127.
ديسكام : 121.
ديغول (الجنرال) : 8، 346، 347، 348، 349، 357، 358، 359، 360،
364، 365.
ديفو (العقيد): 126، 143، 145، 188، 199، 229.
ديكلوس (الرائد):208.
دينو (العقيد): 208.
ديوري حماني: 353.

(ذ)

الذاودي حمو بن حرز الله: 168.

(ر)

راجحي عبد القادر: 346.

راندون (الجنرال): 26، 27، 28، 109، 112، 123، 127، 131، 146،
175.

الرّسول (ص): 87.

روابح مسعود: 302.

رواد: 259.

روبان (الأب): 250.

روز (الملازم الأول): 145، 168.

رولان جورج: 121.

رومي الآن: 135.

الرويسي ابراهيم بن عبد القادر: 169.

ريتشارد (الأب): 248، 249، 394.

ريسكنيار: 260.

رين لويس: 156.

(ز)

زيدي عبد القادر: 320.

الزركشي : 32.

زروق احمد: 149، 298.

الزعيمي بلقاسم: 299.

زهواني عمر: 296.

(س)

سالان : 308.

- السايج : 119.
- السائحى عبد القادر الأخضر : 275.
- السائحى محمد الأخضر : 282.
- ساي لوي : 119.
- سعادة ابراهيم : 292.
- السبع محمد : 292.
- السعدية حليلة : 87.
- سعد الله أبو القاسم : 144، 146، 157، 162، 183، 190.
- سعيدوني ناصر الدين : 36.
- سليم الأول (السلطان) : 77.
- السنوسي علي : 280.
- السنوسي محمد بن علي : 134، 189، 141.
- سيجوني (الرائد) : 208.
- سيد روهو الحاج : 275، 302.
- سيد روهو محمد الصالح : 275.
- سير فير : 184.
- سيروكا (النقيب) : 23، 142، 178، 179.
- سيدي بن ساسي : 107.
- سيدي سالم : 62.
- سيدي سليمان : 107.
- سيدي عبد الله : 189.
- سيدي عبد السلام : 141، 191.
- سيدي عطاء الله محمد الوليد : 262.
- سيدي علي بن كانون : 145.
- سيدي مبارك بن حليلة : 107.
- السيسيني محمد بن قدور بن صالح : 239.

السهيلي محمد بن عبد الرحمان: 193.

سوستال جاك: 352، 357، 409.

السوفي المولدي: 295.

السوقاري محمد : 134.

(ش)

شاتل (الجنرال): 220.

شال (الجنرال): 307، 358.

شانديز (الضابط): 212، 218، 219، 317، 428.

الشايب احمد: 150.

شتره خير الدين: 276، 277، 279.

شرف الدين احمد رضوان: 315.

الشريف عبد العزيز: 287.

الشريف الهاشمي: 185.

الشطي عبد القادر: 301.

الشطي الوكال: 364.

الشطي سيدي بلخير: 193، 255، 287.

الشعاني احمد الشايب: 156.

شعبان محمد: 292.

شعباني محمد (العقيد): 313.

الشماخي : 31.

شنوفي محمد: 302، 353، 360، 361، 415.

شنيق محمد (باي تونس): 297.

شنين قدور: 240، 273، 279، 281، 289، 290، 295، 320.

شوازي اوغيست: 115، 121.

الشيخ بن محمد 295.

(ص)

الصادقي (باي تونس): 149.

صالح باي : 78.

صالح رايس : 77

صالح يوسف (جوزيف الأعور): 253.

صوايعة (الضابط): 299.

صديقي محمد البشير: 311.

(ط)

طالب احمد: 292.

طمّار: 296.

طشايشي احمد: 292.

طواهر الحاج عمر: 300، 281، 308، 309.

(ع)

عابدين السيد: 299.

عبادو السعيد: 304. 313.

عباسي العيد: 311.

عباس عباس: 319.

عاشور زيان: 291.

عبد القادر: 239، 119.

عبد القادر (الأمير) : 15، 21، 22، 23، 110، 125، 127، 174، 181،

182، 187، 201، 269.

عبده محمد: 270.

عبيد الله : 71، 72.

عشروت : 67.

العدواني : 77.

عزت باشا : 136.
عزالدين احمد موسى: 75.
عسوس دحمان: 292.
عظامو محمد البحري: 277، 278.
عفو محمد الشريف: 298.
العقبي عقبة: 288.
علي باي (الآغا): 125، 126، 127، 150، 155، 157، 159، 160، 161،
162، 163، 164، 165، 166، 167، 170، 172، 178، 180، 200،
380.

عواريب بوجمعة: 290.
عمار (الملازم): 145.
العوامر : 32، 66.
عيساوي عبد القادر: 275.
العياشي : 43، 44، 57، 77، 91، 105، 109.

(غ)

غرايسة عمار : 15.
الغريسي مصطفى بن المختار: 182.
غزال محمد لحسن: 299.
الاغواطي: 46، 58، 77.
غيرستير جورج: 34، 63، 68.

(ف)

فالي (النقيب): 244.
فان برشم مرقريت: 57، 69.
فاندرواس (النقيب): 145.
فايان (المارشال): 115.

فرحات الطيب: 303.
فراجي سليمان : 291.
فرحات حشاد: 278.
الفرسطائي أبي عبدالله محمد بن بكر: 69.
فرنسوا: 215.
فلاتريس (العقيد): 120، 121، 188، 189، 212، 215، 217، 218،
220، 222، 243، 335، 352، 427، 428.
فلامان : 183.
فلقط احمد : 305.
فليب لويس: 23.
فورجيمول (النقيب): 178.
فورو فيرناند: 121.
فورو هنري: 359.
فيرو شارل: 77، 90، 117، 153، 154.
فييري جول: 258.
فيل : 116.
فيل ديان: 145.

(ق)

قاليفي (الجنرال): 117.
قريشي احمد: 319.
قريشي محمد بن قاسم: 319.
قريشي محمد ناجي: 319.
قريشي قدور: 305.
قريشي ناجي: 281.
قدوري احمد: 265.

قنان جمال: 265.
قيشار أُلَيْفِي: 352، 360.

(ك)

كاباني : 115.
كاتز(العقيد): 308.
كاريسيا (العقيد): 23.
كارييلات (العقيد): 208، 209، 213، 220، 424.
كارمبون (الأب): 249، 250، 394.
كامبون جول : 183، 241.
كاست: 359.
كروز: 359.
الكعاك مصطفى : 100.
كلار (العقيد): 27.
كنوش احمد بن ميلود: 297.
كوخ: 165.
كور تيفران (النقيب): 145.
كوسون : 115.

(ل)

لآلا عيشوش: 139.
لآلا مغنية : 20.
لابرين (العقيد): 205، 208، 214، 215، 216، 217، 425.
لابون اريك: 326.
لادميرول (الجنرال): 26.
لارجو فكتور : 16، 32، 33، 52، 58، 64، 103، 113، 119، 417.
لافيجري شارل (الكاردينال): 247، 248.

للمان (الضابط): 213، 214، 218، 222.
لعجاجي الحاج بلخير: 170.
لعروسي مداني: 311.
لكحل محمد : 298.
لعلام عبد القادر: 275.
لعور بشير: 265.
اللواتي ابو عبد الله : 70.
لوجان ماكس: 327، 344، 347، 350، 353.
لوسيال (الجنرال): 249.
لوشاتليه الفريد: 94، 129، 157، 208، 210، 211، 214، 235، 423.
لوطو شارل : 16، 215، 218، 429.
لوكور روبرت: 359.
ليتيلو جون : 15، 32، 34، 50، 52، 50، 62، 63، 72، 86، 92، 106،
135.

(م)

مارمي (الرائد): 144، 145.
ماري مونغ (الجنرال): 25.
ماسوني : 121.
ماضوي علي: 265،
ماكماهون : 26، 123، 147.
مالتسان: 162.
محمد: 48، 93.
محمد رشيد رضا: 270.
محمد الشريف عبد السلام: 292.
محمد الصغير: 163.

- محي الدين بن عبد القادر(الأمير): 155
المخادمي لخضر: 156، 157.
المختار: 145.
مخرمش معمر: 301.
مخرمش محمد: 301.
مداني الطيب: 301.
المدني احمد توفيق : 42.
مريقة عبد القادر: 298.
المريني سلمان بن رجب: 90، 137.
مزهودي : 46.
مسعودي بوعمامة: 314.
مسعودي الشيخ بن علي: 303.
مسعودي عيسى: 299.
مسعودي قويدر بن لخضر: 360.
مسعودي لخضر: 151، 365.
المش محمد: 290.
مشيش بلقاسم: 292.
مصطفى: 156.
مصالي الحاج: 271، 281.
المقراني : 20، 130، 155، 167، 169، 176.
المقراني بمزراق: 155.
المقراني السعيد بداود: 170.
المملوك احمد : 78.
المملوك العربي : 144.
المنصور: 72، 73.
مني (العقيد): 208، 216.

مولاي احمد بن مولاي البكري : 86.
مولاي احمد بن علاهم : 86، 109، 111.
مولاي ادريس : 85.
مولاي البكري : 86.
مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان: 153.
مولاي الذهبي : 86، 92، 110.
مولاي سليمان : 86.
مولاي الطيب : 86، 92، 110.
مولاي محمد بن علاهم : 86.
مولاي محمد بن قويدر: 299، 301، 303.
مولاي محمد بن مولاي البكري : 86.
مولاي مسعود : 86، 110.
مولاي موسى (الفيلالي) : 84.
مولاي عبد الغفار : 86.
مولاي عبد القادر: 86، 110، 161.
مولاي (علاهم) : 84، 85، 86.
مولاي علي : 86، 110.
مهيري رحون: 302.
مويسي النعيمي: 302.
ميرامبو(الجنرال): 359.
ميل (الملازم): 234.
ميلودي احمد: 240، 275، 280، 320.
ميلودي الطاهر بن عمار: 275.
الميلي (المبارك) : 47
الميورقي يحيى بن إسحاق : 74.

(ن)

- الناصر: 141.
نجاح عبد الحميد: 14.
نسومر لآلا فاطمة: 269.
نصرات حشاني: 302.
النوري حمو عيسى : 27، 69، 146.
نوقيس (الجنرال): 220.
نيقو: 123، 127.

(هـ)

- هاربيلان : 346.
هايدو: 77.
هايس (النقيب): 208.
هيربيون (الجنرال): 24.

(و)

- الورقلي حميد بن حمودة: 282.
الورقلي الحاج محمد بن الحاج عيسى: 367.
الورقلي احمد بن الحاج : 100 101.
الورقلي سالم بن شرائر .
الوزان حسن : 32، 34، 62.
الوسيانى : 31، 48.
الوقيني عبد القادر بن العجني: 160.
ولد جديد النعيمي: 179.
ولد بوبكر حمزة : 28، 111، 123، 124، 126، 130، 144، 151، 158،
175، 176، 177، 210.

ولد بوبكر الزبير: 127، 128، 130، 149، 150، 151، 161، 166، 175،
176، 180، 194، 199.

ولد بوبكر لعلا: 154، 175، 177، 178، 179، 180، 194، 200.

ولد بوبكر النعيمي: 25، 175.

ولد حمزة بوبكر: 151، 176، 177.

ويسجير: 44، 121.

ويلسون (الرئيس): 272.

(ي)

اليعقوبي بوعلام: 148.

الينبوعي الحاج علي: 187.

يوسف (الجنرال): 26، 123، 147.

يوسف باشا : 78.

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

آجار: 333.

آسيا : 45.

آفلو: 301

الايض سيدي الشيخ : 137.

الاغواط: 8، 17، 25، 26، 27، 28، 29، 111، 112، 115، 120، 121،

134، 137، 145، 146، 147، 152، 168، 170، 175، 184، 186،

194، 204، 264، 285، 313، 324، 333، 338، 344، 345، 347،
 352، 396، 397.
 الأندلس: 74، 76، 77.
 الأوراس : 22، 288، 301.
 الاتحاد السوفياتي: 326.
 أدرار: 15، 333، 345.
 أرزيو : 342.
 اسبانيا : 76.
 أغاديس: 333.
 إفريقيا: 19، 45، 112، 113، 169، 230، 246، 328، 329، 330، 331،
 374.
 افريقية : 57، 75.
 المانيا : 157.
 اليزي: 8، 36، 297.
 أم الطيور: 73، 168، 230.
 أمدو كال: 292.
 ان اوهاون : 120.
 انسيغة : 165.
 انقوسة : 8، 16، 43، 56، 60، 62، 73، 78، 83، 87، 83، 87، 88، 91،
 92، 93، 95، 96، 103، 111، 114، 117، 119، 123، 124، 138،
 146، 150، 151، 153، 158، 159، 160، 161، 175، 176، 177،
 207، 224، 244، 259، 260، 283، 312، 362، 369، 372.
 إنيدي: 333.
 أوروبا : 45، 326، 327، 328.
 أولاد جلال : 91، 141، 291، 313.
 إيطاليا: 218، 269.

ايغيان: 370، 366.

(ب)

باب الواد: 212.

باتنة: 5، 14، 22، 24، 145، 263، 264، 290.

بادس : 75.

باريس: 115، 119، 140، 271، 338.

بامنديل : 60، 64، 150، 250، 274.

بجاية: 54، 336.

البرتغال : 97.

برج ملالة : 65.

البرواقية : 290.

بروسيا : 155، 159.

بريطانيا : 129، 131، 219.

بريان : 146، 153، 296، 314.

بسكرة : 22، 23، 24، 35، 36، 41، 75، 115، 117، 121، 125، 137،

138، 141، 142، 143، 144، 154، 162، 165، 166، 168، 177،

179، 219، 248، 264، 280، 282، 285، 288، 289، 312، 338،

341.

بشار (كولومب): 204، 314، 328، 332، 338، 344، 345، 360، 377.

بغداد : 182.

بلدة عمر: 222، 312.

بليما: 333.

البور: 56، 61، 283، 362.

بوركو: 333.

بوسيو: 307.

بوسعادة : 24، 26، 115، 145، 301.
البيض: 291، 300، 301، 332.

(ت)

تاجرونة : 102.

تارات : 300.

تافلالت : 79.

تاهرت: 46.

تشاد: 122، 332.

تطاوين : 184.

تقرت: 14، 49، 73، 76، 77، 78، 79، 90، 91، 93، 96، 99، 113،
118، 119، 128، 134، 138، 139، 140، 141، 142، 145، 147،
152، 153، 155، 157، 161، 163، 164، 165، 166، 167، 172،
173، 178، 191، 200، 201، 204، 212، 213، 217، 218، 219،
222، 223، 224، 225، 227، 255، 260، 264، 277، 280، 285،
286، 288، 291، 305، 307، 314، 333، 338، 340، 344، 345،
352، 356، 377.

تماسين : 78، 93، 99، 118، 119، 138، 139، 170، 186، 187، 189،
220، 222، 229، 255.

تماسنين : 213، 222.

تمبكتو: 79، 96، 175، 220، 333.

تمرنة : 229.

تملاحت: 229.

تمنراست: 8، 36، 338، 352، 360.

تميمون : 135، 184، 314، 338.

تندوف: 333، 345.

توات: 114، 128، 175، 189، 332، 345.

تونس: 13، 20، 35، 76، 91، 97، 100، 113، 115، 116، 125، 129،

148، 149، 155، 156، 180، 217، 231، 235، 238، 239، 255،

275، 277، 279، 282، 283، 288، 289، 290، 295، 297، 301،

303، 375، 377، 398.

تيارت : 89.

تيسيتي: 333.

تيدكيلت: 183، 205، 332.

التيطري : 101.

تيهت : 48، 69.

(ج)

جانت : 224، 225.

جامعة : 144، 168، 280، 312.

الجريد التونسي : 20، 35، 75، 112، 134، 148، 150، 155، 180، 193،

300.

الجزائر: 7، 18، 19، 26، 27، 35، 36، 38، 77، 78، 83، 91، 109،

111، 112، 114، 115، 118، 120، 121، 125، 134، 136، 148،

172، 174، 181، 186، 187، 190، 192، 198، 202، 203، 204،

210، 211، 212، 213، 214، 215، 218، 220، 226، 231، 235،

236، 237، 238، 240، 246، 248، 249، 253، 254، 255، 258،

269، 273، 278، 279، 280، 281، 303، 315، 325، 328، 330،

331، 332، 336، 338، 343، 347، 350، 353، 359، 360، 363،

366، 369، 375، 376.

الجنوب: 10، 11، 14، 16، 19، 22، 41، 60، 74، 79، 112، 116،
118، 155، 156، 170، 175، 186، 195، 204، 205، 208، 214،
221، 225، 226، 240، 259، 261، 264، 285، 308، 309،
321، 322، 324، 325، 328، 344، 352.

الجنوب التونسي: 155، 238.

الجنوب الشرقي الجزائري: 8، 9، 17، 19، 20، 21، 25، 28، 41، 42، 53،
99، 109، 110، 113، 121، 156، 188، 190، 195، 269، 291،
300، 344، 373.

الجنوب الجزائري: 10، 66، 108، 110، 112، 113، 115، 119، 121،
137، 143، 155، 188، 202، 210، 216، 240، 269، 273، 276،
286، 344.

الجنوب الغربي : 169، 170، 178، 248، 269، 344.

الجنوب الوهراني : 121، 130.

الجلفة : 26، 36، 123، 147، 290، 312، 313، 333.

(ح)

حاسي ايسنجل : 215.

حاسي بن عبد الله: 339.

حاسي بلحيران : 213.

حاسي بركان (بركين): 117، 180.

حاسي تمزيقيدة: 167، 180.

حاسي الزيت : 173.

حاسي الطويل : 212، 222، 239.

حاسي الطرفاية : 173.

حاسي عتاب: 180.

حاسي لاروك: 239.

حاسي مسعود: 239، 302، 307، 308، 309، 319، 320، 331، 337،
338، 343، 358، 359.

حاسي معمر : 170.

حاسي مويلح : 65.

حاسي المويلك: 170.

حاسي الناقة : 161، 170.

الحجاز: 135، 140.

الحجيرة : 73، 93، 118، 143، 150، 153، 177، 178.

الحراش: 290.

حفرة الشوش : 154، 177، 178.

الحمراية : 65.

حوض الحمراء: 336، 337.

(خ)

خليج قابس : 39.

(د)

دراع البارود : 164.

دزيرة : 178، 312.

دلس : 77.

دوار ماء الابيض: 298.

الدوسن : 75، 166.

(ر)

روما: 66.

الرويسات : 8، 52، 56، 60، 62، 107، 124، 129، 134، 150، 183،

184، 189، 225، 244، 255، 259، 260، 305، 311، 319، 362.

ريغ : 47.

(ن)

الزاب : 47، 73، 75، 141، 162.

الزاوية الكحلة: 212.

الزيان : 17، 20، 21، 22، 24، 25، 28، 73، 79، 99، 108، 112،

137، 165، 188، 194، 230، 292.

(س)

سان فرانسيسكو: 272.

سدراة : 43، 57، 69، 83، 116، 117.

سطيف: 303.

سعيدة: 26.

سكرة : 61.

سكيكة : 24، 307.

السودان: 15، 49، 63، 74، 75، 78، 79، 95، 96، 97، 112، 119،

121، 130، 140، 248، 270، 325، 332.

السودان الغربي: 98.

السودان الفرنسي: 332.

سوريا : 240.

السوس الأقصى: 68.

سويسرا: 355.

سيدي بلعباس : 128، 307.

سيدي بوغفالة : 61، 311.

سيدي خالد : 154.

سيدي خويلد: 8، 56، 60، 62، 100، 105، 207، 235، 255، 311،

362.

سيدي راشد : 229.

سيدي سليمان : 144.

سيدي الشحمي : 307.

السنغال : 121، 122.

(ش)

شروين : 134، 135، 184، 374.

الشط: 56، 61، 62، 100، 107، 153، 171، 189، 193، 207، 230،

235، 244، 255، 260، 311.

الشقة: 310، 312.

الشلف : 76.

شمال إفريقيا: 62، 326، 327.

الشمال : 27، 41، 43، 65، 66، 93، 102، 112، 113، 146، 164،

167، 186، 204، 209، 212، 229، 235، 237، 240، 261، 286،

290، 308، 309، 328، 336، 337، 338، 342، 343، 355، 357،

369، 376.

الشمال الإفريقي: 66، 77، 192.

(ص)

الصحراء: 7، 8، 9، 10، 11، 13، 14، 15، 18، 19، 34، 35، 36، 41،

43، 44، 47، 49، 52، 56، 57، 62، 66، 68، 75، 79، 83، 94، 99،

108، 109، 111، 112، 113، 115، 116، 118، 120، 121، 129،

130، 131، 143، 145، 155، 168، 169، 174، 181، 183، 184،

185، 189، 192، 201، 203، 205، 211، 212، 215، 219، 224،

229، 230، 231، 247، 248، 252، 267، 273، 283، 284، 288،

291، 305، 307، 308، 309، 310، 313، 314، 322، 324، 325،

326، 327، 328، 329، 330، 332، 333، 334، 336، 337، 342،

344، 345، 346، 347، 350، 353، 354، 355، 356، 358، 359،

360، 361، 363، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 372، 373،
374، 375، 376، 401، 405، 409.
الصحراء القسنطينية: 15، 20، 21، 145.
صفاقس: 238.

(ط)

الطاسيلي: 65.
طاهو: 333.
طبنة : 67.
طرابلس: 75، 115، 156، 239.
طولقة : 192.
الطيبات: 163، 312.
الطيبين: 177.

(ع)

العالية : 177، 312.
عمالة الساورة: 332، 335، 341، 344، 345.
عمالة الواحات: 8، 9، 13، 204، 335، 341، 343، 344، 346، 352،
353، 354، 355، 356، 360، 363، 364، 412.
عرق بوسروال : 111، 151.
العطف: 296.
عناية : 24، 151، 342.
عين اميناس: 303، 338.
عين البيضا: 8، 61، 156، 189، 192، 219، 274، 307، 311، 317،
319، 343، 362.
عين تموشنت : 110.
عين الحجاج: 215، 216.

عين صالح: 8، 42، 115، 118، 119، 127، 155، 157، 158، 165،
171، 173، 183، 189، 201، 205، 212، 214، 216، 217، 221،
222، 331، 336، 338.

عين الصفراء: 204، 73.

عين عمر: 61.

عين القطارة: 212.

عين الناقة : 164.

(غ)

غات : 79.

غار ديماء: 298.

غاو : 333.

غدامس : 68، 79، 96، 97، 112، 118، 180، 184، 190، 212، 213،
248، 249، 300، 303، 392.

غرداية : 36، 152، 168، 204، 222، 225، 274، 290، 291، 294،
296، 300، 301، 303، 304، 313، 333، 337، 340، 344، 345،
352، 360، 377.

غرناطة : 76.

غينيا : 97.

(ف)

فاس : 46، 84، 85.

فران : 283، 362.

فرنسا : 13، 21، 22، 23، 25، 27، 28، 35، 94، 110، 112، 113،
120، 121، 122، 124، 125، 129، 131، 134، 137، 139، 145،
146، 148، 152، 155، 156، 158، 159، 161، 172، 173، 175،
179، 185، 186، 187، 192، 198، 202، 218، 219، 233، 234.

238، 247، 254، 271، 272، 277، 279، 301، 315، 316، 324،
325، 327، 328، 331، 332، 349، 350، 352، 353، 354، 355،
357، 358، 360، 373.
فران : 68، 74، 300.
الفيتنام: 272.

(ق)

قابس: 224.
قارة كريمة : 71، 73، 117.
القارة الافريقية : 327.
قايس : 67.
القرارة: 312، 313، 314، 337.
قرطاجه: 67.
قسنطينة : 15، 20، 21، 23، 24، 78، 96، 114، 128، 172، 173، 179،
202، 204، 225، 226، 274، 277، 290، 295، 305، 338، 342،
358، 377، 386، 388.
قصر الحيران: 151.
القصر العتيق : 8، 56، 362.
قفصة : 238.
القليعة : 78، 79، 85، 115، 117، 121.
قمار: 162، 163، 166، 186.
القنطرة : 22.
القنفيدة : 65.
قورارة: 332، 345.
قورد العش : 170.
القوق : 73.

قوندام: 333.

(ك)

كاطنغا: 353.

كانو : 79، 96.

كاو: 217.

كدية المائدة : 24.

كرزاز: 200.

كورسيكا : 151.

(ل)

لحدب : 61، 339.

لعجاجة : 8، 61، 100، 156، 189، 192، 207، 230، 235، 244،
362.

ليبيا : 74، 109، 113، 125، 134، 135، 136، 239، 249، 288،
289، 290، 295، 300، 301، 303، 375.

(م)

متلوي: 238.

متليلي : 123، 146، 300، 301، 320.

المدية : 127، 144، 249، 290، 396.

مراكش: 85.

مسعد : 312، 313.

المسيلة : 75.

المشرق العربي : 104، 182، 232، 240، 375.

مصر : 97، 140.

معسكر: 144.

المغرب : 45، 48، 49، 58، 69، 74، 79، 95، 96، 109.

المغرب الإسلامي: 69، 75، 104.

المغرب العربي: 36، 140، 182، 327.

المغرب الأقصى : 20، 41، 154، 189.

المغرب الأوسط: 68، 90.

المغبر: 140، 144، 165، 168، 307، 308، 313، 314.

المقارين : 144، 150.

مكناس: 84.

المنيعة : 36، 67، 114، 117، 118، 121، 128، 155، 157، 170، 205،

216، 222، 244، 296، 303، 314، 333.

موسكو: 327.

(ن)

النزلة : 90، 164.

نفطة: 193.

نقاوس : 75.

النيجر: 113، 115، 121، 332، 353، 360.

نيس : 117.

نوميديا: 56، 62، 97.

(هـ)

هرقلة : 32.

الهقار: 7، 65، 115، 116، 119، 120، 121، 122، 220، 314، 333.

(و)

واحة الزعاطشة : 23، 24، 108، 190.

وادي آجلو: 48.

وادي ايتل : 154.

وادي ايغرغار : 41، 116.

وادي اوهانت : 118.

وادي ريغ : 29، 36، 73، 78، 90، 91، 93، 112، 114، 115، 116،
121، 126، 127، 137، 138، 139، 143، 144، 148، 149، 150،
155، 158، 166، 168، 169، 172، 179، 188، 194، 201، 210،
229، 282، 287، 289، 292، 304، 312، 113.

وادي زلفانة : 42.

وادي سوف : 20، 21، 29، 35، 36، 73، 99، 112، 114، 116، 126،
126، 127، 128، 134، 141، 146، 155، 161، 162، 163، 172،
186، 188، 200، 201، 210، 213، 227، 264، 280، 282، 283،
286، 289، 295، 312، 313، 314، 333.

وادي مية : 41، 63، 64، 72، 73، 74، 116، 341.

وادي ميزاب : 42، 73، 95، 102، 112، 114، 123، 194، 277، 283،
287، 356.

وادي النسا : 42، 175، 177، 312.

واركلان : 31، 32، 34، 35، 46، 47، 57، 75.

ورجلان : 14، 15، 31، 46، 48، 49، 63، 68، 71، 72، 86، 125،
157، 168، 248.

ورقلان : 31.

ورقلا : 91.

ورقلة : 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20،
21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35،
36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50،
51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 62، 63، 64، 65، 66،
67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81.

,96 ,95 ,94 ,93 ,92 ,91 ,90 ,89 ,88 ,87 ,86 ,85 ,84 ,83 ,82
,108 ,107 ,106 ,105 ,104 ,103 ,102 ,101 ,100 ,99 ,98 ,97
,119 ,118 ,117 ,116 ,115 ,114 ,113 ,112 ,111 ,110 ,109
,130 ,129 ,128 ,127 ,126 ,125 ,124 ,123 ,122 ,121 ,120
,141 ,140 ,139 ,138 ,137 ,136 ,135 ,134 ,133 ,132 ,131
,152 ,151 ,150 ,149 ,148 ,147 ,146 ,145 ,144 ,143 ,142
,163 ,162 ,161 ,160 ,159 ,158 ,157 ,156 ,155 ,154 ,153
,171 ,170 ,169 ,168 ,167 ,169 ,168 ,167 ,166 ,165 ,164
,182 ,181 ,180 ,179 ,178 ,177 ,176 ,175 ,174 ,173 ,172
,193 ,192 ,191 ,190 ,189 ,188 ,187 ,186 ,185 ,184 ,183
,204 ,203 ,202 ,201 ,200 ,199 ,198 ,197 ,196 ,195 ,194
,215 ,214 ,213 ,212 ,211 ,210 ,209 ,208 ,207 ,206 ,205
,226 ,225 ,224 ,223 ,222 ,221 ,220 ,219 ,218 ,217 ,216
,237 ,236 ,235 ,234 ,233 ,232 ,231 ,230 ,229 ,228 ,227
,248 ,247 ,246 ,245 ,244 ,243 ,242 ,241 ,240 ,239 ,238
,259 ,258 ,257 ,256 ,255 ,254 ,253 ,252 ,251 ,250 ,249
,270 ,269 ,268 ,267 ,266 ,265 ,264 ,263 ,262 ,261 ,260
,281 ,280 ,279 ,278 ,277 ,276 ,275 ,274 ,273 ,272 ,271
,292 ,291 ,290 ,289 ,288 ,287 ,286 ,285 ,284 ,283 ,282
,303 ,302 ,301 ,300 ,299 ,298 ,297 ,296 ,295 ,294 ,293
,314 ,313 ,312 ,311 ,310 ,309 ,308 ,307 ,306 ,305 ,304
,325 ,324 ,323 ,322 ,321 ,320 ,319 ,318 ,317 ,316 ,315
,336 ,335 ,334 ,333 ,332 ,331 ,330 ,329 ,328 ,327 ,326
,347 ,346 ,345 ,344 ,343 ,342 ,341 ,340 ,339 ,338 ,337
,358 ,357 ,356 ,355 ,354 ,353 ,352 ,351 ,350 ,349 ,348
,369 ,368 ,367 ,366 ,365 ,364 ,363 ,362 ,361 ,360 ,359

370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 389، 390، 392،
394، 396، 397، 402، 407، 409، 413، 415.
وركلا : 31، 32، 35، 56، 75.
وركلة : 31، 32، 62.
وركلي : 31، 32، 47.
الولاية السادسة: 8، 300، 302، 303، 304، 310، 353، 360، 361.
وهران : 25، 26، 102، 123، 127، 144، 147، 151، 175، 179،
338.

(ي)

يفرن : 43.

فهرس الشعوب والقبائل

(أ)

- آل العبيدين : 70، 71.
- الآباء البيض: 248، 251، 252، 253، 259، 261.
- الإباضية: 70، 71، 86، 103، 158، 160، 263.
- الإباضيين: 57، 69، 70، 73، 92، 93، 94، 201، 357.
- اثيويون : 45.
- الأوروبيين : 101، 162، 198، 206، 246، 267، 315، 343، 351.
- الأخوات البيض: 250، 252.
- أشجع: 46.
- الأعراب: 76.
- أولاد ابراهيم: 51.
- أولاد أبي معقل : 107.
- أولاد أحمد: 52.
- أولاد إسماعيل: 51، 153، 178.
- أولاد باشة: 107.
- أولاد ثمان : 51.
- أولاد جنادة: 52.
- أولاد خميس: 51.
- أولاد رشيش : 149.
- أولاد زينة : 51.
- أولاد زكري : 154، 166، 168، 178.
- أولاد زيد : 51.
- أولاد ساسي: 52.
- أولاد السايح: 91، 151.

أولاد سعيد: 51.

أولاد سيدي الشيخ: 7، 17، 25، 111، 128، 130، 155، 158، 166،
173، 175، 177، 178، 180، 184، 194، 195، 200، 269، 373.

أولاد سيدي احمد بن يوسف : 110.

أولاد الشايب : 179.

أولاد عبد العزيز: 107.

أولاد عرينة وبني مرزوق: 52.

أولاد علاهم: 48، 84، 86، 87، 88، 91، 117، 125، 136، 161، 199،
372.

أولاد علي بن عبد الله: 51.

أولاد عمر: 166.

أولاد عيسى: 154.

أولاد فدول: 51.

أولاد فرجك 51.

أولاد مولات: 91.

أولاد نايل: 25، 99، 142، 147، 166، 175، 312، 313.

أولاد نصير: 51، 52.

أولاد يعقوب: 170.

أولاد يوسف : 88، 89.

(ب)

البربر: 45، 47، 66، 76.

بن بابية : 83، 87، 88، 89، 91، 92، 96، 117، 131، 158، 372.

بن قانة: 158، 165، 176.

بني براهيم: 59، 87، 92، 93، 100، 102، 103، 107، 114، 118، 126،

158، 159، 207، 237، 238، 248، 372، 393، 398.

بني تسكنيت: 47.

بني ثور: 52، 87، 89، 100، 102، 150، 152، 156، 173، 174، 179،
207، 212، 229، 231، 234، 311، 335، 339، 362، 372.
بني جلاب : 78، 90، 91، 93، 96، 114، 117، 137، 138، 139، 145،
200.

بني سليم: 47.

بني سيسين: 59، 85، 86، 87، 92، 93، 100، 102، 103، 106، 107،
114، 118، 126، 135، 158، 159، 160، 202، 207، 237، 238،
372، 398.

بني عبد المؤمن : 75.

بني غبول : 83، 84، 131.

بني غيرت: 47.

بني مزني: 75.

بني مسافر: 47.

بني ميزاب : 17، 27، 28، 92، 125، 160، 166، 296.

بني هلال: 47، 72، 75.

بني ورتجين : 47.

بني وقين: 59، 83، 84، 85، 87، 92، 93، 100، 102، 107، 114،
118، 126، 158، 159، 160، 207، 237، 238، 248، 372.

بني ياجرين: 47.

بني يكشن: 47.

بنو سدرات: 46.

بنو ورقلان : 46.

بنو وركلا: 45، 84.

البوازيد: 99.

بوعكاز: 158، 176، 200.

(ت)

التجانية: 118، 122، 138، 163، 165، 170، 182، 185، 186، 187،
188، 189، 192، 220، 255، 286، 357.

التكرور السنغاليون: 49.

تناوت: 47.

التوارق: 65، 97، 118، 120، 122، 150، 157، 184، 188، 189،
201، 210، 211، 215، 216، 249، 373، 394.

التونسيين: 113، 195.

(ج)

الجزائريين : 113، 129، 135، 137، 146، 148، 182، 190، 198،
209، 210، 214، 235، 236، 238، 252، 254، 258، 261، 270،
271، 273، 276، 277، 282، 283، 304، 322، 328، 358، 379،
401.

الجلالة : 87، 91، 139.

(ح)

الحرازلة: 101، 140، 177.

الحفصيين : 75، 76.

الحماديين: 72، 73.

حميان: 92.

(ذ، ر، ز)

الذواودة : 73، 159، 160.

الرحبات: 89، 90.

الرحمانية : 156، 169، 181، 182، 189، 192، 193، 196.

الرومان: 63، 65، 66، 67.

رياح: 47.
زناتة: 35، 47، 72، 74.
الزنجباريين: 34، 63.
الزنوج: 49، 78.
زواغة: 47.
الزيتونيين: 276، 282، 401.
زيحوحة: 46.

(س)

سعيد: 47.
سعيد عتبة: 50، 51، 87، 88، 89، 92، 100، 101، 102، 112، 120،
140، 147، 148، 167، 168، 171، 177، 179، 180، 201، 202،
207، 229، 311، 335، 336، 339، 340، 362، 372، 380، 386.
السنوسية: 135، 155، 156، 182، 189، 190، 192، 196.
السنوسيين: 184.
السلمية: 91، 141.
السوهامة: 179.

(ش)

الشاذلية: 193.
الشعانية: 50، 87، 100، 102، 112، 120، 121، 140، 146، 148،
150، 152، 156، 157، 163، 164، 171، 172، 174، 177، 179،
201، 207، 210، 211، 249، 250، 291، 302، 335، 372.
شعانة الرويسات: 56.
الشعانة القبالة: 51، 147، 229.
شعانة المواضي: 128، 156، 167.
شعانة الوادي: 157، 161، 162.

شعابنة بروبة: 147، 167.

شعابنة بوسعيد: 51، 229.

شعابنة متليلي: 27، 114، 128،

شعابنة ورقلة: 172، 173، 248، 394.

الشيخية : 182، 189، 193، 194، 196.

(ص، ض، ط)

الصاو: 50.

الصبايحية : 144، 145، 159، 169، 179، 212.

صنهاجة: 46.

ضريسة: 46.

الطرق الصوفية: 11، 17، 181، 187، 196، 252، 254، 275، 373.

طرود: 99.

الطيبة : 182، 189.

(ع، غ)

العثمانيين: 77، 78، 87، 92، 190.

عدوان: 99.

العرب: 47، 49، 94، 140، 142، 199، 302.

العزوية : 192.

العمور: 47.

اليساوية : 85.

غمارة: 46.

(ف، ق)

الفرنسيين: 79، 83، 88، 92، 94، 101، 108، 109، 110، 11، 113،

115، 121، 122، 123، 127، 128، 129، 130، 135، 136، 139،

140، 143، 144، 146، 147، 149، 150، 153، 154، 155، 156،

158، 159، 160، 163، 164، 171، 174، 175، 176، 177، 180،
184، 187، 189، 192، 195، 199، 200، 201، 202، 208، 220،
224، 230، 234، 252، 258، 261، 262، 266، 273، 287، 295،
299، 305، 315، 325، 327، 332، 352، 363، 366، 370، 372،
374، 375.

فزارة: 47.

الفاطميّين: 76، 80.

الفلالية : 84.

فطناسة : 51، 89، 90.

الفوارس: 51.

القادرية: 134، 135، 182، 183، 184، 185، 186، 189، 192، 196،
255، 286، 373، 397.

قبائل الأرباع: 25، 101، 140، 141، 146، 147، 172، 175، 177،
191.

قرمّنتيون : 45، 80.

القساوسة . 246، 250، 252، 253.

(ك،ل، م)

الكافرين: 136.

كتامة: 46.

اللبيين : 195.

المالكية: 103، 158، 165، 256، 263، 274، 367.

المجاهدين: 273، 274، 279، 294، 296، 305، 307، 319، 353، 361،
370.

المخادمة: 50، 51، 87، 90، 100، 102، 112، 120، 121، 140، 146،
148، 150، 152، 156، 157، 159، 160، 167، 171، 172، 173.

174، 177، 180، 201، 207، 229، 296، 311، 335، 336، 339،
340، 362، 372، 398.

المداققة: 156، 173.

المرابطين : 74.

مزاةة: 46

المستشرقين : 245.

المسحيين: 153.

مسلم: 47.

المسلمين : 109، 186، 199، 220، 245، 247، 248، 251، 254، 270،
347.

مصمودة: 46.

المعقل: 47، 48، 50.

مغيلة : 46.

المقرانيين : 155، 157، 167، 169، 180، 213.

ملوك الطوائف: 74.

الموحدين: 74، 75.

الميزابيون: 27، 28، 93، 126، 146، 160، 166، 357.

(ن، هـ)

النصارى : 153، 154، 190.

نفزة : 46.

النموديين: 62، 67.

هواره : 46.

(و، ي)

الورقليين / الورقليون: 54، 65، 67، 92، 98، 100، 106، 129، 209،
210، 228، 232، 238، 239، 266، 273، 278، 280، 281، 362،
375.

اليونانيين: 66.

اليهود: 48، 49، 98، 228.

فهرس الجمعيات والأحزاب والهيئات

(أ، ت)

- الأرشيف الوطني التونسي: 13، 149.
الأرشيف الوطني الجزائري: 14.
الأمم المتحدة: 304.
الأمل الزيتوني السوسي: 282.
إتحاد شباب ورقلة: 281.
إتحاد الشباب الصحراوي: 282.
أرشيف ما وراء البحار: 13.
أرشيف الوزارة الحربية: 14.
التعاونية الغذائية لاتحاد الشباب الصحراوي: 301.

(ج)

- جامع الزيتونة: 7، 186، 275، 277، 282، 283، 295، 377.
الجامعة الإسلامية: 181.
جبهة التحرير الوطني: 273، 288، 304، 342، 343، 347، 353، 358،
360، 365، 375.
جمعية الآباء البيض للصحراء: 248.
الجمعية الأوروبية الإفريقية المنجمية والصناعية: 330.
جمعية إعانة الضعفاء الطلبة: 282.
جمعية الإصلاح: 283.
الجمعية الزيتونية بالكاف: 282.
جمعية الشباب السوفي الزيتوني: 282.
جمعية صوت المسجد: 283.
جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين: 282.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 7، 181، 252، 271، 274، 277، 286، 337.

جمعية الفلاح: 277.

الجمهورية الفرنسية الرابعة: 175.

الجمهورية الصحراوية المستقلة: 8، 352، 353، 360، 369، 376.

جمعية الوفاق: 283.

جيش التحرير الوطني: 294، 295، 297، 299، 303، 311، 312، 313، 347، 358، 364، 376.

(ح)

حركة انتصار الحريات الديمقراطية: 7، 280، 281، 319، 320، 375.

حركة الشبان الجزائريين: 271.

الحركة الوطنية الجزائرية: 270، 271، 272، 291، 322، 372، 376.

الحركة الوهابية: 275.

حزب الشعب الجزائري: 271.

الحزب الشيوعي الجزائري: 271.

الحكومة المؤقتة الجزائرية: 14، 350، 353، 358، 360، 361، 363.

(ر، ش، ص)

الرابطة البحرية الاستعمارية: 220.

الرابطة الثقافية لطلبة الجريد: 282.

شبيبة شمال إفريقيا الموحدة: 282.

شركة البحث واستغلال بترول الصحراء: 330،

الشركة الجغرافية: 215.

شركة الدراسات للتجهيز المنجمي والصناعي: 330.

الشركة الفلاحية للاحتياط والإغاثة والقروض التعاونية: 323.

الشركة القومية للبحث عن البترول في الجزائر: 329، 340.

شركة معدات البنية التحتية الصحراوية: 340، 341.

صندوق التمليك والاستثمار الريفي: 339، 340.

الصندوق الصحراوي للتضامن: 335.

(ف، ق، ك، ل)

الفرقة الاولمبية الورقالية : 280.

فرق المهاري الصحراوية: 299.

قطاع التطور الريفي: 339، 340.

الكشافة الإسلامية الجزائرية بتقوت: 278.

لجنة دراسة مناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي: 330.

اللجنة الثورية للوحدة والعمل: 289.

(م)

متحف المجاهد (تقوت): 17.

المجمع العام لجميع الطلبة: 282.

المدرسة الخلدونية: 275، 295.

مركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة: 13

معهد الحياة: 277، 377.

المفرزة العملية للوقاية: 316.

مكتب البحوث البترولية: 329.

مكتب البحوث المنجمية: 330.

المكتب الصناعي الإفريقي : 330.

المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بورقلة: 8، 274، 294، 295، 300، 301.

المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية: 8، 332، 333، 334، 337، 342، 344،

345، 352، 359، 369.

مؤسسة القديس أوغستين لبعث الدين المسيحي: 248.

(ن، و)

نجم شمال إفريقيا: 271.

وزارة المجاهدين: 16

فهرس الجداول

الرقم	العنوان	الصفحة
01	كشف لنسب الجفاف يشمل الفترة ما بين 1930- 1939	37
02	كشف لدرجات الحرارة يشمل فترة ما بين 1949- 1961	38
03	المعدلات الشهرية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902- 1919	39
04	المعدلات السنوية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902- 1962	39
05	معدل سرعة الرياح بورقلة بين سنتي 1941-1942م	40
06	القبائل الأساسية وفروعها بورقلة(1880-1948م	51
07	إحصائيات عدد أفراد قبائل ورقلة سنة 1949م	52
08	عدد السكان بين الورقليين والأوروبيين في فترة ما بين 1842-1959م	53
09	الوفيات المعلن عنها لدى مصلحة الحالة المدنية ما بين الحضرين والرحل 1956- 1959م	55
10	عدد السكان حسب القرى والمداشر بورقلة سنة 1949م	56
11	ضباط وفرق الحملة العسكرية الفرنسية على ورقلة	127
12	بجالس الجماعة بمختلف عروش ودواوير ورقلة (1925- 1930م)	207
13	قائمة الحكّام الفرنسيين الذين تولوا الحكم في ورقلة 1881- 1940م	208
14	تطور مداخيل التلغراف والهاتف بورقلة خلال (1919-1921)	225
15	امتدادات الشبكة الهاتفية بورقلة (1930-1940)	226
16	قيمة الضرائب المحصلة بورقلة خلال سنة 1949م	229
17	تطور عدد الآبار الارتوازية بورقلة خلال (1883-1946م)	231
18	تطور إنتاج محصول القمح والشعير بورقلة خلال (1918- 1921م)	233
19	تطور عدد النخيل بورقلة خلال (1877-1921م)	234
20	حالات المرضى الأهالي والأمراض المعالجة في المستشفيات بورقلة سنة 1915م	242
21	تطور عدد الفحوصات المجانية بورقلة خلال (1919-1921م)	244
22	عدد المساجد بورقلة خلال القرن 19م	256

261	تطور حركة التعليم في المدارس العمومية بورقلة (1898-1951م)	23
262	تطور حركة التعليم في المدارس الخاصة بالآباء البيض بورقلة (1900-1951م)	24
264	عدد المساجد بورقلة خلال القرن 19م	25
266	بعض المحبوسين بالسجن البلدي بورقلة سنة 1949م	26
248	التعداد الرقمي للمسجلين في القوائم الانتخابية لسنة 1958م.منطقة ورقلة	27
349	النتائج النهائية لاستفتاء 28 سبتمبر 1958م بورقلة	28

فهرس الملاحق

الرقم	العنوان	الصفحة
01	شكوى من قبيلة سعيد عتبة ضد سياسة علي باي 1867م.	380
02	رسالة الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص عزل سي احمد بن بقر كشيخ على قبيلة سعيد عتبة 1867.	386
03	رسالة الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة تتعلق بتغير مؤقت لخليفة ورقلة 1867.	388
04	رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا <i>Barveau</i> حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعيينه حاكما على ورقلة وعروشها.	389
05	رسالة من محمد بن الحاج بن ادريس إلى كافة أعرش ورقلة 1874م.	390
06	رسالة موجهة من مبعوثي غدامس الى عبد القادر بن عمر اغا ورقلة 1881م	392
07	رسالة من عرش بني براهيم بتونس الى القنصل العام الفرنسي يطلبون فيه تولية الشاوش محمد بن ابي بكر رئيسا عليهم سنة 1888م	393
08	رسالة من كارمبون <i>Kermabon</i> إلى أعيان شعانة ورقلة حول مقتل الأب رتشارد <i>Richard</i> من طرف التوارق 1881م.	394
09	رسالة حاكم مقاطعة المدية إلى حاكم دائرة الاغواط بخصوص آغا ورقلة سي عبد القادر بن عمر 1882م.	396
10	رسالة من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط 1897م.	397
11	رسالة من شيخ الورقلية إلى محافظ الشرطة بتونس لشرح معركة وقعت بين عرش بني سيسين وبني براهيم 1908م.	398
12	قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة 1942م.	400
13	بيان من مشيخة جامع الأعظم يدعوا فيه إلى التعقل ونبد الفرقة بين مختلف جمعيات الطلبة الجزائريين الزيتونيين بما فيهم طلبة الصحراء سنة 1949م.	401
14	تقرير شهري حول أوضاع ملحقة ورقلة خلال الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1955م إلى 16 جانفي 1956م.	402
15	تقرير ينص على إنشاء مناطق الحرمة بالصحراء الجزائرية.	405
16	تعليمات حول إطلاق النار بالمناطق الحرمة.	406

17	تعليمات للجنة الإدارية المكلفة بالتحضير للاستفتاء 28 سبتمبر 1958م. منطقة ورقلة.	407
18	وصف حالة المجتمع الورقلي بعد الانتخابات البلدية سنة 1959م.	408
19	زيارة جاك سوستال إلى ورقلة وتقرت سنة 1959م في إطار مشروع فصل الصحراء عن الجزائر.	409
20	منشور موجه إلى سكان عمالة الواحات لوقف إطلاق النار في إطار مشروع سلم الشجعان.	412
21	برنامج زيارة وزارية إلى ورقلة سنة 1960.	413
22	رسالة من الملازم الثاني محمد شنوف إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بخصوص تنظيم مظاهرات بورقلة بتاريخ 27 فيفري 1962م	415
23	مسار رحلة لارجو V.Largeau إلى ورقلة سنة 1877م.	417
24	واحة ورقلة وضواحيها سنة 1880م.	418
25	التوسع السكاني في ورقلة وضواحيها 1888-1889م.	419
26	رسم تخطيطي يوضح بعض البروج العسكرية بورقلة سنة 1931م.	420
27	مخطط لبرج بوليناك	421
28	صورة للعقيد ألفريد لوشاتلي أول حاكم عسكري ورقلة 1882م.	423
29	صورة للعقيد كارييلات Carbillet حاكم ورقلة (1927-1940)	424
30	صورة للعقيد لابرين Laperrine حاكم ورقلة ما بين 1901-1910م	425
31	صورة نموذجية لرجال الغطاسة بورقلة لاستخراج المياه الجوفية	426
32	صورة لشيوخ نقوسة بورقلة رفقة بعثة فلاترس.	427
33	صورتين لبرجي فلاترس وشانديز	428
34	صورتين لبرجي بوليناك ولوطو	429
35	صورة لفرحة الاستقلال بورقلة.	430

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات الواردة في البحث

المقدمة.....06

المدخل:

التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة

(1844-1854م)

احتلال منطقة الزيبان 1844م.....20

احتلال الاغواط 1852م.....25

اتفاق الحماية بين الفرنسيين ووادي ميزاب 1853م.....27

الفصل الأول:

التعريف بمنطقة ورقلة وضواحيها

المبحث الأول: الخصائص الجغرافية.....31

التسمية.....31

الموقع والحدود.....36

، التضاريس.....36

الخصائص المناخية.....38

الشبكة المائية.....40

المبحث الثاني: الخصائص البشرية.....44

أصول السكان.....44

التركيبة الاجتماعية.....45

القبائل الأساسية للمجتمع الورقلي.....30

تطور النمو السكاني.....52

تطور العمران.....56

62.....	المبحث الثالث: الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي
62.....	ورقلة في العصور القديمة
68.....	ورقلة في الفترة الإسلامية
76.....	ورقلة في العهد العثماني
79.....	خلاصة الفصل

الفصل الثاني

الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة

83.....	المبحث الأول: الأوضاع العامة للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي
83.....	الحالة السياسية
83.....	الصراع بين مشيخة نقوسة وسلطنة ورقلة
88.....	الصراع الداخلي بين أفراد أسرة بني بابية
90.....	إمارة بني جلاب وعلاقتها بسلطنة ورقلة
93.....	الحالة الاقتصادية
93.....	الزراعة
95.....	التجارة
97.....	الصناعة
99.....	الحالة الاجتماعية
104.....	الحالة الثقافية والدينية
104.....	الحالة الثقافية
105.....	الحالة الدينية
108.....	المبحث الثاني: الغزو الفرنسي لمنطقة ورقلة ومراحله
108.....	دوافع الغزو الفرنسي
133.....	مراحل الغزو الفرنسي
113.....	المرحلة الأولى: البعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية
123.....	المرحلة الثانية: الاحتلال العسكري لورقلة
127.....	المرحلة الثالثة: الاستقرار النهائي للفرنسيين بورقلة
130.....	خلاصة الفصل

الفصل الثالث:

المقاومة الشعبية ضد التوسع الاستعماري 1850-1875م

- المبحث الأول: مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.....134
- أولاً/ حلول الشريف محمد بن عبد الله بورقلة ومبايعته سلطاناً.....134
- ثانياً/ جبهات التصدي والمقاومة قبل احتلال ورقلة (1850-1853م).....137
- 1- جبهة وادي ريغ والزيبان.....137
- 2- جبهة وادي ميزاب.....146
- 3- جبهة الاغواط.....147
- ثالثاً/ استمرار مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة بعد الاحتلال والسيطرة (1854-1861):.....148
- المبحث الثاني: مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف بشوشة.....155
- أولاً/ حلول الشريف بشوشة بورقلة.....156
- ثانياً/ بشوشة يحرر ورقلة ويجدد المقاومة.....158
- ثالثاً/ حملة الجنرال دولاكروا واحتلال ورقلة من جديد.....167
- المبحث الثالث: أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة.....173
- المبحث الرابع: الطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن 19م.....181
- الطريقة القادرية.....182
- الطريقة التجانية.....186
- الطريقة الطيبية.....189
- الطريقة السنوسية.....189
- الطريقة الرحمانية.....192
- الطريقة الشيعية.....193
- خلاصة الفصل.....194

الفصل الرابع:

السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854 – 1954م

- 198.....المبحث الأول: السياسة الإدارية والعسكرية.
- 198.....أولا/السياسة الإدارية.
- 199.....استحداث نظام القياد والباشاغوات.
- 199.....الباشاغا سي الزبير ولد بوبكر (1854-1862م).
- 200.....الباشاغا سي لعلا ولد بوبكر (1862-1864م).
- 200.....الآغا علي باي (1865-1872م).
- 200.....الآغا السعيد بن ادريس (1874-1876م).
- 201.....الآغا عبد القادر بن عمر (1876-1884م).
- 203.....تأسيس ملحقة ورقلة 1902م.
- 210.....ثانيا/ السياسة العسكرية.
- 210.....الانجازات العسكرية (1882 – 1914) .
- 212.....- برج فلانيرس (برج عمر ادريس حاليا).
- 212.....- برج شانديز بيني تور (البرج الأحمر).
- 213.....- برج لالمان.
- 215.....الانجازات العسكرية (1914 – 1942) .
- 215.....- استمرار سياسة بناء الأبراج العسكرية.
- 215.....- برج لوطو.
- 215.....- برج بولنيك.
- 215.....- تأسيس الكتائب الصحراوية المهرية.
- 217.....- التجنيد الإجباري.
- 217.....- إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية.
- 219.....- إنشاء محطة للطيران العسكري.
- 221.....المبحث الثاني: السياسة الاقتصادية والاجتماعية.
- 221.....أولا/ السياسة الاقتصادية.
- 221.....- صيانة وتشديد طرق المواصلات وتحسين النقل.

224.....	– تطوير الخدمات البريدية والاتصالية.
226.....	– فرض الضرائب على الأهالي.
229.....	– الاستيلاء على الآبار لارتوازية.
231.....	– السيطرة على الأراضي الزراعية واحتكار الإنتاج.
234.....	ثانيا/ السياسة الاجتماعية.
234.....	– المهجرة الورقالية واتجاهاتها.
240.....	– المستوى المعيشي.
241.....	– المستوى الصحي والبيئي.
245.....	المبحث الثالث: السياسة التنصيرية (التبشيرية).
245.....	أولا/ التنصير ومظاهره بورقلة.
252.....	ثانيا/ وسائل وأساليب التنصير.
252.....	ثالثا/ ردود الفعل الشعبية على سياسة التنصير.
254.....	المبحث الرابع: السياسة التعليمية والقضائية.
254.....	أولا/ السياسة التعليمية.
254.....	التعليم العربي.
258.....	التعليم الفرنسي.
261.....	ثانيا / السياسة القضائية.
265.....	خلاصة الفصل.

الفصل الخامس :

الثورة التحريرية في ورقلة 1954 – 1962م

269.....	المبحث الأول: الإرهاصات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية.
269.....	أولا/ مظاهر المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار قبل اندلاع الثورة التحريرية.
273.....	ثانيا/ الإرهاصات السياسية.
287.....	ثالثا/ الإرهاصات العسكرية.
290.....	المبحث الثاني: موقف سكان منطقة ورقلة من اندلاع الثورة التحريرية.
291.....	أولا/ مرحلة الاتصالات وتشكيل الخلايا الثورية.
294.....	ثانيا/ القيام بتجميع السلاح والعمليات الفدائية.

304.....	ثالثا/ موقف سكان ورقلة من إضراب ثمانية أيام سنة 1957م.....
306.....	رابعا/ ردود فعل السلطة الاستعمارية ضد نشاط الخلايا الثورية المدنية بورقلة.....
310.....	خامسا/ موقف الخلايا الثورية المدنية بورقلة من ردود الفعل الاستعمارية.....
315.....	المبحث الثالث: مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة.....
315	أولاً/ مراكز التعذيب ووسائله.....
319.....	ثانيا/ نماذج من شهادات عن التعذيب في مراكز الاعتقال بورقلة.....
321.....	خلاصة الفصل.....
	الفصل السادس :
	موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية
325.....	المبحث الأول: المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1947-1962م).....
325.....	أولاً/ أسباب عودة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية.....
329.....	ثانيا/ أهم هذه المشاريع الاستعمارية.....
329.....	- إنشاء مجموعة من المؤسسات والمجمعات الصناعية.....
332.....	- إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية OCS.....
344.....	- إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتقسيم الصحراء إلى عمالتين.....
346.....	المبحث الثاني: موقف مجلس عمالة الواحات وسكان ورقلة من مشروع الانفصال.....
347.....	أولاً/ موقف سكان ورقلة من استفتاء 28 سبتمبر 1958م بالصحراء.....
352.....	ثانيا/ دور ممثلي المنطقة بمجلس عمالة الواحات في إحباط مؤامرة الانفصال.....
357.....	ثالثا/ مظاهرات 27 فيفري 1962 بورقلة تنسف أحلام الجنرال ديغول.....
368.....	خلاصة الفصل.....
371.....	- الخاتمة.....
378.....	- الملاحق.....
431.....	- قائمة المصادر والمراجع.....
425.....	- الفهارس العامة.....
453.....	فهرس الأعلام والأسماء.....
472.....	فهرس الأماكن والبلدان.....
484.....	فهرس الشعوب والقبائل.....

491.....	فهرس الجمعيات والأحزاب والهيئات
494.....	فهرس الجداول
496.....	فهرس الملاحق
498.....	فهرس الموضوعات